الجامع لسيرة الإمام المفتي الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

خلال أربعين عاماً

تراجم متنوعة - كلمات رثائية - قصائد شعرية

انطباعات وذكريات

جمع وإعداد وترتيب

أبي يوسف / عبد الرحمن بن يوسف الرحمة القرعاني

عفا الله عنه

دار القلم

دمشق

الجامع لسيرة الإمام المفتي الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

خلال أربعين عاما

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
www.alkalam-sy.com

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الجامع لسيرة الإمام المفتي الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

خلال أربعين عامًا

تراجم متنوعة - كلمات رثائية - قصائد شعرية - إنطباعات وذكريات

جمع وإعداد وترتيب

أبي يوسف / عبد الرحمن بن يوسف الرحمة القرعاني

عفا الله عنه

دار القلم

دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

توقيعات عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم

أ ـ هو من نوادر الرجال الذين عرفناهم علماً وحلماً وعقلاً وحكمة.

محمد الأمين الشنقيطي

ب ـ حضرت له مواقف مشرفة وشاهدت منه أعمالاً موفّقة في نفع المسلمين، والغيرة للإسلام، والرد على خصومه.

عبد العزيز بن باز

ج ـ العلامة الجليل الأصولي المحدث الفقيه الشيخ محمد بن إبراهيم.

عبد الرحمن بن عبد اللطيف
آل الشيخ (البحر)

د ـ هو من العلماء العاملين والجهابذة المحققين والأئمة المجاهدين الذين أثروا في حياة بلادنا والناس تأثيراً، تعليماً ودعوة، وقيادة وقدوة.

صالح بن عبد العزيز بن محمد
إبراهيم آل الشيخ

هـ ـ الإمام العلامة بقية السلف وعمدة الخلف ناصر السنة الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم.

د. محمد تقي الدين الهلالي
الحسني المغربي

و ـ هو شيخ الجيل الحاضر من العلماء وباعث النهضة العلمية في علوم الشريعة وعلوم اللغة وعلوم الاجتماع مجدد القرن الرابع عشر الهجري سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

عبد الله بن سليمان بن منيع

ز ـ قد أجمع عارفوه ـ كما تدل سيرته وتصرفاته وأعماله ـ على أن الله تعالى وهبه عقلاً كبيراً وأعطاه فهماً ثابتاً، ومنحه جلداً وصبراً ورزقه قوة في بدنه وفكره وما أبقاه له من حواسه.

عبد الله بن عبد الرحمن البسام

ح ـ من أولئك الأعلام من له الزعامة والقيادة إمام عصره وفريد دهره، ممن أعطي الحكمة فأعطى خيراً كثيراً الشيخ العلامة مفتي الأنام ومميز الأحكام الشيخ محمد بن إبراهيم.

إسماعيل بن سعد بن عتيق

ط ـ رحم الله فقيد الإسلام والمسلمين محمد بن إبراهيم فقد اجتمع له ما تفرق في كثير من الناس والتقىٰ في شخصه ما لو وزِّع على قبيل من الرجال لجعل كلّاً منهم رجلاً.

عبد الرحمن رافت الباشا

ي ـ هو سَليلُ العلماء الأكابر، ومن بيت العلم المعروف، العلامة الحجة، والفقيه المحقق الحنبلي الضليع، الأصولي المتمكن، المحدث المفسر، المطلع البحاثة، مفيد الطالبين، ومرجع القضاة والمفتين وشيخ كبار العلماء في الديار السعودية.

عبد الفتاح أبو غدّة الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله الرسول الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم كلما اتصلت عينٌ بنظر، واستمعت أذنٌ لخبر، وغرد طيرٌ فوق الشجر، صلاة سرمدية أبدية إلى يوم الدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه النجباء الغرر الميامين، ومن سار على نهجهم واتبع آثارهم بحق وصدق إلى يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين.

وبعد:

فإن مما لا شك فيه، ولا ريب يعتريه، أن أخبار العلماء العاملين الصادقين، والنجباء الصالحين، من أعظم الوسائل التي ترفع العزائم، وتسمو بالمقاصد، وتنير النفوس، وتثبت القلوب، وتدفعها للوصول إلى أعلى الدرجات، وأشرف المقامات.

ومن هنا كانت وظيفة العلماء أشرف الوظائف قدراً، وأسماها منزلة، وأرحبها أفقاً، وأثقلها تبعة، وأوثقها عهداً، وأعظمها عند الله أجراً، وما ذاك إلا لأنهم حملة الأمانة، وورثة الأنبياء، وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، الآخذون بتكاليف الدين، المبصرون للناس بالطريق المبين، الداعون إلى كتاب الله وشرعه المحكم المتين، والذابون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وعليه: فإن معرفة أحوالهم العظيمة، وقراءة سيرهم الشريفة، وتقصي أخبارهم الزكية، والاطلاع على تراجمهم النيرة العطرة، لمن أعظم ما يثبت الله به قلوب العباد على الحق، ومن أفضل ما يبعث الهمة؛ ويذكي جذوة الإيمان والاتباع، ويوصل إلى أجلِّ المقاصد الجليلة، وأعلى الغايات النبيلة.

ومن هنا قال الإمام الجليل والسيد النبيل سفيان بن عبد الله الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحكايات عن السلف، جندٌ من جنود الله يثبت الله بها قلوب من شاء من عباده وأوليائه» قلت: ويدل عليه قول الحق تَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وهذا، وذاك، لا يتحصَّل ولا يتأتَّى ولا يمكن إلا بسبب واحد رئيس، وهو أن حياة العلماء ومواقفهم ومناقبهم وخصالهم وخلالهم، تتمثل واقعاً حيوياً صادقاً أمام بصر القارئ وبصيرته، فتوحي إليه تلك المواقف العظيمة، والمناقب الكريمة، والخلال الحميدة، والخصال الرشيدة، الاقتداء بهم والسير على منوالهم.

هذا، وإن من أمتع العلماء الربانيين الصادقين سيرة، وأفضلهم وأطيبهم مسيرة، وأصدقهم وأخلصهم سريرة، ـ نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ـ وأقواهم في الحق والدين غيرة، وأعظمهم جهاداً وصبراً، وأحسنهم حكمة وحنكة ـ في زماننا المعاصر ـ الإمام الجليل الشيخ الفقيه المحدِّث الملقب بالمفتي الأكبر، رائد النهضة العلمية في البلاد السعودية، ومفتي ديارها في زمانه شيخ شيوخنا، إمام عصره، وفريد دهره، أبو عبد العزيز محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ أسبل الله عليهم جميعاً شآبيب رحمته ومغفرته ورضوانه ـ لأنه قلَّ أن يوجد له نظير في علمه وعمله وجهاده وقوته في الحق وصبره عليه، وحكمته وحنكته وسائر أمره؛ فلقد جمع الله له أشتات المكارم، ومحامد

الصفات، ما بين علم وحلم، وعزم وحزم، وتواضع خالص وإباء صادق، وغيرة لاهبة على الحق محمودة متوسمة ومترسمة فيها الحكمة والصدق وبهما مشهودة، وسيرته ـ أجزل الله له الأجر والمثوبة ـ عند طلابه ومعاصريه مضرب الأمثال، لما وجدوا منه وفيه من مجامع الخلال الكرائم، وفرائد الأخلاق، وعظيم العلم ووفور العقل وكبير الفضل، مع حنو الأبوة الصادقة، وعظيم الفائدة، وجميل العائدة، حتى أن كثيراً من طلابه وتلاميذه، إذا ذكروه تحدرت على وجناتهم وخدودهم دموع صادقة، تدل على عظيم محبة وإجلال وتقدير وإكبار، ومن أبرز من رأيته يصدق عليه ذلك ويفعله تلميذه وخليفته، شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما أتى على سيرته الطيبة ولا على ذكره الحميد المبارك، إلا وعبراته تسبق عباراته، ودموعه تتحدر على خديه قبل كلماته، وفاءً ومحبة واعترافاً بالفضل، وجميل الإحسان، وأما معاصروه فقد عرفوا فيه كل ذلك مما سبق نعته من الخلال الحميدة، ومن أحسن الأقوال ما قاله الشيخ العلامة الجليل الإمام محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المفسِّر الشهير: حيث قال: «عرفنا فيه وفور العلم ووفور العقل وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير، فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أعتقد وأجزم به ـ وإن كنت لا أزكي على الله أحداً ـ من نوادر الرجال الذين عرفناهم علماً وحلماً وعقلاً وحكمة، فنرجو الله أن يتقبل منه صالح عمله، وأن يجزيه كل خير، ويعلي درجته في الآخرة، كما أعلاها في الدنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

لقد كانت حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أطواره كلها كالدر الثمين الغالي، والعقد النفيس الجميل، لا يزيده تقادم الأيام، وتتابع الأعوام، إلا نفاسة ولمعاناً وجمالاً، وقيمة وطيباً وكمالاً، فمآثره الجميلة تتجدد، ومناقبه الزكية الشريفة تتعدد، وهمته السامية العالية تسمو وتعلو، حتى وصل إلى مراتب عالية، ودرجات رفيعة من العلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وتسنم ذروة مناصب الإفتاء والقضاء والدعوة والإرشاد والعلم والتربية، بل كل ما هو متصل بشؤون الشريعة والدين كافة، فنفع الله به البلاد والعباد، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك كله أمة في رجل، وبدراً تمّ ينشر النور في سائر الآفاق، فبقي على هذه السيرة المحمودة، والطريقة النافعة المرضية، قائماً بالأعمال العظيمة، والأعباء الجسيمة، مدركاً للمسؤولية، معطاء متوهجاً صادقاً في كل ذلك، حتى جاء أمر الله بأخذ أمانته ووديعته من الأرض، فمات الإمام، وطويت بموته صفحة ناصعة غراء، ذات أثر حميد، وفعل رشيد، وعمل سديد، فبكته الأمة جمعاء، ويكته بالأخص أفواج من العلماء والدعاة والقضاة وأهل الحسبة والغيرة على محارم الله وحدوده، بكته سائر طبقات الأمة حكاماً ومحكومين، رؤساء ومرؤوسين، بل بكته كل الأمة التي سعى في رشادها، وأصلح حالها وحارب فسادها، وملك بالاستحقاق قيادها، وحملها على المحجة البيضاء والسنّة النبوية بالعلم الصادق الواضح والعمل الصالح اللائح حتى أبلغها سدادها.

إن العبارات ـ في مثل هذا المقام ـ شاردة عني، والقلم لا يطاوعني، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وفي النفس آهات وأحزان، وفي القلب أضعاف ما رقم وزبّر، فالله أسأل للإمام محمد بن إبراهيم مغفرة واسعة وجنة عالية.

أخي القارئ الكريم:

إمام مجدد، وعالم مسدد، وموفق مخلص، هذه شمائله ومناقبه وخصاله، وتلك سيرته ومسيرته، حقيق أن تفرد فيه مؤلفات نافعة، تشير إلى جهوده السديدة، وأعماله الرشيدة، وأعبائه العظيمة، التي ينوء بحملها عصبة من الرجال القادرين الأقوياء، والتي تذكرنا بسير الأئمة الأفاضل، والعلماء الأماثل من سلفنا الصالحين، الذين كان لهم شرف قيادة الأمة إلى مراقي الخير والصلاح، ودلالتها إلى مدارج الهدى والفلاح.

هذا، وكنت منذ أمد طويل، وزمن بعيد، أتمنى من أعماق الفؤاد، أن أرى للإمام المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ترجمة وافية شاملة لكل ما تحتوي عليه سيرته النيّرة الزاهرة، من مناقب وخلال وأوصاف كريمة، وجهود وأعمال سديدة قلَّت أن تجتمع في غيره، وندرت وعزَّت أن تكون في سواه، وأرى في نفس الوقت تراجم صغيرة نثيرة، وكلمات رثائية عابرة لا تفي بالغرض ولا توصل إلى المقصود، وهي وإن أدّت واجباً مشرقاً، وقامت بدور مبارك في التعريف والترجمة، إلا أنها لا تشفي العليل وتروي الغليل وتوضح السبيل، ثم بعد سنين ذوات عددٍ، رأيت بفضل الله وتوفيقه تراجم أخرى جديدة مفيدة سديدة، فيها مزيد بيان وتفصيل، ولطيف كتابة وجميل تحقيق وتعبير، وفيها إبراز وإيضاح لجملة من مناقب الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ وخصاله الحميدة وسيرته الزكية، ومسيرته المباركة، وأثر ذلك كله على النهضة العلمية في البلاد السعودية ـ عمرها الله بالعلم والإيمان ـ ومن أبرز تلك التراجم ترجمة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وترجمة مفيدة لحفيده وسليل أرومته معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ حفظه الله ـ وترجمة لمعالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر ـ حفظه الله ـ وترجمة لشيخنا العلامة الشيخ إسماعيل بن سعد آل عتيق ـ حفظه الله ـ وترجمة للشيخ حمد بن حُمَيْن الفهد ـ حفظه الله ـ وهو أحد الملازمين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ وترجمة للشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ وغيرهم، ففرحت لذلك أشد الفرح، ورأيت بعد تفكير واستشارة واستخارة، أن أنظم عقد هذه التراجم المبعثرة، والجواهر النفيسة المتناثرة، تحت دفتي كتاب واحد جامع ماتع نافع على غرار كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» وارتأيت أن يحمل هذا الكتاب عنواناً واسماً مطابقاً لما فيه من غزارة المعلومات وتنوعها وتفاوتها وهو: «الجامع لسيرة الإمام المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ خلال أربعين عاماً».

وقمت بعرض هذه الفكرة على جمع مبارك من العلماء والأدباء، والأحباب والأصحاب، فلم أرَ منهم إلا التحفيز والتشجيع ومباركة العمل، والحض والحث على إنجازه بأسرع فرصة ممكنة، فسمت همتي وهفت نفسي، إلى جمعه وترتيبه، راجياً من ربي القبول، وحسن العمل، وإخلاص الطوية وعظيم الثواب، وغنيٌّ عن القول هنا إنني قد استفدت جداً من إخوة وأساتذة فضلاء قد سبقوني إلى جمع بعض المقالات والقصائد وعلى رأس أولئك كلاً من:

١ ـ شيخنا العلامة الرحالة الأديب إسماعيل بن سعد بن عتيق ـ حفظه الله ـ.

٢ ـ الشيخ الفاضل الجليل محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ.

٣ ـ الأستاذ الباحث محمد بن عبد الله بن عبيد آل رشيد ـ حفظه الله ـ.

فجزاهم الله خيراً، وجعل أعمالهم في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون قلت هذا وسطرته هنا أداءً للأمانة العلمية، ومعرفة لسابقتهم، وتنويهاً ببادرتهم المحمودة علماً بأنني لم أغير من ألفاظ وكلمات من ترجموا للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وتركتها على ما هي عليه من اللفظ والمعنىٰ، ولم أقم بترجمة لهؤلاء الأعلام الذين ترجموا لسماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك للاختصار، وجعلت من منهجي في هذا الجامع أن أقدم الترجمة أولاً ثم المقالات النثرية ثانياً، فالقصائد الشعرية والانطباعات ثالثاً، وهذا التقديم والتأخير لغرض ترتيب المعلومات وتقديمها على أحسن وجه وصورة، وهذا ربما أخلَّ بترتيب الكتاب المنقول منه، ولكنه لا ينقص منه شيئاً ولا يغير من منهجه ولا يبدل من معلومته وإنما هو تقديم وتأخير تقتضيه مصلحة الترتيب لفصول كتابنا هذا، ولعل القارئ الكريم يلاحظ في الجامع تكراراً في التراجم والمعلومات عن سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ولكن ذلك في نظري مفيد لما فيه من تنوع في الأسلوب الكتابي والعرض المعلوماتي والروح الوضاءة من قبل

المترجمين الذين ترجموا عن مشاعرهم الصادقة بمثل هذه العبارات، والتنويع مدعاة لإثارة الأذهان والعقول، والله الموفق، وختاماً فهاك هذا الجامع المبارك، ففيه ـ بإذن الله ـ رفعٌ للهمم، وشد للعزائم، وإنارة للقلوب وسمو بالمقاصد والنيّات، والله ولي الصالحين الموفق للسداد والرشاد.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه وحرره

أبو يوسف/ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة القُرعاني

في الرياض ١٠/٧/١٤٣٧هـ

الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

بقلم الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ
ـ رحمه الله تعالى ـ

هو العلّامة الجليل الأصولي المحدِّث الفقيه الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده:

ولد في مدينة الرياض في السابع عشر من شهر محرم سنة ألف وثلاثمئة وإحدى عشرة من الهجرة، ونشأ في كنف والده الشيخ إبراهيم، ولما بلغ الثامنة من عمره أدخله مدرسة تحفيظ القرآن عند مقرئ يدعى عبد الرحمٰن بن مفيريج فختم القرآن نظراً وهو في الحادية عشرة من عمره، وطرأ عليه العمى وهو في الرابعة عشرة من عمره، فأعاد قراءة القرآن مرة أخرى عن ظهر قلب حتى ختمه وحفظه حفظاً تاماً، ثم شرع في قراءة العلم في مختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومبادئ النحو والفرائض على والده[2] الشيخ إبراهيم، ثم شرع في القراءة على عمه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف في كتاب التوحيد، ثم في العقيدة الواسطية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقرأ عليه في أصول

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص١٣٤ ـ ١٤٦.

(٢) كان والده إذ ذاك قاضياً لمدينة الرياض، وتوفي عام (١٣٢٩هـ). انظر ترجمته في أول هذا الكتاب.

التفسير والحديث، وقرأ على الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق في الفقه ومصطلح الحديث ولازمه ملازمة تامة، وقرأ على الشيخ حمد بن فارس في الألفية وغيرها من المؤلفات النحوية، وقرأ عليه في الفقه، وقرأ على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي ـ نزيل مدينة الرياض آنذاك ـ في الفرائض، ولم يزل مُجِدّاً في طلب العلم إلى أن توفي عمه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف سنة (١٣٣٩هـ)، فعينه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود خلفاً لعمه[١] في الفتيا وإمامة المسجد والتدريس، فصار يؤم الناس في الفروض الخمسة في مسجد عمه المشهور بمسجد الشيخ (بحي دخنة)[٢]، ويجلس فيه لطلبة العلم يقرؤون عليه في مختلف العلوم. وفي سنة (١٣٤٥هـ) أرسله جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى أهل الغطغط لما غلوا في الدين وشددوا فيه تشديداً ينافي الشرع، فمكث عندهم ستة شهور يبيّن لهم معاني الكتاب والسنّة وعبارات رسائل علماء دعوة التوحيد السلفية، ويحذّرهم من الغلو ومجاوزة الأمور المحظورة، ثم رجع إلى الرياض واستمرّ في نشر العلم وتعليمه.

طريقة تدريسه وأوقات جلوسه:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا صلّى الفجر جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في الآجرومية في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في القطر لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل، فإذا انتهوا من قراءة النحو في الألفية والشرح

---

(١) كان عمه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف في مرض موته أوصى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود به خيراً، وأخبره بكفاءته العلمية والدينية، وأنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده في إمامة المسجد والتدريس وحل المشكلات... إلى غير ذلك، رحم الله الجميع وغفر لهم وجمع بينهم في دار كرامته إنه سميع مجيب.

(٢) دخنة: محلة من محلات الرياض.

قرؤوا عليه في الفقه في «متن زاد المستقنع» غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت أخذ الشيخ في إعادة ما قرؤوه من المتن من حفظه وشرع يتكلم على العبارات ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح الزاد المسمى «الروض المربع شرح زاد المستقنع» قراءة ترتيل يقف عند كل فقرة وجملة والشيخ يعلّق على عبارات الشارح وجمله بكلامٍ يوضح المعنى ويزيح الإشكال، ويصور المسائل تصويراً ملموساً يقربُ المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة ويقرر قواعدها في نفوسهم؛ لأنّه رَحِمَهُ اللَّهُ آخذ بناصية علم الفقه ومتبحر فيه تبحراً عظيماً، فإذا انتهى من تقريره على الفقه شرعوا في القراءة عليه في بلوغ المرام، فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهاراً انصرف إلى داره وجلس فيها.

فإذا حانت الساعة الثالثة جاءه كبار الطلبة وخواصهم وقرؤوا عليه إلى الساعة الخامسة نهاراً ثم انصرفوا.

فإذا أذّن الظهر خرج وصلّى بالناس في المسجد وجاء أهل المطولات وقرؤوا عليه في مختلف الكتب بجامع الترمذي وصحيح البخاري وزاد المعاد في هدي خير العباد، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في بعض المتون العلمية غيباً مثل كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية.

فإذا أذّن العصر خرج إلى داره وجدد الوضوء ثم رجع وصلّى، بالناس العصر وجلس في المسجد يقرأ عليه أحد أعيان الطلبة في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرؤوا عليه في العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقى على أذان المغرب مقدار نصف ساعة خرج إلى داره.

فإذا أذّن المغرب جاء وصلّى بالناس ثم جلس في المسجد للطلبة يقرؤون عليه علم الفرائض والمواريث. فإذا خُتم أذان العشاء قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول وتنفَّل ثم أمر القارئ فشرع يقرأ عليه في تفسير ابن كثير إلى الساعة الثانية والنصف فيأمر بإقامة صلاة

العشاء، فإذا أقيمت وصلّى بالناس تنفَّل وأوتر وخرج إلى داره وهي قريبة من مسجده، واستمرّ على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة من عام (١٣٣٩هـ) إلى عام (١٣٨٠هـ) حيث ترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه وبلوغ المرام فإنّه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض.

وقد تخرّج على يديه أفواج من العلماء كثيرون شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد، وحسبنا أن نشير إلى البعض منهم إشارة موجزة في هذه الترجمة المقتضبة على النحو الآتي:

١ ـ الشيخ العلّامة الجليل عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز، رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٣ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل، نزيل أبها في هذا الوقت.

٤ ـ شيخنا الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري، رئيس ديوان المظالم.

٥ ـ شيخنا الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الشرقية.

٦ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف، شقيق المترجم رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية.

٧ ـ الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ.

٨ ـ الشيخ صالح[1] ابن الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ.

٩ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فارس، أحد قضاة الرياض حالياً.

١٠ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد، من بلد ملهم المعروفة بنجد.

---

(١) توفي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد عام (١٣٦٣هـ) تقريباً رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو شقيق عبد الرحمٰن بن عبد العزيز، رئيس هيئة الأمر بالمعروف بالطائف.

١١ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان من آل مبارك أهل بلدة حريملاء، تولى قضاء الخرمة والأفلاج، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن الشيخ حمد بن عتيق، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ ـ الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش، رئيس محكمة مكة المكرمة سابقاً.

١٤ ـ الشيخ سليمان بن عبيد السلمي، رئيس محكمة مكة حالياً.

١٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن عجلان، من بلدة نعام المعروفة.

١٦ ـ الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين.

١٧ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن فريّان، من أهل مدينة الرياض الأقدمين.

١٨ ـ وابنه[1] الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن إبراهيم، نائب المفتي الأكبر.

١٩ ـ وابنه الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد بن إبراهيم، مدير المعاهد والكليات.

٢٠ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خنين.

٢١ ـ الشيخ سعود بن رشود، رئيس محكمة الرياض في حياته، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٢ ـ الشيخ ناصر الحناكي.

٢٣ ـ الشيخ سعد بن غرير.

٢٤ ـ الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك، من آل مبارك أهل بلدة حريملاء.

٢٥ ـ الشيخ محمد بن مهيزع، أحد قضاة الرياض حاليّاً.

---

(١) الضمير في قولنا: وابنه، عائد إلى المترجم له العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم.

٢٦ ـ الشيخ عبد الله بن بكر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.
٢٧ ـ محمد السحيباني.
٢٨ ـ صالح السحيباني.
٢٩ ـ حسن بن مانع.
٣٠ ـ إبراهيم بن نغيمش.
٣١ ـ زيد بن فياض.
٣٢ ـ محمد ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم.
٣٣ ـ عبد العزيز بن محمد بن صالح بن شلهوب.
٣٤ ـ أحمد بن قاسم.

وقرأ عليه غير هؤلاء خلق كثير لا يحضرني ذكرهم ولا معرفة أسمائهم.

مؤلفاته:

ألّف مؤلفات وكتب رسائل كثيرة، وله فتاوى تبلغ مجلدات جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم «جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»، وله فتاوى غير ما جمعه ابن قاسم تبلغ عدّة مجلدات لا تزال محفوظة في ملفات دار الإفتاء بمدينة الرياض. وبلغني أنّ النية متجهة إلى ترتيبها وتحقيقها وتبويبها والقيام بطبعها، وله مجموعة أحاديث في الأحكام رتبها على أبواب الفقه لا تزال محفوظة في ملفاتها، وله معرفة بالعروض ويقرض الشعر على طريقة العلماء، له مرثية في عمّه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف تبلغ أبياتها خمسة وخمسين بيتاً، ومطلعها:

على الشيخ عبد اللّه بدر المحافل نريق كصوب الغاديات الهواطل

وله أربعة أبيات رثاء في الشيخ عمر بن سليم.

سنوردها في ترجمة الشيخ عمر بن سليم ـ إن شاء الله ـ.

وظائفه وأعماله التي قام بها:

استمرّ في إمامة مسجد[1] عمّه الشيخ عبد الله المعروف بمسجد الشيخ وتدريس الطلاب فيه من عام (١٣٣٩هـ) إلى قبيل وفاته. وفي عام (١٣٧٣هـ) أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية تحت رئاسة سماحته، وفي عام (١٣٧٦هـ) أنشئت رئاسة القضاة تحت رئاسة سماحته في نجد والمنطقة الشرقية والمنطقة الشمالية، وبعد وفاة سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٧٨هـ) رئيس القضاة بالحجاز والمنطقة الغربية ضمت رئاسة القضاة بالحجاز والمنطقة الغربية إلى سماحة المترجم، فصار رئيس قضاة المملكة العربية السعودية عامة.

أعمال سماحته المتعلقة بالمدارس والمعاهد والكليات:

في عام (١٣٦٩هـ) عرض سماحته على جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود فكرة إنشاء معهد علمي بمدينة الرياض، فأمر جلالته رَحِمَهُ اللَّهُ بإنشاء هذا المعهد وتخصيص مكافآت سخية لطلابه تحت إشراف سماحته، وتم افتتاح هذا المعهد المشار إليه عام (١٣٧٠هـ) وأسند سماحته إدارته إلى شقيقه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، واختار سماحته عدداً وفيراً من تلامذته وألحقهم بالسنة الثالثة من المعهد المذكور نظراً لقراءتهم عليه وتحصيلهم السابق المعادل للسنة المذكورة.

---

(١) وكان ـ يرحمه الله ـ لا يدع طالب العلم المبتدي يقرأ عليه في الفقه والمطولات حتى يقرأ عليه في مختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهي: شروط الصلاة وأركانها، وأربع القواعد، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، وآداب المشي إلى الصلاة، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فإذا قرأ عليه هذه المختصرات عن ظهر قلب سمح له في القراءة عليه في مختصر المقنع وغيره من كتب الفقه، وفي القراءة في بلوغ المرام وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، والروض المربع شرح زاد المستقنع، وهذه قاعدته وقاعدة من تقدمه من علماء دعوة التوحيد السلفية ـ رحمهم الله ـ.

وفي عام (١٣٧٣هـ) أنشئت كلية الشريعة بمدينة الرياض فالتحق بها خريجو المعهد المذكور، وفي عام (١٣٧٤هـ) تحصل سماحته على أمر ملكي يخوله افتتاح فروع لهذا المعهد فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد في كل من بريدة وشقراء والإحساء والمجمعة ومكة المكرمة وسامطة من أعمال جازان، ثم بدأت فروع هذا المعهد تنتشر في جميع أنحاء هذه المملكة[1].

وفي عام (١٣٧٤هـ) أنشئت كلية اللغة العربية بمدينة الرياض.

هذه بعض الأعمال التي كان يقوم بها ويضطلع بأعبائها في حياته، وقد أوردنا ملخصاً يتضمن جميع الأعمال المنوطة بسماحته في ملحق خاص وضعناه في آخر هذه الترجمة ليرجع إليه من شاء الاطلاع ومعرفة ما كان ينوء به الفقيد من الأعمال العظيمة التي لا يستطيع القيام بها إلا من كان في مستواه من العلم ورجاحة العقل والاتزان ومعرفة موارد الأمور ومصادرها.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي ظهر يوم الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة

---

(١) وفي عام (١٣٨١هـ) تم فتح معاهد في كلٍّ من المدينة المنورة وحائل وأبها. وفي عام (١٣٨٣هـ) افتتح معاهد في كل من الزلفي بنجد، وحوطة بني تميم ومكة المكرمة وبالجرشي بغامد. وفي عام (١٣٨٤هـ) تم افتتاح معاهد في كلٍّ من جدة والدمام وتبوك، والدلم بالخرج، والأفلاج. وفي عام (١٣٨٥هـ) افتتح معاهد في كلٍّ من الطائف والرس بنجد وجازان وعرعر والحفر ووادي الدواسر ونجران. وفي عام (١٣٨٦هـ) افتتح معاهد في كلٍّ من الجوف وبيشة والبكيرية والباحة. وفي عام (١٣٨٧هـ) افتتح معاهد في كلٍّ من حوطة سدير والقويعية والبدايع وحريملاء، كما افتتح معهد واحد في رأس الخيمة بعمان بتخفيف الميم، وكل هذه المعاهد التي أشرنا إليها تابعة للمعاهد والكليات، أما التابع لوزارة المعارف فشيء كثير يفوق التصور، أدام الله بقاء إمام المسلمين ونصير العلم والدين جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود إنه سميع مجيب [كان تأليف هذا الكلام قبل وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ. (ن)].

ألف وثلاثمئة وتسع وثمانين عن عمر بلغ ثمانيَ وسبعين سنة وثمانية شهور وثمانية أيام، وانزعج الناس لموته وحزنوا عليه حزناً شديداً وصلُّوا عليه في الجامع الكبير وأمّ الصلاة عليه الشيخ عبد العزيز بن باز، وبعد فراغهم من الصلاة خرجوا به إلى المقبرة محمولاً على الأعناق، وكان الجمع عظيماً والزحام شديداً وشيّعه إمام المسلمين جلالة الملك فيصل آل سعود والعلماء والأمراء والوزراء وجميع سكان مدينة الرياض، وقبر بمقبرة العود، وخلّف أربعة أبناء؛ هم: الشيخ عبد العزيز والشيخ إبراهيم وأحمد وعبد الله، وقد رثاه العلماء والأدباء والشعراء نثراً ونظماً، ويكفي أن نشير إشارة خاطفة في هذه الترجمة الموجزة إلى بعض من رثاه مرتبين على النحو الآتي:

بعض الذين رثوا سماحته:

١ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خنين، رثاه نثراً بعنوان «حادث جلل».

٢ ـ الشيخ حمد بن محمد بن فريّان.

٣ ـ الشيخ سعد بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن رويشد، رثاه نثراً بعنوان «فقيد الإسلام».

٤ ـ ابنه، عبد الله ابن الشيخ سعد بن عبد العزيز بن رويشد، رثاه نثراً بعنوان «فجيعة مملكة في شيخ القضاء وقاضي العلماء».

٥ ـ ورثاه شعراً الشيخ عبد الله بن إدريس بقصيدة تبلغ أبياتها عشرين بيتاً ومطلعها:

ما عاش إلا للعلوم وشرعة الإنصاف وقضى الحياة مكرم الأوصاف

٦ ـ ورثاه الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي بقصيدة طويلة تبلغ أبياتها زهاء ثلاثة وخمسين بيتاً ومطلعها:

أمات الشيخ هل ذهب الإمام وطار به إلى الخلد الغمام

٧ ـ ورثاه الدكتور كامل الفقي، مدرس بكلية اللغة العربية بالرياض رثاه

بقصيدة تبلغ أبياتها اثنين وثلاثين بيتاً ومطلعها:

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل فلتنفطر مهج ولتنهمر مقل

٨ ـ ورثاه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل، المستشار الشرعي بديوان المظالم بقصيدة تبلغ أبياتها أربعة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

على شيخنا الحبر الجليل محمد حفيد إمام المسلمين محمد

محقق توحيد الإلٰه بدعوة تجلت بنهج مستبشر محمد

٩ ـ ورثاه نجله الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد، مدير المعاهد والكليات بقصيدة تبلغ أبياتها ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها:

خطب دهى فبكى له العلماء وبكت لهول مصابه العقلاء

١٠ ـ ورثاه نجلُه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد نائب المفتي الأكبر بقصيدة تبلغ أبياتها ثلاثين بيتاً ومطلعها:

مصاب كبير وجرح أليم ورزء عظيم وخطب جسيم

ورثاه معالي الشيخ حسن ابن الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ.

وسيرى القارئ على الصفحة التالية ملحقاً في ملخص أعمال سماحته[1] التي كان يشغلها ويقوم بأعبائها في حياته تغمده الله برحمته وغفرانه.

(١) ولا يفوتنا أن نذكر أن سماحته قام بعدة رحلات إلى خارج المملكة، منها:

١ ـ رحلته عام (١٣٦٩هـ) إلى مصر لعلاج رجليه من الأكزيميا.

٢ ـ رحلته إلى لندن لعلاج مرضٍ ألمّ بسماحته عام (١٣٨٦م).

٣ ـ رحلته إلى لندن عام (١٣٨٩هـ) للعلاج. وكان ـ يرحمه الله ـ يتابع بين الحج والعمرة، ويصطاف في أخريات أيامه بمدينة الطائف، ويزاول جميع أعماله المنوطة به هناك مدة الاصطياف، رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له إنه سميع مجيب.

ملحق في ملخص أعمال سماحته

نلخص أعمال سماحته ومسؤولياته فيما يأتي:

١ ـ دار الإفتاء.

٢ ـ رئاسة القضاة.

٣ ـ رئاسة الكليات والمعاهد العلمية.

٤ ـ رئاسة الجامعة الإسلامية التي أسست بالمدينة المنورة سنة (١٣٨١هـ). وبعد وفاة سماحته أسندت رئاستها إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في (١٥/ ٩/ ١٣٩٠هـ).

٥ ـ رئاسة دور الأيتام التي ضُمّت فيما بعد إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

٦ ـ الإشراف على رئاسة تعليم البنات.

٧ ـ رئاسة المعهد العالي للقضاء.

٨ ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.

٩ ـ رئاسة المكتبة السعودية التي أنشئت بجوار مسجد سماحته بحي دخنة عام (١٣٧٠هـ).

١٠ ـ رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا.

١١ ـ رئاسة المجلس العالي للقضاء.

١٢ ـ رئاسة معهد إمام الدعوة.

١٣ ـ خطيب الجامع الكبير وإمام العيدين.

١٤ ـ إمام مسجد دخنة الكبير المعروف بمسجد الشيخ من عام (١٣٣٩هـ) إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥ ـ الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقية.

١٦ ـ رئيس مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية التي تصدر عنها الآن جريدة الدعوة.

١٧ ـ بدأ في إنشاء مجلس هيئة[1] كبار العلماء وأثبت في ميزانية عام (١٣٨٩هـ)، غير أن المنيّة وافت سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن يباشر المجلس أعماله.

١٨ ـ الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذّنين.

١٩ ـ تعيين الوعّاظ والمرشدين.

هذا موجز أعمال سماحته التي كان يضطلع بها في حياته ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) أنشئ مجلس هيئة كبار العلماء بأمرٍ ملكي رقم ١/ ١٣٨ تاريخ ٨/ ٧/ ١٣٩١هـ ونصه: (بعون الله تعالى نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الاطلاع على المادة الثانية من الأمر الملكي رقم ١/ ١٣٧ وتاريخ ٨/ ٧/ ١٣٩١هـ، أولاً يعين المشائخ التالية أسماؤهم أعضاء هيئة كبار العلماء:
الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الله بن حميد، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الشيخ سليمان بن عبيد، الشيخ عبد الله خياط، الشيخ صالح بن لحيدان، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ صالح بن غصون، الشيخ محضار بن عقيل، الشيخ محمد الحركان، الشيخ عبد العزيز بن صالح، الشيخ محمد بن جبير، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ عبد الله بن منيع، الشيخ راشد بن خنين، الشيخ عبد المجيد حسن، الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ).
نقلاً عن جريدة المدينة الخميس ١٢ رجب ١٣٩١هـ، السنة الثامنة، العدد ٢٢٥٨.

ترجمة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ

بقلم تلميذه

سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

كتب سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لما كان رئيساً للجامعة الإسلامية ترجمة لشيخه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وإليك نص الترجمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه... أما بعد:

فلما كان صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية قد عزم على تأليف كتاب يتعلق بحياة والده شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومواقفه العملية، وسياسته الحكيمة الشرعية، وحسن تربيته لأبنائه الذين تخرجوا عليه، إلى غير ذلك من بيان ما كان يتمتع به من صفات العلماء، ومواقف الحكماء، والنصح لله، ولعباده، وغيرته العظيمة، وغضبه الشديد عند انتهاك محارم الله، وصلابته في ذلك رحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجاته في أعلى الجنات، وضاعف حسناته، وغفر سيئاته، وأصلح ذريته وأقاربه، ونفع بهم المسلمين، وأقام منهم الأئمة المهتدين والأنصار الغيورين.

ولما كنت ممن تخرج عليه، وحضر الكثير من مجالسه العلمية النافعة، وحظي بتوجيهاته وإرشاداته القيِّمة، ونصائحه الثمينة، رأيت أن

أكتب في ذلك ما أمكنني في هذا الموضوع؛ وفاءً ببعض حقه، وبياناً لبعض فضله، وتنبيهاً للأجيال الحاضرة والمنتظرة على ما ينبغي لطالب العلم خاصة، ولكلِّ مسلم بوجه عام أن يتخلق به من الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، والأدب الصالح، والله ـ سبحانه ـ ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فأقول: لقد أكرمني الله ـ سبحانه ـ وتفضل عليَّ ـ وله الحمد والمنة ـ بأن كنت من أخصِّ تلاميذ شيخنا المذكور، ولازمته نحو عشر سنين من عام (١٣٤٧هـ) إلى عام (١٣٥٧هـ)، ثم تعيَّنت في القضاء بعد ذلك، وباشرته في منطقة الخرج إلى عام (١٣٧١هـ)، ولكنني لم أنقطع عن الاتصال به، وسؤاله عن كلِّ ما يشكل، والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢٤) رمضان من عام (١٣٨٩هـ).

وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالاً موفّقة في نفع المسلمين، والغيرة للإسلام، والرد على خصومه، أجزل الله له المثوبة عن ذلك، ورفع له به الدرجات في دار الكرامة.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ رفيقاً بالطالب، حريصاً على إيصال العلم إليه، حسن التوجيه والتنبيه، مهيباً، محترماً، قوياً على من يظهر منه شيء من التكاسل في الطلب، أو سوء أدب مع زملائه، تارة بزجره والإغلاظ له، وتارة بحرمانه الدرس بعض الوقت، وطوراً بإبعاده من الطلبة، وعدم السماح له بالمشاركة.

وكان يلقي الكثير من الأسئلة يمتحن بها فهمهم وحفظهم، ويسألهم عن الدليل والتعليل.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يعتني بذكر الخلاف الذي له أهمية، ويرجح ما دل الدليل على ترجيحه، ويمرِّن الطلبة على العناية بهذا الأصل، ويحثهم على ذلك، ويذكر لهم دائماً أن المرجع في مسائل الخلاف هو الكتاب،

والسنّة، ويتلو عليهم كثيراً قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وكان يهتم كثيراً بمساعدة الطالب من طريق المادة؛ حتى يتفرغ لمهمة الطلب.

وكان يبدأ الطلبة بتعليمهم العقيدة الصحيحة، ويبيِّن لهم ما كان عليه سلف الأمة في توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، ويذكر لهم كثيراً مما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والأعمال، وأن الإسلام جاء بالقضاء عليها، والنهي عنها، ويبيِّن للطالب إقرار المشركين الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ بتوحيد الربوبية، وهو الإقرار بأفعال الرب ـ سبحانه ـ من الخلق والرزق والتدبير، والإحياء، والإماتة، ونحو ذلك، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم لم يقروا بتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل من سواه.

وكان يَبْسط كثيراً للطلبة هذا الدرس، ويجيبهم عن أسئلتهم، ويكشف عنهم الشُّبَه بانشراح، ورحابة صدر، ويحثهم على حفظ المتون التي ألَّفها شيخ الإسلام، ومجدد القرن الثاني عشر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ في هذا الأصل العظيم، كثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وكتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وكتاب الإيمان، وكتاب فضل الإسلام.

كما كان يحثهم على حفظ المختصرات التي ألفها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة، كالعقيدة الواسطية، والحموية، والتدمرية؛ لما في هذه الكتب من بيان العقيدة السلفية، والرد على خصومها بالأدلة المقنعة.

وكان يحثُّ الطلبة كثيراً على حفظ القرآن الكريم، والعناية به،

وتدبر معانيه، والإكثار من تلاوته، وعلى حفظ ما تيسر من السنّة، والعناية بذلك، ويرغبهم كثيراً في دراسة السيرة النبوية، وسيرة الصحابة ﷺ.

وكان يشجع الطلبة كثيراً على قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم ـ رحمة الله عليهما ـ والاستفادة منهما.

وكان ينبههم كثيراً على أن المقصود من العلم هو العمل، ويوضح لهم أن العمل من أعظم الأسباب في تثبيت الحاصل من العلم، والمزيد منه، كما أنه السبب في سعادة الدنيا والآخرة، ويذكر لهم الأثر المشهور عن بعض السلف: «**من عمل بما عَلِم أورثه الله عِلْم ما لم يعلم**».

وكان يحذِّر الطلبة كثيراً من المعاصي، ويبين لهم سوء عاقبتها، وأنها من أسباب حرمان العلم، ويستشهد على ذلك كثيراً بالبيتين المشهورين عن الشافعي ﷺ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم نور ... ونور اللّه لا يؤتاه عاصي

ويذكر لهم كثيراً الأثر المشهور عن مالك ﷺ أنه قال للشافعي لما رأى نشاطه في طلب العلم، وحرصه على التحصيل: «إني أرى أن الله قد ألقى عليك من نوره؛ فاحذر أن تطفئه بالمعاصي» أو كما قال في الأثر.

وبالجملة فكان ﷺ ملازماً لمجالس التعليم، حريصاً على نفع الطلبة، باذلاً وسعه وأوقاته في توجيههم، وإرشادهم، وتربيتهم التربية الإسلامية النقية، حريصاً على نفعهم، وإيصال الخير لهم بكلِّ وسيلة، مرغباً لهم في الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، والعمل بما علموا، والغيرة لدين الله، والحذر مما يضعف ذلك، ويضاده.

وكان حافظاً وقته، محرضاً للطلبة على حفظه، ناصحاً لله ولعباده،

مجتهداً في مناصحة ولاة الأمور سرّاً، حاثّاً لأهل الخير على نصحهم بالرفق والحكمة.

وكان يوصي الطلبة كثيراً بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

وكان واسع العلم، كثير الخوف من الله ـ سبحانه ـ دقيق الفهم.

ومع ذلك كان يجيب الكثير من السائلين بقوله: (لا أدري) ويحثُّ الطلبة على عدم التسرع في الإجابة، ويقول لهم: إن كلمة (لا أدري) نصف العلم، ويذكر لهم قول بعض العلماء: إذا ترك العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله.

ومناقبه وفضائله كثيرة جدّاً، رحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجاته في المهديين، وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، وأكثر الخير، والبركة، والعلم النافع، والعمل الصالح في ذريته، وأقاربه إلى يوم الدين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلّى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه».

رئيس الجامعة الإسلامية

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

● **فائدة** تتعلق بترجمة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أملاها سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تحت عنوان: «فائدة تتعلق بترجمة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ووفاته رَحِمَهُ اللَّهُ».

وقال بعد ذلك: «في شعبان من عام (١٣٨٩هـ) ألَمَّ به رَحِمَهُ اللَّهُ مرض في المعدة، ولم يزل به حتى أدخل المستشفى المركزي بالرياض؛ للفحص والعلاج في أول رمضان، ثم في (٤)[1] منه سافر إلى لندن؛ للعلاج، واشتد به المرض هناك، ورأى الأطباء أنه لا مصلحة في إجراء العملية؛ فرجع إلى الرياض في ليلة الجمعة الموافق (١٩/ ٩/ ١٣٨٩هـ) وهو ثقيل

---

(١) أي في الرابع من شهر رمضان المذكور.

جدّاً وضعيف الشعور، ولم يزل في غيبوبة إلى أن وافته المنية في ضحوة يوم الأربعاء الموافق (٢٤/ ٩/ ١٣٨٩هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وقد عُدْتُه يوم السبت الموافق (٢٠) رمضان، وسلمت عليه فرد عليَّ رَدّاً ضعيفاً، ثم لم يزل في غيبوبة، وأخبرني أخوه فضيلة الشيخ عبد الملك وابناه الفاضلان الشيخ عبد العزيز والشيخ إبراهيم أنه لم يزل في غيبوبة من حين وصل من لندن إلى أن توفي إلا أنه قد يتكلم بكلمات قليلة مضمونها طلبُ المغفرة والعفو والمسامحة ونحو ذلك.

وكان لمرضه، ثم موته رَحِمَهُ اللَّهُ الأثر العظيم في نفوس المسلمين في المملكة وغيرها، وقد حزن المسلمون عليه حزناً عظيماً، وصلِّي عليه رَحِمَهُ اللَّهُ بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور في الجامع الكبير بالرياض، وكنت أنا الذي أَمَمْتُهم في الصلاة عليه، وحضر الصلاة عليه جلالة الملك فيصل، والأعيان من الأمراء والعلماء وغيرهم، وامتلأ المسجد الجامع بالناس على سَعَته، وصلّى الناس عليه في خارج المسجد، وتبع جنازته إلى المقبرة الجمُّ الغفير، نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه، ويسكنه فسيح جنانه، ويصلح عَقِبه ويَجْبر مصيبة المسلمين فيه، ويحسن لهم الخلف.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ باذلاً وسعه من حين مات عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٣٩هـ) في التعليم والتوجيه والفتوى، وكان لديه حلقات كبيرة في مسجده وبيته في أنواع الفنون، وتخرج عليه جمع كثير من العلماء من القضاة وغيرهم، وكان ذا غيرة عظيمة، وهمة عالية رفيعة، وكان كهفاً منيعاً لأهل الحق من دعاة الهدى، وكان ذا حزم وصبر وقوة في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم تولى رئاسة القضاء والنظر في مشاكل الدولة والمسلمين، فلم يَأْلُ جهداً في إجراء الأمور على السداد والخير، وبذل الوسع في حل المشاكل وإيصال الحق إلى مستحقه.

وقد أسندت إليه الحكومة الفتوى، فقام بأعبائها مع قيامه برئاسة

القضاء، وكان قد قسّم وقته بين محل رئاسة القضاء ودار الإفتاء علاوة على ما ينظر فيه من المشاكل في البيت، وكان يعتني بالدليل، ويرجح به ما اختلف فيه العلماء من المسائل.

وكان ذا حكمة في توجيه الطلبة وتعليمهم، وكان يرفق بهم في محل الرفق، ويقوى عليهم في محل القوة، ويوجههم إلى الآداب الصالحة والأخلاق المرضية؛ فجزاه الله خيراً، وأكرم مثواه، ورفع منزلته في دار الكرامة؛ إنه جواد كريم.

وكنت ممن لازمه مدة طويلة، وتَخَرَّج عليه في العقيدة السلفية، والفقه، والحديث والعلوم العربية وعلم الفرائض وأصول الفقه، ومصطلح الحديث والتفسير، جزاه الله عني وعن سائر طلبة العلم والمسلمين أفضل الجزاء، وضاعف له المثوبة، وجمعني به وبوالدينا جميعاً وسائر مشايخنا وإخواننا وأحبابنا في الفردوس الأعلى في جوار الرب الكريم؛ إنه على كل شيء قدير.

وكان مولده رَحِمَهُ اللَّهُ في يوم الإثنين السابع عشر من المحرم سنة (١٣١١هـ) كما أخبرني بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أخذ العلم عن جماعة من العلماء أشهرهم عمه العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعاً - والشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، وأخذ علم الفرائض عن الشيخ عبد الله بن راشد.

وكان عمره رَحِمَهُ اللَّهُ حين توفي ثمانيَ وسبعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام.

وهذا مآل الدنيا ومصير كلّ حي ما عدا الحي القيوم، والحمد لله رب العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أؤجرنا في مصيبتنا، واخلفنا خيراً منها، وصلّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه» في ١٤/ ١١/ ١٣٨٩هـ.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

بقلم حفيده/ معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ـ حفظه الله ورعاه ـ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[1]

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يهدون من ضل إلى الهدى ويبصرونهم من العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس!

وصلّى الله على نبيِّنا محمد المجتبى الأمين وآله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد؛ فإن الحديث عن العلماء ـ تبصيراً بسيرهم، وتعريفاً بحياتهم، ونشراً لفضائلهم، وإذاعة لمناقبهم ـ مما ينفع الأمة أكبر النفع، لأن فيه وَصْلَ الحاضر بالماضي، وحثَّ المتأخر على الاقتداء بسجايا الخير التي تحلوا بها، وفيه معرفة طلبة العلم بحال علمائهم وسيرتهم وفقههم وعلمهم وتقواهم وصلاحهم فينهلون مما نهل منه أولئك العلماء حتى يلحق الركب بالركب ويقعَ الحافِرُ على الحافر، وفيه تعريف أجيال الأمة المتلاحقة بأن أمتهم ودعوتهم ما وصلت إلى علو الشأن إلا بتوفيق الله وإعانته ثم بجهد وعمل بَذَلَه من تَقدّمهم؛ فإن تواصل العمل

---

(١) مجلة الدارة، العددان ٣ و٤، سنة (١٤١٩هـ)، ص(١٩ ـ ٤٣).

تواصلت الريادة، وإلا فالنقص ثم الزوال، وفي الكلام عن العلماء فوائد لا تحصى في مثل هذه المقدمة.

من أولئك العلماء العاملين، والجهابذة المحققين والأئمة المجاهدين الذين أثروا في حياة بلادنا والناس تأثيراً، تعليماً ودعوة، وقيادة وقدوة؛ العلامة الإمام محدّث الفقهاء، وفقيه المحدثين، وداعية التوحيد مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي.

مولده ـ نشأته ـ أسرته:

ولد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في حي دخنة من مدينة الرياض في شهر الله المحرم سنة (١٣١١هـ)، وأخواله «الهلالي» أسرة تسكن عرقة، نشأ هذا المولود في بيئة علمية ومجتمع زكي، فأبوه وأعمامه أهل علم ودعوة وجهاد. وصف ذلك الشيخ عبد الله بن بسام فقال: «كان مولده في بيت علم وفضل وزعامة دينية، فنشأ على عادة أهله وآبائه محبّاً للعلم، طموحاً إلى الفضل».

وينشأ الناشئ يقتبس من أخلاق وأوصاف من حوله، فوالد الشيخ هو الشيخ الورع إبراهيم بن عبد اللطيف، قاضي مدينة الرياض، وله رسائل وفتاوى، كان رَحِمَهُ اللَّهُ متميزاً بالعدل الظاهر في قضائه ومقابلة الخصوم، وكان ناظماً للشعر مجيداً له كأبيه عبد اللطيف.

وأما أعمام الشيخ محمد، فأكبرهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عالم نجد بعد أبيه، بهر الرجال بحنكته وعقله، وأدهشهم بعلمه وفضله، هابه أمراء المدن والأقاليم الذين عقبوا آل سعود فيما بين الدولتين السعودية الثانية والثالثة، فأظهروا محبته وأكرموه، فما حلَّ ببلدٍ ولا قرية إلا نشر دعوة التوحيد والعلم النافع ثم رجع إلى الرياض، ثم لما قدم

الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الرياض كان سنده وعضده بعقل وحكمة؛ بل إن كثيراً من جند الملك عبد العزيز كانوا من المتأثرين بالشيخ المتخرجين في حلق علمه ومدرسته.

وكذلك بقية أعمامه كانوا أهل علم وفضل كالشيوخ محمد بن عبد اللطيف وعبد العزيز وعبد الرحمٰن وعمر، وصفهم الواصفون بنعوتٍ أشبهوا بها الأوائل سمتاً وهدياً وعبادة وصلاحاً وعلماً، ـ رحمهم الله ـ.

نشأ الشيخ في هذه الأسرة فلا غرو أن أثرت فيه، فتوجه بتوفيق الله من أثر هذه البيئة والمجتمع الذي حوله إلى العلم قابساً من عقل ذوي العقل، وتقى ذوي التقى، وغيرة ذوي الغيرة، وكلهم ذاك الرجل، فطلب العلم على قاعدة الدين والعمل والعقل والغيرة لله فكان ذلك معلماً بارزاً لنبوغه وتهيُّئِه للقيادة والريادة.

ولما بلغ السابعة من العمر أي سنة (١٣١٨هـ) شرع بتعلم القرآن وتجويده نظراً على المقرئ ذي الصوت العذب المؤثر عبد الرحمٰن بن مفيريج، فأجاده، نظراً، ثم ابتدأ حفظه في سن الحادية عشرة، وتعلم الكتابة وكان إذ ذاك مبصراً، وكتابته في صغره حسنة على أصولها كما ينبئ عن ذلك ورقة فيها كتابته إذ ذاك.

بعد هذا الأساس الأول لمن يريد طلب العلم الشرعي بحق ـ أعني حفظ القرآن ـ شرع يقرأ على شيوخه فكان أولهم والده الشيخ إبراهيم، فقرأ عليه في مختصرات رسائل أئمة الدعوة ـ رحمهم الله ـ، كان يحفظ المتن ثم يقرؤه على والده ثم يشرح له والده ما يفهمه مرامي كلامهم، وأصول مسائلهم، وهكذا ينبغي أن يكون التوحيد هو أول مُتَعَلَّم، وإنما يفهم ويضبط بضبط متونه قبل شروحه، إذ من حفظ وضبط المتون؛ حاز الفنون.

ولما بلغ قريباً من السادسة عشرة مرض بالرمد في عينيه، وطال معه إلى قرابة سنة، حتى كفَّ بصره، عوضه الله الجنة.

بعد هذا شرع في حفظ القرآن وتثبيته وتنوع القراءة على شيوخه، كما سيأتي فيما بعدُ.

وفي السادس من ذي الحجة سنة (١٣٢٩هـ) توفي والده عن عمر يقارب (٤٩) سنة، إذ مولده سنة (١٢٨٠هـ) وكان للشيخ إبراهيم أربعة أبناء كبيرهم عبد الله (١٣٠٥ ـ ١٣٨٦هـ) ثم محمد ثم عبد اللطيف (١٣١٥ ـ ١٣٨٦هـ) ثم عبد الملك (١٣٢٤ ـ ١٤٠٤هـ)، وكلهم عُرِف بالعلم والحلم والسداد ـ رحمهم الله أجمعين.

فكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لصغار إخوته حانياً ومربياً ومعلماً.

تعلمه ـ شيوخه:

جَدَّ الشيخ في تلك السن المبكرة على طلب العلم، فتنقل بين علماء بلده يأخذ عنهم العلوم الشرعية واللغوية، فأخذ عن كل شيخ من شيوخه العلوم التي يدرسها، وبالأخص ما يتميز به كل شيخ من العلوم، ولهذا برع فيما درس لبراعة شيوخه وحسن استعداده العلمي والفطري؛ ففي التوحيد صارت له يد التحقيق، وفي الفقه رسخت قدمه في الاجتهاد، وفي العربية وعلومها صار معلمها الشارح لها أحسن شرح وهكذا في سائر العلوم، ولا غرو أن كان كذلك إذ إنه تتلمذ لشيوخ برعوا في علومهم، وهم:

١ ـ والده الشيخ إبراهيم (١٢٨٠ ـ ١٣٢٩هـ).

٢ ـ عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (١٢٦٥ ـ ١٣٣٩هـ).

٣ ـ الشيخ النحوي الفرضي الفقيه حمد بن فارس (١٢٦٣ ـ ١٣٤٥هـ).

٤ ـ الشيخ المحدِّث الفقيه سعد بن عتيق (١٢٧٩ ـ ١٣٤٥هـ).

٥ ـ الشيخ الفرضي عبد الله بن راشد (وفاته ١٣٣٩هـ).

٦ ـ الشيخ الفقيه محمد بن محمود (١٢٥٠ ـ ١٣٣٣هـ).

قرأ على والده أصول التوحيد ومختصراته، والفرائض، ثم توسّع

في الفرائض على الشيخ عبد الله بن راشد، فقرأ عليه ألفية الفرائض.

وقرأ على عمه كتباً كثيرة حفظاً، منها كتب العقائد والتوحيد ككتاب التوحيد وكشف الشبهات وثلاثة الأصول ونحوها، وبقية كتب أئمة الدعوة، وقرأ الواسطية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وحين يقال: قرأ؛ فيعني حفظ غالباً، وفهم ذلك وجوّده.

وقرأ في الفقه مختصراته: أولاً على الشيخ حمد بن فارس فحفظ «زاد المستقنع»، ثم قرأ على الشيخ محمد بن محمود ثم الشيخ سعد بن عتيق، وكان هؤلاء الثلاثة ممن برعوا في الفقه وحققوا مسائله، وضبطوا غرائبه.

وأما في الحديث؛ فقد حفظ بلوغ المرام وقريباً من نصف «منتقى الأخبار» للمجد ابن تيمية وقرأهما على عمه الشيخ عبد الله، وكرر قراءة بلوغ المرام على المحدِّث الشيخ سعد بن عتيق وقرأ عليه ألفية العراقي.

وقد أُعطي إجازات في الحديث متنوعة، وروى بأسانيده عدداً من الأحاديث إلى رسول الله ﷺ بسماعٍ لا إجازة، ولولا خشية الإطالة لسقت ذلك مفصلاً.

وأما في علوم العربية؛ فقد حفظ من متونها ما به تثبت القدم، ويرسخ الفهم، فقرأ «الآجرومية»، و«ملحة الإعراب» للحريري، و«قطر الندى» لابن هشام، و«ألفية ابن مالك» المشهورة، قرأ هذه المتون على العلامة النحوي الحليم المتورع الفقيه الشيخ حمد بن فارس.

وقد دَرَّس الشيخ بعد ذلك هذه المتون النحوية فبرز في ذلك.

نعم.. إن للأخذ عن الشيوخ فوائد مع الحصيلة العلمية، فالتلميذ يقبس من أخلاق شيوخه ويتأثر بسجاياهم والخصال الجميلة التي يتحلون بها.

ولا غرو أن رأينا شيوخ الشيخ محمد بن إبراهيم متنوعين فيما

منحهم الله به، فها هو الشيخ عبد الله عمّه جمع إلى العلم الدهاء والعقل وحسن السياسة والقيادة، والشيخ سعد بن عتيق جمع إلى العلم الصدع بالحق والقوة فيه، والشيخ حمد بن فارس جمع إلى العلم الحلم العجيب والورع عن المشتبهات، والتوقف عن المزلات.. وهكذا، من نظر في خصال الشيخ وشخصيته وبنيته العقلية والخُلُقية والعلمية كاد أن يجزم أنه جمع المحاسن التي تفرقت في شيوخه، وتحلى بالفضائل التي تبددت في غيره وليس في هذا مبالغة ولكن من عرفه علم ما ذكرناه.

إخوانه ـ زملاؤه:

سبق أن ذكرت أن للشيخ ثلاثة من الإخوة؛ هم: الشيخ عبد الله؛ كان إماماً لمسجد ابن شلوان في الرياض وكان ـ إضافة إلى علمه ـ متميزاً بصفات خلقية حميدة؛ كلين العريكة، وطيب المعشر، وضبط الحديث، وحسن الخلق، وكان من العارفين بالأنساب الضابطين لها، وكان إخباريّاً ثبتاً في حديثه، والشيخ عبد الله أسن من الشيخ محمد ـ رحمهما الله ـ، وقد كان الشيخ ينيبه أحياناً لخطبة الجمعة.

والشيخ عبد اللطيف كان حليف الود للشيخ محمد من صغره، كان مرافقاً له في ذهابه وإيابه ـ غالباً ـ قريباً منه، وكان معيناً له في تحضير الدروس، والشيخ عبد اللطيف كان ـ إضافة إلى علمه الشرعي ـ من الأدباء الشعراء، والنحويين الفرضيين، فله الشرع الرائق المحفوظ، وقد درّس الطلاب مع الشيخ محمد ونيابة عنه في فنون العربية والفرائض وغيرها.

وكان متميزاً ببذل نفسه للناس؛ يخدم هذا، ويكتب لذاك، ويشفع لهذا ويعطي ذاك، وربما أرهقه الناس بما يرغبون فيه وهو صابر عليهم، فربما خرج من المسجد في اليوم الحار فأمسك به ذوو الحاجات فيقضي لهم ما يقدر عليه من كتابة وغيرها ويدوم ذلك الساعة وأكثر، وهم وقوف

في الحر فيما بين المسجد والبيت، هكذا حدثني من رأى ذلك.

ومحبةُ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لأخيه تظهر في أبيات إخوانية نظمها الشيخ محمد وأرسلها للشيخ عبد اللطيف لما سافر في مهمة شرعية، قال فيها:

فإذا أنختُم بالفنا ولقيتمو ... شقيقي حليف الود مذ هو صغير
فقولوا له: يهدي السلام مضاعفاً ... إليك محب في هواك أسير
ويهدي تحياتٍ كأن أريجها ... لدى النشر يا عبد اللطيف عبير

إلى آخرها...

والشيخ عبد اللطيف قد تولى مناصب شرعية آخرها نائب رئيس الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام حاليّاً).

وأما الشيخ عبد الملك فهو الخيِّر الصامت، الوقور اللين، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، جمع إلى علمه من صفات الخير وبذل المال والمعروف ما يَشْهد به له من عرفه، كان قريباً من الشيخ وصحب الشيخ محمداً في سفره إلى (الغطغط) لما أقام فيها ستة الأشهر للدعوة والتعليم والقضاء، وكان يكتب أحياناً للشيخ، فهو بمثابة الابن لأخيه الأكبر.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية.

أما زملاؤه؛ فأخص منهم الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشد المولود سنة (١٣١٣هـ) الذي كان رفيقاً للشيخ في طفولتهما، وفي شبابهما، وفي طلبهما للعلم، طلبا سويّاً، وتنقلا بين الشيوخ سنين. كما حدثني أنه استأجر هو والشيخ بيتاً صغيراً، وضعا فيه كتبهما، استأجراه للتفرغ فيه للمطالعة، فكانا يأويان إليه يحفظان ويدرسان ويتذاكران، وكانت الأجرة سبعة ريالات عربية.

الشيخ عبد العزيز بن صالح رَحِمَهُ اللَّهُ إذا جلست معه ذكرت السلف،

ورأيت الزهد والتقوى، والعلم والورع، والحكمة والأخبار، وأحسبه من الزاهدين العلماء، له لهج بالدعوة، دعوة التوحيد، ومحبة لأهلها، حلقة علمه بعد مغرب كل يوم دامت عقوداً من الأعوام، وليت المقام أوسع من هذا لأذكر ما أعرفه عنه فهو عَلَمٌ قلَّ من يعرف أحواله وخصاله.

دامت صحبته وزمالته للشيخ محمد حتى وفاته، وقد ذكر لي أنه ما ترك الشيخ محمداً في دعائه أبداً في صلاة الليل (يعني آخر الليل)، لأنها صحبة دين ومحبة لله ـ رحمهما الله ـ.

حياته العلمية، ودروسه المنهجية:

توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وكان كبير علماء الرياض بل نجد، وقد أوصى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند وفاته بالشيخ محمد بن إبراهيم، متوسماً أنه سيكون له شأن، وكان الشيخ محمد إذ ذاك ابن ثمان وعشرين سنة، فقبل الملك الوصية، وكان الشيخ محمد ينوب عن الشيخ عبد الله في إمامة مسجده في آخر أيامه، فلما توفي لم يصلِّ الشيخ محمد، وكان مما بلغني أنه قال: إن هذه وظيفة شرعية وكان صاحبها منيباً لي فلما توفي فلا وكالة، وهي راجعة إلى الإمام، فلم يصلِّ بالمسجد حتى أتاه تكليف بذلك من الإمام وهو الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتلك كانت بداية عقل وفقهٍ وريادة وقيادة.

صار الشيخ محمد إماماً لمسجد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المعروف في حي دخنة بالرياض ـ وهو المسمى الآن مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ـ فابتدأ فيه بعض الدروس العلمية، في مختصرات التوحيد ونحوها، وكانت دروسه تزداد في قوتها ومنهجيتها، حتى بلغت أوجها فيما بين سنة (١٣٥٠ ـ ١٣٧٠هـ)، والسنون العشر الأخيرة متميزة بقوة علمية أبهرت الناس إذ ذاك، ولم يزل على دروسه حتى سنينه الأخيرة من عمره المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ذكر تلامذة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وصفاً لدروسه، فقال الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم: «كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة:

فالأولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس.

والثانية: بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

والثالثة: بعد صلاة العصر.

وهناك **جلسة رابعة** لكنها ليست مستمرة، وهي بعد صلاة الظهر..».

قال ابن قاسم:

«كان رَحِمَهُ اللَّهُ ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، ومنها: الروض المربع، وسبل السلام، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وما يعين عليها من المراجع.

وفيما يلي عرض للكتب التي كان يقوم رَحِمَهُ اللَّهُ بتدريسها:

١ ـ **بعد صلاة الفجر**: «ألفية ابن مالك» مع شرح ابن عقيل، و«زاد المستقنع» مع شرحه الروض المربع، و«بلوغ المرام» و«الآجرومية» و«الملحة» و«قطر الندى»، و«أصول الأحكام» و«الحموية» و«التدمرية» و«نخبة الفكر».

الثلاثة الأول مستمرة وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور، أما في باقي الكتب فبالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه.

٢ ـ **بعد شروق الشمس**: يدرس في العقائد «كتاب التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«ثلاثة الأصول»، و«العقيدة الواسطية» باستمرار، و«مسائل التوحيد» «مسائل الجاهلية»، و«لمعة الاعتقاد»، و«أصول الإيمان» على فترات، وفي الحديث: «الأربعين النووية»، و«عمدة الأحكام» باستمرار، وفي الفقه «آداب المشي إلى الصلاة»، وقد يدرس غيرها، لكنه نادر.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأ المطولات ومنها: «فتح المجيد»، و«شرح الطحاوية»، و«شرح الأربعين النووية»، و«صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، والسنن الأربعة، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم وابن كثير دون استثناء، وكل ما جد من كتب السلف والمحققين من العلماء، ولكنها على فترات يترواح ما يقرأ منها في اليوم حوالي خمسة عشر غالباً.

٣ ـ **بعد صلاة الظهر**: ويدرس فيه: «زاد المستقنع» بشرحه، و«بلوغ المرام».

٤ ـ **بعد صلاة العصر**: ويدرس فيه: «كتاب التوحيد» وشرحه، وقد يقرأ في «مسند الإمام أحمد»، أو «مصنف ابن أبي شيبة»، أو «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»، أو نحوها». اهـ. هذا ما وصفه الشيخ ابن قاسم.

وهذا الوصف يمثل فترة من عمر الشيخ وهي في الغالب ما بعد الستين، وقد ذكر لي بعض طلبة الشيخ أن تحضيره للدروس كان بعد العشاء، وبعد المغرب ربما قرئ عليه في كتب خاصة لا يحب أن يسمعها كل أحد، فقد حدثني الشيخ حسن بن مانع أن الشيخ محمداً اختصه بحضورٍ بعد المغرب، قال: فكان يقرأ عليه في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي.

والأخبار عن دروسه كثيرة لكن اخترت كلام الشيخ ابن قاسم؛ لأنه يمثل وصفاً جيداً لفترة سنين من عمر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه المنهجية في التدريس هي التي تخرج العلماء، حفظ للمتون وبيان وشرح لها، وضبط للأصول، ومعرفة الأدلة، فبهذا تبنى القواعد العلمية الراسخة للمتعلمين، أما القراءة في المطولات دون إحكام للأصول والمتون فعلى أي أسٍّ تبنى، وعلى أية قاعدة ترفع؟.

فلا بد للمعلمين والمدرسين من النظر في هذه المنهجية، وقد تمثلت في عمل الشيخ إلى تقسيم الطلاب إلى ثلاث طبقات؛ هي: مبتدؤون ومتوسطون ومنتهون.

ولكلٍّ ما سيناسبه من المتون والكتب، ولا يخلط بين طبقاتهم حتى لا يضعف العلم عندهم جميعاً.

قال الشيخ محمد بن قاسم: كان الشيخ «يحرص جدّاً على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون ولا يرضى بنصف حفظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمه، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات». اهـ.

منهجه في التعليم:

كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منهجية جعلت الطلاب في قوة علمية مؤتلفة غير مشتتة، ففي التوحيد كان اهتمامه بكتبه التأسيسية تبين العقيدة الحقة بأدلتها، وكان لا يذكر الخلاف في الاعتقاد، فلا يعرج على مذاهب الخرافيين والمبتدعين وشبههم إلا إذا دعت الحاجة، بينما تجد أكثر التفصيل والتدليل على معتقد أهل السنّة.

وهذا ـ ولا شك ـ يعطي قوة علمية استدلالية، وثباتاً في موقف الحق، وعدم تشوش الأذهان بكثرة الأقوال المبتدعة، وهذا لأجل أن المبتدعة وأقوالهم لم تكن مشتهرة، فلا يحتاج إلى الكلام المطول عليها.

وأما في الفقه؛ فقد جعل دروسه منبثقة من متون الفقه الحنبلي، ومتونه محررة الصور مدققة اللفظ، تفتق ذهن الطلاب، وتقوي إدراكهم الفقهي، فاعتماد متن لمذهب هو خير طريقة لتحصيل الفقه، فبه يبنى الذهن الفقهي، وبه تؤسس قواعد التصور للمسائل الفقهية ويأتي بعد ذلك التفريع والتدليل وذكر الخلاف والترجيح فتكون معرفة الأقوال بعد إحكام الأصول وضبط تصور المسائل، وعلى هذا كانت دروس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ،

فقد كان يعرض للمتن وهو «زاد المستقنع» بشرحه الروض المربع، فيبين عبارة المتن بدقة، ووضوح عبارة، ويصور المسألة تلو المسألة بحيث لا تشتبه مع نظيراتها في ذهن الطلاب، ولا يبدأ بالاستدلال أو ذكر الخلاف كما يفعل بعضهم في الجامعات؛ بل إحداث تصور المسائل كان هو المطلب الأول.

ثم يذكر الدليل مع وجه الاستدلال، أو التعليل، أو إرجاع حكم المسألة إلى أصل أو قاعدة أو نحو ذلك من الحجج، وربما ذكر الخلاف في بعض المسائل إذا كان الخلاف فيها قويّاً، أو كان مشتهراً بين الناس، أو كان هناك حاجة لبيانه، وغالباً ما يذكر اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم وأئمة هذه الدعوة ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وأما مطولات الفقه والشروح فلم يكن يفصل الكلام عليها بنحو ما سلف، ولكن يذكر بعض ما يحتاج إلى إيضاحه.

وهذه هي الطريقة النافعة التي درج عليها علماؤنا السابقون، وبها صعد في مدرج التفقه فئام نفعوا العباد والبلاد.

تلامذته:

كان الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ أمة في قلب رجل، وكان جامعة متعددة الكليات فلا غرو أن تخرَّج على يده المحدّث، والفقيه، والأديب، واللغوي، والقاضي، والداعي، صدروا عن رجلٍ واحد لأنه ـ بتوفيق الله له ولهم ـ بذل علمه لهم ليله ونهاره.

ولقد تتلمذ على الشيخ عدد لا يحصون كثرة، تولوا التدريس في المعاهد والكليات، وولوا القضاء، وولوا الفتيا، وولوا التوجيه والإرشاد، وولوا الدعوة والإصلاح، وقد أحصي من أبرزهم قرابة مئة وتسعين تلميذاً، نذكر هنا بعض أكابر طلبته، كإشارة لا حصرٍ، التسعة الأول على ترتيب العلامة الشيخ ابن بسام لهم:

١ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز ـ يحفظه الله ـ.

٢ ـ سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ سماحة الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي الداعية المشهور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦ ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ يحفظه الله ـ.

٩ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ يحفظه الله ـ.

١٠ ـ الشيخ صالح بن غصون ـ يحفظه الله ـ.

١١ ـ الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ـ يحفظه الله ـ.

وغيرهم كثير، وقد وصفه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحلبي في «فقهاء معاصرون» بقوله: «كان الشيخ (أمة) في جسد رجل، وكان مسجده (جامعة) في قلب نجد، ملأت بلاد نجد وغيرها علماً، وأنارتها بعلوم الشريعة، قبل أن تبنى مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية؛ ـ رحمه الله تعالى ـ وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيراً.

وكانت علوم الشيخ عيوناً صافية متدفقة، أروت الظماء، وأنشأت العلماء، وأسس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى، فقد تخرج على يده أعداد كبيرة لا تحصى من العلماء والمحصلين، وحسبك أن تعلم أن جلَّ أكابر علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية، ويملؤون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى». اهـ.

أخلاقه وشمائله:

وصف شيئاً من شمائله وأخلاقه الشيخ محمد بن قاسم، فأجمل ما ذكر في الآتي:

١ ـ **الحافظة النادرة**: كان يحفظ المتن للقراءة الثالثة، وربما الثانية، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ (٣٠٠ صفحة) تقرأ عليه ثم يملي ما يرى مستحضراً كل ما مرَّ فيها من الجزئيات، ولم يكن غريباً أن يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها، ذاكراً رقم الصفحة أحياناً.

٢ ـ **رزق الذكاء و(الفراسة)**: فكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولم يكن ينطلي عليه كيد أو احتيال، وحياته كلها أمثلة من هذا النوع فلسنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة لها، فأكثر العارفين له يدركون ذلك.

٣ ـ **الإخلاص في العمل**: فلم يكن طالب شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

٤ ـ **طهارة قلبه**: فكان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى، وله في ذلك أحوال عجيبة.

٥ ـ **كان شجاعاً قويّ الشكيمة**: لا يتردد في إعلان الحق أيّاً كان المخاطب به.

٦ ـ **كان يكره المتملقين والمتزلفين**: وله في ذلك مواقف يحفظها التاريخ.

٧ ـ **كانت له الهيبة العظيمة في نفوس الناس**: يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يزلّ في كلمة أو يخطئ في فكر، ومع ذلك كان أنيساً عند مخالطته، أليفاً لمعاشرته، لا يتصف بشيء من الفظاظة أو الغلظة.

٨ ـ **كان متنزهاً عن الغيبة**: عرف بذلك منذ حداثة سنِّه حتى فارق الدنيا، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم؛ بل كان يزجر من حاول ذلك.

٩ ـ ومما لا يعرفه كثيرون عنه ما يتصف به رَحِمَهُ اللَّهُ من **العفة والتورع** عن أخذ ما ليس له أو ما يرى فيه شبهة، فكان حريصاً على أن لا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة.

١٠ ـ **كان من أهل الخشية**: كثيراً ما يلهج بذكر الله والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع حين يكون مناجياً لله، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، وقد صحبته ـ القائل هو ابن القاسم ـ زمناً طويلاً، وهو يقوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل لا يترك ذلك.

مؤلفاته:

أملى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كتباً ورسائل وفتاوى متنوعة، وكانت حياته مملوءة بالتعليم والدعوة والمهمات الكبار التي أنيطت به من فتوى ومتابعة القضاء، وتمييز الأحكام، ومع هذا فقد كان له آثارٌ علمية؛ منها:

١ ـ فتاواه التي طبعت مع رسائله في ثلاثة عشر جزءاً قام بجمعها وإعدادها للطبع وترتيبها الشيخ محمد بن قاسم، أثابه الله، وقمتُ بتحقيقها والتعليق عليها، يسر الله طبعها.

٢ ـ رسائل متنوعة طبعت في حياته ثم أدرجت مع مجموعة فتاواه ورسائله، ومنها:

أ ـ الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم.

ب ـ تحكيم القوانين.

ج ـ نصيحة الإخوان في الرد على الشيخ ابن حمدان.

د ـ الجواب المستقيم في نقل مقام إبراهيم.

٣ ـ كتاب تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ: وهو كتاب في الحديث، جمع فيه المفتي رَحِمَهُ اللَّهُ ما يقرب من ألف حديث، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (مقدمته):

«هذا مختصر يحتوي على ألف حديث صحاح اقتصرت فيه على ما خرجه الشيخان أو أحدهما، عدا أحاديث صحيحة يسيرة جدّاً خرّجها غيرهما، وقد أتى بحمد الله على عامة أبواب الدِّين من أصول وفروع ودعوات وأذكار، ومواعظ وحكم وآداب وغير ذلك مما ستقف عليه في مواضعه...». اهـ، والكتاب في مجلد متوسط.

وهذا الكتاب متميز عن غيره بمميزات، وقد ظهر في انتقاء الشيخ للأحاديث الفقه والاستنباط، وليس هذا موضع بسط ذلك، والكتاب مخطوط بعدُ، يَسَّر الله طبعه، وقد جاء في خاتمته: «وقع الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك خامس شهر ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلاثمئة وألف (١٣٧٤هـ)، ووقع الفراغ من تبييضه آخر ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثلاثمئة وألف من هجرة من له العز والشرف ﷺ بمكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتكريماً، على يد جامعه الفقير إلى عفو ربه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله صحبه وسلم». اهـ.

٤ ـ نظم علمي لمقدمة كتاب (الإنصاف) للمرداوي، وهو من كتب المذهب الحنبلي المشتهرة، جاء مؤلفه في أوله باصطلاحات، وبذكر للكتب التي نقل منها، فنظم جلَّ المقدمة سماحة المفتي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال فيها:

حمداً لمن فقهنا مصلِّيا ... على محمد وبعد فادريا
مراجع الإنصاف من متنٍ ومن ... شرح مع مؤلفيها واستبن
وبعضها نواقص أعرضتُ ... عن ذكر نقصهن واختصرتُ
نظمتها من خطبة المؤلف ... مقدماً ذكر المتون فاعرف
منهن متن الخرقي ما أجمله ... شافي أبي بكر مع التنبيه له

تهذيب ابن حامد للأجوبة وابن أبي موسى للإرشاد انتبه

إلى آخر أبياته، وهي موجودة عندي، ولي عليها ـ إن شاء الله ـ إضافة ضافية.

حياته العلمية:

لقد كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أكبر الأثر في مجتمعه، فإذا ذكر التعليم فهو رائده، وإن ذكر القضاء فهو أستاذ القضاة ومخرجهم في مدرسته، وإن ذكرت الفتوى فإليه مرجعها، وإذا ذكرت الدعوة فهو المتابع الحريص عليها، وإذا ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ذو المواقف، وهو المؤيد له الباذل من أجله ما يمكنه وهو المرجع فيه.

ولقد ولي الشيخ مناصب شرعية متنوعة، وكان يعدُّ الدخول في الوظائف الشرعية الحكومية من التعاون على البر والتقوى، والتعاون متعين، ولهذا كان الشيخ ذا مناصب كثيرة أقضَّت مضجعه وأذهبت راحته، يعرف ذلك من كان قريباً، لأن الوظيفة الشرعية تكليف وأمانة، والسؤال عنها غداً عظيم.

وعلى العموم كانت الأمور الشرعية، والإدارات الدينية تابعة له، وكان هو المشرف عليها، المسؤول عنها، في الداخل والخارج.

فمن الوظائف الشرعية التي كان هو المرجع فيها والرئيس لها:

١ ـ رئاسة دار الإفتاء.

٢ ـ رئاسة القضاة (وزارة العدل حالياً) وتميز الأحكام (هيئة التمييز).

٣ ـ رئاسة الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود حالياً).

٤ ـ رئاسة الجامعة الإسلامية، وكان نائبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٥ ـ رئاسة تعليم البنات، أو الإشراف على الرئاسة.

٦ ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.

٧ ـ رئاسة المعهد العالي للقضاء.

٨ ـ رئاسة دور الأيتام (ضمت إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية).

٩ ـ الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقية.

١٠ ـ خطابة الجامع الكبير والعيدين، وإمامة مسجد الشيخ عبد الله.

١١ ـ رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، التي تصدر جريدة الدعوة فيما مضى، ومجلة الدعوة حاليّاً.

إلى غير ذلك من الوظائف والأعمال الدينية التي حملها بعده بضعة عشر رجلاً.

تأسيس الدوائر الشرعية، وأثره فيها:

١ ـ في عام (١٣٦٩هـ) كثرت حاجة البلاد للقضاة، وقد أبدى جلالة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ للشيخ محمد بن إبراهيم الأمر، وعرض عليه ما تلقى البلاد من مشقة لقلة القضاة، فأشار الشيخ بافتتاح معهد علمي يكون أول السبيل إلى سلم علمي يخرِّج القضاة، فوافق الملك.

فافتتح **أول معهد علمي** بالرياض سنة (١٣٧٠هـ)، وكانت بعده معاهد كثيرة أصبحت ممدَّة لكليات الشريعة التي تخرج القضاة، وهذه كانت نواة جامعة الإمام حاليّاً، وكان أمر المعاهد والكليات الأول الاهتمام بعلوم الشريعة واللغة لا غير.

وكانت رئاسة المعاهد للشيخ محمد، وبعد المعهد افتتحت كلية الشريعة بالرياض سنة (١٣٧٣هـ)، وكان نائب الرئيس هو الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ احتيج إلى إنشاء **رئاسة للقضاة** يرجعون إليها في وظائفهم، ومطالبهم وتنظيم المعاملات حتى يكون القضاء في بنيته التنظيمية في أعلى المراتب الإدارية.

فأُنشِئَت رئاسة القضاة سنة (١٣٧٦هـ)، وتولى الشيخ رئاستها بأمرٍ من الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ وكان الشيخ رئيساً للقضاة في مناطق: نجد والشرقية والشمالية، وأما المنطقة الغربية فكان يرأس القضاة فيها سماحة الشيخ عبد الله بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعد وفاة الشيخ عبد الله سنة (١٣٧٨هـ) ضم قضاة المنطقة الغربية إلى رئاسة القضاة في نجد، فصار الشيخ رئيساً للقضاة في المملكة.

ومما يتصل بذلك جهود الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تمييز الأحكام الصادرة من القضاة، فكان هو المرجع في تمييز الأحكام والصكوك من وقت الملك عبد العزيز، وكان للشيخ الأثر الكبير في تنمية (التمييز) وتقويته حتى وصل إلى ما وصل إليه.

٣ ـ **دار الإفتاء**: لأجل تنظيم الفتاوى، وترتيب الاستفتاءات الموجهة إلى الشيخ وتنظيم ذلك فيما يتصل بالداخل والخارج أنشئت دار الإفتاء سنة (١٣٧٣هـ) وذلك لما لم يعد مكتب الشيخ المنزلي كافياً في متابعة كل الرسائل والاستفتاءات والبحوث المستجدة.

وكان من الأعمال المنوطة بها: إصدار الفتاوى، والدعوة في الداخل والخارج، وتوزيع الكتب وإمداد طلبة العلم بما يحتاجونه، وإعداد البحوث الخاصة بمسائل نازلة، أو ردود على مخالفين للسنّة ونحو ذلك.

وقد أدخل الشيخ عدداً من طلبته الشيوخ ليساعدوه، ولكي يكونوا من أهل الخبرة في الفتوى والإجابة؛ لأنها تحتاج إلى دربة وتعلم.

منهجه في الإفتاء:

١ ـ كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ملتزماً في الفتوى بما عليه الراجح من الأقوال عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وسواء كان هذا مذهباً للمتأخرين أم لا، إلا أنه في الغالب يوافق ما عليه المتأخرون، وكثيراً ما يرجح اختيارات

شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيّم ـ رحمهما الله ـ، وما عليه الترجيح عند أئمة هذه الدعوة من الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذتهم.

وهذا يجعل الناس على منهج متَّحِد، وفي فتاوى غير متضاربة، وجمع الناس وعدم اختلافهم مصلحة عظمى، خاصة إذا علم أن البلاد مسرح للأهواء، فالاختلاف في الفتوى سيتبعه تفرق في أنواع شتى.

٢ ـ لم يكن يسمح لكلِّ أحد من واعظ وخطيب وإمام ومتخرج في الفتوى؛ بل الفتوى منحصرة في الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومن كان معه، والقضاة في البلاد، ومن كان معروفاً بسعة العلم ممن لم يكن قاضياً.

وقد كان يعاقب ويعزر بعض المتجرئين على الفتوى، أو المخالفين لمشهور الفتوى.

جهاد الشيخ في الدعوة إلى الله:

١ ـ لقد ابتدأ الشيخ حياة الداعية شابّاً، وذلك حينما أرسله الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى (الغطغط)، وكانت مجمعاً للإخوان الذين جاهدوا مع الملك، وصار عندهم اجتهادات خالفوا فيها العلماء، ونظرات تجاوزوا فيها، فكان من الحق الذي لهم أن يُبعث إليهم عالم داعية، يحسن الدعوة، وقدمه راسخة في العلم، لعلَّ الحجة تنفع، ولعلّ الدعوة تنجع.

كانت رحلته دعوية، إرشادية، قضائية، وذلك سنة (١٣٥٤هـ)، فمكث ستة أشهر، وصاحبه فيها أخوه الأصغر الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ كاتباً ومرافقاً، وحمل معه كتباً للمطالعة والمراجعة، فشرح للإخوان أصول التوحيد وضابط التكفير، وبيّن لهم عبارات أئمة الدعوة وفسّرها واحتج بالنصوص الشرعية، وقعّد ودلّل، وشرح لهم الآيات والأحاديث فأفادهم علماً وعملاً.

لكن ـ ولله الأمر ـ بثّت فيهم روح الشقاق، وعدم القناعة بكلام أهل العلم، فبلغ الشيخ أنهم يكيدون له، فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خف من متاعه ثم تركهم عائداً إلى الرياض.

٢ ـ كان الشيخ شديد الحرص على العناية بالدعاة، فمن أبرز تلامذته الدعاة: الشيخ عبد الله القرعاوي، كان داعية موفقاً، انتقل إلى منطقة جازان فأثر في أهلها، فجعلهم متعلمين، وأكثر استقامة واهتداءً، بثَّ فيهم منارات العلم وهي مدارس القرآن، وكان الشيخ سنداً له في ذلك عند ولاة الأمور، حتى إنه يسلم المال المخصص للمدارس بيده، ولا يراجع فيه، ولا إثبات بنوع مصروفاته، وبهذه الثقة التي منبعها الاستقامة والتدين انطلق الداعية، وكان يختلف إلى الرياض شارحاً للشيخ ما قام به من عمل وما تم من إنجاز مبيِّناً أحوال أهل الجنوب وقربهم من الخير، وسرعة انتشار الدعوة فيهم، وهذه النهضة في جازان اليوم من أثر تلك الدعوة فيها.

٣ ـ حرصه على لقاء الدعاة في الأقطار في مواسم الحج، واستضافة بعضهم، ومتابعة نشاطاتهم، وكان يحرص على دعاة التوحيد والسنّة، ويتعاهدهم بتوجيهه ورأيه فيما ينبغي أن يعملوه أو يخططوه لمستقبل الدعوة.

٤ ـ اهتمامه برابطة العالم الإسلامي ـ وكان رئيساً لمجلسها الأعلى ـ، وما ينبغي أن توجه جهود علماء المسلمين إليه في اجتماعاتهم، ففي رسالة بيَّن بها الأمور التي يجب عقد المجالس والاجتماعات لها، قال:

«إنما الهام هو النظر في الأصول العظام التي الإخلال بها هادم للدِّين من أساسه، وذلك: مسائل توحيد الله بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات: إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

وكذلك توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

وكذلك توحيد الاتِّباع، والحكم بين الناس عند النزاع، بأن لا يحكّم إلا الكتاب والسنّة، ولا يحكم إلا بهما، وهذا هو مضمون الشهادتين اللتين هم أساس الملة، شهادة: أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، بأن لا يعبد إلا الله، ولا يعبد إلا بما شرعه رسول الله ﷺ، وأن لا يحكم عند النزاع إلا بما جاء به رسوله ﷺ، هذا هو الحقيق بأن يهتم به، وتعقد المجالس والمجتمعات لتحقيقه وتطبيقه». اهـ.

٥ ـ وكان الشيخ رحمه الله رئيساً للمعهد الإسلامي في نيجيريا، وكان هو المشرف على نشر الدعوة في إفريقية.

٦ ـ كانت المراكز الإسلامية في أوروبة ترسل إليه بمشكلاتها، وهو يتابع النشاطات فيها، فمما جاء في ذلك مما ضمته (الفتاوى) قال الشيخ رحمه الله: «الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد اتصل بي الحاج السيد جواد مقدس رئيس جمعية مسلمي بريستول بإنجلترا، ومعه كتاب من سكرتير الجمعية يعرف فيه بالسيد جواد المذكور وقد شرح لي نشاط الجمعية المذكورة في الدعوة الإسلامية، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب، وقد أعطيناه بعض الكتب الإسلامية والسلفية.

.. كما طلب أيضاً الإذن له في تعليم القرآن، ونشر العلم في تلك الربوع، وأذنا له في ذلك أيضاً، سائلاً الله لي وله التوفيق والسداد، (التوقيع) مفتي المملكة العربية السعودية».

٧ ـ إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بواجب الدعوة، وقد أصدر الشيخ رحمه الله كتاباً مؤرخاً في الثالث والعشرين من رجب سنة (١٣٨٤هـ) جاء فيه:

«نظراً لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية؛ فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة والأفكار المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل في كل زمان ومكان.

ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر أن يصدر عن هذه المؤسسة الصحفية صحيفة يومية تصدر أسبوعيّاً مؤقتاً، ومجلة شهرية، علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب ـ إن شاء الله ـ من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلى الله في أنحاء العالم.

ولما كان وجود أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة وأهدافها، راجياً منهم مساعدتها بإرسال المقالات النافعة والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة، وسوف يصدر العدد الأول من الصحيفة قريباً ـ بإذن الله ـ ويصل إلى حضراتكم مجاناً.

وعنوان المؤسسة المذكورة كالآتي، (مؤسسة الدعوة الإسلامية) شارع أحمد بن حنبل ـ الرياض». اهـ.

ولقد كان الشيخ في دعوته إلى الله متبعاً أصول دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من تأصيل التوحيد في النفوس، والنهي عن الشرك، والحث على الالتزام بالسنّة، ونبذ البدع، والدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع الشؤون، وإلى تربية النفوس وتزكيتها بالعمل الصالح والاتباع لسلف الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، والالتزام بنصرة ولاة الأمر الكرام من آل سعود الذين نصروا الدعوة، وطبقوا الشريعة.

ثناء العلماء والأدباء والمثقفين عليه:

لقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مجمعاً على الثناء عليه ـ فيما أعلم ـ وائتلفت القلوب على محبته، لما كان عليه من إيمان صادق ـ ولا نزكي على الله أحداً ـ، وجهاد وتعليم، وتقوى، وقيادة.. إلى غير ذلك من سجاياه وأخلاقه.

وأذكر هنا بعض ما وقفت عليه من ثناء العلماء عليه مما لا أعلمه قد نشر من قبل:

١ ـ قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لقد أكرمني الله سبحانه وتفضل عليَّ ـ وله الحمد والمنة ـ بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور، ولازمته نحو عشر سنين من عام (١٣٤٧هـ) إلى عام (١٣٥٧هـ)، ثم تعينت في القضاء بعد ذلك، ولكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل، والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين، والغيرة للإسلام، والرد على خصومه أجزل الله له المثوبة.

وكان يوصي الطلبة كثيراً بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وكان واسع العلم كثير الخوف من الله سبحانه، دقيق الفهم... ومناقبه كثيرة جدّاً». اهـ.

٢ ـ وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عرفنا فيه وفور العلم ووفور العقل وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ فيما أعتقد وأجزم به ـ وإن كنت لا أزكي على الله أحداً ـ من نوادر الرجال الذين عرفناهم علماً وحلماً وعقلاً وحكمة، فنرجو الله أن

يتقبل منه صالح عمله، وأن يجزيه كل خير، ويعلي درجته في الآخرة كما أعلاها في الدنيا: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]. . . ». اهـ.

٣ ـ وقال الشيخ سعدي ياسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أما سماحة مفتينا الفقيد ـ تغمده الله برحمته ـ فقد سلك مسلك أئمتنا الأعلام من علماء السلف، فكنت وأنا أسمع فتواه تلك كأني أستمع إلى سفيان بن عيينة أو ابن علية أو ابن أبي ذئب. .

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ متين الحفظ مستحضر الآيات لا يكاد يشتبه عليه شيء منها. . . ولقد رأيته عن كثب بعبادته وأذكاره في ليله ونهاره، وحرصه على حضور الجمعة والجماعة، وإخباته قبل الفجر وبعده مما حببه إليَّ وأكبره في نظري. . . إلخ».

٤ ـ وقد حلّاه الدكتور تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ **بقوله:**

«الإمام العلامة بقية السلف وعمدة الخلف ناصر السنّة الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. .».

وفاته ـ والمراثي:

في عام (١٣٨٩هـ) أو في أواخر الذي قبله بدأ بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مرضٌ عضال، فسافر للاستشفاء إلى (لندن)، ولم ينتفع بالعلاج هناك، وحدّثني بعض مرافقيه أنه في آخر أيامه في المستشفى قبل رجوعه إلى (الرياض) كره الطعام، فقدم له كأس لبن فطعمه ثم تركه فقال له من حدثني: إنه زين وطيب، فقال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: صحيح، ولكن ليس بزين للميت.

ورجع إلى الرياض فلازم الفراش ولسانه يلهج بذكر الله والثناء عليه، لا يفتر عن ذلك حتى تم أجله وفاضت روحه في صبيحة يوم الأربعاء (٢٤) من رمضان سنة (١٣٨٩هـ).

وكان المصاب عظيماً، وصُلّي عليه ظهر ذلك اليوم، وكان إمام

المسلمين في الصلاة عليه تلميذه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ولما تسامع الناس الخبر، تصدعت الأفئدة، ونكست الأذقان، فكم من دمعة ترقرقت، وكم من حزن قضى، وكم وكم، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما سير بجنازته تذكر المتذكر جنازة الإمام أحمد بن حنبل أو ابن تيمية من ذوي الجنائز المشهودة، فلا تحصى الألسنة المترحمة عليه والمستغفرة له! ويا لها من غبطة «**أنتم شهداء الله في أرضه**»!.

ولقد تتابع الناس من أنحاء المملكة يفدون بأنفسهم يعزون، ويستغفرون ويشهدون للفقيد بالإحسان.

وتتابع ذوو الأقلام يرثون إمام وقته، فكم من عالم نثر رثاءه، وكم من عالم نظم رثاءه، وكم من مثقف كتب، وكم من عاقل سطّر، والعجز عن وصف المشاعر سمة الجميع، فجزاهم الله خيراً.

وليس هذا المقام الموجز مقام تفصيل لتلك المراثي، وبيان ما كتب عنه.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل مثواه جناته، مع الحبيب المصطفى، وأصلح وبارك ونفع بولده من بعده، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ محمد بن إبراهيم
ابن عبد اللطيف[1] بن عبد الرحمن بن حسن
ابن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ
(١٣١١ ـ ١٣٨٩)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام رحمه الله

الشيخ العلامة مفتي البلاد السعودية ورئيس قضاتها ومرجع أمورها الدينية والإسلامية محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

وُلد في مدينة الرياض وذلك في اليوم السابع عشر من شهر محرم من عام إحدى عشرة وثلاثمئة وألف من الهجرة النبوية.

وفي سن التمييز دخل كُتَّاباً للمقرئ عبد الرحمٰن بن مفيريج، وأتم فيه قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مجودة، ثم شرع في حفظ القرآن عن ظهر قلب فما بلغ الحادية عشرة من عمره حتى أتمَّ حفظه.

وكان والده من كبار العلماء فشرع يقرأ عليه في مختصرات العلم من التوحيد وأصول العقيدة قراءة حفظ وفهم، وذلك في رسائل الأئمة ابن تيمية وابن القيّم ومحمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ.

كما قرأ في مختصرات كتب الحديث وأصوله والفقه وأصوله والنحو وحفظ متون هذه العلوم.

وفي السنة الرابعة عشرة من عمره فَقَدَ بصره فصبر واحتسب، ولم

---

(١) من كتابه المستطاب: علماء نجد خلال ثمانية قرون: ١١/ ٢٤٢ ـ ٢٦٣.

تثنه هذه المصيبة عن مواصلة الدراسة وتحصيل العلم، بل زادته رغبة وقصرته على العلم دون غيره.

وقد أجمع عارفوه كما تدل سيرته وتصرفاته وأعماله على أن الله تعالى وهبه عقلاً كبيراً وأعطاه فهماً ثاقباً، ومنحه جَلَداً وصبراً ورزقه قوة في بدنه وفكره وما أبقاه له من حواسه.

هذه المنح الربانية صاحَبَها ظروف واتت حياة الشيخ، فصارت منها هذه الشخصية الكبيرة في علمها، العظيمة في فكرها، الحكيمة في تصرفها.

ووالله إنه لم يمر بي بيت حافظ إبراهيم في رثاء الشيخ محمد عبده وهو:

ووفقت بين الدين والعلم والحجى فأظهرت نوراً من ثلاث جهات

إلَّا ذكرت الشيخ محمد بن إبراهيم في حياته وبعد مماته.

ولنعرض لهذه البيئة التي عاش فيها المترجم فجعلها الله تعالى أسباباً هامة في بلوغه ما بلغ من المكانة العلمية والقيادية الرشيدة، ولنأخذها فقرة بعد أخرى:

١ ـ الشيخ المترجم يرجع في نسبه إلى بيت علمي توارث آباؤه العلم منذ القرن السابع الهجري، فعلماء آل مشرف هم قضاة وعلماء نجد، ويتوّجهم جده الشيخ سليمان بن علي الذي صار مرجع علماء نجد وكبيرهم وصاحب الحل والعقد فيهم.

ثم جاء حفيده مجدد الدعوة السلفية، وباعث نهضتها، ومنقذ البلاد من جهالتها وخرافتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم تنحدر هذه الزعامة الكبيرة بجده الأدنى الشيخ عبد اللطيف الذي يقال: إنه لم يوجد في نجد من يدانيه في سعة علومه وتنوع معارفه، ونصاعة حجته وقوة أسلوبه وبيانه.

ولولا أنه امتحن برأب خلاف أبناء الإمام فيصل، لصار له من الآثار العلمية ما يشابه ابن تيمية، فللّه الحكمة في ذلك.

٢ ـ الشيخ المترجم عاش في مدينة الرياض وهي العاصمة التي يأوي إليها العلماء للأعمال والتدريس، كما يأوي إليها طلاب العلم من أطراف البلاد، ووجود كثرة العلماء وتنوع تخصصاتهم وكثرة حلقاتهم عامل مهم في حياة المترجم العلمية، كما أن وجود أعداد كبيرة من الطلبة يشجع بعضهم بعضاً وينافس بعضهم بعضاً مما يحفز ويشجع على الإقبال الكبير من المترجم على تحصيل العلم والسعي الحثيث في إدراكه.

٣ ـ الزمن الذي كان المترجم يطلب فيه العلم هو زمن بساطة وحياة عادية لم تنفتح على الناس هذه المشغلات والملهيات من تتبع أخبار السياسة أو من سماع أو قراءة ما جاء في الصحف والمجلات أو ما حصل في البلدان المجاورة أو البعيدة من أحداث أو غير ذلك، مما هو مضيعة للوقت وصرف عن العلم، فكل أهل بلد لا يعرفون إلَّا محيطهم العادي الذي لا يتغير.

٤ ـ كتب العلم الموجودة لديهم محدودة معدودة وهي كافية لحصول الفائدة، ولم تنهلَّ عليهم هذه الكتب التي ملأت المنازل والمكتبات، والتي صار همُّ طالب العلم الجاد الراغب تقليبها ومعرفة أسمائها.

٥ ـ عاش المترجم منذ طفولته حتى آخر حياته في بيت غنى وسعة من العيش، فليس بحاجة إلى البحث عن مصدر رزقه، فقد هيأه الله له ويسره عليه.

٦ ـ فقدان المترجم بصره عامل مهم في إعراضه عن الدنيا وإقباله بكليته على العلم، وفقدانه لهذه الحاسة المهمة سبب في عدم انشغاله

بفضول النظر مما عوضه في إعمال فكره في محفوظاته وفيما سمعه من مجالس الدرس.

كل هذه العوامل في حياة المترجم وكل هذه الأسباب صادفها فكر نيّر وعقل راجح وذكاء مفرط وهمة عالية ورغبة في العلم ملحة.

٧ ـ العلماء في بلاد نجد لهم الصدارة والمقام الكبير عند المسؤولين، ولهم الاحترام والتقدير أيضاً عند عامة المواطنين، وهذه ظاهرة كريمة تدل على تقدير العلم في أي متصف به، لا سيما إذا كان المتصف به من بيوت الشرف فهو نور على نور.

هذه عوامل حيّة وأسباب قوية مهَّدت لهذا المجدّ أن ينهب الوقت نهباً لتحصيل العلم الشريف والاتصاف بما يدعو إليه هذا العلم فصار يتعلم ويتمثله في نفسه، حتى صار منه الشيخ محمد بن إبراهيم الذي إذا ذكر ذكر مع العلم الواسع والعقل الكبير والدين المتين والعدل المستقيم والخلق القويم، أكتب هذا وأنا على ثقة تامة أنني سأجد كل من سمعه أو عرفه يؤيد ما أقول.

* بلغ المترجم مستواه العلمي وعمه عبد الله بن عبد اللطيف زعيم الدعوة السلفية الإصلاحية حي قائم بأعماله ومسؤولياته، فلما توفي عمه الشيخ عبد الله عام (١٣٣٩هـ) شعر المترجم أن الحمل الثقيل قد تحول عليه، وأن المسؤوليات الجسام قد أسندت إليه، إلَّا أنها مسؤوليات لم تصل في جسامتها وخطورتها وفداحة أمرها إلى المسؤوليات التي نشأت بعد أن تطورت أعمال الدولة وكثرت دوائرها، واتسعت دوائر التعليم فيها، وإنما هي استثناءات على تعيين قضاة أو أخذ الحكم في استفتاء أو اطلاع على أمور تتصل بالحكم الشرعي ونحو ذلك.

ولذا فإن المترجم جلس في مكان عمه في الدروس والتوجيه والإرشاد، فصار وقته كله للعلم والتعليم ـ بدون تفصيل أو إطالة ـ فلا

ينقطع عن الدرس إلا للأشغال المنزلية الضرورية، وصار الطلاب يجتمعون إليه ويتفرقون عنه أفواجاً، فهم فوج بعد فوج، ويقرؤون عليه بحسب مستوياتهم العلمية في المتون الصغار والمتوسطات فالمطولات وذلك في التوحيد والعقيدة والتفسير والحديث وأصوله والفقه وأصوله والفرائض وحسابها والنحو والسيرة والتاريخ وكلها من كتب السلف.

وهو يسمع كل ذلك ويشرح ويعلّق، وما أشكل بحَثَه مع طلابه، فإن لم يجد له حلّاً، راجع هو وأخوه الشيخ عبد اللطيف هذه المسائل في مكتبة المنزل.

ومضى على هذه الطريقة وسار على هذا المنوال من عام (١٣٤٠هـ) إلى عام (١٣٧٠هـ) فهذه ثلاثون عاماً وهي تتلى عليه هذه الكتب المختارة وتلك الأسفار الممتازة، وهو مصغٍ إليها إصغاء العالم المفكر، فما علمه من قَبْل فتلاوته تذكير، وما جدَّ عليه فهو استفادة وتبصير.

وبهذا بلغ من المستوى العلمي مبلغاً كبيراً وحاز قصبات السبق في ميدانه.

فلما تم العِقْد السابع من القرن الرابع عشر الهجري إذا بالبلاد السعودية قد أمدها الله بخزائن الأرض وصارت المصدِّرة للنفط الذي هو روح الحضارة بجميع أعمالها، وإذا بها تكون قِبلة للعالم في دنياها، كما كانت قبلتها في دينها.

وإذا بها تتصل بالعالم، ويأتي إليها وفود العلماء وأفواج المدرسين، وتحمل إليها الكتب من كل مكان، وتؤسس فيها أولى الجامعات، وهكذا كان الشيخ محمد بن إبراهيم يقابل هؤلاء وهؤلاء، ويبحث مع هؤلاء وهؤلاء، وإذا به عَلَم البلاد البارز، وعالمها المطلع، وباحثها المستفيض، وجمالها الناصع.

فهو العالم الذي لا يُبَارى، وهو الباحث الذي لا ينهزم، وهو

اللبق الذي لا يخدش جليساً، وهو الفطن الذي لا يخدع، وهو الحذر الذي لا يتسرع، فملأ فراغاً في هذا الباب لا يسده غيره، وسد ثغراً لا يكفيه سواه على أنه شخص واحد ولكن في ثوبه أشخاص، فصار هو العالم الذي أعده الله تعالى لهذا المكان في ذلك الزمان ولله في خلقه أسرار.

ومن ذلك التاريخ أخذت البلاد السعودية في التطور، وفتحت دور العلم وأنشئت المجمعات العلمية والثقافية والمجامع الفقهية، ونشطت الحركة الفكرية، يصاحب ذلك أفكار منحرفة ومبادئ مضلة، والبلاد انفتحت على غيرها واتصلت بالخارج، وأصبحت لا تعيش بعزلتها السابقة ولا بسلوكها الماضي.

بهذا أخذت البلاد في التطور ومسايرة ركب الحياة، وهذا التطور وتلك المسايرة لها خطورتها وفيها محاذيرها، فعلم الرجل الناصح لدينه وأمته أن الأمر بكل حمله الثقيل متعين عليه، فاستعان بالله تعالى على حمله، وقرب المخلصين من الرجال من يحسن فيهم الظن بالقوة والأمانة، فصار يسند كل عمل معين إلى من يناسبه من الرجال ليشاورهم في الأمر، فإذا عزم عليه نفذوه بقوة وأمانة وهو من وراء أعمالهم.

* ولنتناول أعماله واحداً بعد واحد على وجه الاختصار:

أولاً: في بداية العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري انفتحت البلاد على أمور في الحياة جديدة عشقتها العامة وصاروا يفرون من كل قديم لهم، حتى سرى ذلك في الشباب بدينهم، فنفروا منه وصاروا يرون المتدين والملتزم رجعيّاً متأخراً، وأعرضوا عن العلوم الشرعية وولعوا باللغات الأجنبية والعلوم الكونية والطبيعية، وهجروا العلوم الشرعية وأعرضوا عن القرآن.

فما كان منه إلَّا أن رفع الأمر وخطره إلى ولاة الأمر، فصدر الأمر

بفتح المعاهد العلمية في كل بلدة كبيرة تُدرَّس فيها العلوم الشرعية والعلوم العربية وما يساعد على ذلك من علوم الحياة، وأغروا الطلاب بالمكافآت والتشجيعات وجعل أخاه الشيخ عبد اللطيف نائباً عنه وهو المنفذ لها، أما هو فهو المشرف على أعمالها ودراستها، فلما أن تخرج الأوائل منهم فتح كلية الشريعة وكلية اللغة العربية.

واختاروا المدرسين الأكفاء من الداخل والخارج، وصار المترجم هو العين الساهرة عليهم.

فنفع الله بهذه المعاهد والكليات، وخرَّجت العلماء الكبار المتمسكين بدينهم وعقيدتهم، فهم الآن القضاة، وهم المدرسون، وهم رجال الأعمال.

ثانياً: كانت المحاكم في المنطقة الغربية وأمها مكة المكرمة منتظمة والإجراءات الشرعية والإدارية سارية فيها على المنهج الذي هي عليه اليوم.

أما نجد فهي باقية على الطريق الأولى بالبساطة في إجراءاتها كسائر أعمالها، فالقضاة يحكمون في المساجد وفي بيوتهم وفي الطريق، وكانت القضايا ينهى أكثرها شفهياً من القاضي للخصوم، ثم إن ولاة الأمور بمشورته وتنفيذه رأوا فتح المحاكم في بلدان نجد أسوة ببلدان المنطقة الغربية، ففتحت المحاكم وسارت على الترتيب الوضعي الحالي من ضبط القضايا وتسجيلها، وإخراج الصكوك فيها.

وكان قضاء المنطقة الغربية ومحاكمها تحت رئاسة الشيخ عبد الله بن حسن، فلما توفي عام (١٣٧٦هـ) وُحِّدت المحاكم وأنشئ مجلس القضاء الأعلى، للإشراف على أعمالهم وتعيينهم وترفيعهم وإحالتهم على التقاعد وغير ذلك، وصار المجلس تحت رئاسته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثاً: كانت الدعوة إلى الله ـ في بلدان المسلمين ـ شبه معطلة،

ونشر الإسلام ومبادئه مشلول، أما التنصير والدعوات المنحرفة من الشيوعية والبعثية فهي نشيطة وتُبْذَل في سبيلها الأموال الطائلة.

فرأى ولاة الأمر إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة هدفها تخريج الدعاة إلى الله تعالى، والأفضل أن يكون الدعاة من أهل تلك البلدان المحتاجة إلى الدعوة، ففتحت الجامعة المذكورة، وكان نظامها أن يكون خمسة وسبعون في المئة من البلاد الإسلامية وخمسة وعشرون من السعودية، ففتحت بمشورته وتنفيذه ورئاسته، وجعل النائب عنه فيها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فنفع الله بها في مجالها المقصود حتى الآن، وهي توالي نشاطها لتحقيق أهدافها.

رابعاً: بعد سبات عميق في العالم الإسلامي، وبعد انحراف في الشباب الذي كان سببه تضليل الإعلام المسموم ووسائله المأجورة، بعد هذا صار هناك شيء من الوعي من الغيورين على الإسلام، فصار هناك جمعيات في بعض البلاد الإسلامية، وصار عليهم قمع واضطهادٌ من أعداء الإسلام من حكومات وأحزاب، فاقترح قادة العالم الإسلامي وعلى رأسهم الملك فيصل آل سعود ـ رحمه الله تعالى ـ أن ينشئ رابطة العالم الإسلامي، وأن يكون مقرها مكة المكرمة، ولها مكاتب في بلدان العالم الإسلامي، فأنشئت رابطة العالم الإسلامي وتولى أمانتها الشيخ محمد سرور الصبان، وصار لها مجلس تأسيسي يرأسه المترجم الشيخ محمد بن إبراهيم.

وصار لها أعمال جليلة من جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم والتعاون معهم وتنشيط الدعوة الإسلامية، ومراعاة أحوال الأقليات الإسلامية في بلدان الخارج.

خامساً: أُسند إلى سماحته الإفتاء في المملكة العربية السعودية، فصار للفتوى دار ومجلس هو رئيسه، وعنده أعضاء لتحضير الفتاوى

والبحوث، سواء كان السؤال جاء من المقام السامي أو من الدوائر الحكومية أو من القضاة أو من الأفراد.

وقد جُمعت بعض هذه الفتاوى المحررة والمراسلات فبلغت ثلاثة عشر مجلداً.

سادساً: صار تعليم البنات من الأمور اللازمة، وصار له مسوغ من الشرع وفائدة دينية واجتماعية، وفيه عدالة بين الجنسين، فرأى ولاة الأمور أنه لا بد من تعليم البنات وإنشاء مدارس لهن تكون كافية وسادّة لحاجتهن.

ولكن الأمر فيه خطورة كبيرة، ويخشى أن يكون له عواقب وخيمة، فأسند الأمر في مدارسهن إليه، فقام بالأمر، وأناب عنه في ذلك الشيخ ناصر بن حمد الراشد، والشيخ ناصر نِعم الرجل في أمانته وقوته وحسن إدارته ومحافظته عليها، فتم من ذلك ما أراد ولاة الأمور، وسار تعليم البنات من ذلك الحين، وحتى اليوم على وجه مرضي من حيث الفائدة، ومن حيث الحشمة، ومن حيث المحافظة، وقد أخذت المرأة نصيبها الأكبر من التعليم، واستفاد المجتمع من تعليمها وبقيت ـ ولله الحمد ـ محافظة محتشمة مصونة.

سابعاً: هو مرجع البلاد في جميع شؤونها الدينية والإسلامية، فهو المرجع في دقيق هذه الأمور وجليلها، وهو ركن مكين عند ولاة الأمور، عليه المعتمد في كل ما يشكل عليهم، وهو المرضيُّ عند العامة.

وهو في كل ذلك الرجل الذي يسير إلى الله تعالى على نهج سليم مستقيم، فلا جمود ولا انغلاق، ولا وقوف في وجه التطور السليم المحمود، ولا هو ذلك الإمّعة المندفع وراء كل ناعق، وإنما يسير بنفسه ويُسَيّر أموره بخطا ثابتة ومتزنة.

وهو يكره الشاذ من الأقوال والخروج عن المنهج الذي عليه سلفه، ويحب الاعتدال في الأمور وعدم المخالفة فيما عليه جمهور

المسلمين، وما سلك عليه أسلافهم مما له مستند من الشرع.

وبجانب دار الإفتاء فإنه صدر أمر ملكي بافتتاح مكتب للدعوة مهمته بعث الدعاة إلى الله تعالى في العالم الخارجي، فصار تحت إشراف سماحة المفتي وتوجيهه، ومهمته الدعوة إلى الله تعالى ونشر دينه، على موجب توحيد الله تعالى والعقيدة السلفية السليمة من الخرافة والبدع والتصوف، فكان لهذه الدعوة فروع في كل بلد إسلامي، وصار لها تنسيق مع فروع رابطة العالم الإسلامي، وصار لهذه المكاتب أمرها الكبير في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة.

تلاميذه:

إن المترجَم هو شيخ أفواج بعد أفواج من الطلاب، ذلك أن مدينة الرياض هي المناخ المناسب لطلاب العلم قبل أن تتيسر سبل المعيشة، فالطلاب يجدون في الرياض المسكن، كما يجدون فيها ما يقوم بكفايتهم من المؤنة، ولكن التاريخ لم يحفظ لنا إلَّا هؤلاء الذين سنذكرهم على حسب حروف الهجاء، وأغلبهم من القضاة، ولكننا لن نتعرض لذكر أعمالهم، وقد قدَّمنا ذكر عالمين في البداية، لما لهما من أثر كبير في نفع المسلمين:

١ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.
٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
٣ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان آل مبارك.
٤ ـ الشيخ حسن بن عبد اللطيف آل مانع.
٥ ـ الشيخ حمد بن محمد بن جاسر.
٦ ـ الشيخ حمد بن محمد بن فريان.
٧ ـ الشيخ حمود العقلاء.
٨ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض.

٩ ـ الشيخ سعود بن محمد بن رشود.
١٠ ـ الشيخ سعد بن عبد العزيز بن رويشد.
١١ ـ الشيخ سعد بن غرير.
١٢ ـ الشيخ سعد بن محمد بن مبارك.
١٣ ـ الشيخ سليمان بن عبيد.
١٤ ـ الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.
١٥ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
١٦ ـ الشيخ صالح بن علي بن غصون.
١٧ ـ الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان.
١٨ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سحمان.
١٩ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد القاضي.
٢٠ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد.
٢١ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد الفضلي.
٢٢ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ.
٢٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فارس.
٢٤ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فريان.
٢٥ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن هويمل.
٢٦ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ.
٢٧ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم.
٢٨ ـ الشيخ عبد العزيز أبو عباه.
٢٩ ـ الشيخ عبد العزيز بن زاحم.
٣٠ ـ الشيخ عبد العزيز بن شلهوب.
٣١ ـ الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد.
٣٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ.
٣٣ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٣٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن مرشد.
٣٥ ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.
٣٦ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري.
٣٧ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين.
٣٨ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن فريان.
٣٩ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.
٤٠ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حملان.
٤١ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري.
٤٢ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع.
٤٣ ـ الشيخ عبد الله بن عجيان.
٤٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد أبا بطين.
٤٥ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي.
٤٦ ـ الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش.
٤٧ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل.
٤٨ ـ الشيخ عبد الله بن عمر آل الشيخ.
٤٩ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ.
٥٠ ـ الشيخ علي بن حمد الصالحي.
٥١ ـ الشيخ عمر بن عبد العزيز أبا بطين.
٥٢ ـ الشيخ عمر بن مترك.
٥٣ ـ الشيخ فالح بن مهدي الدوسري.
٥٤ ـ الشيخ فهد بن حَميْن.
٥٥ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم.
٥٦ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي.
٥٧ ـ الشيخ محمد بن جار الله.
٥٨ ـ الشيخ محمد بن حمد بن فارس.

٥٩ ـ الشيخ محمد بن صالح السحيباني.
٦٠ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة.
٦١ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عتيق.
٦٢ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل.
٦٣ ـ الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين.
٦٤ ـ الشيخ محمد بن مهيزع.
٦٥ ـ الأمير مساعد بن عبد الرحمٰن آل سعود.
٦٦ ـ الشيخ مقبل بن حمود العصيمي.
٦٧ ـ الشيخ ناصر الحناكي.

هذا ما عثرنا عليه، والذي فاتنا أكثر منهم، فهو أستاذ أجيال وشيخ المسلمين رحمه الله ورحمهم أجمعين آمين.

ما قاله عنه العلماء والمفكرون:

قال معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ:

ونحن حينما فقدنا سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم نجد أنفسنا بشبه الدوامة الحائرة من الأسف والأسى، فالفقيد شخصية علمية لامعة، فحياته كانت جهاداً متلاحقاً في سبيل العلم والتعليم، وكانت أبرز صفاته بعد علمه الواسع عقله الكبير، فالفقيد يتحلى بعقل راجح يحجزه من الاندفاع والتسرع. اهـ.

وقال معالي الشيخ محمد سرور الصبان:

وفقيدنا العظيم من أولئك الأعلام الذين أدوا للدِّين رسالته وللعلم أمانته، وللتشريع الإسلامي هدفه وغايته، فلقد عرفت الفقيد في سماء رابطة العالم الإسلامي رئيساً لمجلسها التأسيسي، فعرفت الرجل الكريم في سيرته وسريرته، الحكيم في رئاسته فهو الواسع الأفق في تصريف مهام الرئاسة بحكمته، العالم بجسام الأمور وعظامها. اهـ.

وقال معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي:

يُفقد الرجال بقدر ما قدموا من أعمال لأمتهم، وتخلد أسماؤهم في التاريخ وإن ماتوا، ولم يعهد أن الناس تألموا لفقد إنسان جهد لنفع نفسه، بل كانوا يتألمون ويفقدون من يعيشون للناس ولمجتمعاتهم، فهم لا يزالون يعيشون مع الناس ولو مضى عليهم قرون، والفقيد من هذا النوع عاش حياته لدينه وأمته. اهـ.

وقال فضيلة الشيخ حمد آل فريان:

إن وفاة فقيد المسلمين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم قد أبكت العيون وأحزنت القلوب، لأنها مصيبة كبيرة وخطب جلل، فإن المصيبة تكبر حينما يكبر ويعظم صاحبها، وأي خسارة وأي مصيبة أعظم من فقده.

وكلنا يعلم تبحره في العلوم ورجاحة عقله وحسن تصرفه، وفوق ذلك كان رَحِمَهُ اللَّهُ أباً رحيماً ومعلماً حكيماً. اهـ.

ويطول بنا البحث لو رحنا ننقل مقتطفات من كل ما قيل فيه، فقد خصصت أعداد من بعض المجلات والصحف عنه وعن حياته وسيرته وأعماله.

رحمه الله رحمة الأبرار وحشره مع المصطفين الأخيار.

وفـاته:

وما زال يؤدي أعماله الكبيرة ومهامه الثقيلة، وما زال هو المرجع الأول في شؤون البلاد الإسلامية، وهو الواسطة بين الحكومة ورجال العلم في البلاد، وما زال هو المشرف والموجه لسير الدراسات والتعاليم الدينية والإسلامية والمراقب عليها.

وما زال هو الحارس الفطن على العقيدة السلفية، فلا تمس من أفراد ولا من وسائل إعلام.

وما زال هو الذي يسيّر دفة القضاء ويشرف على مناهجه، وهو

المطلع على أحوال القضاة والمرجع إليه في أعمالهم، وبالجملة فهو الرجل الذي ارتضته الدولة لتكون كلمته الفاصلة في أمور دينها، وهو الذي ارتضاه الشعب ليكون قوله الفصل في أمور دينها.

وما زال كذلك في أوج عزه وعلو شرفه ومكانته الكبرى ومنزلته العليا، حتى وافاه أجله لا من شيخوخة مقعدة ولا من أمراض طويلة مضنية، وإنما هو مرض عضال بسبب تليف الكبد، لم يمهله إلَّا فترة غير طويلة حتى قضى نحبه في ٢٤/٩/١٣٨٩هـ والبلاد في أمسّ الحاجة إليه في قوته في الحق وصلابته في وجه الانحراف واعتداله في السلوك، وحمايته للعقيدة وإشرافه على أعمال الدولة لئلا تصادم - من غير قصد - الأحكام الشرعية، وهو السند - بعد الله - لأبنائه من أهل العلم فلا تهضم حقوقهم ولا تمس كرامتهم.

وما إن بلغت وفاته المسؤولين والمواطنين حتى أصاب الناس ذهول من هول المصيبة وجسامة الخسارة، وصُلِّي عليه بالجامع الكبير بعد صلاة العصر بإمامة الشيخ عبد العزيز بن باز، وحضر حشد من الخلق كبير من العلماء والأمراء والأعيان وعامة الناس، وعلى رأس الجميع الملك فيصل بن عبد العزيز الذي حضر الصلاة وشيع الجنازة وحضر الدفن، وجاء إلى دار الفقيد وأبدى أسفه الشديد على وفاة الشيخ، وظهر عليه التأثر وأثنى عليه، وذكر خسارة البلاد بفقده، وعزّى أبناءه والحاضرين من أسرته (آل الشيخ).

ودفن الفقيد في مقبرة العود بجمعٍ حاشدٍ أخذ يعزّي بعضه بعضاً، شاعرين بعظم الخسارة وجسامتها، وأنه قد ترك فراغاً واسعاً لا يسد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والمصيبة وهولها لم تصدم الحاضرين وحدهم، بل تعدت ذلك إلى أقصى البلاد السعودية، فكلهم شعروا بمرارة الألم وشدة المصيبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عقبه:

خلّف المترجم أربعة أبناء كرامٍ، هم:

١ ـ معالي الشيخ عبد العزيز صار في عدة مناصب رفيعة، وهو الآن مستشار في الديوان الملكي.

٢ ـ معالي الشيخ إبراهيم صار في عدة مناصب رفيعة آخرها صار وزيراً للعدل، وأحيل منه على التقاعد لمرضه.

٣ ـ الشيخ أحمد من كبار رئاسة القضاة وبقي فيها فشكلت وزارة.

٤ ـ معالي الشيخ الدكتور عبد الله، وهو الآن وزير العدل.

غفر الله لوالدهم وبارك فيهم، وجعلهم خلفاً صالحاً لخير سلف.

والحقيقة أن الشعب هزته وفاته وأصيب أفراده جميعاً بالفزع لفقده ورأوا أنهم فقدوا شخصية كبيرة غالية من أعز أبناء البلاد عليها لا سيما أهل العلم الذين يرون فيه الوالد والشيخ والرئيس والمرجع، فقد اشتد عليهم الأمر ورجعوا إلى القول المأثور: إنا لله وإنا إليه راجعون، يرددونه بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره وصار الناس يعزي بعضهم بعضاً لاشتراكهم في المصيبة.

ومن المصادفات الغريبة أو من تقدير الله تعالى ذلك لعباده أن تكون الحكمة الصادرة في تقويم أم القرى يوم وفاته ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» فلعلها إلهام من الله تعالى ليسلي بها عباده في مصابهم الأليم.

ولا شك أن البلاد السعودية فقدت بموته شخصية كبيرة في علمها وعملها ومركزها ومقامها، ولذا فقد انهالت القصائد والكلمات في رثائه والتأسف والثناء عليه وتعديد مناقبه وأعماله وخصصت بعض المجلات والصحف أعداداً لمناسبة وفاته، ونختار من تلك المراثي الشعرية هذه القصيدة للدكتور محمد كامل الفقي:

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل ... فلتنفطر مهج ولتنهمر مقل
الراحلون قرون والردى شعب ... وأفجعُ الموت ما ماتت به الملل
والناس إن فقدوا بالموت رائدهم ... ساد على حلك ضلت به السبل
مَنْ للشريعة والأخلاق يحرسها ... أو يستطب لها إن لجت العلل
وا لهفتاه على الدنيا وبهجتها ... وهن يراع لها من فقده أجل
لا تحسبوا الناس أحياء إذا يتموا ... سيان إن غيبوا أو غيب الرجل
في كل بيت نحيب من فجيعته ... وبالمنابر في ترحاله شغل
والناس لو أنصفوا ما انفض مأتمهم ... بكاؤهم لمعين الرشد لو فعلوا
مَنْ رد كيداً عن البيضاء واعتصمت ... به فمنه لها ردء ومتكل
من ناصر السنّة الغراء محتفلاً ... فلم يحد عن سناها القول والعمل
أكبرت يومك والدنيا مشيعة ... بك الضياء وقد غامت بك الأصل
في موكب تزحم الأملاك ساحته ... للناس دمع وللأملاك محتفل
يا صاحب الحزم لم يعرض له وهن ... وثاقب الرأي يخزى دونه الجدل
كنت الشجاع الذي في اللّه غضبته ... وكل جرح بما داويت يندمل
قهرت أعداء دين اللّه فانخذلوا ... لهفي عليك فهل يضحوا لهم أمل
أنشأت للعلم دوراً في محافلها ... يرى الجحافل لا هانوا ولا خذلوا
من كل ماضٍ لنشد الحق ومضته ... وكل قاضٍ بثوب الطهر مشتمل
كواكب تفضح الأهواء طلعتها ... للّه ما قطعوا للّه ما وصلوا
إن الرفاق أجدوا البين وارتحلوا ... يا ليتنا إثرهم نمضي ونرتحل
ماذا بدنياك إلَّا أنها خدع ... وفي حياتك إلَّا أنها علل
والذكر عمر مديد والعظائم لا ... تفنى وفاز بدار الخلد من عملوا

فرحمه الله تعالى رحمة الأبرار على ما قدَّمه لدينه ولبلاده وللمسلمين.

من أفذاذنا العلماء:
الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

بقلم تلميذه وخرّيج مدرسته معالي شيخنا العلّامة الفقيه:
عبد الله بن سليمان بن منيع ـ حفظه الله ورعاه ـ

لا شك أن لمعرفة التاريخ ورجال التاريخ فوائد وثمار لا يدركها تمام الإدراك إلا من عرف كيف يبتدئ مما انتهى إليه الناس ليأخذ من التجارب ومن العبر والعظات أنفع درس وأعلى تربية. وحينما نروم في هذا البحث الحديث عن فذ من أفذاذنا ورجل من رجال العلم والتقى والصلاح ورحابة الأفق ذلكم هو شيخ الجيل الحاضر من العلماء وباعث النهضة العلمية في علوم الشريعة وعلوم اللغة وعلوم الاجتماع مجدد القرن الرابع عشر الهجري سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة تنتهي به إلى جنات عدن في أعلى عليين، حينما نروم الحديث عن حياة سماحته وجوانب كفاحه في سبيل المساهمة في إرساء قواعد الشريعة الإسلامية ونشر علومها وتكثيف أهلها من عالمين ومتعلمين؛ فإنما نحاول إعطاء هذا البحر من العلوم وهذا الجبل في الثبات وهذا المجاهد الصابر في سبيل مصلحة هذه البلاد ما يعتبر جزءاً من الاعتراف بفضله ومساعيه المشكورة في كلٍّ أعماله العلمية والقضائية والتعليمية والإصلاحات الاجتماعية، وأن نذكر سيرته لنشء جديد يتفيأ الآن ظلال أعماله ومساعيه ولنذكّر أبناءه وأحفاده وتلاميذه بسيرته العطرة لعلّ في هذا التذكير ما يحفز الهمم إلى اقتفاء أثره في العلم والعمل.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية.

فمن هو الشيخ محمد بن إبراهيم؟:

هو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن المصلح المجدد والمجاهد في الله حق جهاده الشيخ الجليل محمد بن عبد الوهاب، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

فهو عالم من عالم من عالم وفقيه من فقيه من فقيه وزعيم من زعيم من زعيم، توارث آباؤه وأجداده الصدارة في العلم والوجاهة والقيادة والاعتبار، فأبوه الشيخ إبراهيم قاضي منطقة الرياض له مكانته الاجتماعية في أهلها وعند حكامها وجده الشيخ عبد اللطيف يقصر البيان عن وصفه علماً وجهاداً ومرجعاً، وجده الشيخ عبد الرحمٰن لا يستطيع قلم من لم يعاصره أن يعطيه حقه في سعة العلم ورجاحة العقل ورفعة المكانة، أما أخواله وأجداده من جهة الأم فهم أسرة الهلالات من أرقى بيوت عرقة وجاهة ومكانة واعتباراً.

وأستميح سماحة أخي وصديقي الزميل الكريم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام لأقتبس من ترجمته لشيخنا محمد ما يتعلق بنشأته العلمية وتعلمه وتعليمه ومشايخه وطلابه مع إضافة ما أراه تكميلاً أو تصحيحاً بصفتي عملت مع سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ قرابة اثنتي عشرة سنة في دار الإفتاء بالرياض.

ولد في مدينة الرياض في اليوم السابع عشر من شهر محرم سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف من الهجرة. وكان مولده في بيت علم وفضل وزعامة دينية، فنشأ على عادة أهله وآبائه محبّاً للعلم طموحاً إلى الفضل، وكان والده العلامة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف يومئذٍ هو قاضي مدينة الرياض.

فهو من أكابر علماء نجد ومشاهيرهم، فاحتذى الابن سنّة أبيه فمن

حين بلغ السابعة من عمره شرع يتعلم القرآن الكريم في كُتَّاب للمقرئ عبد الرحمٰن بن مفيريج، فأتم قراءته وإجادته ثم شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب فما بلغ الحادية عشر حتى أتمه حفظاً.

ثم شرع في طلب العلم فأخذ في القراءة على أبيه وعلى عمه علَّامة نجد في زمنه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وقراءته الأولى في التوحيد وأصول العقيدة قراءة حفظ وتفهم، ثم قرأ مختصرات كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومختصرات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم كالواسطية والحموية وكذلك عني بمختصرات النحو والفرائض كالآجرومية والرحبية.

وكف بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره[1] فصبر واحتسب ولم يثن عزمه وتصميمه في طلب العلم فقد زاد هيامه في تحصيله وقضى أيام حياته في إدراكه، فشرع في القراءة على علماء الرياض زيادة على القراءة على عمه وأبيه، فشرع في قراءة التفسير والحديث وأصولهما على الشيخ سعد بن عتيق، وفي النحو وعلوم العربية على الشيخ حمد بن فارس وفي المطولات من كتب الفرائض على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود فأدرك في كل هذه العلوم إدراكاً جيداً ـ وذكر لنا رَحِمَهُ اللَّهُ أن من مشايخه الشيخ عبد الله بن عمار ـ.

وتوفي والده عام (١٣٢٩هـ) فصار لإخوته الصغار كالأب في الحنو والشفقة وجعل من أخيه الشيخ عبد اللطيف مرافقاً له في الذهاب والإياب ومعيناً له في تحضير المسائل وإعداد الدروس فاستفاد كلٌّ منهما من أخيه، ولم يزل على حاله في الاشتغال بالعلم وصرف جميع أوقاته في تحصيله حتى أدرك في زمن قصير ما لم يدركه الكبار في

---

(١) الصحيح أن بصره كف وهو في السابعة عشرة من عمره؛ حيث حدثنا سماحته عن نفسه بذلك.

الزمن الطويل وصار عين تلاميذ عمه العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

ولما مرض عمه وثقل عليه المرض دل جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود على ابن أخيه المترجم له وأشار له إلى علمه وعقله وبعد نظره وحسن إدراكه، فلما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كان المترجم له قد بلغ أشده وارتقت مداركه واتسعت معلوماته وعلا ذكره وذاع صيته فخلف عمه في الزعامة الدينية والرياسة العلمية وتولى ما كان يقوم به عمه من التدريس والإفتاء وإمامة الجامع والخطابة والتصدر في مجالس العلم، فالتف حوله الطلاب وشرعوا في القراءة عليه والاستفادة منه، كما أن جلالة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ رأى فيه الكفاية والسداد ليكون مستشاراً شرعيّاً له في تولية القضاء وإبداء الرأي في الأمور الشرعية، ولقد كان من أكبر المساهمين في دحض شبه غلاة البادية فرد شبههم وأبطل حججهم وبيّن طريق الحق والرشاد. ولقد قام بهذه الوظائف الدينية والعلمية أحسن قيام وأتمه لا سيما الدروس، فإنه شغل جلَّ وقته في تعليمه وتلقينه لطلابه على اختلاف مراتبهم وتباعد درجاتهم. فكان يجلس في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الذي هو في حي دخنة بعد صلاة الصبح لصغار الطلاب فيدرسون عليه مبادئ النحو في الآجرومية ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر ثم يأتي بعدهم الكبار بالألفية وكل واحد من هذه الطوائف الثلاث يعطيه ما يناسبه من المسائل والبحث والدرس.

فإذا انتهت دروس النحو شرع في دروس الفقه فأخذ الطلاب يقرؤون عليه ـ مختصر المقنع ـ عن ظهر قلب، ثم يشرع في شرحه وبيان معانيه ثم يعيدون الدرس بعد شرحه بقراءة أحدهم واستماع الباقين وهو يقاطع القارئ بشرح جمله وتعليل أحكامه وإلحاق فائدة لما هو عليه من سعة في الفقه وجودة استحضار وغزارة مادة فلا ينتهون من هذه القراءة

إلا وقد أشبع رغبات الطلاب بما أزاح من الإشكالات وأوضح من المعاني وصوَّر من المسائل وزاد من الفوائد. وبعد انتهائهم من درس الفقه يشرعون في درس الحديث، والكتاب المفضل لديه لتدريس أصحابه هو كتاب «بلوغ المرام» لمطابقته لكتب الأحكام وسيره معها فهو دليلها ومستمد أحكامها ومستند تفريعها فيوضح ألفاظه ويبين أحكامه ويبرز فوائده.

وكل ما تقدم من دروس النحو ودروس الفقه ودروس الحديث في جلسة واحدة من جلساته والتلاميذ على حلقته الكبيرة ما بين وارد وصادر وهو في مجلسه كالنبع الصافي والمورد العذب الذي لا ينضب على كثرة الواردين وازدحام الناهلين. ثم يذهب إلى بيته فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجاته الضرورية، ثم يعود إلى مجلسه في المسجد فيأتيه كبار الطلاب ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار والمراجع الضخام ثم يعود إلى بيته ويستريح فيه حتى تحين صلاة الظهر، وبعد الفراغ من الصلاة يقام الدرس بحضور كبار التلاميذ وصغارهم بأحد الأمهات الست. وبعد الفراغ منها يقرأ عليه الطلاب في كتب العقيدة ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب غيرهما في عقائد السلف ويستمر الدرس حتى صلاة العصر وبعد الصلاة إلى قرب المغرب وهو في جلسة واحدة لاستقبال الطلاب فوجاً بعد الآخر وهم ما بين كتب التوحيد أو الحديث أو الفقه أو النحو، وبعد صلاة المغرب يخصص وقته لعلم الفرائض، فإذا قرب العشاء شرع في درسٍ عام فقرأ عليه القارئ «تفسير ابن كثير» وهو يعلّق على التفسير والآيات الكريمات بما يرى الحاجة تدعو إلى ذكره وإلحاقه حتى الساعة الثانية والنصف ليلاً بالتوقيت الغروبي. وهكذا قد فرغ كلّ أوقاته وصرف جميع حالاته في خدمة العلم وتحصيله ونشره.

ومن هذا الإقبال العظيم على العلم والانصراف إلى مراجعته

وتدريس وسماع هذه الكتب النافعة والأسفار المفيدة تدرك السر في سعة علمه وكثرة تحصيله ومدى اطلاعه فإنه لبث على هذه الحال منذ توفي عمه عام (١٣٣٩هـ) حتى عام (١٣٨٢هـ) حينما أسندت إليه كبار الأعمال وتعددت مسؤولياته وكثرت مشاغله. كما أن هذه الهمة الكبيرة في العلم والرغبة الملحة في نشره وتعليمه صار لها أثر كبير في حياته فقد نبغ على يديه كبار العلماء وتخرجت عليه أفواج لا تحصى من طلاب العلم. والذين نعرفهم من تلاميذه الكبار النابهين هم:

١ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة[١].

٢ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس الإشراف الديني بالمسجد الحرام[٢].

٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم صاحب المؤلفات وجامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي الداعية الإسلامي في جنوب المملكة العربية السعودية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيس هيئة التمييز[٣].

٦ ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رئيس المعاهد والكليات رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز وهما أخوان ـ رحمهما الله ـ.

---

(١) ثم الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد أمدّ الله في عمره.

(٢) ثم رئيس المجلس الأعلى للقضاء إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) بالرياض سابقاً.

٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ رئيس المعاهد والكليات بعد عمه[١].

٩ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ رئيس الدعوة والإرشاد والإفتاء والبحوث[٢] وهما ابناه.

١٠ ـ الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة[٣].

١١ ـ الشيخ عبد الله بن دهيش رئيس المحكمة الكبرى بمكة سابقاً رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري رئيس ديوان المظالم[٤].

١٣ ـ الشيخ محمد بن هليل عضو ديوان المظالم[٥].

١٤ ـ الشيخ حمد الجاسر صاحب المؤلفات ومؤسس دار اليمامة للطباعة والنشر.

١٥ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل قاضي محكمة أبها سابقاً رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ وزير المعارف سابقاً.

١٧ ـ الشيخ حمد بن محمد بن فريان وكيل وزارة العدل.

١٨ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن فريان الواعظ المشهور[٦].

١٩ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خنين، المستشار بالديوان الملكي.

٢٠ ـ الشيخ زيد بن فياض، المدرس بكلية أصول الدين.

٢١ ـ الشيخ سعود بن رشود رئيس محكمة الرياض سابقاً رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) ثم الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة.
(٢) ثم وزير العدل.
(٣) ثم الرئيس العام للحرمين الشريفين.
(٤) سابقاً.
(٥) سابقاً رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٦) ورئيس جماعة تحفيظ القرآن الكريم بالرياض.

٢٢ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فارس، القاضي بمحكمة التمييز بالرياض وممن درس على سماحته في حلقات الدرس.

وأضيف إلى مَنْ ذكرهم الشيخ عبد الله من يلي:

١ ـ الأمير مساعد بن عبد الرحمٰن رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ الشيخ محمد البواردي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ ـ عبد الله بن محمد أبو بطين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ عبد العزيز أبو عباة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن تتلمذ على سماحته في ميدان العمل:

١ ـ الشيخ عبد الله بن عقيل.

٢ ـ الشيخ محمد بن عودة[١].

٣ ـ الشيخ عمر المترك رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ الشيخ عبد الملك بن عمر[٢].

٥ ـ الشيخ عبد الله بن غديان[٣].

٦ ـ الشيخ صالح بن لحيدان[٤].

٧ ـ كاتب هذه الترجمة عبد الله بن سليمان بن منيع، وَلي إجازة وشهادة من سماحته أورد نصها فيما يلي:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد فبناءً على رغبة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع في مواصلة

---

(١) الرئيس العام لتعليم البنات ـ سابقاً ـ.

(٢) عضو إفتاء.

(٣) عضو الإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء.

(٤) رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

دراسته في أحد المعاهد العالية للتخصص في الفقه الإسلامي، وحيث إن شهادته الجامعية من كلية اللغة العربية ويخشى ألا تكون كافية لتبرير التحاقه بما يرغبه في أحد المعاهد العالية، وحيث إن اختيارنا قد وقع عليه ضمن من اخترنا لعضوية دار الإفتاء وقد كان التحاقه بها عضواً في مستهل عام (١٣٧٨هـ). وقد كان منذ تعيينه عضواً في الإفتاء حتى الآن وهو يقوم بتحضير البحوث الشرعية في العقائد والعبادات والمعاملات والجنايات والأقارير وغيرها «ويعد بها الفتاوى اللازمة تحت إشرافنا وتوجيهنا وقد اكتسب بحكم عمله هذا تحصيلاً علمياً في القضايا الشرعية يفوق ما يتحصل عليه حاملو الشهادات العالية من كلية الشريعة، وفضلاً عن هذا فإن في منهاجي كليتي الشريعة واللغة العربية تقارباً يعطي حملة شهادة كلية اللغة العربية التحصيل الشرعي المقارب لما يتحصل عليه حملة شهادة كلية الشريعة» لهذا كان منا تعيين بعض المبرزين من كلية اللغة العربية في مناصب قضائية «وبناءً على ما ذكر واستجابة لرغبة الشيخ المذكور إعطاءه شهادة منا بأن تحصيله الشرعي الآن في الفقه الإسلامي وأصوله يفوق ما يتحصل عليه حملة شهادة كلية الشريعة ولتكون هذه الشهادة مسوغاً له في دخول ما يختاره من المعاهد العالية» فقد جرى منا تحرير هذه الشهادة. قال ذلك وأملاه الفقير إلى ربه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٣٨٤/٦/١هـ

الختم

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف

وغير هؤلاء كثير ممن لا أستطيع الحصول على أسمائهم لأن المذكور هو شيخ الوقت ومرجع العلماء ومقصد الطلاب فقد تجشموا الأسفار الطويلة للأخذ عنه والاستفادة. اهـ منه.

أعماله:

بعد وفاة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٣٩هـ) انتقلت الزعامة الدينية إلى سماحة شيخنا الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، إلا أن عمله الرسمي حتى اكتمال توحيد المملكة العربية السعودية لم يتجاوز الاستشارة فيمن يصلح قاضياً أو إماماً في جامع لحاضرة أو بادية مع تقديم الفتوى فيما يرغب الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستفتاء فيه أو الاستشارة فيه مما له علاقة بالشؤون الدينية، فانصرف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التعليم والتدريس شاغلاً كل أوقاته بذلك. ثم توسعت دائرة استشارته رَحِمَهُ اللَّهُ من الملك عبد العزيز حتى وكل إليه أمر اختبار القضاة وتكليفهم بالقضاء، وتولى أمور تنقلاتهم وشؤون أعمالهم وذلك فيما يتعلق بالقضاء في المنطقتين؛ المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية.

وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتبادل مع الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الشعور بضرورة العمل على إيجاد معهد علمي يتخرج فيه من يختار للقضاء نظراً لتطور الوسائل التعليمية بعد انتشار المدارس الابتدائية والثانوية ونشأة أول كلية علمية للشريعة في مكة المكرمة. ثم انتهى تبادل الرأي وتداوله بين الملك عبد العزيز وسماحة شيخنا إلى الأمر بافتتاح معهد علمي في الرياض يختار للدراسة فيه مجموعة من طلاب العلم ومنهم طلاب شيخنا في جامعه في دخنة، ويختار للتدريس فيه مجموعة من كبار العلماء داخل المملكة وخارجها، ووكل أمر رئاسة هذا المعهد إلى سماحته.

ثم توسعت الدائرة العلمية فافتتحت مجموعة من المعاهد الفرعية لهذا المعهد في مجموعة من مدن المملكة، ثم افتتحت كلية الشريعة ثم تلتها كلية اللغة العربية، وصار رَحِمَهُ اللَّهُ يولي هذا النوع من التعليم من جهده ونشاطه الشيء الكثير، مما جعل هذه المؤسسة العلمية من أنفع المؤسسات العلمية للدولة، فلقد أمنت لها القضاة والمدرسين والإداريين والمستشارين والعلماء المبرزين في ميادين العلوم الشرعية، حيث انتشرت التحقيقات والمؤلفات العلمية.

ورأى رَحِمَهُ اللَّهُ بثاقب بصره أن القضاء في حاجة إلى المزيد من التركيز والتأهيل، فاستصدر أمر ولي الأمر بافتتاح معهد عالٍ للقضاء لتخريج القضاة فافتتح وآتى أكله.

ثم رأى رَحِمَهُ اللَّهُ أن التوعية الإسلامية وتبصير الناس أمور دينهم ودنياهم ليس محصوراً في المؤسسات التعليمية ولا في الدراسات التقليدية وإنما للصحافة سهم وافر في الإسهام في ذلك، فاستصدر رَحِمَهُ اللَّهُ أمراً من ولي الأمر بإيجاد مؤسسة صحفية إسلامية تصدر عنها مجلة أسبوعية تأخذ دورها في التوجيه والبيان والإيضاح والرد على ما فيه مخالفة لمقتضيات شرعية في الاعتقاد والعمل، فتم تأسيس هذه المؤسسة وأسند مجلس إدارتها إلى مجموعة من أهل العلم والصلاح والوجاهة، فصدر عن هذه المؤسسة مجلة باسم الدعوة ولا تزال هذه المؤسسة تزاول عملها بإصدار مجلة الدعوة كل أسبوع، وقد تلاشى أمل الكثير ممن كانوا يعقدون عليها أهمية كبرى في تضلعها برسالتها التي كان يريدها لها سماحة منشئها، حيث مضى عليها أكثر من عشرين عاماً ونتائجها محدودة وأعمالها تقصر دون الأمل منها.

وغني عن البيان أن المعهد العلمي الذي قام بتأسيسه سماحة شيخنا وتطور في عهده تطوراً كبيراً تفرع عنه العديد من المعاهد العلمية وصار تمهيداً لتأسيس كليات علمية تستمد قوتها من هذه المعاهد، وغني عن البيان أن هذه المؤسسة العلمية قد تحولت الآن إلى جامعة قوية ذات كيان ذائع الصيت في المحافل العلمية العالمية هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

على أن هذا لا يعني اقتصار سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الصنف من الرئاسة العلمية، فلقد أسند لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ الإشراف العام على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة والإشراف العام على تعليم البنات في عموم المملكة، فكان لتوجيهاته وترتيباته الأثر الجلي في تمكن هذا النوع من التعليم لا سيما ما يتعلق بتعليم البنات، فقد استطاع رَحِمَهُ اللَّهُ أن يتوصل إلى

طريقة فريدة رائدة في مجال تعليم النساء تعليماً لا يترتب عليه اختلاط لا في الهيئة التعليمية نفسها ولا بين الهيئة التعليمية والقيادة العامة للتعليم.

وفي المجال القضائي فقد أسند أمر القضاء إدارياً في المنطقتين الوسطى والشرقية إلى سماحته، وفي آخر العقد السابع للقرن الرابع عشر الهجري وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ توحدت الإدارة القضائية في المملكة تحت رئاسة سماحته.

وفي العام الخامس والسبعين بعد الثلاثمئة والألف تأسست دار الإفتاء في الرياض وأسندت رئاستها لسماحته، فصار رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية، فرتب رئاسة القضاة ترتيباً إدارياً استطاعت به الهيمنة على شؤون القضاة تعييناً ونقلاً وإعفاءً وغير ذلك من المستلزمات المالية لاستمرارية العطاء القضائي. وعين مجلساً للقضاء برئاسة سماحته شغله مجموعة من العلماء؛ هم أصحاب المعالي: محمد بن عودة وراشد بن خنين وعمر بن مترك رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ورتب الإفتاء ترتيباً إدارياً استطاعت به أن تقوم بالشؤون الموكولة إليها من حيث الإفتاء ومراقبة المطبوعات وتعيين الأئمة والمؤذنين. وعين مجلساً للإفتاء شغله مجموعة من المشائخ هم: عبد الله بن عقيل، وعبد الله بن منيع، وعبد الملك بن عمر، وعبد الله بن غديان.

واستصدر أمراً بتأسيس مكتبة عامة تم تأسيسها تحت اسم المكتبة السعودية وربطت إدارياً ومالياً بدار الإفتاء، واستمرت على فتح أبوابها لطلبة العلم صباحاً ومساءً.

وأسند إلى سماحته أمر إعادة النظر في القضايا المنتهية بأحكام من القضاة جرى تمييزها من محكمة التمييز في مكة المكرمة أو محكمة التمييز في الرياض أو جرى خلاف بين القضاة أنفسهم والتمييز. فأمر بتخصيص رئاسة القضاة بالقضايا المختصة بمنطقتي الوسطى والشرقية، وبتخصيص الإفتاء بالقضايا المختصة بالمنطقة الغربية، فكان عمله رَحِمَهُ اللَّهُ

في هذه القضايا في عموم المملكة عمل محكمة تمييز عليا تشبه الآن عمل المجلس الأعلى للقضاء بهيئته الدائمة، واستمر الوضع على هذا المنوال حتى انتقل إلى رحمة الله فتشكلت هيئة علمية قضائية تقوم بالنظر فيما كان سماحته يقوم به، وكاتب هذه الترجمة أحد أعضائها. ثم بعد تأسيس وزارة العدل تحولت الهيئة العلمية إلى هيئة قضائية عليا تزاول الأعمال القضائية العليا التي كان سماحة شيخنا مختصاً بنظرها.

عمله اليومي:

تقدم أنه كان رَحِمَهُ اللَّهُ شاغلاً كل وقته بالتدريس في جامعه وفي بيته، وبعد أن تراكمت على سماحته الأعمال الإدارية من علمية وقضائية وفتوى وإشراف عام على الشؤون الدينية حالت تلك الأعمال الإدارية عما كان يقوم به من التعليم، فتفرغ لها تفرغاً كاملاً، وبصفتي أحد المقربين لدى سماحته في العمل معه في الإفتاء فلديّ خبرة تامة بعمله اليومي.

يقوم من نومه قبل الفجر بما شاء الله، ثم يصلي تهجداً ما شاء الله له ذلك؛ يتلو في تهجده ما يتيسر له من كتاب الله تعالى حتى يؤذن الفجر ثم يصلي الفجر إماماً في مسجده القريب من بيته في دخنة، ثم يجلس بعد صلاة الفجر في بيته لمن يأخذ منه موعداً من أعضاء الإفتاء وأعضاء الرئاسة لعرض ما لديه من قضايا وأخذ توجيهه نحوها، ويستمر ذلك معه حتى الساعة الواحدة صباحاً بالتوقيت الغروبي، ثم يأتي دور مدير مكتبه الخاص ليعرض عليه من الأمور السرية ما يتيسر له عرضه، وبمناسبة الحديث عن مكتب سماحته الخاص فهو شبيه بمركز القيادة العامة التي تصدر عنها كل التوجيهات لقطاعات أعمال سماحته في المجالات العلمية والقضائية والشؤون الدينية والإفتاء وغير ذلك من الأمور السرية المختصة بأجناس المجتمع.

بعد انتهاء دور مدير مكتبه الخاص يغادر مكتبه إلى داخل بيته ليستريح قليلاً ويتناول فطوره، ثم يذهب إلى الإفتاء إن كان هذا اليوم من

أيامها أو يذهب إلى رئاسة القضاة إن كان من أيامها، حيث قسم سماحته أيام الأسبوع بين الإفتاء ورئاسة القضاة؛ لكلٍّ واحدة منهما ثلاثة أيام في الأسبوع متغايرة: يوم في الإفتاء، ويوم في الرئاسة.

وبعد صلاة الظهر يجلس مجلساً خاصاً لمن أخذ منه موعداً من القضاة لعرض ما لديه من إشكال في عمله من حيث مكانه في العمل أو ما يعترضه من إشكال قضائي فيما ينظره في قضائه، أو من حيث رغبته في الانتقال أو التقاعد أو غير ذلك مما يلجأ إليه بعد الله في حل إشكاله. وقد يشترك في هذا المجلس عند سماحته غير القضاة أشخاص من أسر ذات مكانة خاصة لا تريد الإسهام في حل مشاكلها والإشراف عليها من غير سماحته. يمكث في مجلسه هذا ما بين الساعة والساعتين تبعاً لعدد من يتفق معهم على هذا الموعد، ثم يتغدى ويستريح قليلاً.

وبعد أدائه صلاة العصر يكون قد أعطى موعداً لواحد من أعضاء الإفتاء أو الرئاسة لعرض ما لديه من معاملات قضائية للنظر فيما صدر فيها من أحكام قضائية من المحاكم ثم من التمييز مما يرغب المقام السامي من سماحته التأكد من صحة الإجراءات القضائية التي صدرت بخصوصها، فيستمر معه ذلك العضو حتى قبيل آذان المغرب يكون ذلك في بيت سماحته، وقد يكون في مزرعة سماحته في عرقه.

ولسماحته بعد صلاة المغرب مجلس عام يحضره كلّ من يريد السلام على سماحته أو الاتفاق معه على موعد خاص لعرض مشكلته لديه. لهذا المجلس من العموم ما له من حيث أجناس الناس وأصناف الأحاديث: حديث في الأخبار العامة، حديث في الأحوال الجوية، حديث عن مسألة فقهية يجري طرحها للاسترشاد من سماحته عن حكمها، حديث عن أحوال المجتمع من حيث التعليم أو الصحة أو المرافق العامة أو القبائل العربية وتسلسل أنسابها، يستمر هذا المجلس العام حتى أذان العشاء ثم يذهب إلى المسجد ليستمع إلى قراءة في تفسير ابن جرير تنتهي في الغالب بتعليق من سماحته على الدرس ثم تقام الصلاة.

وبعد صلاة العشاء يجتمع سماحته مع مدير مكتبه الخاص لعرض ما لديه من أعمال سرية وعامة يجري بعدها التوجيهُ من سماحته ببعثها لجهات اختصاصها من المؤسسات التابعة لسماحته، ثم بعد ذلك يأتي موعد أحد أعضاء الرئاسة أو الإفتاء مع سماحته، لعرض ما لديه من معاملات قضائية يجري التوجيه عليها بما يراه سماحته وقد يكون العرض خاصاً بتلاوة نتائج أعمال قضائية سبق دراستها من سماحته بواسطة ذلك العضو وذلك لختمها تمهيداً لبعثها للجهة التي جاءت منها.

ثم ينهض سماحته إلى داخل البيت لتناول ما يتيسر له من عشاء ثم ينام وهكذا يسير برنامجه اليومي على وتيرة واحدة لا يغيره عن هذا إلا سفر يقتضي برنامجاً مغايراً.

وبهذا يتضح أن سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقضي ما لا يقل عن سبع عشرة ساعة كلها في خدمة المسلمين وبصفة دائمة ومستمرة لا تقطعها إجازة ولا يحول دون القيام بها، أي تعلل من تعللات الآخرين، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له من الثواب والجزاء ما يؤهله لأعلى عليين.

وما دام الحديث عن عمله وأعماله فقد يكون من لمِّ شعث الحديث عن أعمال سماحته اختصار اختصاصاته فيما قبل عشر سنين من وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يلي:

١ ـ رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية.
٢ ـ مفتي الديار السعودية.
٣ ـ المشرف العام على الشؤون الدينية فيما يتعلق بمراقبة المطبوعات وتعيين الأئمة والمؤذنين والإذن بإقامة الجمع في عموم البلاد.
٤ ـ الرئيس العام للمعاهد العلمية والكليات.
٥ ـ المشرف العام لتعليم البنات.
٦ ـ المشرف العام على التعليم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٧ ـ الرئيس العام لرابطة العالم الإسلامي.

٨ ـ المستشار الخاص لجلالة الملك فيما يتعلق بالشؤون الداخلية وشؤون الأسرة.

٩ ـ الإمام الأول للجامع الكبير في الرياض والإمام الراتب لجامعه في دخنة.

١٠ ـ المرجع النهائي للقضاء، أي أنّ سماحته في مقام المجلس الأعلى للقضاء بهيئته الدائمة والعامة.

هذه أهم أعمال سماحته الرسمية.

أخلاقه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ راجح العقل واسع الأفق بعيد النظر كثير التأني في إعطاء قراره فيما يتطلبه الأمر منه. شجاعاً في إبداء رأيه، يقلب الأمر قبل قراره على أكثر من وجه، فإذا قرر مضى في قراره دون تردد أو تراجع، يصدق عليه قول الشاعر:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ..... .

مهيباً هيبة لم يكن أصلها غطرسة أو تجبر وإنما هي مستمدة من الشعور العام عن سماحته بالقوة في جانب الحق مهما كانت الجهة التي لديها الحق، الضعيف عنده قوي حتى يأخذ له الحق، والقوي ضعيف حتى يأخذ منه الحق لغيره. سمح النفس كثير التبسط مع تلاميذه وموظفيه المباشرين للعمل مع سماحته، حاد الذكاء عميق الفهم كثير التروي والتأمل فيما يعرض عليه من أمر سواء كان ذلك استفتاءً عن حكم شرعي أو استرشاداً عن واقعة قضائية، فضلاً عن صلاحه وتقاه وقوة إيمانه بربه، فبالرغم من انشغاله غالب وقته بأعمال المسلمين فهو تلّاء لكتاب الله، دائم التهجد آخر الليل، إمام لمسجده الجامع في حي دخنة لم يعرف عنه أنه تخلف في إمامته عن صلاة مكتوبة إلا إذا كان مسافراً أو مريضاً.

مكثت في العمل مع سماحته في الإفتاء ثلاثة عشر عاماً كنت خلالها أشعر بأبوته الحانية وأفخر برئاسته الغالية وأعتبر عملي مع سماحته فترة دراسية مع أغلى شيخ أعتز بانتمائي إلى تلاميذه، فلقد

درست عليه دراسة ميدانية عملية في أبواب العبادات والمعاملات والجنايات ومسائل القضاء، والأقارير تشرفت فيها بالتحرير لسماحته فيما يصدر عنه من فتاوى وقرارات قضائية، وكان لي مع سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ جملة ذكريات أذكر منها ما يلي:

أ ـ حينما نجتمع بسماحته في مكتبه في الإفتاء تعرض عليه بالتتابع ما لدى كل واحد منا من معاملات ثم التحرير عليها، وكان يبدي ملاحظته إما من حيث الصياغة واللغة أو من حيث المعنى أو من حيث العدول عمّا تم التوجيه من سماحته بالتحرير عليها، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يستشعر التضايق نسبياً من إعادة النظر في التحرير لتلافي ما يراه نقصاً في المعنى أو المبنى فيقول: يا عيالي ألف قلبة ولا غلبة.

ب ـ تعرض له الرغبة لاستذكار حكم شرعي لمسألة ما من مسائل العبادات أو المعاملات وقد تكون هذه المسألة من المسائل البديهية الواضحة للأكثر، فيطلب رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من كتاب يتحدث عن هذه المسألة فتقرأ عليه ثم يقول: الآن تطيب النفس في القول فيها. وقد سألته رَحِمَهُ اللَّهُ عن أن مثل هذه المسائل واضحة لا يحتاج الأمر إلى استذكارها من الكتاب، فقال: يا عبد الله! الأعمال شغلتنا عن بضاعتنا فلا بد لنا من فرص نرجع فيها إلى كلام أهل العلم استذكاراً أو استزادة في العلم والفهم. أو استبياناً لما قد يخفى علينا. وليس علينا نقص في ذلك.

جـ ـ لقد ذكرت عن أخلاق سماحته: أنه كان ذا عناية بالتأصيل والتقيد حتى في الأمور البسيطة. نقرأ على سماحته ما جرى تبييضه على الآلة الكاتبة مما جرى تحريره على معاملة ما فنجد كلمة جرى تكرار كتابتها فنسأله عما نشطب عليه من اللفظ المكرر مرتين فيقول: اشطبوا الثانية فهي الزائدة، ثم يقول: يا عيالي! هذه من الأمور السهلة إلا أن أخذ المرء نفسه على التأصيل والتقيد في التصرف في الأمور السهلة يعطيه القدرة على الأخذ بذلك في الأمور المهمة.

د ـ لقد ذكرت عن سماحته: أنه ينظر إلينا نظرته إلى أولاده يكنّ لنا من المحبة والتقدير والعطف والشفقة الشيء الكثير أذكر مثالاً لذلك:

قمت بتأليف رسالة في نقل كلام أهل العلم عن حكم ذبح هدي التمتع والقِران قبل يوم النحر، وقام بالاعتراض عليها مجموعة من إخواني طلبة العلم حتى إنهم أكثروا اللوم على سماحته ببقائي في الإفتاء لدى سماحته، ولامني رَحِمَهُ اللَّهُ لا على القول بما ذكره أهل العلم في هذه المسألة فهو قول قوي قال به مجموعة كبيرة من أهل العلم وهو مذهب الشافعي ورواية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما للخروج على ما عرفه الناس وجرى العمل به منذ عشرات السنين، ودفعوا به رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن يصدر فتوى يفند فيها بطلان هذا القول، فأصدر فتوى بذلك لم يتعرض رَحِمَهُ اللَّهُ لشخصي بقليلٍ ولا بكثير، وحينما أحسست بما أكثر عليه به إخواني سامحهم الله بخصوصي تقدمت لسماحته وعن طريق فضيلة الشيخ صالح بن لحيدان بصفته سكرتيراً للإفتاء ومستشاراً خاصاً لسماحته بطلب الموافقة على انتقالي إلى أي جهة توافق على انتقالي إليها حماية لسماحته مما قد أظن سماحته، واقعاً فيه من إحراج في عملي مع سماحته فاستدعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في مجلس خاص وأبدى لي عدم ارتياحه لما صدر مني لا لخطئه وإنما لما فيه من التشويش وإتاحة الفرص للقيل والقال وبلبلة الأفكار.

وقال: يا ولدي لقد عرفت رغبتك في الانتقال وأن ذلك منك خشية أن يكون وجودك عندنا بدون رغبة منا، وأنت تعرف أنك من أولادي والوالد يقسو على أولاده وقد يضطر لعقابهم بما يراه إلا أن ذلك لا يغيّر من الأبوة شيئاً، فأنت من أولادي غضبت عليك أو رضيت ولا تفكر في الانتقال عن عملنا مطلقاً وتوكل على الله. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عني خاصة أفضل جزاء وأتمه.

هـ ـ لقد قلت في حديثي عن خلق سماحته: إنه حاد الذكاء، حدثنا سماحته عن نفسه فقال: كنت في آخر العام الثاني من ولادتي فدخلت

والدتي غرفة نومها فرأيتها تبحث عن شيء، فظننت أن ذلك الشيء الذي تبحث عنه مكحلتها فأشرت إليها أن المكحلة في طاق الغرفة ففرحت بإشاراتي وضمتني ضمة لا أزال أتذكرها حتى يومي هذا.

و ـ لقد قلت في حديثي عن خلق سماحته: إنه ثابت الرأي قوي العزيمة يتخلق بهذا ويحب أن يراه في الآخرين، خرجت مع سماحته قبيل أذان الظهر في يوم من الأيام من الإفتاء إلى بيته ويدي في يده، فقال لي: من أي قبيلة يا عبد الله؟ فقلت: من الحراقيص إحدى قبائل بني زيد القبيلة القضاعية القحطانية، فقال: ونعم هكذا نعرف، ولكن سمعنا من آبائنا ومشائخنا أن بني زيد أشراف وأن زيداً نزح من الحجاز إلى نجد واستقر بشقراء وتفرع عنه من ينتسبون إليه الآن، فقلت له: يا سماحة الشيخ نحن لسنا في شك من نسبنا والناس مؤتمنون على أنسابهم ولا يعرف هذه المقالة أحد من بني زيد وهم مجمعون ومطمئنون على أنهم قبيلة قحطانية من قضاعة، فقال: بارك الله فيك يا ولدي يا زين الصلابة والثبات، الأمر كما ذكرت وما يتردد في الثبات على أمر إلا من كان على غير أساس.

ز ـ قلت عن سماحته: إنه كان ذا إيمان قوي بما يتجه أو يوجه إليه وذا عزيمة صارمة قوية لما يسير عليه؛ أذكر مثالاً لصلابته في الرأي وثباته: قام فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ بجمع ما تيسر له جمعه من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية واستصدر سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أمراً من الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ على طباعته على نفقته الخاصة، وبعد تمام طبعه وتوزيعه قلت لسماحته: لا شك أن الشيخ عبد الرحمٰن ثقة ثبت أمين فيما ينقله عن شيخ الإسلام، إلا أن توفر القناعة في أمانته وثقته وعدالته مقصورة على من يعرفونه ومن يعرفون من يعرفونه، أما من يجهله وما أكثرهم في بلادنا وفي غير بلادنا من البلدان الإسلامية فقد يكون تردد في قبول النقل ما لم يعزُ إلى جهة الأخذ منه، سواء كان ذلك من رسائل مشهورة أو من رسائل مخطوطة في مكتبة من المكتبات التي أخذ

منها، ولم يعز رَحِمَهُ اللَّهُ شيئاً من مجموعه فإذا ترون سماحتكم إصدار شهادة توثيق لسلامة ما نقله عن شيخ الإسلام منكم ومن الشيخين عبد الله بن حميد وعبد العزيز بن باز ليكون ذلك أدعى إلى القبول العام. . فلم يستصوب سماحته هذا الاقتراح ورده بقوله: إن كنت لا تريد نسختك فرجعها لنا. والحمد لله بأن الأمر كما اطمأن إليه سماحته فلم يكن شيء مما كنت أتخوفه ولم يكن اقتراحي هذا مزعزعاً عقيدته في هذا المجموع واعتباره من أنفس الأسفار.

ح ـ قلت عن سماحته بأنه يعاملنا معاملة الوالد مع أبنائه من حيث التبسط ورفع الاحتشام؛ أذكر أنني كنت أنا وأحمد بن قاسم مع سماحته بعد العصر في الطائف في منطقة الهدا لعرض ما لدي من معاملات على سماحته كالمتبع، وفي رجوعنا وجه الكلام لأحمد بن قاسم فقال له: يا أحمد! أمك جاءت بولد ليس أخاك ولا أختك فمن هو؟ فبهت أحمد من هذا وقال: خلها في قبرها عفى الله عنك، وبعد أن أتاح لنا فرصة التأمل قال: هو أنت يا أحمد جاءت بك أمك، فتنفس الصعداء وقال: الحمد لله فرجت عني جزاك الله خيراً.

ط ـ كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحب النكتة ويسترويها ويرويها فقد صار من بعض الزملاء أن اجتمع لديه اثنان من فرّاشي الإفتاء فذكرهما أن الصوم يصير في الصيف والشتاء وكذلك الحج وهكذا فإن السنة تستدير، فإذا اجتمع الصوم مع الحج في إحدى السنين فمن منكما سيصوم ويترك الحج؟ ومن سيحج ويقضي الصوم؟ فقال أحدهما: سأحج وأترك الصوم لأيام أخر، وقال الآخر: سأصوم وأترك الحج، فذكرا لسماحته فاستدعاهما وأعيد السؤال عليهما فاحتج الأول على تركه الصوم بقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ واحتج الثاني بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. فضحك رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: لقد بنيت هذه الدار على علم. ومن رواية النكتة ما ذكره لنا أنه أبلغ الشيخ عبد الله بن

عجيان رَحِمَهُ اللَّهُ قرار نقله من نجران إلى طريف، فقال له: أسألك يا سماحة الشيخ هل أمرك الملك بأن تحدد بي المملكة في قضائي.

ي ـ كان رَحِمَهُ اللَّهُ إيجابياً في تصرفاته ويحب الإيجابية في تصرفات الآخرين؛ ذكر له في مكتبه في الإفتاء بحضورنا نحن أعضاء الإفتاء أن فلاناً القاضي في محكمة كذا يكثر خطؤه في أحكامه وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يعرفه ويعرف إيجابياته في الأحكام، وذكر له كذلك أن فلاناً من القضاة في نفس المحكمة خطؤه قليل فسأل رَحِمَهُ اللَّهُ عن أعمال هذا وأعمال هذا وهو يعرف ذلك، فقيل له: إن ما ينهيه الأول من أعمال في المحكمة يعادل نصف أعمال المحكمة، وما ينهيه الثاني من أعمال قليلة جداً، فقال: الأول عندنا أنفع للمسلمين وأصلح وأولى بالتقدير.

ك ـ كان رَحِمَهُ اللَّهُ جازماً عازماً إذا همَّ بأمر قضاؤه عند ولي الأمر كتب بخصوصه رغبته ومراده في خطاب طواه بجيبه ثم نادى سائق سيارته واتجه إلى قصر جلالة الملك أو مكتبه فلم يرجع إلا وقد أجيبت دعوته ولبيت رغبته، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يطلب شيئاً لنفسه وإنما طلباته خاصة بأعماله الرسمية.

ل ـ كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحب الحديث بالرموز مع من يعرف معه ذلك، أذكر مثالاً لهذا: فقد كنا في إحدى جلساتنا مع سماحته في مكتبه في الإفتاء وبعد مرور وقت من العمل انتابه شيء من النعاس فأراد فضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل أن يساعده على طرد النعاس فأعطاه حلاوة علك مغلفة بغلافها الورقي، فعلكها رَحِمَهُ اللَّهُ ثم بعد ذلك قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ ـ ٢٦]. ففهمها فضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل وناوله ورقة العلك المغلف بها سابقاً فوضعها فيها وأعطاها الشيخ عبد الله فوضعها في الزبالة، فغبطت الشيخ عبد الله على هذا الفهم من الشيخ.

مكانته العلمية:

لا شك أن سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ذو علم واسع وفقه دقيق؛ يتحدث في التفسير فنشهد له أنه من علمائه الأفذاذ، ويتحدث عن أصول الاعتقاد

فلا نشك أنه من رجاله المبرزين، أما الفقه فهو فقيه زمانه يشهد لما أقوله ما قام بجمعه عن سماحته فضيلة الشيخ محمد بن قاسم من ملفات الإفتاء ورئاسة القضاة والمكتب الخاص وتقريرات سماحته في دروسه المختلفة في جامعه وفي بيته العامر. كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتمسك بالمذهب إلا أنه غير متعصب له وقد يخرج أحياناً عن مشهوره إلى صحيحه أو إلى إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وفي فتاواه رَحِمَهُ اللَّهُ ما يدل على ذلك. يرغب الاطلاع إلى حكم مسألة فلا يكتفي من ذلك بكتاب واحد بل لا بد له من مجموعة من الكتب التي تتحدث عن المسألة نفسها حتى إذا تم له قراءة ما أراد أملى رأيه في هذه المسألة بما يعتبر جمعاً لأطراف القول فيها بعد تحريره محل الوفاق ومحل النزاع فيها، فيختار فيها قولاً يذكر مستند المصير إليه ومسوغ القول به، أذكر على سبيل المثال رأيه في التسعير وكلامه في تحريف أهل الكتاب التوراة والإنجيل وسلامة كتاب الله القرآن من ذلك، حيث توليت ذلك مع سماحته.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا علم معتبر في علوم التاريخ والأنساب والفلك، وفي علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعانٍ وبيان وبديع، وكان ذا ذوق رفيع في إدراك غرر القصائد العربية والقدرة على تحليلها والغوص على دقائق معانيها، يقول الشعر بلا تكلف، تحدث عن نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ أمامنا فقال: لو أردت لما تحدثت إلا بالشعر، إلّا أنّه يرى في الشعر ما رآه الشافعي فيه، حيث يقول الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

قناعته وعفافه:

يظن بعض الناس أن سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ذو ثراء يتفق مع مكانته الاجتماعية ومقامه الرفيع لدى ولاة الأمر، ولا شك أن هذا الظن غير صحيح؛ فلقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ عفيفاً قنوعاً مترفعاً عن أسباب الرضوخ والخضوع يصدق عليه قول الشاعر:

خلقت عيوفاً لا أرى لابن حرة عليَّ يداً أغضى لها حين يغضب

ولهذا كان رَحِمَهُ اللَّهُ قوياً حتى مع الولاة، مهيباً حتى عند الولاة.

أعرف عن سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا يتقاضى راتباً شهرياً إلا من رئاسة القضاة منذ تأسيسها بالرغم من أن له عملاً منتظماً في الإفتاء وله إشراف مستمر على التعليم في المعاهد والكليات والجامعة الإسلامية وتعليم البنات، وأنه لا يتقاضى لقاء عمله فيها شيئاً لا لأنه لا يستحق فلكلّ عمل أجره ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ محتسب أجره عند الله مكتفٍ بما يقوم بشؤون حياته من أجرة بعض عمله.

تعامله مع القضاة وطلبة العلم:

الواقع أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يعتبر أباً حنوناً لطلبة العلم عامة وللقضاة خاصة؛ فهو رَحِمَهُ اللَّهُ لا يفتر المطالبة بما يصلح أحوالهم ويسد حاجاتهم ويرفع شأنهم اجتماعياً ومادياً كما ارتفع شأنهم علمياً. كما أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يقف معهم ضد كل من يتناولهم بتجريح أو تهوين، يتحدث دائماً أمام العموم والخصوص بعلو مكانة القاضي وأنه العين البصيرة واليد الطويلة في دائرة اختصاصه القضائي، ويكثر اللوم والتقريع على من يتناول أحدهم بسوء، ولا يعني هذا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يرى القضاة جنساً معصوماً من الخطأ ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يظهرهم أمام العموم إلا بمظهر الهيبة والتقدير والاحترام، ويكون له مع القضاة مجالس خاصة حضرت بعضها يتناقش مع القاضي في أسباب الشكاية منه ويوجهه التوجيه الأبوي ويبصره بمهمة القاضي في البلاد من حيث الحرص على إنهاء الخصومات وإيصال الحقوق لأصحابها والترفع عن المصالح الشخصية من الأهالي والقضاء على أسباب الشغب والفتن في البلاد، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ نعم الأب ونعم المربي ونعم الموجه ونعم الرئيس، وكان لتوجيهاته في نفوس أبنائه القضاة الموقع الحسن من حيث السمع والطاعة والقبول.

لقد سمعت أحدهم يقول لسماحته بعد إبلاغه قرار نقله إلى مكان أبدى عدم رغبته في قبوله، فأصرّ الشيخ على ضرورة قبوله ذلك قال: والله يا شيخ لو عزمت علي بالقضاء في مكان وعيَّنته وهو من أكثر الأمكنة مشقة ـ لما وسعني غير الاستجابة لأمرك، وهذا القاضي مثال لكل القضاة إلا من ندر لم نسمع في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ من أحيل من قضائه على التقاعد لفقده الثقة القضائية، فلقد كان عيناً بصيرة ومرجعاً مهيباً فضلاً عن بذله الأسباب المتعددة في اختياره القضاة قبل التعيين.

أعرف أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يضع نظره على مَنْ يراه صالحاً للقضاء وهو لا يزال في المرحلة الثانوية في الدراسة في المعاهد العلمية، وتستمر مراقبته لسلوك من يضع نظره عليه حتى إتمامه الدراسة الجامعية، ثم يقرر نحو تعيينه في القضاء ما يراه طبقاً لنتيجة مراقبته إياه.

آثاره العلمية:

لا شك أن سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ عالماً كبيراً وفقيهاً مبرزاً، وأنه رَحِمَهُ اللَّهُ أمضى ما لا يقل عن أربعين عاماً في التدريس في جامعه وفي بيته، وأن لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من التلاميذ هم اليوم كبار علماء هذه البلاد وفقهاؤها، ومن يقرأ تقريرات سماحته في دروسه على طلابه مما نقل بعضها فضيلة الشيخ محمد بن قاسم في مجموع فتاوى سماحته يدرك حقيقة ما نقوله عن سماحته في ذلك؛ إذ هي تقريرات بالرغم من أنها تصدر بلا مهلة في التأمل وتكرار النظر إلا أنها تدل على تَمَكُّنٍ وسعة باع، أما فتاواه وملاحظاته القضائية والفقهية فهي محل تقدير واعتبار من طلبة العلم. ولقد أحسن معالي ابنه البار الشيخ إبراهيم بن محمد في الأمر بجمع فتاوى سماحته ومتابعة ذلك حتى خرجت بشكل أعطى القناعة التامة في أن شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمة الدعوة فقهاً ودعوة وجهاداً بقلمه ولسانه. وذلك تنفيذاً لأمر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

لم يكن من سماحته رغبة في التأليف، وقد يكون سبب ذلك انشغاله بأعماله، وبالرغم من ذلك فله رسائل صغيرة في زكاة العروض وفي حكم الدخان والقات ومعالجة غلاء المهور وغيرها، وقد ضمت هذه الرسائل في مجموع فتاواه.

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الحرص على ألا يخرج لسماحته إلا ما تطيب به نفسه، وما أقل ما ترضاه نفسه العالية. لقد رأيته في منامي بعد وفاته بشهرين فقال لي: يا عبد الله أظن أن هناك رغبة في جمع ما صدر منا من فتاوى وملاحظات قضائية، وتعرف أننا ما نعيد النظر فيما كتبناه بالأمس إلا ونجد ملاحظة منا سواءً كانت غلطة مطبعية أم عبارة جرى السهو فيها، ولكن قل لإبراهيم لا يصدر الفتاوى إلا مراجعة منكم بصفتكم أكثر معرفة بها. وبلغت معالي الشيخ إبراهيم تلك الرؤيا في وقتها.

أبناؤه وإخوانه:

لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاثة إخوة هم علماء أفاضل: **أكبرهم سناً** الشيخ عبد الله لم يل من أعمال الدولة عملاً إلا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان ذا دراية بالأنساب وعلوم الهيئة وذو ولع ودراية بالتاريخ فضلاً عما لديه رَحِمَهُ اللَّهُ من حصيلة علمية.

والثاني الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم عالم كبير، له تبريز في علوم الفرائض، شاعر مجيد، نذر نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ فترة طويلة لا تقل عن أربعين عاماً في خدمة عموم الناس في توثيق تصرفاتهم من بيوع ووصايا وأقارير، أسندت له الإدارة العامة للمعاهد، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ نعم الأب ونعم المدير ونعم الإنسان.

الثالث الشيخ عبد الملك بن إبراهيم عالم فاضل محبوب بين العموم، ولي الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية مدة طويلة كان خلالها محل التقدير والاحترام والسمع والطاعة.

أما أبناؤه فهم أربعة: **أكبرهم** معالي الشيخ عبد العزيز؛ ولي من

أعمال سماحة والده النيابة عنه في رئاسة القضاة ثم رئاسة المعاهد والكليات، ثم صدر الأمر الملكي بتعيين معاليه رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برتبة وزير ولا يزال في عمله حتى الآن جعله الله مباركاً أينما كان.

الثاني من أبناء سماحته الشيخ إبراهيم أحد خريجي كلية الشريعة في الرياض، ولي من أعمال سماحة والده النيابة عنه في الإفتاء وبقي نائباً في الإفتاء حتى صدر الأمر الملكي بتعيينه وزيراً للعدل ولا يزال في وزارة العدل حتى الآن. ولقد كان حفظه الله رئيساً مباشراً لنا نحن أعضاء الإفتاء وغيرنا من منسوبي الإفتاء، ثم امتدت رئاسته علينا بصفتي الآن أحد منسوبي وزارة العدل من قضاة وإداريين، فنعم الرئيس معاليه جعله الله مباركاً أينما كان ووفقه إلى اقتفاء أثر والده خالد الذكر.

الثالث من أبنائه أحمد، هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء. أما **الرابع** فهو الدكتور عبد الله أكثر أولاده شبهاً لأبيه خَلْقاً، نال شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود وهو الآن أحد المدرسين فيها ويرجى له مستقبل زاهر إن شاء الله يكمل فيه مسيرة آبائه وأجداده في سبيل الدعوة إلى الله والحرص على تصحيح الاعتقاد عند من يتغلب عليه الشيطان فيحرفه عن جادة الصواب.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام (١٣٨٩هـ) فكان لوفاته أسوأ الأثر في النفوس؛ لقد حضرت جنازته للصلاة عليه وعند دفنه فرأيت جموعاً غفيرةً كلها تذكر أنها المصابة وأنها الجديرة بالعزاء، وهي تلهج بذكر الله تعالى وإنا لله وإنا إليه راجعون، ودفن في مقبرة العود في الرياض قرب آبائه وأجداده، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه عني خاصة وعن جميع إخواني طلبة العلم وغيرهم أفضل جزاء وأتمه وجمعنا به في مستقر رحمته، إنه قريب مجيب وبالإجابة جدير.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

حياة الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

بقلم الشيخ العلامة
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله

نسبه ومولده:

هو العلامة الجليل الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن إمام الدعوة محيي السنّة مميت البدعة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) ابن الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم. ثم إلى نزار بن معد بن عدنان.

ولد في مدينة الرياض في (حي دخنة) في (١٧) من محرّم عام (١٣١١هـ).

بدأ رحمه الله من صغره في الأخذ بأسباب العلم والمعرفة فتلقى القرآن الكريم وهو بين الثامنة والعاشرة من عمره نظراً على معلمه عبد الرحمن بن مفيريج. وفي السادسة عشرة من عمره أُصيب بالرمد في عينيه فكف

---

(١) مقدمته لفتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم التي قام بجمعها، وطبعت في ١٣ مجلداً، ص(٩ ـ ٢٣).

بصره. وكانت مدة مرضه سنة. وعلى أثر ذلك حفظ القرآن على عبد الرحمن بن مفيريج عن ظهر قلب. وقد درس فن التجويد فيما بعد.

ثم أخذ في طلب العلم بمختلف فنونه، فأخذ علم «الفرائض» عن والده الشيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أولاً ثم عن الشيخ عبد الله بن راشد ومما قرأ عليه في ذلك ألفية الفرائض.

وتلقى علم «العقائد» عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ـ رحمهما الله تعالى ـ. ومنها في العقائد كتاب التوحيد وأُصول الإيمان وفضائل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدلائل «حكم موالاة أهل الشرك» للشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعقيدة الواسطية والعقيدة الحموية وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأخذ «الفقه» عن الشيخ حمد بن فارس أولاً ثم على الشيخين سعد بن حمد بن عتيق ومحمد بن محمود المتوفى عام (١٣٣٣هـ). ومن كتبه «زاد المستقنع».

وأخذ علم «العربية» عن الشيخ حمد بن فارس المذكور آنفاً ومما قرأ عليه في هذا الفن الآجرومية والملحة والقطر والألفية.

وفي «الحديث وعلومه» قرأ بلوغ المرام وثلث المنتقى على عمه الشيخ عبد الله ثم أعاد بلوغ المرام على الشيخ سعد بن عتيق. وعليه قرأ أيضاً ألفية العراقي في مصطلح الحديث.

هذا ومن المستفيض أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان كثير الدأَب على المطالعة في مختلف الكتب وتدريسها، فكان هذا مصدراً ثانياً غنياً بتنمية حصيلته العلمية وتوسيع أُفقه، أعانه على ذلك ما عرف عنه من حدة الذكاء ورجاحة العقل.

اشتغاله بالتدريس:

لمس فيه مشايخه الألمعية النادرة المبكرة والنجابة الظاهرة،

فأدركوا أنه الخليفة لهم الذي يمكن أن يُطمأن إليه في مجالس العلم، فأوصى عمه الشيخ عبد الله الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بابن أخيه خيراً وذكر له ما يتمتع به من المزايا الفذة التي لا تكاد تتوافر إلا في قليل من الرجال الذين وهبهم الله ذكاءً وفطنة وجلداً وإخلاصاً. وحين توفي الشيخ عبد الله عام (١٣٣٩هـ) أخذ ابن أخيه مجلسه فبدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة. ولما توفي شيخه سعد بن حمد بن عتيق عام (١٣٤٩هـ) وتوفي قبله الشيخ حمد بن فارس عام (١٣٤٥هـ) توسع في مجالس التدريس واستقل بأكثرها إلى جانب أعمامه - رحمهم الله - وغيرهم من أفاضل العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس على فترات متعاقبة في بعض العلوم.

ولكن ينبغي أن نؤكد أن الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ له النصيب الأوفر في كثرة المجالس وكثرة القاصدين له من طلبة العلم وغزارة العلم وعموم النفع، فقد كان يعمر أكثر نهاره بالتدريس حيث كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة. فالأُولى بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، والثانية بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات، والثالثة بعد صلاة العصر، وهناك جلسة رابعة لكنها ليست مستمرة وهي بعد صلاة الظهر.

وكل هذه الجلسات كانت تتم في جامع الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعروف الآن في (حي دخنة شمال الميدان) ما عدا جلسة الضحى فقد كانت في أول الأمر في هذا الجامع ثم نقلها إلى بيته.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر ومنها «الروض المربع» و«سبل السلام» و«شرح ابن عقيل» على ألفية ابن مالك وما يعين عليها من المراجع.

وفيما يلي عرض للكتب التي كان يقوم رَحِمَهُ اللَّهُ بتدريسها:

١ ـ أولاً بعد صلاة الفجر «ألفية ابن مالك» مع شرح ابن عقيل و«زاد المستقنع» مع شرحه «الروض المربع» و«بلوغ المرام» و«الآجرومية» و«الملحة» و«قطر الندى» و«عمدة الأحكام» و«أُصول الأحكام» و«الحموية» و«التدمرية» و«نخبة الفكر». الثلاثة الأول مستمرة وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور. أما باقي الكتب فبالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه.

٢ ـ بعد شروق الشمس يدرس في العقائد «كتاب التوحيد»، «كشف الشبهات»، «ثلاثة الأصول»، «العقيدة الواسطية» باستمرار، «مسائل التوحيد»، «مسائل الجاهلية»، «لمعة الاعتقاد»، «أُصول الإيمان» على فترات، وفي الحديث: «الأربعين النووية»، «عمدة الأحكام» باستمرار. وفي الفقه «آداب المشي إلى الصلاة»، وقد يدرس غيرها لكنه نادر.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأُ المطولات ومنها: «فتح المجيد»، «شرح الطحاوية»، «شرح الأربعين النووية»، «صحيح البخاري»، «صحيح مسلم»، «السنن الأربعة»، مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم وابن كثير بدون استثناء وكلّ ما جد من كتب السلف والمحققين من العلماء، ولكنها على فترات يتراوح ما يقرأُ منها في اليوم ما بين خمسة وعشرة غالباً.

٣ ـ بعد صلاة الظهر، ويدرس فيها: «زاد المستقنع» بشرحه «الروض المربع»، «بلوغ المرام».

٤ ـ بعد صلاة العصر، ويدرس فيها: «كتاب التوحيد» وشرحه وقد يقرأُ في «مسند الإمام أحمد» أو «مسند ابن أبي شيبة» و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» أو نحوها.

وقد استمر يزاول التدريس بنشاط لا يفتر، وهمّة لا تكل إحدى وأربعين عاماً من عام (١٣٣٩ ـ ١٣٨٠هـ).

طريقته في التدريس:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يعطي مجالس العلم حقها من الاحترام والتقدير، ويحرص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطلاب معنياً بتثبيتها، حتى إنه ليكاد يغني بشرحه عن مطالعة الكتب. وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا همَّ بالجلوس للتدريس توضأ إن لم يكن على وضوء بعد صلاة، واستقبل القبلة إذا كانت الجلسة في المسجد، ويبدأُ شرحه باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. ويمكن تلخيص السمات الظاهرة لطريقته في التدريس في النقاط التالية:

١ ـ يطلب من بعض الطلاب أن يبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله والترحم على المؤلف، ثم يتلو حفظاً موضوع الدرس إذا كان الكتاب متناً. ويحرص جدّاً على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون، ولا يرضى بنصف حفظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمه، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات.

٢ ـ قبل أن يبدأ بالشرح يقرأُ هو ما قرأ الطلاب.

٣ ـ يشرع في شرح عبارات المتن بدقة ووضوح.

٤ ـ يعرض بعض المسائل ويتكلم عليها.

٥ ـ إذا عرض لمسألة خلاف ذكر رأي المؤلف أولاً وأدلته، ثم ذكر رأي المخالفين كلّاً على حدة، مع دليله. وكان في ذلك كله يحترم كلّ ذي رأي من العلماء ولا يذكره بما يسوء، وكان يرجح ما يراه معتمداً في ذلك على الدليل وأقوال المحققين، ولم يكن يعرض من الخلاف إلا ما كان ذا جدوى. وقد يصحح أحد القولين بدون سرد الأدلة لقصر الوقت أو نظراً لحال الطالب.

٦ ـ كان يلتزم بالموضوع ولا يستطرد إلى مسائل خارجة عنه.
٧ ـ كان إذا فرغ من الدرس تلقى أسئلة الطلاب وأجاب. وقد يثير هو بعض الإشكالات ليقدح أذهان الطلاب.
٨ ـ يختبر الطلاب فيما شرح لهم في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم ويعربون متن الألفية وشواهدها.
٩ ـ فيما يتعلق بالعقائد لم يكن يحرص على ذكر آراء أهل البدع والإشراك فإذا وجد ضرورة لذلك أو كان المؤلف ذكرها فإنه يتكلم عليها بتوسع ويشتد في الرد عليهم دون إفراط.
١٠ ـ وبالنسبة لقراءة المطولات لم يكن يشرحها عبارة عبارة وإنما كان يقف عند المهم منها أو ما يسأل عنه أحد الحاضرين.
١١ ـ يلتزم اللغة العربية في جميع مجالسه العامة.
١٢ ـ يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون أو تعليقه على المطولات فلا تراه يلتفت أو يشير بيد أو يعبث بشيء.
١٣ ـ لم يكن يسمح بإثارة الأسئلة التافهة أو الدخول في مناقشات عقيمة.

أخلاقه:

لم يصل رحمه الله إلى ما وصل إليه من مكانة في قلوب الناس بمجرد المصادفة، ولكن مرد ذلك إلى توفيق الله عز وجل أولاً، ثم إلى ما كان يتحلى به من أخلاق فذة التزم بها وحافظ عليها طوال أيامه.

ولا بأس من الإشارة إلى بعض ما نعرفه عنه من الأخلاق الحميدة؛ فمن ذلك:

١ ـ **الحافظة النادرة** التي كانت أقوى سبب في تحصيل ثروة علمية واسعة بنيت على محفوظاته التي علقت بذاكرته أثناء تعلمه، ومطالعاته أثناء تدريسه، فكانت الأساس القوي لمقدرته على استنباط الأحكام

ومعرفة الأدلة التي تبنى عليها. وقد مر بنا أنه حفظ «بلوغ المرام» و«زاد المستقنع» وغيرهما مما مرّ ذكره في فصلي شيوخه واشتغاله بالتدريس. ونزيد هنا أنه كان يحفظ كثيراً من القصائد المطولة، وكان يصف وهو في أُخريات أيامه مشاهداته قبل أن يكف بصره، وأنت على علم أنه فقد بصره في السادسة عشرة من عمره، وكان يحفظ المتن للقراءة الثالثة وربما الثانية، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ ثلاثمئة صفحة تقرأُ عليه ثم يملي ما يرى مستحضراً كل ما مرّ فيها من الجزئيات، ولم يكن غريباً منه أن يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها ذاكراً رقم الصفحة أحياناً، ومثل ذلك لا يكون إلا لمن آتاه الله ذاكرة واعية.

٢ ـ وقد رزق من **الذكاء** ما مكنه من إدراك محفوظاته العلمية عن فهم وبصيرة، وكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولم يكن ينطلي عليه كيد أو احتيال. وحياته كلها أمثلة من هذا النوع لسنا في حاجة إلى الدخول في ضرب الأمثال لها، فأكثر العارفين به يدركون ذلك، ولكن الذي لا يعرفه كثير من الناس أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يدرك تقدير الوقت بالساعة لا يكاد يخطئ الحقيقة في بضع دقائق، مع العلم بأنه لم يستعمل الساعة في حياته.

٣ ـ **وكان يطيل التأمل والتعمق** ويبعد النظر فيما يعرض عليه من القضايا التي تجدّ تباعاً، ولم يكن يتعجل الأمر حتى يمعن في الدرس والتأمل والنظر في عواقب الأمور، فكان يصل بعد ذلك إلى الاستنتاج الدقيق الذي لا يكاد يختلف ولا يخالفه فيه ذو نصف، والأمثلة في هذا المقام كثيرة لكن أسوق منها مثالين:

أحدهما: أنه سئل عن افتتاح حمام فني فكتب ما نصه:

(لا أرى فتح مثل هذا الحمام في هذا البلد، لأن الضرر سيكون أكبر من النفع، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر على

بال الذي أسسها، ومهما حرصت الآن على مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية فإنك لن تستطيع ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب).

ثانيهما: أنه سئل عن إنشاء صندوق لسائقي السيارات فقال في الجواب ما نصه:

(إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعاً خيرياً يحتاج إلى تقييد؛ لأنه وإن كانت طرق الخير مفتوحة أمام الراغبين إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلك لئلا تكون وسيلة إلى استباحة أشياء لا تجوز تحت اسم الشيء المسموح).

٤ ـ ومن أخلاقه البارزة **الإخلاص في العمل** فلم يكن يوماً طالب شهرة ولا باحثاً عن سمعه بل كان عمله كله لله يبتغي ما عنده يجتهد في تحري الحق ويجتهد في الدفاع عن الحق لا يأخذه في ذلك ضعف ولا يعتريه طمع ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

٥ ـ **طهارة قلبه**؛ فكان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه ولا ينتقم من أحد ناله بأذى، بل كان ديدنه الصفح والتجاوز بل المحافظة عليهم والدفاع عنهم أن ينالهم أحد بما يعرف أنه باطل.

٦ ـ وكان رحمه الله على حظ وافر من **الشجاعة وقوة الشكيمة**، لا يخاف في الله لومة لائم ولا يتردد في إعلان الحق أياً كان المخاطب به، ودافعه في ذلك مخافة الله وحرصه على أن يخلص ذمته مما علق به، فمكانته ومسؤوليته تحتم عليه نبذ التخاذل وكان يكره المتملقين وله في ذلك مواقف حفظها التاريخ.

٧ ـ ومن السمات البارزة التي كانت تميزه ما آتاه الله من **هيبة في نفوس الناس**، وهو أمر لا يرجع إلى مخافة منه ولكن إلى محبته وإجلاله ومعرفتهم عنه صرامته في الحق، يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يزل في كلمة أو يخطئ في فكرة، ومع ذلك فقد كان أنيساً عند مخالطته،

أَلوفاً لمعاشريه، لا يتصف بشيء من الغلظة أو الغضاضة وكان يحسن الفرق بين مجالس الجد والعمل ومجالس الراحة حيث يكون في سفر أو نزهة.

٨ ـ **وكان يتنزه عن الغيبة** والحديث في الآخرين بما يكرهون، وعرف بذلك منذ حداثة سنّه حتى فارق الدنيا، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم بل كان يقف دون ذلك ويزجر من حاوله.

٩ ـ ومما لا يعرفه الكثيرون عنه ما يتصف به رَحِمَهُ اللَّهُ من **العفة والتورع** عن أخذ ما ليس له أو ما يرى فيه شبهة، فكان حريصاً على أن لا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة، ولم يعرف أنه اشتغل بالبيع أو الشراء لا بالاستقلال ولا بالمشاركة. بل كان مقتصراً على ما يتقاضاه مقابل عمله، بل إنه كان يشتغل عدة أعمال كما هو معروف لا يتقاضى إلا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال، ولم يكن يأخذ انتداباً مقابل انتقاله إلى مدينة الطائف صيفاً، ولم أعرف عنه أنه طلب من المسؤولين شيئاً يخصه.

١٠ ـ ومما لا ينكر من أخلاقه الظاهرة للعيان **كراهيته الشديدة للمديح والثناء عليه**، فما كان يرضى من أحد أن يثني عليه أو يبالغ في مدحه سواء كان ذلك مشافهة أو كتابة. ومن الأمثلة التي تذكر في هذا المقام ما كتب به إلى أحد الناس، ونصه: ملحوظة: كثيراً ما تكتب في خطاباتك ألقاباً لا يسوغ ذكرها كقولك: شيخ الإسلام ومفتي الأنام، وهذا شيء لا نرضاه.

وكتب في مناسبة أخرى ما نصه: وما ذكرتم في خطابكم من الثناء نود أن لا نسمعه فنحن نستغفر الله ونتوب إليه من تقصيرنا وضعفنا، نسأله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه. وكتب لآخر ما نصه: نفيدكم أنه جاء في خطابكم بعض العبارات مثل قولكم: عالم الوجود.. تلك العبارة التي لا يصدر مثلها إلا عن جاهل.

١١ ـ **وكان** رَحِمَهُ اللَّهُ **معروفاً بالبذل والسخاء** في الحدود التي لا تصل إلى المبالغة المكروهة شرعاً والمؤدية إلى الإسراف وإضاعة الوقت، وبالأخص ما يتعلق بإكرام العلماء والقضاة وطلاب العلم وذوي رحمه. وكان لا يترك مناسبة مهمة إلا أقام لها الوليمة الكبيرة ودعاهم.

١٢ ـ **خشيته لله**: كان رَحِمَهُ اللَّهُ من أكثر الناس استحضاراً لعظمة الله، كثيراً ما تسمعه يلهج بذكر الله والاستغفار وتغرورق عيناه بالدموع حينما يكون في موقف مناجاة الله أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، ولقد كان ذلك يتجلى كثيراً فيما يحييه من الليل بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره، وقد لا يعرف هذا كثير من الناس الذين لم يتصلوا به، وقد صحبته زمناً طويلاً وهو يقوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل لا يترك ذلك.

ولا غرو فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتحرى في جميع تصرفاته وأخلاقه الظاهرة والباطنة التأسي بالنبيِّ ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ.

الأعمال التي قام بها:

عرفنا في مناسبات كثيرة مما مضى في هذه الترجمة أنه رَحِمَهُ اللَّهُ باشر العمل منذ وفاة عمه عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كان العمل الرئيس الذي شمل أكثر أيام حياته هو (التدريس)، وقد تحدثنا عنه في فصل خاص لما له من الأهمية.

على أنه صاحب التدريس مهمة أُخرى بدأت دون تنظيم رسمي وهي (الفتوى)، فقد كان يشارك فيها حتى توفي الشيخ سعد بن عتيق، ثم استقل بها حتى تحولت بآخرة إلى عمل منظم في دار الإفتاء حيث أُنشئت في عام (١٣٧٤هـ).

وظل رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم بالفتوى من خلال هذه الدار حتى وافته المنية إلى جانب ما كان يكتبه في هذا الميدان في بيته من فتاوى وردود على بعض

الكاتبين في قضايا يرى بثاقب بصيرته أن السكوت عليها مسؤولية أمام الله.

وإلى جانب هذين الأمرين هناك أمر ثالث لا يقل خطراً عنهما وهو (القضاء)، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم بتمييز الأحكام التي تحتاج إلى نظره، وينظر فيما أُحيل إليه من القضايا بأمر من ولاة الأمور.

ولما حول القضاء نظراً لاتساعه إلى رئاسة أُسندت إليه رئاسته في المنطقتين الوسطى والشرقية في عام (١٣٧٦هـ) ثم ضمت إليه المنطقة الغربية بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٧٨هـ). وقد نصّت المادة الحادية عشرة من نظام هيئة التمييز أن له رَحِمَهُ اللَّهُ حق النظر والبت فيما يختلف فيه القاضي وهيئة التمييز.

وإلى جانب ذلك كله ورغم ما كان يحمله من أعباء فقد تولى (رئاسة المعاهد العلمية والكليات) منذ إنشائها عام (١٣٧٠هـ).

ووكل إليه الإشراف على (مدارس البنات) منذ افتتاحها في عام (١٣٧٩هـ).

وكلّف برئاسة (الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة عام (١٣٨١هـ).

وتولى رئاسة (مجلس القضاء) الذي شكل في عام (١٣٨٨هـ) وعقد في حياته مرتين.

وولي رئاسة (رابطة العالم الإسلامي) منذ إنشائها في عام (١٣٧٩هـ).

وإمامة جامع حي دخنة وخطابة المسجد الجامع الكبير المعروف الآن (في ساحة العدل بالرياض).

وشكل هيئة تضم كبار العلماء لتكون مرجعاً لبحث ما يحصل من المشاكل العلمية العويصة وتقرير ما يلزم حيالها، وللمذاكرة فيما بينهم والتصدي لنشر الدعوة الإسلامية والذود عنها ومحاربة التيارات الجارفة والمبادئ الهدامة.

وبعبارة عامة فقد كان له رَحِمَهُ اللَّهُ الإشراف التام على جميع الشؤون الإسلامية داخل المملكة وخارجها مما يتصل بالمملكة العربية السعودية وتعنى بتوجيهه.

ومثل هذا لا يقوم به العالم العادي ولكن من آتاه الله القوة والجلد، وإن ذلك ليدل على ثقة الناس وبخاصة أولياء الأمور في حصافة عقله وسعة علمه ومقدرته الفذة وحاجتهم إليه في كل ما يعرض لهم من المشكلات.

تلاميذه:

لا أظن أن من يعرفه رَحِمَهُ اللَّهُ يخفى عليه أمر الذين أخذوا عنه العلم واستفادوا منه الفائدة الكبرى. ولا أظن أن ذلك يخفى على من عرف المدة الطويلة التي قضاها مشتغلاً بالتدريس، فقد مرّ به أفواج بعد أفواج ينهلون من علمه ويستنيرون بثاقب نظره، وقد انتشروا في أنحاء المملكة السعودية بين عالم وقاض ومدرس وواعظ وخطيب مسجد ومتفرغ من الأعمال، ولا أظن أن الحصر قادر على أن يأتي على جميع أسمائهم، لذلك فإني أكتفي بعرض أسماء طائفة منهم وهم:

١ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء حالياً.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم صاحب المؤلفات المشهورة.

٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيس محكمة هيئة التمييز حالياً.

٥ ـ الشيخ سعود بن رشود قاضي الرياض سابقاً.

٦ ـ الشيخ صالح بن غصون عضو هيئة التمييز حالياً.

٧ ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم شقيق المترجم الفرضي المشهور.

٨ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم شقيقه رئيس هيئات الأمر بالمعروف في المنطقة الغربية سابقاً.

٩ ـ الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد نجل سماحته رئيس هيئات الأمر بالمعروف حالياً.

١٠ ـ الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد نجل سماحته وزير العدل حالياً.

١١ ـ الشيخ عبد الرحمن بن فارس قاضي بمحكمة الرياض حالياً.

١٢ ـ الشيخ محمد بن مهيزع قاضي بمحكمة الرياض سابقاً.

١٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن هويمل قاضي بمحكمة الرياض سابقاً.

١٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن زاحم قاضي بمحكمة الرياض.

١٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سحمان قاضي بمحكمة الدلم.

١٦ ـ الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد.

١٧ ـ الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود آل سعود.

١٨ ـ الشيخ عبد الله بن عقيل عضو المجلس الأعلى للقضاء.

١٩ ـ الشيخ عبد الله بن غديان عضو الهيئة الدائمة للإفتاء.

٢٠ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين مدرس بكلية الشريعة.

٢١ ـ الشيخ فهد بن حمين مدرس بكلية أُصول الدين.

٢٢ ـ الشيخ حمود بن عقلاء مدرس بكلية الشريعة.

٢٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن فريان.

٢٤ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض.

آثـــاره:

لم تكن في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ فرصة يتفرغ فيها للتأليف فقد كان انشغاله بما علمت من الأعمال التي وصفناها قبل لا تدع فرصة للراحة، إذ كان عمله يستمر أحياناً إلى الساعة الخامسة ليلاً (بالتوقيت الغروبي) فضلاً عن أن تدع له فرصة يفرغ فيها ذهنه ويرجع إلى المراجع فيكتب وينشر

كما نراه لكثير من أهل العصر، ولأنه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن بالشخص الذي يكتب كل ما عنَّ له بل كان كما وصفناه طويل التأمل شديد المحاسبة لنفسه، ومسؤوليته تحتم عليه أن لا يكتب إلا بعد تحرٍّ طويل لأن كلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة والخاصة، ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة.

على أن أجل أثر من آثاره هذا الأثر الكبير الذي نقدمه هذا اليوم والمتمثل في فتاواه التي بلغت (عشرة أجزاء)، لو لم يكن له أثر سواها لكفى به فخراً لم يصل إليه غيره من أهل عصره.

ومما ينبغي التنويه عنه من آثاره أنه اختار ألف حديث في أبواب مختلفة.

مرضه الأخير ووفاته:

في عام (١٣٨٩هـ) نزل به رَحِمَهُ اللَّهُ مرض سافر من أجله إلى لندن للعلاج، فأقام بها أياماً ثم عاد دون أن يكتب له شفاء، فلزم البيت وأخذ المرض يشتد يوماً بعد يوم ولم يثمر ما بذل له من عناية طبية حتى دخل في غيبوبة تامة انتهت به إلى الوفاة في (١٤/ ٩/ ١٣٨٩هـ).

وكان طيلة مرضه يكثر من ذكر الله والاستغفار حتى أخذته الغيبوبة. وقد صُلّي عليه في المسجد الجامع الكبير مع صلاة الظهر، أَمَّ الناس فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وحضر الصلاة جمع جم ضاق بهم المسجد على سعته، وصلّى كثير منهم خارج المسجد وانسدت الطرق بالسيارات والمشاة، ولم يكن بين وفاته والصلاة عليه إلا ساعتان وتبعه المصلّون إلى مقبرة العود حيث ووري هناك. تغمد الله شيخنا برحمته وسدد خُطا خلفائه ونفع بعلومه، وجعل عملنا خالصاً لوجهه إنه سميع قريب مجيب.

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

٢٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ ـ الرياض

تاريخ من لا ينساه التاريخ

سيرة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ

حرر الترجمة تلميذه الشيخ العلامة الرحالة:
إسماعيل بن سعد بن عتيق ـ حفظه الله ـ

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وبعد:

فقد عنّ لي أن أكتب بعد أن رأيت تخرم الأقطاب وتلاشي الزعامة، والقيادة العلمية والدينية في عصرٍ كثر فيه العلم، وتزاحم الناس على الكتاب، واكتظت المدارس بالطلاب، ولكن كما قال رسول الله ﷺ: **«الناس كإبل مئة قلَّ أن تجد فيها الراحلة»**.

ومن الطبيعي أن تبرز بين الأوساط الاجتماعية رؤوس، وتشمخر أعلام يدين لها المجتمع بالفضل والقيادة، ولا سيما إذا كان المجتمع قد اتحدت أهدافه، وتوحدت غاياته توحد ينبوع التلقي والاغتراف بالمشيخة والإمامة لأشخاصٍ ورثوها كابراً عن كابر، وأثبتت عبقريتهم محن الزمان ومحك الخصام والانتصار على النفس والاستقامة والمجاهدة حتى أتاهم اليقين من ربهم، وهم على ذلك صابرون محتسبون من أولئك العلماء ممن عاصرتهم وعرفتهم، وسبرت أغوارهم وتأثرت بهم تأثر التلميذ بأستاذه، والابن بوالده.

ومنذ زمن طويل وتصوراتي عن أحوالهم تفتح لي باب الأمر في التلقي والاستفادة من منهجهم وسيرهم لتعدد جوانب الحياة الحية

المثالية فيما قدموه، بعد أن فارقوا الدنيا وداعاً إلى الآخرة، مروراً بالحياة البرزخية ثم الحياة الأبدية في نعيم الله الخالد ومقر رحمته ورضوانه.

ولا نقول إلا ما قال رسول الله ﷺ: **«أنتم شهداء الله في أرضه»** والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

من أولئك الأعلام من له الزعامة والقيادة إمام عصره وفريد دهره ممن أعطي الحكمة فأعطي خيراً كثيراً الشيخ العلّامة مفتي الأنام ومميز الأحكام الشيخ محمد بن إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن المجدد الثاني عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

أسرد في هذه الرسالة بعض ما عرفته وشاهدته عن هذا الإمام الفذ رحمة الله عليه، وسأورد الحديث عنه بعد تقديمي هذا في الفصول التالية:

١ ـ بداية اللقاء والمعرفة من عام (١٣٦٧هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ).

٢ ـ وصف مدرسته وبعض المبرزين من تلامذته.

٣ ـ مشاهد من حياته وسيرته.

٤ ـ بعض أصفيائه وأحبابه.

٥ ـ أعماله ومناصبه.

٦ ـ ما قيل في رثائه، ومن رثاه نظماً ونثراً.

٧ ـ آثاره العلمية ومؤلفاته.

هذا وأسأل الله أن يجعل ما كتبته عين ما يتمنى كلّ محب وعارف فضله، ولا يفوتني أن أنوّه إلى أن هناك جوانب من أخلاقه وسيرته، تحتاج إلى دراسة وعرض وتحليل، لتبقى في سيرة العلماء النبلاء، قدوة للمقتدين، ونبراساً للصَّالحين.

وأرجو أن ينبري لها من هو أقدر مني على التعبير، وأجدر بالتوضيح والتفسير.

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

إسماعيل بن سعد بن عتيق

١٤١٣/٥/١٠هـ

* * *

أولاً: بداية اللقاء والمعرفة:

ففي بداية العقد الثاني من سني العمر أي عام (١٣٦٧هـ) وفي وادي الدواسر مقر السكن والولادة همس لي والدي بأربع كلمات قائلاً:

غداً نركب السيارة، ونسافر إلى الرياض، وننزل على الشيوخ، ونرتب على الشيخ. هذه الأربع الكلمات أو الجمل المختصرات كانت بشرى لم تكن لأقراني وأترابي، فركوب السيارة في عام (١٣٦٧هـ) لا يتسنى لأحد، حيث لا يوجد في البلد سوى سيارة واحدة تابعة لقصر الحكومة.

أما السفر إلى الرياض فهي أمنية الكبار فضلاً عن الصغار ولا يمكن إلا لمن غامر وتطلع إلى المراجل والأسفار.

والنزول ضيوف على الشيوخ يعني بذلك الملك عبد العزيز، حيث يعبر بالشيوخ عن الملك عبد العزيز.

أما الترتيب على الشيخ فالمعنى الدراسة والانتظام في سلك الطلب عند الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فكان كل ذلك في وقته المحدد كما وعد بذلك والدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لم يمض على ما وعد به والدي من همساته في إذني وسره إليّ أربعة عشر يوماً حتى وصلنا الرياض بعد أن أمضينا في الطريق سبعة أيام من وادي الدواسر إلى الرياض، والتي نقطعها اليوم في سبع ساعات.

وصلنا الرياض فكان أول لقاء بالشيخ الإمام معلم الجيل حيث يتوافد له الطلاب من داني البلاد وقاصيها، فما أن تمّ السلام عليه والتعريف حتى أمر رَحِمَهُ اللَّهُ بإسكان والدي في غرفة خاصة، وهذا أمرٌ نادر لا يحصل لأحدٍ من طلاب العلم لضيق الأماكن، وكثرة الطلاب، فالغرفة الواحدة قد يسكنها أكثر من عشرة، وتقديراً وأملاً في أن يتفرغ والدي للعلم والدراسة فقد اهتم به رَحِمَهُ اللَّهُ كما هي عادته في إكرام الأسرة من آل عتيق، واحترامهم والعناية بهم أملاً أن يبرز فيهم طلاب علم ومعرفة، أسوة بسلفهم ـ رحمهم الله ـ.

فكان والدي ملازماً لحلقات التعليم صباحاً ومساءً، فقد رتب على الشيخ في كتاب التوحيد، ومتن الزاد، وقراءة عامة في الشروح لمدة عام أو تزيد ـ رحمة الله عليه ـ.

أما السلام على الشيوخ ـ أي الملك عبد العزيز ـ فكان ذلك بمعية والدي، وكان التعبير المستعمل آنذاك [ننوِّخ على الشيوخ] ومن بعد ذلك تكتب شرهة المناخ، تمَّ السلام على الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وأمر بالضيافة، كما أمر بصرف الشرهة التي تدعى شرهة المناخ مئة ريال لوالدي، وخمسين ريال لابنه.

ومن الجدير بالذكر ما هو في حوزتنا من الوثائق التاريخية بتاريخ (١٣٤٣هـ)، المتضمن أمر الملك عبد العزيز كتابياً للأمير عبد العزيز بن دغيثر ـ باعتبار قاعدة إسماعيل ابن الشيخ حمد بن عتيق (١٠٠) صاع بر، و(٤٠٠) وزنة تمر، وذلك سنوياً تصرف من البروة في وادي الدواسر، حيث كان الجد إسماعيل يقوم بوظائف دينية في وادي الدواسر من عام (١٣١٦هـ) إلى أن توفاه الله عام (١٣٤٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذلك بجانب أخويه العالمين الجليلين الشيخ عبد العزيز بن حمد، والشيخ عبد اللطيف بن حمد، ولهما القيادة الدينية والتوجيه للمناطق

الجنوبية خلفاً لوالدهم الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمهم الله ـ.

نعود إلى ما بدأت به من التعريف بالعلم الشامخ، كبير الأمراء والمشايخ الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ فهو الذي عناه والدي بقوله: [نرتِّب على الشيخ] والشيخ إذا أطلق فالمراد به الشيخ محمد بن إبراهيم ولا شيخ سواه إلا من كان في الأقاليم والقرى المتناثرة، فيدعى الشيخ باسمه، وهذا كافٍ في المصطلح والمتعارف عليه بين الناس الخاصة والعامة، أن الشيخ هو الشيخ محمد بن إبراهيم مرجع الفتيا والقضاء، والتعليم، بل والسياسة، والتوجيه لكثير من الأمور التي ربما تستشيره الدولة في ذلك.

وفي ذلك العام لم تكن المناصب والمراتب ومسميات الوظائف، غير أنه يصرف للطلبة مخصصات سنوية وشهرية، وصدقات عن طريق الشيخ ولم يكن للشيخ من الوظائف المسماة سوى التعليم والإمامة في مسجد الشيخ عبد الله، والخطابة في الجامع الكبير، والدرس العام في كل أسبوع في السوق الصفاة، فهذا برنامجه اليومي والأسبوعي، غير أن التعليم هو غاية ما يصبو إليه، وجلّ وقته كذلك، وقد شاهدته في جلساته المتتابعة من بعد صلاة الفجر إلى قرب صلاة الظهر رَحِمَهُ اللَّهُ، وما أنا آنذاك إلا طفل يبلغ الحادية عشرة من عمره، ليس له من عمل سوى التردد على كتاتيب تعليم القرآن ـ المدرسة القرآنية الوحيدة ـ أو لعلّها الثانية فيما أعرف في مدينة الرياض، ألا وهي مدرسة محمد بن أحمد بن سنان اليمانيّ الصنعانيّ، تقع في الجهة الغربية من دخنة حارة العلماء وطلاب العلم، وهي في سطح مجبَّب على سكة ضيقة تسع لخمسين طالباً مزدحمين يتعلمون القرآن فقط.

ومن بين أولئك الطلاب من أهل الرياض هذا الوجه الغريب في مظهره ومنطقه، أما المظهر فهو اللباس المتميز بما يسمى بالردون أو الذلائق، وهو ثوبٌ واسعٌ فضفاض، وأكمامه طويلةٌ، تصل إلى نصف

القامة، اشتهر بهذا اللباس أهل الحوطة من بني تميم، فكان اللابس لهذا في الرياض يدعى بالحوطيّ، وكنت كذلك حتى اشتكيت لوالدي هذه النسبة غير الصحيحة، لأن الطلاب أخذوها مأخذ التزمت، والحوطي مستصغر عندهم، فكان الاستياء من ذلك على أشده.

وأما غرابة المنطق فكان لكلٍّ إقليم، بل لعلّ لكلِّ قرية لهجة يتميزون بها في المنطق والتعامل، فشتَّان بين لهجة أهل الرياض وبين لهجة الدواسر، وهذا كان معروفاً ومشهوراً إلى عهدٍ قريب تتميز به كل منطقة، بل كل مدينة بلهجتها الذاتية كالإمالة في آخر الكلمات أو الغنة أو غير ذلك من الأصوات التي يعرف بها الرجل في تحديد بلده وقبيلته، مثال ذلك: كلمة «بُهْ» ـ بضم الباء وإسكان الهاء ـ هي لهجة أهل القصيم والمعنى «فيه» بلهجة غيرهم.

فكان الطلاب يحاولون استنطاقي بلغة أهل بلدي حتى يدخلوا معي في المزاح والتندر، وكنت مكتئب غاية الاكتئاب من نشازي في المظهر والمنطق بين أولاد أهل الرياض المتزعمين في ظنهم حسن المظهر والمنطق وأن من عداهم تبعٌ لهم.

أمضيت على هذا سنة أو تزيد لدراسة القرآن الكريم حتى تجاوزت النصف منه، حيث عدنا إلى الوطن بمعية والدي، وقد انتهت منيته وحان أجله ليدفن في الصحراء الجرداء، عليه رحمة الله، عام (١٣٦٨هـ).

أما وظيفتي الثانية ـ فترة إقامتي في الرياض ـ فهي عمل خيري، قد يستغرب القارئ ما أحكيه في ذلك الزمن، وهو أنه لا يوجد في الرياض تيار كهربائي البتة، بل إن وقود السرج بالقاز غالٍ ونادر جداً، فكانت وظيفتي بعد كلّ عصر أحمل سراج المطالعة من بيت الطلبة إلى القصر ـ قصر الحكومة في الصفاة ـ لتعبئة ذلك السراج.

وليتك تشاهد ذلك الزحام لتعبئة السرج، وأتاريك الذوات من

الأمراء والأعيان، فهذا يصيح بأعلى صوته: هذا سراج الأمير وآخر يقول: هذا أتريك الأميرة ـ لتعبئته بالقاز، ولعلّ كل بيت يتبعه عدد من السرج، أما ذلك الطفل الصغير فيحمل سراج المطالعة لتعبئته بالقاز في هذا الزحام المصحوب بالركل والصياح، فكانت الإساءة الثانية مع ضعف الجهد وقلة الحيلة في التخلص من هذا التكليف اليومي ـ وهو طبعاً بلا مقابل ـ ولكنه طلباً من المسؤول عن بيت المطالعة ألا وهو محمد بن بخّيت الذي ربما يهدي لي مرة بعد أخرى إما حبة ترنجة، أو ملء كفيه عبري «ثمر السدر» وهذا هدية الصغار وكفى.

عودٌ أحمد بعد عامين عدت إلى الرياض أي في عام (١٣٧١هـ).

وقد أنهيت الدراسة الابتدائية من الثانية إلى الثالثة الابتدائية، ومن الثالثة إلى الرابعة حيث لم تفتتح المدارس النظامية في بلدنا إلا عام (١٣٦٩هـ) عدت وأنا متطلع إلى طلب العلم ومزاحمة ركب العلماء في المساجد وحلق التعليم، فكان لي ما أردت حيث تمّ اكتتابي ضمن طلبة العلم الدارسين في مسجد الشيخ، كما تمَّ الأمر بصرف مرتب شهري قدره اثنا عشر ريالاً، وشرهتي الشتاء والصيف، وكان لغالب أسرتنا ممن لهم قدمٌ في الطلب مصروفات أخرى من التمر والعيش والكسوة إلى غير ذلك من المسميات كبدل الحطب والقهوة، ولكن الصغار من الأسرة كأمثالي لم يحظَ بما حظي به سلفه من المكافآت السخية غير أن ما يصرف لي من المرتب يكفي لشهرٍ كامل وزيادة، حيث لا يوقد في الحجرة نارٌ سوى دقائق محدودة لإعداد الشاي وما يلزم من الأدم الخفيفة، والله المستعان.

وبعد العام نفسه أي عام (١٣٧٢هـ) حظيت بوظيفة أشرف من ذي قبل ألا وهي تدريس القرآن في بيت الشيخ محمد بن إبراهيم لمدة عام ونصف عام، كانت أيامها مزدهرة بالحركة العلمية والنشاط في مسجد الشيخ وفي بيته، وتكاثر طلاب العلم فقد خصّني سماحته بغرفة في

مسجده كانت معتكفاً للأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللَّهُ مما تجدد لدي النشاط في الطلب والدراسة، وكنت أحد طلاب العلم المنتظمين في الترتيب على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وفي حلق تحفيظ القرآن في مسجد الشيخ، وفي ضحى كلّ يوم أتوجه إلى بيت الشيخ لتعليم القرآن الكريم لصغار أهل البيت، وكنت كالابن للشيخ لما حظيت به لديه من حفاوة وتكريم، حتى ظن البعض أنني أحد أبنائه، لكثرة ملازمته، وخاصة من البيت إلى المسجد، ومن بيته الكبير إلى بيته الآخر، وكان بينهما مسافة، فكان هذا هو بداية المعرفة عن كثب لأحوال الشيخ في بيته وخارج بيته، ولولا أنَّ ما أعلمه وعلمته عن أحواله وسلوكه في بيته أمانة وسر؛ لبحتُ بشيء من ذلك. فقد كانت سيرته عطرة في تعامله مع أهله وبيته وخدامه ومن حوله.

ولا يجوز لي أن أتحدث عن دقائق تلك السير، فقد لا يعجب البعض من أهل بيته، ولكن ما شاهدته من سيرته وعمله كان انطباعاً ذاتياً في حياتي، فقد تأثرت بسيرته رَحِمَهُ اللَّهُ سيما وأنني حديث السن يتيم الأب، مفعم بالإحسان من سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأكتفي بذكر بعض المشاهد من سيرته وحياته خارج بيته.

ففي عام (١٣٧٣هـ) التحقت بالمعاهد العلمية وتخرجت عام (١٣٨٤هـ) وكنت في قائمة المرشحين للقضاء في المحاكم الشرعية، ولم أحاول في بداية الأمر التخلص من القضاء، ولكن ثقتي بأن الشيخ سيهب لي بعض العناية للمعرفة السابقة.

أمضيت في الملازمة تسعة أشهر، ثم راجعت معالي نائبه الشيخ إبراهيم بطلب نقلي إلى الإفتاء بدلاً من القضاء، فعرض الأمر على سماحة الشيخ فوافق رَحِمَهُ اللَّهُ، وتمّ الانتقال الوظيفي من المحاكم الشرعية إلى دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية عام (١٣٨٦هـ) إلى كتابة هذه السطور.

وفي عام (١٣٨٧هـ) استشرت سماحته في السفر إلى إفريقية في الدعوة إلى الله، فأشار عليَّ ودعا لي وشجعني على السفر إلى غرب إفريقية وبالتحديد إلى نيجيريا، فتوجهت إلى تلك المناطق النائية الموحشة المقفرة السوداء القاتمة، احتساباً وطلباً للأجر والمثوبة وإحياءً لرسالة الأنبياء وواجب العلماء.

أمضيت في نيجيريا عشرة أشهر عدت منها، فأتيت إلى سماحته وهو في الطائف، ففرح بقدومي وقال: أنت ضيفنا.

وأخبرته بأحوال البلاد والعباد، وفور عودتي كلفني معالي نائبه بالقيام بأعمال الدعوة في الداخل والخارج نيابةً عن مديرها الشيخ محمد بن قعود، ثم ترفعت إلى وظيفة رئيس قسم الوعظ والإرشاد، وهكذا تدرجت في مراتب العمل، وصلتي بالشيخ صلة الواثق من آرائه وما يدلي به. وكان هو الآخر يأخذ بالكثير مما أقوله؛ فقد طلب مني أحد أعضاء الإفتاء الكتابة عن منظمة قائمة فعرض ما كتبته على سماحة الشيخ فوافق على محتواه.

وبهذا كانت الصلة بالشيخ من عام (١٣٦٧هـ) إلى أن توفاه الله عام (١٣٨٩هـ) ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

ثانياً: وصف مدرسته وذكر بعض المبرزين من تلامذته:

لا بد من الذكر أن مدينة الرياض ليس لها مركز سياسي ولا علمي إلا بعد أن كانت عاصمة للدولة السعودية، في الدور الثاني من أدوار الحكم السعودي، وذلك أن الإمام تركي بن عبد الله جعلها قاعدة حكمه، وعاصمة للدولة السعودية، بعد أن كانت في الدرعية في عصر الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز، وسعود بن عبد العزيز، وعبد الله بن سعود، وقد تهدمت الدرعية على يد الطاغية إبراهيم باشا، الممثل للدولة العثمانية والذي وكل إليه القضاء على الحركة الوهابية سياسياً وعلمياً.

أما السياسية فقد انتهت في تصورهم بالقضاء على الإمام عبد الله بن سعود قتلاً في إسطنبول.

وأما العلمية فقد أجلوا آل عبد الوهاب ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف، وألزموهما بالإقامة الجبرية في مصر، ولكن لله في خلقه شؤون فقد عادت الدولة وعادت الحركة العلمية في نجد على يد الأسرتين الكريمتين آل سعود وآل الشيخ.

عاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن من مصر عام (١٢٤١هـ) وأسس قواعد التعليم في الرياض، ووضع كفه بكف الإمام تركي بن عبد الله آل سعود فعادت الدولة، وتحركت عناصر القوى النجدية في استرجاع ما دمرت الأيدي العثمانية، وهكذا ظلت الحركة السياسية والعلمية كفرسي رهان في ميدان السباق، وقد استقرت الدولة السعودية في عهد الإمام تركي وابنه فيصل ثم عبد الله الفيصل، إلى أن حصل خلافٌ بين الأخوين عبد الله وسعود، اضطرب بسببه الأمان، وخفت به كفتا الميزان إلى أن قيّض الله للأمة صقر الجزيرة، وموحد أجزائها الملك عبد العزيز فقام بما قام به سلفه من نشر العلم بعد تثبيت الأمان، فكان العالم عبد الله بن عبد اللطيف، ساعده الأيمن، والموجه لشؤون الدولة في النواحي التعليمية والقضائية، ثم خلفه وورث سيرته ابن أخيه في سنه المبكر، فكان هو الإمام المعلم، والمستشار الناصح - وإليك وصف مدرسته العلمية بعد هذه التوطئة بما ذكر.

في عام (١٣٣٩هـ) انتقل العالم المفتي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف إلى جوار ربه، فاستشار الملك عبد العزيز من حوله من العلماء عمن يرشح لهذا المنصب الديني والسياسي، فكانت الأنامل تشير إلى محمد بن إبراهيم وهو إذ ذاك لا يتجاوز ثمانية وعشرين عاماً، فأخذ الملك بمشورة العلماء ومنهم العلّامة الشيخ سعد بن عتيق، والشيخ الفاضل حمد بن فارس وغيرهما.

وقد التزم الشيخ محمد بما كلّف به، فكان هو خطيب جامع الإمام

تركي بن عبد الله، وبدأت حلقات التعليم بمسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في دخنة، علماً بأن الشيخ سعد كان يعقد حلقات تعليمية في جامع الإمام تركي، ويؤم الناس في الصلاة عدا صلاة الجمعة وخطبتيها.

وقد استمر الحال إلى أن توفي الشيخ سعد عام (١٣٤٩هـ) فتحول الطلاب إلى الشيخ محمد فكان مجلسه صباح مساء، كله تعليم ومذاكرة، وذلك لما تتطلبه الدولة الناشئة من قضاة ودعاة وخطباء وأئمة، منوط ذلك بهذه المدرسة المباركة، وقد تمّ ذلك أو جلّه، وتحقق الكثير منه بحمد الله وتوفيقه.

ويمكن تقسيم مدرسة الشيخ محمد تقسيماً زمنياً إلى ثلاثة أقسام: من عام (١٣٣٩هـ)، كانت أولى مراحل تدريسه خلفاً لعمه الشيخ عبد الله. ومن عام (١٣٤٩هـ) توحد بالتعليم وتفرد بالأستاذية خلفاً لأستاذه الشيخ سعد بن عتيق حيث اتسعت رقعة أعمال الدولة، وكثر خريجو مدرسته وتولوا أعمال القضاء والدعوة والتدريس في أرجاء المملكة. ومن عام (١٣٧١هـ) كان الدور الثالث الزمني حيث قام الشيخ بالتدريس في أمهات الكتب والمراجع لخواص الطلاب وكبارهم حتى عام (١٣٨٠هـ)، حيث تفرغ لمهامه القيادية، مع أن البحث والمطالعة يجريان مجراهما في أمهات المسائل وما يتطلبه العمل في القضاء والفتيا.

وقد كان له رَحِمَهُ اللَّهُ قارئان يلازمانه، أحدهما في المسجد وهو الشيخ عبد العزيز بن شلهوب، والثاني في البيت وهو الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم، وغالباً ما يكون بعد العشاء لتحضير بعض المسائل الهامة التي تحتاج إلى مراجعة وبحث، هذا عدا من يقرأ عليه المعاملات المتعلقة برئاسة القضاء ودار الإفتاء.

أما المرحلة الأولى والثانية فإنني لم أدرك تلك الأعوام، ولكن من عام (١٣٦٧هـ) كان لي بعض الإدراك لما كنت أشاهده من حلق التعليم في بيت الشيخ وفي مسجده، وفي بيت المطالعة بيت الإخوان فقد كان

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يجلس بعد صلاة الفجر مباشرة لحفاظ المتون في الفقه والحديث والنحو.

الفقه: «زاد المستقنع».

والحديث: «بلوغ المرام».

والنحو: «ألفية ابن مالك».

ثم بعد استماع قراءة جزء من المتن من حفظ الطلاب يقرر القراءة تقريراً مرتلاً تحسب كلماته عدّاً حتى إن البعض من الطلبة يكتب شرحه وتقاريره واختياراته وترجيحاته، ثم بعد الشرح الشفوي يعاد قراءة المتن مع شرحه، وإذا مرّ ما يرى الشيخ إعادة تقريره لتثبيته في الأذهان عاد وقرر، وإلا أخذ القارئ في قراءة الشروح سرداً، وقد يسأل بعض الطلبة فيجيب سماحته على السؤال، مع أن السائل قليل، فهم يكتفون باستماع الشرح الشفوي ثم قراءة الشرح، وقلّ من يسأل حفاظاً على الوقت والبعض هيبةٌ من الشيخ خشية أن يخطئ في السؤال.

وبعد الإشراق وارتفاع الشمس ينهض الشيخ من مجلسه في مسجده ويتجه إلى بيته، فينصرف الطلاب بانصرافه للاستراحة والإفطار لمدة ساعة تقريباً، ثم يستأنف الجلسة في بيته، وقد فتح الباب للناس ـ عامة الطلاب والمستمعين ـ فيجلس الطلاب صفوفاً في الديوانية حتى لا تكاد تجد موطئ قدم في هذه الجلسة، تقرأ عليه المختصرات في التوحيد، والأصول الثلاثة، وشروط الصلاة، وآداب المشي إلى الصلاة، وكتاب التوحيد، وربما قرئ عليه المصطلح كالبيقونية، ونخبة الفكر من مصطلح أهل الأثر، وطريقة تدريسه مثل ما سبق: الاستماع إلى الطلاب حفّاظ المتون مجزأً، ثم شرح الدروس شرحاً مبسطاً يُفهم فيه صغار الطلبة، سمعته ذات مرة يقرر مراتب الدِّين فقال ما معناه: الدين هكذا على ثلاث مراتب، مرتبة الإسلام، وهي الدائرة الواسعة التي يدخل فيها من أتى بالأركان الخمسة ظاهرياً، ثم دائرة الإيمان أخص من دائرة الإسلام، ثم

دائرة الإحسان أخص مما قبلها، وهكذا كان يحلق بيديه على الأرض ثلاث حلقات، وبعد انصراف صغار الطلبة من قراءة المختصرات يأتي دور المطولات.

وربما نهض الشيخ إلى بيته لتجديد وضوئه والاسترخاء فترة قصيرة حتى يتهيأ كبار الطلبة وهم ممن يقرؤون المطولات كفتح الباري شرح صحيح البخاري، بل وكافة شروح الأمهات، وهم قليلون، إلا أن القراءة تطول، وقد يقرأ القارئ الصفحات إلى أربعين أو خمسين صفحة في باب واحد أو موضوع واحد، أو في كتاب محدد، لا يرى الشيخ تجزئة قراءته، ويستمر هذا المجلس إلى ما قبل صلاة الظهر بساعة ونصف تقريباً، وكان الشيخ إذا أمر بالبدء قال: سمِّ: أي سمِّ الله، وإذا أراد الانتهاء قال: بركة، تشعر القارئ بالتوقف.

وفيما بين قراءة المطولات وصلاة الظهر يأتي بعض أصحاب الحاجات أو من يريد أن يسلم على الشيخ، فيستمر مجلسه إلى أذان الظهر وهذا ما شاهدته مراراً ينهض بعد أذان الظهر من مجلسه الذي بدأه بعد الإشراق إلى أن يحين وقت أذان الظهر بصبر وجلد واحتساب عليه رحمة الله وبركاته، وهكذا سارت أيامه ولياليه.

هذا وكان للشيخ درسٌ بعد صلاة الظهر مباشرة لقارئ واحد لا يتجاوز عشرين دقيقة تقريباً، وممن أدركته وهو يقرأ عليه: الشيخ عبد الرحمن الحماد أحد منسوبي الإفتاء ثم رئاسة القضاء.

أما بعد صلاة العصر فيُقرأ عليه قراءة عامة وهو في محراب الصلاة بعض كتب الحديث ـ لا يزيد عن أربعة أو خمسة أحاديث تقريباً ـ أما بعد صلاة المغرب فيخصص مجلسه في البيت لزيارة المشايخ والمحبين وبعض الأعيان ومن له حاجة، وهذه الجلسة مستمرة إلى ما قبيل أذان العشاء حيث يخرج سماحته وبمعيته من في المجلس إلى المسجد لصلاة

العشاء، بعد أداء سنة ما قبل صلاة العشاء يجلس في المحراب ويقرأ القارئ عبد العزيز بن شلهوب تفسير القرآن الكريم، إما ابن كثير، أو الطبري في الغالب. أذكر من تقريراته في التفسير على قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية [النساء: ٩٣]. قال: الحقوق ثلاثة: حق لله تبارك وتعالى، وحق للورثة، وحق للمجني عليه. الأول: يسقط بالتوبة، والثاني: يسقط بأداء الدية، والثالث تقوم الخصومة بين الجاني والمجني عليه يوم القيامة.

هذا ومن الجدير بالذكر أن مدرسة الشيخ محمد هي على غرارِ مدارس سلفه في اختيار الفنون والمعارف العلمية، وفي مقدمة ذلك: التوحيد وبيانه ورد الشبه العالقة في أذهان بعض الناس في توحيد الألوهية، أو توحيد الأسماء والصفات، فالفن الأول في فن التعليم هو التوحيد، وذلك بقراءة كتب التوحيد وتدريسها ابتداءً بالأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد وشرحه، ثم تدريس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في باب الأسماء والصفات، يلي ذلك في الأهمية كتب الفقه، وبالذات مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، وذلك بتدريس أخصر المختصرات في الفقه، وزاد المستقنع ودليل الطالب وقراءة شروحها، ثم المطول في المذهب كالمغني والكشاف والكافي إلى غير ذلك من شروح كتب الفقه، ويأتي في الدرجة الثالثة كتب السير والتاريخ كسيرة ابن هشام، والبداية والنهاية وكتب المغازي والحوادث، أما كتب القصص والوعظ فإن علماء الدعوة يضربون عنها صفحاً، بل وينهون عنها وبالأخص كتب ابن الجوزي كالمرعش والتبصرة وغيرهما لما فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ـ رحمهم الله ـ.

أما ذكر بعض المبرزين من تلامذته فهو كثير، ولا يمكن عدهم وحصرهم وهم حصيلة خمسين عاماً، غير أنني أذكر بعض من تميز بمنصبه الرسمي في الدولة، ومن له أثر في التوجيه والتأليف، أو

الأعمال القيادية وذلك كأنموذج لنجاح هذه المدرسة وفعاليتها في النهضة العلمية في الجزيرة العربية، وذلك ما قبل المدارس النظامية.

فالجامعات الإسلامية التي بدأت منذ ثلاثين عاماً أو أكثر بقليل، فنذكر أنه من عام (١٣١٩هـ) أي دخول الملك عبد العزيز الرياض واستقرار حكمه، بدأ توظيف القضاة من مدرسة أو مدارس آل الشيخ العلمية، وقلّ أن تجد قاضياً من غير هذه المدرسة، ولعلّ ذلك يعود إلى الإعداد الكامن في اختيار الأشخاص المكلّفين بأعمال القضاء في أطراف المملكة، وحتى آتت الكليات والمعاهد العلمية ثمراتها من عام (١٣٧٦هـ) أولى دفعات التخرج وما قبل ذلك هم من المدرسة المذكورة، لذا فإن حصرهم قد يعجز عنه الحاصر، ولكن نذكر بعض النماذج والأمثلة لمن هم في قمة الشهرة لعلمهم وفضلهم ومكانتهم وتأثيرهم، وهم كما يلي حسب المعرفة والخبرة من تلامذة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ **سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**: والذي واصل دراسته عليه حتى عام (١٣٥٧هـ)، حيث كلّف بالقضاء في الدلم بالخرج، والشيخ عبد العزيز أشهر من أن يُعرَّف، فقد شاع ذكره وذاع في جميع الأصقاع، ومناصبه معروفة ومناقبه مشهورة، وحتى كتابة هذه الأسطر فهو يقوم بالدور القيادي الديني والتوجيه السياسي عند اللزوم.

٢ ـ **العلامة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد**: يأتي في الدرجة الثانية وإن كان يتميز على من قبله بالفهم لدقائق الأحكام الفقهية وما ركب في طبعه من الحزم والجزم، وإدراك أغوار الرجال، فقد عرف بالقوة ونصاعة الرأي وتقييم الرجال، بينما تميز زميله الأول بالبساطة وحسن العشرة مع حسن الظن واللطف والشفقة والرحمة، مع تضلعه في علم الحديث ومعرفة أحوال العالم الإسلامي. فكأنَّ وجود الاثنين في ساحة العمل يكمل

أحدهما الآخر، وذلك أن طبيعة عمل كلّ واحد منهما يتفق مع جبلته وفطرته، وكلاهما من مدرسة العلّامة الشيخ محمد بن إبراهيم، مع أنهما قد أخذا عن غيره كالشيخ سعد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز، والشيخ حمد بن فارس - رحمهم الله -.

٣ - **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم**: من أبرز تلامذته وهو العالم الأصولي المحدث اللغوي صاحب المؤلفات المشهورة، والذي جمع فتاوى ابن تيمية في سبع وثلاثين مجلداً كما جمع، فتاوى علماء نجد في أحد عشر مجلداً أسماها: الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

٤ - **الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي**: كانت آخر مناصبه رئيساً عاماً للإشراف الديني على الحرمين الشريفين، كما كان رئيساً للمحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية، ثم في الرياض ثم في مكة المكرمة.

٥ - **الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري**: كان آخر أعماله رئيساً لديوان المظالم، وكان الشيخ يعجب به أثناء الطلب، غير أنه سافر إلى مصر، وعاد منها وقد توقف من طلب العلم لدى الشيخ مما جعل الشيخ يستنكر منه هذا الصنيع، مع صلة المذكور بالشيخ واستشارته له.

٦ - **الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد**: رئيس هيئة التمييز بالرياض وكان علماً فذاً، درَّس في كلية الشريعة في بداية تأسيسها، وله بعض المؤلفات في الفرائض وبعض الردود، منها ما هو ردٌّ على الشيخ ابن محمود وهي مطبوعة ومتداولة رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ - **الشيخ راشد بن صالح بن خنين**: كان تلميذاً للشيخ عبد العزيز بن باز في الدلم ثم تتلمذ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم حتى تخرّج عام (١٣٧٦هـ)، فكان عضواً في الإفتاء، ثم في رئاسة

القضاء، ثم رئيساً لتعليم البنات، وأخيراً مستشاراً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

٨ ـ **الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض**: الكاتب والمؤلف، تخرّج عام (١٣٧٦هـ) وكان عضواً في الإفتاء، ثم في رئاسة القضاء، وترشح لعدة مناصب.

٩ ـ **الشيخ محمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق**: كان آخر أعماله رئيساً لمحكمة ضرماء، وكان في سنِّ الشيخ أو أكبر منه، وكان كثير الملاطفة والاختصاص بالمحادثة الخاصة، وكان الشيخ يجله ويحترمه، كما كان إماماً لمسجد الشيخ في شهر رمضان.

١٠ ـ **الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي**: الداعية الإسلامي في الجنوب، وإن لم يتخصص في العلوم إلا أنه كان تلميذ الشيخ في شبابه، ثم سافر إلى الهند ثم إلى مصر، ومنها توجه إلى سامطة وأقام دعوته، وكان الشيخ محمد هو من أوائل من ناصره وساعده في تكوين دعوته حتى فتح المعهد العلمي في سامطة عام (١٣٧٤هـ).

١١ ـ **الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل**: مفتي منطقة عسير ورئيس علمائها، كان له دورٌ في الإرشاد، والتوجيه والتعليم في منطقة عسير وما جاورها. وهو عالم فقيه محدث فرضيّ، ذو سلوك خاص يتميز به، وهو كثرة الذكر، فلا يكاد لسانه ينطق إلا بالتكبير والتهليل والتسبيح. أصيب في آخر أيامه بمرض اعتزل المجتمع وانزوى في بيته، فكَّ الله أسره، وجعل له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل بلاء عافية.

١٢ ـ **الشيخ صالح بن علي بن غصون**: أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، واشتغل في التدريس ثم في القضاء، وله مشاركة في البرامج الدينية

في الإذاعة، وله مواقفٌ مشهورة، وصولاتٌ وجولاتٌ في مجال إنكار المنكر والأمر بالمعروف، وهو فذٌّ في شهرته وصيته ومعرفة الناس.

١٣ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان**: أحد أعضاء قضاة هيئة التمييز، وُلِّي القضاء في الأفلاج، ثم في الدلم، وهو عالم فقيه، وله بعض التآليف من الكتب المفيدة، وقد أتمَّ نظم الزاد المسمى بنيل المراد، بدأه العلامة الشيخ سعد بن عتيق وأنهاه وأتمه ابن أخته عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان، وفقه الله الملك المنان.

١٤ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن فريان**: العالم والواعظ الناصح، من أشهر الدعاة، وأكثرهم نفعاً، تخصص في خدمة القرآن الكريم وتعليمه، فكان رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن، وكان ذا غيرة دينية، وحمية إسلامية، أنعم الله عليه بأربع خصال: العلم والتجارة والعبادة والدعوة.

١٥ ـ **الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش**: العالم العلّامة، الفقيه، ذو المكانة العلمية والشخصية اللامعة، كان آخر أعماله رئيساً لمحاكم مكة المكرمة، وله تعليقات على مغني ذوي الأفهام في الفقه الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦ ـ **الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ**: قرأ على الشيخ بعض المطولات، فكان قد تتلمذ على العلامة الشيخ سعد بن عتيق، والشيخ عمر الملقب بفاروق زمانه كان رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد، والمنطقة الشرقية، ومعروف بحدته وشدته وشجاعته رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧ ـ **الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ**: قاضي الرياض، والذي هو

الآخر تتلمذ على الشيخ محمد بن إبراهيم في المطولات والشروح، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ممن عرف بالمجابهة للمسؤولين ومصارحتهم في مجال الحق، وكان حذراً فطناً فيما يمليه من أحكام، وله مواقف مشهورة، وأيادٍ مشكورة ـ عليه رحمة الله ـ.

١٨ ـ **الشيخ العلّامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل**: كان عضو الإفتاء، بل من أبرزهم، وكان ذا لياقة ولباقة، حسن المظهر، جيد المنطق، يرتاح الشيخ لكلامه ويأخذ بآرائه، وهو المتحدث الأول في مجلس الفتوى، وله بعض التندر والنكت اللطيفة الخفيفة، يروح بها عن جلسائه ومحبيه من غير خروج عن نطاق الأدب، ذو الخلق الحسن، أحيل للتقاعد بعد أن أمضى في القضاء خدمة طويلة، كان أولها في المناطق الجنوبية. عفا الله عنه.

١٩ ـ **الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي**: العالم الفذ، والقاضي الماهر، كان عضواً في هيئة التمييز، ويمتاز الشيخ البواردي بسرعة البديهة والإدراك وإدراك لحن الخصوم، وإنجاز الأعمال، كان رَحِمَهُ اللَّهُ ينظم الشعر على البديهة، وينطق السجع على البساطة، جاءه رجل فحيّاه فقال: وعليكم السلام عدد ما طلع في السواري من غرس، وعدد ما نبت للديك من ضرس، وعدد ما تزينت عجوز لعرس..، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ، ورثاه حبيبه وصفيه الشيخ راشد بن خنين، حيث كانا على وئام واتفاق منذ القدم، وهو محبوب لشفافة طبعه، وحلاوة نطقه رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٠ ـ **الشيخ العلامة حمد الجاسر**: الأديب المشهور شيخ الأدباء، مؤرِّخ الجزيرة كان قد ولي القضاء، ولكن ميله الأدبي والتأريخي جعله لا يرتاح لأعمال القضاء فقد تخلص منه بالحكم بدية القتل (١٠٠) ناقة، وطالب بتنفيذ الحكم أو قبول استقالته، فقبلت استقالته، فكان مديراً عاماً للتعليم بجانب الشيخ محمد بن مانع مؤسس

التعليم النظامي في المملكة، ثم شارك في تأسيس المعاهد والكليات، وأخيراً تفرغ للكتابة والبحث في تأريخ الجزيرة العربية وأصدر مجلته «العرب» وفقه الله لكلِّ خير.

وبعد فهؤلاء من ذكروا من مشاهير، وأبرز طلاب الشيخ محمد بن إبراهيم، ويمكن القول بلا تجاوز: إن كافة علماء المملكة، وبالذات المنطقة الوسطى وبالأخص من تولوا القضاء هم ممن استفاد من مدرسة الشيخ محمد أو من تلامذته، وهذا الفضل يعرفه العام والخاص ـ رحمة الله عليه وعلى سلفه ـ فهم أئمة الهدى، وأنوار الدجى. جعل الله فيما قدموه خيراً وبركة وفضلاً للعالمين... والله أعلم وصلّى الله على نبيّنا محمد.

ثالثاً: مشاهد من حياته وسيرته:

١ ـ في عام (١٣٧١هـ) في عصر يوم ما أتى بعض الذوات والمحسوبين على الدولة برتبة وزير، ومعه ثلةٌ من حشمه وخدمه، أتى إلى الشيخ برسالة شفوية من الملك عبد العزيز، فاستأذن على الشيخ قبل أن يعرف الشيخ سبب مجيئه، فرفض الشيخ مقابلته، إلا أن هذه الشخصية أصرّت على مقابلته، لما يحمله من الرسالة الشفوية، فأمر الشيخ محمد أن يستدعى أخوه الشيخ عبد اللطيف لمقابلته، وأخذ ما لديه، فجاء الشيخ عبد اللطيف، وأخبر أن الشيخ لا يرغب في مقابلته، وعليه أن يخبره بما يريد ليبلغ سماحة الشيخ، فأبت هذه الشخصية إلا مقابلة الشيخ، فعاد الشيخ عبد اللطيف لأخيه وأخبره بأنّ لديه أمر من الملك عبد العزيز يرغب بتبليغه إياك مشافهة، فقال الشيخ: لا بأس ولكن لا يسلم عليّ، وعليه أن يدلي بما لديه على بعدٍ مني، فرأيته وقد جلس على بُعد من الشيخ وهو يتكلم بصوتٍ خافتٍ يُسمع الشيخ فقط من غير أن يسلِّم الشيخ عليه، أو هو يسلِّم على الشيخ، وذلك لما سمعه الشيخ من انحرافٍ في سيرة هذا الرجل.

٢ ـ في عام (١٣٧٢هـ) أتى رجل بيت الشيخ محمد ومعه تنكتان من عسل وطلب من منصور العتيبي [قهوجي بيت الشيخ] أن يخبر الشيخ بالتنكتين من العسل، وسمّى نفسه، وبعد استلام العسل دخل الشيخ في المجلس وقد انصرف صاحب العسل، فأبلغ القهوجي الشيخ بالتنكتين والشخص الذي أتى بهما، فما أن انتهى كلامه ثار الشيخ وكاد يضربه، ولكن ليس معه عصا، وأمر بإخراج التنكتين خارج البيت والبحث عن صاحبهما لاستلامهما، فأخرجهما القهوجي من البيت، وذهب مهرولاً للبحث عن صاحبهما، فوجده قريباً من قصر الحكم، قال لي القهوجي: فما إن رأيته حتى أخذت عقالي، وقلدته في رقبته، فكنت أجره بشدة وقوة وأناوله لكماً وضرباً، حتى وصلت بيت الشيخ وأمرته بحمل التنكتين، وقد عرف من عملي معه قوة غضب الشيخ وإنكاره عليَّ حين استلمت التنكتين، وذلك لأن الشيخ لا يتقبل مثل هذه الهدايا من مثل هذا الرجل، ومن الجدير بالذكر أن منصور العتيبي هو عسكري وضع لحراسة الشيخ، ويؤدي خدمة صب القهوة وخدمة الشيخ.

٣ ـ وبعد يومين من هذا الحادث أتى إلى بيت الشيخ أحد طلاب العلم وهو الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين ومعه صندوقين صغيرين من الرطب، وطلب من الحاجب أن يسلّمه للشيخ، فرفض وأخبره بما حصل منذ يومين من حكاية صاحب العسل، ثم طلب مني أن أدخلها على الشيخ في البيت فحملت الصندوقين الصغيرين من الرطب وناولتهما الشيخ وهو جالسٌ في مجلس قهوة النساء، ووضع يده على الصندوقين، ثم أمرني بتسليمهما لأم عبد العزيز وهي جالسة قريبة منه، وأمرها بفتح الصندوقين وتناول منها، فعدت إلى محمد العثيمين وأخبرته بأن الشيخ قبل هديته، وأكل منها وكنت أحمل معي في يدي تمرات منها.

من هنا ندرك الفرق بين الأول والثاني، فالثاني أحد طلابه وجاء بشيء قليل وهو في بداية الثمار وأظنه جاء به من وادي الدواسر حيث لا

يوجد في الرياض رطباً في هذا الوقت، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ له مواقفٌ من طلبته وإخوانه وأحبابه، غير العامة وسواد الناس، يدرك هذا في هذين الحدثين المتقاربين زمناً، المختلفين سلباً وإيجاباً ـ رحمة الله عليه ـ.

٤ ـ سمعت الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم يقول: أتى رجلٌ إلى الوالد وهو في مكة المكرمة يسأله كفناً لوالده المتوفى لعدم قدرته على ذلك، قال الشيخ إبراهيم: فأمرنا الوالد بتسهيل أمره بما يجهز به والده المتوفى، وبعد عامين أتى الشخص نفسه من مكة المكرمة وعرض نفس الطلب فقال الشيخ: منذ عامين لم تدفن والدك ولم تقدر على تجهيزه، فعرف الرجل أن الشيخ عرف حيلته في التسول، فانصرف من غير أن يكرر طلبه المزور.

٥ ـ كان لدى الشيخ أغنام تحت رعاية وإشراف أحد أفراد البادية في البر، فجاء هذا البدوي وسلّم على الشيخ كأنه قادم من البر لتوِّه، وبعد مصافحة الشيخ سأله: متى قدمت من البر؟ قال البدوي: من قريب ولكن الشيخ قال له: إنك تقيم في البلد منذ زمن ولم نرك، فأدرك البدوي أن الشيخ عرف أنه مقيم ويعمل في الرياض، وذلك حينما مسّ الشيخ يد البدوي خشنة إثر العمل، بخلاف لو كان قادماً من البادية، فلا يوجد في كفه هذا الأثر، فاعترف هذا البدوي واعتذر من الشيخ عمّا قاله.

٦ ـ حدثني الأخ الشيخ سعد بن محمد بن إسحاق بن عتيق، وكان ممن تخرج عام (١٣٧٦هـ) وكلف بالقضاء، غير أنه لم ينقد لأعمال القضاء، قال الشيخ سعد: مكثت سنة لم أعمل، ثم أرسل إليّ الشيخ برقية أن أتوجه إليه فوراً، وحين مقابلة الشيخ والسلام عليه ردَّ عليّ: مهجور مهجور! بصوتٍ عالٍ مغضب قال: فعدت إلى منزلي، وبعد ثلاثة أيام رجعت إلى الشيخ فاستقبلني وردّ عليّ السلام، وتلطف لي بالقول مما جعلني ألتزم بأعمال القضاء، وهكذا رَحِمَهُ اللَّهُ في مواقفه مع كثيرٍ من الطلبة، وبخاصة الذين لم يلتزمو بأعمال القضاء وهم أهلٌ له، فالشيخ

سعد بن محمد بن إسحاق بن عتيق من أقدم الطلبة لدى الشيخ محمد، وكان إماماً لمسجد الشيخ في صلاة التراويح سنوات متعددة، وقد كلف بالقضاء، والتزم به في الحلوة ـ حوطة بني تميم ـ ثم في القصب ثم في وادي الدواسر، وأخيراً ترفّع على مرتبة قاضي تمييز في مكة المكرمة مسدداً موفقاً.

٧ ـ في عام (١٣٨٨هـ) تمّ تكليف بعض الدعاة إلى منطقة الخليج وهي أول بعثة دعوية، ذهبت إلى الخليج في الإجازة الصيفية، وكنت ممن تشرف بحمل هذه الرسالة، وبعد العودة تحدثنا إلى سماحته عن واقع الخليج العربي. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تجولتم في كل المناطق؟ فقلنا: إلا الفجيرة، فابتسم قائلاً: سبحان الله! أتخشون من الفجور؟! وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عند تعجبه يقول: سبحان الله!.

٨ ـ أتى إلى الشيخ بعض من كُلّف بالقضاء وهو غير راغب فيه فقال: إنني أصرع، ولا أصلح للقضاء، فقال الشيخ: على الحالين: إن كنت كاذباً فلا تصلح، وإن كنت صادقاً فلا تصلح. وأعفاه من القضاء.

٩ ـ سأله في مجلسه محمد عطاء الهندي وكان كثير السؤال فقال: ماذا نصنع بالميت إذا مات في السفينة؟ فقال الشيخ: ألقه في البحر، فقال السائل: يطفح على البحر، فقال له الشيخ: اعمل له مثقلاً، فقال السائل: يأكله السمك، فقال الشيخ: إذاً احمله معك حيث شئت..!. ومن الجدير بالذكر أن محمد عطاء الهندي مهاجر وطالب علم، ولكنه قليل التحصيل ـ عفا الله عنه ـ.

١٠ ـ حدث أن صدر تعميم من جهة حكومية فيه بعض المخالفة الشرعية فاستدعى الشيخ أحد المسؤولين ليبلغ جهة مصدر التعميم بقوله له: عليه أن يتراجع عن هذا الأمر حتى لا يقال: إن محمد بن إبراهيم يخالف الجهة المصدرة لهذا التعميم لمخالفة الشرع، وهذا أسلوب من أساليب تغيير المنكر والمخالفات الشرعية لدى سماحة الشيخ، وإذا لم

يُجدي مثل هذا الأسلوب أعلن إنكاره المنكر إما في مسجده، أو في مجالسه العامة في البيت أو غيره.

١١ ـ سأله بعض الطلبة ولعلّه من صغارهم عن معنى: (هنوك) وهي اسم من الأسماء الخمسة، فتوقف الشيخ قليلاً ثم قال: زاء وباء، من غير أن ينطق بها، فأدرك السائل الجواب باستحياء.

١٢ ـ جاء رجل من وادي الدواسر من أعيان البلاد، وأخبره بأنه قد تمّ افتتاح مدرسة في قريته باسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ فأدرك الشيخ أن هذا تمهيد لكلام يريد أن يقوله، ثم قال الشيخ: ما عندك؟ فقال: القاضي في بلدنا فيه كذا وكذا.. فما تركه الشيخ يكمل كلامه، بل أمر الجندي بطرده وإخراجه، فقد كان لا يسمع في القضاة كلام العامة فيهم.

١٣ ـ جلس ذات يوم وهو منشرح الصدر فسأله أحد الجالسين عن ابنه الشيخ إبراهيم فقال: هو بخير، غير أنه ذهب إلى لندن لمعالجة ابنه صالح ثم تحدث الشيخ عن الإنجليز، وبعض البروتوكولات لملكة بريطانيا، وقال: يوجد لديها حرسٌ لا يتحرك وكأنه جماد، حتى جاء أحد يحركه فظن أنه تمثال، ثم ركله برجله، قال هذا متعجباً عن هذا النوع من الحراسة، والتعبد لغير الله ﷻ.

١٤ ـ تحدث سماحته عن حديقة هايد بارك، الحديقة العامة في لندن وما يجري فيها من حرية الكلام والأعمال، حتى إن بعضهم تكلم في القدح بأنساب الإنجليز، وقال: كلهم أولاد الشجر، بمعنى أولاد زناة قال: فالناس ومنهم الإنجليز يتعجبون من هذا ويضحكون مما يدل على تبلد طبع الإنجليز، وعدم غيرتهم حتى فيما يتعلق بأنسابهم، استرسل في هذا الحديث طويلاً، ووصف ما يقع في هذه الحديقة بدقة تامة، وتصور شامل ولعلّه قد بلغه الخبر عما يجري في هذه الحديقة، حيث قد سافر هو لبريطانيا للعلاج، وذلك آخر أيام حياته.

١٥ ـ تحدث الشيخ في مجلسه العام عن الحركة الفلسطينية، وما يعانون من آلام الطغيان اليهودي، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا أظن أن الفلسطينيين قادرون على إقامة دولة فلسطينية وطرد اليهود، وهذا أمر فيه بعد، ولكن الفلسطينيين بمثابة السرو في الغارب، والمعنى أنهم يؤذون اليهود، كما يؤذي السرو ـ الدابة الصغيرة ـ البعير في غاربه من غير أن يقدر البعير على الانتقام منه لصغره وحساسية موقعه من جسم البعير، وهذا تشبيه مطابق للواقع.

١٦ ـ تقدم أحد الطلبة في عام (١٣٧١هـ) وتسنم منبر الجمعة ليخطب في الناس بعد صلاة الجمعة، فأمره الشيخ بل زجره بالتخلي عن المنبر وترك الخطابة، ولكنه أقسم ألا ينزل حتى يقول كلمته، فأمر الشيخ من حوله بإنزاله عن المنبر، وذلك لأن هذا الرجل فيه تسرع وجرأة مع سوء أدب مع الشيخ وهو يمني الجنسية، فأمر الشيخ بتسفيره عن البلاد وعدم عودته إلى الرياض، وكان ذلك في ظرف ساعات من الزمن، وتكلم الشيخ في مجلسه عن هذا الرجل وعدم انضباطه، وتسرعه في الأحكام وهذا من مبررات تسفيره ـ عفا الله عن الجميع ـ.

١٧ ـ جرت عادة الملك سعود أن يزور بيوت المشايخ في أيام العيدين ابتداءً من بيت الشيخ محمد بن إبراهيم ثم الشيخ صالح بن عبد العزيز، وقد وقع الملك في إحراج عند زيارته للشيخ محمد حيث لا يوجد في مجلس الشيخ سوى كرسيين من الكنب، وكان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن عمّ الملك بصحبته في زيارة الشيخ، ورأيت الملك سعود يتردد في جلوسه على الكرسي وترك عمه واقفاً، غير أن الأمير عبد الله أشار إلى ضرورة جلوسه بجوار الشيخ على الكرسي، وظل الأمير واقفاً وذلك في عام (١٣٧٣هـ) حين كان استعمال الكراسي في ذلك الوقت قليل.

١٨ ـ اتصل الملك سعود تلفونياً بالشيخ محمد وسأله عن جواز

الحج بالطائرة من سماء عرفة ولم ينزلوا في الأرض حيث كانوا في أداء مهمة، فأجاب الشيخ بجواز ذلك، وأن سماء الشيء يقوم مقام أرضه وحجهم جائز بهذه الصورة، والحال ما ذكر، وهكذا فإن سماحة الشيخ على صلة وثيقة بالملك في كل ما قلّ أو جلّ في الحياة الخاصة والعامة ـ رحمهما الله ـ.

١٩ ـ سألني ذات يوم عن أعمامي، ويعني بهم أعمام الوالد أولاد الشيخ حمد بن عتيق، فلم أجبه لعدم معرفتي بهم لصغر سني فقال: أولاد جدك الشيخ حمد عشرة هم: عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله الأول وعبد الله الثاني، ثم توقف وقال: وشيخنا الشيخ سعد وأخوه محمد ثم جدك إسماعيل وإسحاق وعلي، هؤلاء عشرة عرفتهم؟ فقلت: نعم، فأمرني بعدِّهم على النحو الماضي.

٢٠ ـ من سيرته الذاتية أنه كان يجلس على متَّكَأَين متربعاً، وهذا قبل وجود كراسي الكنب، وكان قليل الحركة، ربما وضع يداً على متَّكإٍ وأخرى على المتَّكَأ الثاني، وهو يتكلم، فلا تسمع إلا نبرات صوته من غير حركة بيديه، وكان كثير التفكر وقد يسرح في تفكيره حتى ينسى من حوله.

شاهدته مراراً تصب له القهوة ويأخذ الفنجان بيده ويرشف منه رشفةً أو رشفتين ويبقى في يده من غير أن يناوله صباب القهوة، وقد تصب له القهوة ويبقى في تفكيره من غير أن يتناول فنجان القهوة، وقد يكلّمه القهوجي بقوله: سمِّ، بمعنى: خُذ، فلا يجيبه إلا بعد حين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعد سرد هذه المشاهد فإن ذلك يعطي نماذج من سيرة شيخنا وأعماله ومكانته الاجتماعية والعلمية والقيادية، فقد كان بإجماع مرجع العلماء والأمراء.

جاء رجل إليه، فقال: الله المستعان؛ بدأت هذه الدعوة بـ محمد بن

عبد الوهاب، وها هي تختتم بمحمد بن إبراهيم، رأيته وهي تسكب من عينيه دمعات، وسمعت الملك فيصل في مجلس العزاء وهو يقول: رحمة الله على الشيخ، لقد فتح علينا ثغرات لا نعرف كيف نسدها، وهكذا العظماء بعظم أعمالهم، تبقى ذكرياتهم في الحديث عنهم في جوانب متعددة من حياتهم، فالعلماء ورثة الأنبياء، فبقدر ما يرثون بقدر ما يتشبهون بالأنبياء عليهم رحمة الله.

وقد تبدو هذه المشاهد في نظر البعض عديمة أهمية ولا حاجة إلى تسجيلها، فهي أشبه بسيرة ذاتية، ليست ذات أهمية في مجال تحقيق العلم والمعرفة، ونقول: إن هذا لا يعنيك، دعه لغيرك كي يستفيد منه؛ فجزئية الشيء تدل على كله، والبعض يدل على الكل، وهذا لمن فهم وأدرك... والله ولي التوفيق.

رابعاً: بعض أصفيائه وأحبابه:

١ ـ العلّامة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري: شاهدته غير مرة إذا دخل الشيخ عبد الله العنقري ينهض الشيخ محمد من مجلسه، ويخطو إليه خطوات مستقبلاً إياه، ثم يجلسه في مجلسه الخاص به، وهذه خاصية للشيخ عبد الله العنقري لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ثمَّ يجلس الشيخ محمد عن يساره جلسة التلميذ المتأدب مع أستاذه، ولا يتحدث الشيخ بل يستمع إلى ما يقوله الشيخ العنقري، ولسان حاله يقول قولة الشاعر:

يا ضيفنا لو أتيتنا لرأيتنا نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل

وسر احترام الشيخ محمد للشيخ العنقري هو أن الشيخ العنقري من العلماء المبرزين، والذي له يدٌ في الإصلاح، كان قاضياً في المجمعة وما يتبعها من مناطق سدير والزلفي، وله حاشية على «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، كما أن كبر سنه جعله محل احترام وتقدير لدى سماحة الشيخ، وما رأيته يكثر حفاوة وتقديراً كما هو مع الشيخ عبد الله

العنقري، وكلاهما زملاء في الطلب، فهما تلميذان مبرزان للعلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، رحم الله الجميع وغفر لهم، إنه سميع مجيب.

٢ ـ **الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك**: سمعت الشيخ غير مرة يثني على هذا الرجل ويذكر إخلاصه وزهده وتأثيره على البلدان التي ينصب فيها، ويذكر من آثاره في الجوف الشيء الكثير، وكان الشيخ فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ مع فضله وعلمه كان أحد المجاهدين الذين اشتركوا في الغزوات أيام توحيد الجزيرة مع الملك عبد العزيز، وله بعض المؤلفات في التفسير والحديث وشروح لبعض المختصرات كالآجرومية والرحبية ـ رحمة الله عليه ـ.

٣ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم**: سمعت الشيخ يذكر عن هذا الرجل حرصه على طلب العلم وتحرير المسائل، فإنه لا يكلّ من المطالعة والكتابة، وقال: إنه رجل يستفيد من وقته في دينه ودنياه، وقال الشيخ محمد: عجبت من هذا الرجل زرته في مرضه، فوجدت عنده الكتب يقرأ ويحرر.

ومن المعلوم أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هو الذي جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، كما جمع الدرر السنية أحد عشر جزءاً، وله مؤلفات مطولة ومختصرة كان قد تتلمذ على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقرأ على الشيخ محمد بعض ما يكتبه ويحرره من الفتاوى والمسائل ـ عليه رحمة الله وبركاته ـ.

٤ ـ **الشيخ أحمد محمد شاكر**: المحدِّث المصري، كان يجلس عند الشيخ في زيارته للمملكة، وكان الشيخ يُجله ويحترمه، وربما جرى البحث معه في علوم الحديث فيستمع إليه استماع المستفيد والمسترشد مما عند الشيخ شاكر، ومن المعروف اختصاص الشيخ أحمد شاكر بعلوم الحديث، وقد قام بترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب الفقه، وكان

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يحثه على إنجازه وإتمامه، غير أن المنية خرمت أجله قبل أن يتمّ عمله رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان يتردد على سماحته ويجلسه في مجلس الاحترام والتقدير.

٥ ـ **محمد حامد الفقي**: رئيس أنصار السنّة في مصر ينزل ضيفاً على الشيخ، وكان الشيخ يخصه بجلسة بعد العصر، ويصغي إليه كثيراً فيما يقوله عن أحوال مصر الدينية والاجتماعية والسياسية، ولكن قلَّ أن يدخل معه في البحث في المسائل العلمية، بل إن الشيخ حامد يطلب من الشيخ محمد توجيهه في التوحيد وما يخالف به أهل البدع، ومن المعلوم أن الشيخ محمد حامد الفقي يمتلك مطبعة نشر فيها كثيراً من كتب مشايخ وعلماء أهل نجد على نفقة الملك عبد العزيز، ومنها ما هو على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع آنذاك.

٦ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي**: المحدّث الذي كان أحد أعضاء هيئة التدريس في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة وقبل ذلك في المدينة المنورة بدار الحديث.

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يظهر له المحبة والإكرام، ويصغي إليه كثيراً وربما جرى البحث معه في مسائل علم الحديث والرجال، سمعت الشيخ عبد الرحمن مرة يقص على الشيخ حكاية ضبٍّ، قال الإفريقي: ذبحته بكرهٍ من أهلي، وبعد أن وضع في القدر وأوقدنا عليه بالنار تحرك الضب، فقلت لأهلي: خلاص أخرجوه من القدر نخشى أن يتحرك في بطوننا، فضحك الشيخ محمد وقلّ أن يضحك، ولكن الشيخ عبد الرحمن كان يقص بأسلوب فيه عجمة، وكان يجتمع بالشيخ في كل ليلة بعد صلاة المغرب في الجلسة العامة، وله دروس أسبوعية في مسجد الشيخ محمد في علم الحديث، توفي الإفريقي رَحِمَهُ اللَّهُ وأوصى على أبنائه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

٧ ـ **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي**: كان الشيخ يجله ويصغي إلى كلامه، وربما استشاره في بعض الأشياء، ومنها ما شاهدته حين وصلت برقية من ألمانيا لعلّها استفتاء أو طلب حضور اجتماع في ألمانيا، فأراد الشيخ عرض الموضوع الخاص بهذه البرقية على الشيخين عبد الرحمن بن يوسف، والشيخ الأمين، فأعطيا رأيهما في الموضوع، فكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يستمع كثيراً إلى الشيخ الشنقيطي، وربما جرى البحث معه في دقائق اللغة وأشعار العرب، وعلم المنطق والفلسفة، وإن كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، لا يوافق الشنقيطي في دراسة علم المنطق، وقد عرض الشيخ الشنقيطي عندما رأى الشيخ يستمع إلى كلامه في المنطق، عرض عليه أن يدرس في كلية الشريعة، ولكن الشيخ أجابه: من **تمنطق فقد تزندق**، ومن الجدير بالذكر أن الشيخ العلّامة الشنقيطي أحد الأفذاذ في علم التفسير واللغة والفقه والحديث، وله تفسير القرآن الكريم «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» رحم الله الجميع.

٨ ـ ....**بن كليب**: أحد تجار الرياض، سمعته مرة يقول عنه في مجلسه: هذا الرجل جادٌّ ونزيه، ولكن الناس لا يتركون أحد، وكان ابن كليب هو الذي قام بالإشراف على تعمير جامع الرياض، وكان على صلة قوية بالشيخ، حيث يستشيره في بناء الجامع، والذي أنهاه في (٩) أشهر، بدأ به في محرم عام (١٣٧١هـ) وصلّى فيه الملك عبد العزيز أول جمعة من رمضان من نفس العام.

٩ ـ **الملك عبد العزيز**: كان الشيخ يتحدث عن قوته الجسمية، وقال مرة: لقد أخذ الملك عبد العزيز رجلاً جسيماً سماه بعبد الرزاق، بزنديه وأدلى به من على السطح، ثم اجتذبه، ومن المعلوم صلة الشيخ بالملك عبد العزيز صلة المستشار والمرجع للشؤون الدينية، وكان الشيخ مع مجموعة العلماء في كل خميس، يجلسون في القصر بالصفاة، ويجري الحديث في شؤون المسلمين، ولكن قلّ أن يتحدث في مثل هذا

المجلس غير الملك والشيخ محمد بن إبراهيم، وعلى منوال الملك عبد العزيز استمرت هذه الجلسة مع خواص العلماء إلى يومنا هذا، غير أنه تغير اليوم بدلاً من يوم الخميس صار يوم الإثنين، والله ولي التوفيق.

١٠ ـ **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**: بعد أن قدم الشيخ من الدلم أكرمه سماحة الشيخ محمد بمأدبة كبيرة حضرها كثير من المشايخ والعلماء، وكان الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم يكثر من الثناء عليه في مجلس الشيخ محمد، وكان الشيخ يستشعر منه الرضا والإعجاب بما يقوله الشيخ عبد اللطيف عن الشيخ ابن باز، ولكن الشيخ محمد لم يتكلم بمدحٍ أو غيره، ولكنه في قرارة قلبه يجله ويحترمه، ويراه من أخص تلامذته، ومن له باع في العلم والتفقه والدعوة.

١١ ـ **الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد**: يعتبر من أخص تلامذة الشيخ محمد، وقد عينه في القضاء في سنه المبكر في الرياض، ثم المجمعة، وكان الشيخ عبد الله له مواقف صلبة وقوية وشجاعة، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ الأحكام الشرعية، وكان يطمح أن تكون محاكم القصيم تابعة له استقلالاً في بريدة، إلا أنّ سماحة الشيخ محمد رئيس القضاة يرى ربط المحاكم برئاسة القضاء، تراجع نائب الرئيس وهو إذ ذاك الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ومن هنا حصل الاختلاف، وتقدم الشيخ ابن حميد بالاستقالة عن أعمال القضاء وبقي في التدريس إلى أن رشح رئيساً للإشراف على حرمي مكة والمدينة.

١٢ ـ **الشيخ عبد الرزاق عفيفي**: كان الشيخ يحترمه ويستشيره فيما يتعلق باختيار الطلبة المتخرجين من كلية الشريعة للقضاء، وأحياناً يرفض الشيخ رأيه، وقد حدث أن رشح الشيخ عبد الرزاق أحد الخريجين من منطقة جيزان يدعى جبران، فأراد الشيخ عبد الرزاق الاعتذار له من القضاء، فقال للشيخ: إنه صغير، وقال الشيخ محمد: إنه سيكبر، فقال: إنه أمرد لا لحية له، فقال الشيخ محمد: سنرسله إلى جماعته، وكان

الشيخ عبد الرزاق يقف من الشيخ موقف الهيبة والإجلال، حتى تكاد تعد كلماته عندما يخاطب سماحة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ ـ **محمد بن بخِّيت**: كان هو القائم على شؤون الطلبة من تنزيلهم والإشراف عليهم، وتوزيع مكافآتهم، التي مقدارها (١٢) ريالاً شهرياً لكل طالب، وكان محمد بن بخِّيت على صلة بالملك عبد العزيز حيث كان يقرأ عليه بعد صلاة العصر في كل يوم «رياض الصالحين» بالمربع، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد اتخذه أمين سره فيما يتعلق بالطلبة، وتبليغ حاجاتهم إلى الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤ ـ **علي بن عبد الله بن خميس**: جاء خلفاً لمحمد بن بخيت، بل قد جعله الشيخ وزيراً له، وكان صادق اللهجة محبّاً للطلبة، مواسياً للفقراء والمحتاجين، رأيته يتفقد غرف الطلبة ليلاً، وربما يوزع عليهم بعض الصدقات من الزكاة، تصرف على يد الشيخ محمد، زيادة على المرتب الشهري، وكان الشيخ يأخذ برأي علي بن خميس في كثير من شؤون الطلبة، ولا يتكلف في مداعبته، حدث يوماً أن تكلم علي بن خميس تلفونياً إلى مكة مخاطباً الشيخ عبد الملك بن إبراهيم، فقال الشيخ: كلمت مكة يا علي؟ قال: نعم، قال: فكلم الدرعية، فقال: لا تلفون فيها، قال: عجباً لك تكلم البعيد ولا تكلم القريب، ومثل هذا يحصل من الشيخ أحياناً مع غيره.

١٥ ـ **سويلم بن محمد السويلم**: كان مراقباً للطلبة في المسجد ثم في معهد إمام الدعوة مساعداً للشيخ علي بن خميس، وكان سويلم غالباً ما يكون بجوار الشيخ في جلساته سواء في البيت، أو في المسجد، فهو بمثابة العين، حدث أن قرأ بعض الطلبة في الكتاب بدلاً من حفظه، فقال سويلم جهراً، والشيخ يسمع: يا فلان (لا تقرأ في الكتاب) فغضب الشيخ على هذا الطالب المخادع.

لذلك فإن الطلبة يأخذون حذرهم من سويلم دائماً.

١٦ ـ **عبد الله الصانع**: سكرتير مكتبه الخاص، والذي تسلّم ختم سماحته، وقد اختير له مكتب مستقل، عليه لافتة كبيرة (المكتب الخاص) وهو يعنى بالشؤون الخاصة، وقد لازم سماحة الشيخ إلى أن توفاه الله، وكان عبد الله الصانع ذو روية ودراية بالناس، وبمجرى المعاملات، وكان يحمل المعاملات الكثيرة ثم ينجزها بعد عرضها على سماحة الشيخ عرضاً موجزاً: سمعته مرة يقول للشيخ: وردنا كذا برقية عدُّها بالمئين تهنئة بالعيد، فقال الشيخ: أجب عليها.

وسمعت أن الشيخ عبد الله الصانع قد أوصى به الشيخ عبد الله العنقري إذ كان هو الكاتب له.

١٧ ـ **عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ**: شقيقه ووزيره وساعده الأيمن في كثير من القضايا الخاصة والعامة، ولعلّ الشيخ محمد يخص الشيخ عبد اللطيف ببعض آرائه وأفكاره، لما فيه من سداد وحنكة، ومعرفة الأحوال، وكان نائباً له في إدارة المعاهد والكليات، وكما هو معلوم أن الشيخ عبد اللطيف على جانب كبير من الخلق والتواضع، فكان الناس يلجؤون إليه ويتوسلون به في قضاء حاجاتهم التي يقدر عليها، كما كان مشاركاً للشيخ في التعليم في المسجد ـ رحمة الله عليه ـ.

١٨ ـ **الشيخ عبد الملك بن إبراهيم**: شقيقه الثاني، وقد كان الشيخ عبد الملك رئيساً لهيئات الحجاز، بل هو بمثابة المستخلف في شؤون الحجاز الدينية.

وكان الشيخ عبد الملك بن إبراهيم على جانب كبير من العلم والفضل والعبادة مما جعله محل ثقة الدولة ليكون رئيساً لهيئات الحجاز والمناطق الجنوبية استقلالاً، يراجع أخاه في كثير من شؤون الحجاز الدينية، مما يجعل الشيخ محمد على علم فيما يدور بالأماكن المقدسة ـ مكة والمدينة ـ ليقوم هو بدوره بالتوجيه والإرشاد.

١٩ ـ **إسماعيل بن سعد بن عتيق**: إشارة إلى بداية المعرفة بالشيخ

عام (١٣٦٧هـ) ثم في عام (١٣٧١هـ) كان المدرس في بيت سماحة الشيخ القرآن الكريم لبعض أبنائه وأحفاده، ثم موظف عام (١٣٨٥هـ)، ومما جعل هذه الصلة وثيقة بسماحة الشيخ ما يكنه من احترام وتقدير لأسرة آل عتيق، نظراً للرابطة العلمية؛ حيث كان هو من تلامذة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق.

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يخص هذا الرجل بالرعاية والعناية منذ الطفولة إلى أن أعفاه من منصب القضاء، وتكليفه بعمل الدعوة، تابع للإفتاء بدلاً من رئاسة القضاة، وهذا مما لا ينساه لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٠ ـ **عبد العزيز بن شلهوب**: كان هو القارئ للشيخ محمد في الكتب المطولة، كالتفسير والتاريخ، وكان حسن الصوت، قليل اللحن، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يخصه باللطف والعناية حتى كأنه أحد أبنائه، بل هو الصديق الحميم لابنه الشيخ عبد العزيز بن محمد، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عفيف اللسان، محبّاً للإخوان. حدث أن أخطأ ذات مرة في كلمة بقوله: وهذه لغة ـ حِمْير ـ بكسر الحاء وتسكين الميم ـ قرأها حَمِير بفتح الحاء وكسر الميم وإسكان الياء، فقال الشيخ: سبحان الله، وهل للحمير لغة.

وهذا نادرٌ جدّاً أن يلحن، ولكنه حدث هذا مرة، فكان محل تعجب للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أقول: هذه أسماء من ذكرت مثالاً، وليس حصراً، ولكن اخترت من هم على صلة بالشيخ دوماً، ونوعت هذه الأسماء من العلماء والعاملين معه، وإلا فإن محبّي الشيخ ومن يحبهم كثير، لا يمكن حصرهم وتعدادهم، وقد وقعت بعض أحوال لهم مع الشيخ تنبئ عن كمال هذا العلم ونضجه وتفكيره، فالشخص من أعوانه، والمرء بإخوانه، فكان هذا الشيخ كما سجله التاريخ. والله يشهد وهو خير الشاهدين.

خامساً: أعماله ومناصبه:

١ ـ كان أهم أعماله منذ عام (١٣٣٩هـ) حتى عام (١٣٧١هـ) هو **التدريس** في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في دخنة، حيث كان خلفاً لعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، فإليه ضربت آباط الإبل من أطراف نجد والحجاز واليمن؛ حيث كان مسجد الشيخ بمثابة الجامعة لتدريس فنون العلم، واستمرارية الدروس طيلة الأعوام، وقد قامت الدولة السعودية بتشجيع الوافدين لطلب العلم وذلك بصرف مرتبات لهم شهرياً، وصرف مكافآت لهم سنوية، تدعى بكسوة الشتاء، وبعض مصاريف من التمر والأرز، كما هيأ لهم مساكن تدعى بـ(بيوت الإخوان) كما بني لهم على استطالة دكاكين في دخنة شرقاً وغرباً بطول مئة وخمسين متراً تقريباً، غرف تدعى بالرباط... إلى غير ذلك من المشجعات التي دعت إلى تكاثر الطلبة في مسجد الشيخ، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بمثابة الوالد والمعلم والرئيس والمرجع؛ الكل في الكل.

٢ ـ وفي عام (١٣٧٣هـ) تمّ افتتاح **دار للإفتاء** والإشراف على الشؤون الدينية، تولى سماحته مهامها، فكان يدعى بالمفتي، وقد كُتب على أوراق مراسلته: المفتي الأكبر، فنهى رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك، ورفض تلقيبه بهذا اللقب، حيث كان هذا اللقب ملفتاً لأنظار بعض الطلبة.

وجرى الخوض في هذا اللقب، فحسماً للخوض وعدم التطاول بالكلام أمر سماحته بإلغاء هذا اللقب والإبقاء على كلمة المفتي.

وبجانب الإفتاء كان مشرفاً على الشؤون الدينية بصفة عامة من غير تخصيص ولا تحديد مكان في المملكة، حدث أن تولى إمامة مسجد في الإحساء بعض من عرف ببدعته، فأمر رَحِمَهُ اللَّهُ بأن يعزل عن الإمامة، ويختار غيره من أهل السنّة، هذا وقد اختار رَحِمَهُ اللَّهُ من يعينه على التحضير، وتحرير الفتاوى، واختار أربعة من العلماء المبرزين ليكونوا

بجانبه لتلقي الاستفتاءات والعرض على سماحته، ومدارسة الاستفتاءات والإجابة عليها بختم سماحته.

وقد عين نائباً له في الإدارة ابنه الشيخ إبراهيم بعد تخرجه من كلية الشريعة عام (١٣٧٦هـ).

٣ ـ وفي عام (١٣٧٠هـ) تمّ افتتاح **المعاهد العلمية**، فكان هو الرئيس والمشرف على المناهج التعليمية، وكان نائبه في إدارة المعاهد أخوه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، ويساعده الشيخ حمد الجاسر؛ حيث تمّ افتتاح أربعة معاهد في الرياض وبريدة وسامطة والمجمعة، تلا ذلك افتتاح كلية الشريعة ثم كلية اللغة في الرياض، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتخول المعاهد والكليات بزياراته وتوجيهه في الفصول الدراسية وقاعة المحاضرات، كما كان وثيق الصلة بالعلماء المدرسين، ومنهم العلامة الشيخ المفسر محمد الشنقيطي، والشيخ المحدث عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي، والعلّامة الأصولي الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والعالم بتقويم البلدان الشيخ محمد عبد الرحيم، وعلماء النحو والصرف واللغة: يوسف الضبع، وعبد اللطيف النمر، ومحمد القط، وهم من علماء الأزهر المبرزين عدا الشيخين الشنقيطي والإفريقي، ومن علماء نجد: الشيخ عبد الله الخليفي وعبد العزيز بن رشيد، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فكانوا بجملتهم الجهة التعليمية العليا في المملكة، ورئيسهم الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ وفي عام (١٣٧٦هـ) تم افتتاح رئاسة القضاة في المملكة كان هو الرئيس في المنطقة الوسطى والشرقية حتى عام (١٣٧٨هـ)، فكان رئيساً لقضاة المملكة بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن الذي كان يشرف على قضاة الحجاز، فكان يدعى رَحِمَهُ اللَّهُ بالمفتي ورئيس القضاة ورئاسة القضاة على إطلاقها في (التعيين، والعزل، والتأديب، وتمييز الأحكام) وهو المرجع لكل ما يتعلق بالقضاة، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتخفف من الأعمال الإدارية والروتين الرتيب، وقد وكل هذا إلى فضيلة نائبه في رئاسة القضاة

نجله الأكبر الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

حدث أن حصل خلاف مع موظف صغير، فطلب من سماحة الشيخ النظر في موضوعه، فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ ببساطة: موضوعك عند عثمان الحقيل، وكان إذ ذاك مديراً عاماً لرئاسة القضاة، فقال الموظف: أنت رئيس القضاة، فقال: صحيح ولكني لست برئيسك.

فكانت سياسته في الإدارة اختيار الأفضل لمن يعينه على العمل، ثم إعطاؤه الصلاحية في كل ما يتعلق بالأعمال الإدارية، حيث كان رَحِمَهُ اللَّهُ يخصص وقته فيما هو أهم.

هذا كما تمَّ اختيار أعضاء لرئاسة القضاة بجانب سماحته.

٥ ـ وفي عام (١٣٧٩هـ) تم افتتاح رئاسة **تعليم البنات** بالمملكة، فكان هو المشرف والموجه لتعليم البنات، وقد اختار فضيلة الشيخ ناصر بن حمد الراشد رئيساً مباشراً لها ومرجعه الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قد توقف عن تعليم البنت السعودية تعليماً نظامياً على غرار مدارس تعليم البنين، كما كان هذا رأي جلّ علماء نجد، ولكنه رضي بعد ضغوط أجبرته على الإذن بافتتاحها تحت إشرافه، وقد شاهدت وسمعت حدثين:

الأول: أنه جاء رجل إلى الشيخ من الذوات والأسر الغنية، جاء ليقول للشيخ: لقد اخترنا لبناتنا التعليم؛ فتم ابتعاث عدد منهن إلى الخارج وأظنه قال: إلى بيروت؛ فما حصل منهن من انحراف فأنت السبب أيها الشيخ؛ حيث منعت تعليم البنت في بيئة صالحة تحت إشراف العلماء والآباء.

أما الحدث الثاني: فقد سمعته من الشيخ السلفي محمد بهجت البيطار الدمشقي، حين سُئل سماحة الشيخ: لماذا تزوج ابنه عبد العزيز من الشام؟ فقال الشيخ: لا أدري، فقال البيطار: أنا أدري؛ لأنها متعلمة وابنكم

متعلم، ويرغب أن تكون زوجته مثقفة متعلمة، وبهذا يشير إلى ضرورة افتتاح مدارس البنات، ليكنَّ بجانب أزواجهن المتعلمين السعوديين.

٦ ـ وفي عام (١٣٨١هـ) تم افتتاح **الجامعة الإسلامية** في المدينة المنورة فكان هو رئيسها، وقد اختار نائباً له سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومما هو معلوم أن الجامعة الإسلامية افتتحت بالمدينة خصيصاً للطلاب من أبناء العالم الإسلامي، ونسبة الطلاب السعوديين فيها قليلة جدّاً لا تتجاوز (٢٠٪)، وقد تمّ اختيار الطلبة من أنحاء العالم مما يقدر فيما بعد من مئة دولة أو تزيد، فكان الشيخ رحمه الله موجهاً لهذه الجامعة باختيار مناهجها، كما كان من توجيهاته تعيين مجلس أعلى للجامعة يضم نخبة من علماء العالم الإسلامي كجهة استشارية لما يجب أن يكون في الحاضر والمستقبل، وتسيير أعمال الجامعة غير الإدارية والمالية، فكانت جامعة إسلامية بمعناها الصحيح، سيما وأن الشيخ عبد العزيز بن باز الممثل للأبوة والمعلم الصادق الناصح ونائب الرئيس، وبهذا الصدق وحسن الإشراف، آتت الجامعة ثمارها، سيما وأن الدولة السعودية بقيادة رائد التضامن الإسلامي هو المشجع الأول على استمرار هذه الجامعة حتى آتت ثمارها، ولا تزال والحمد لله موئلاً لطلاب العلم من أصقاع المعمورة.

٧ ـ وفي عام (١٣٧٩هـ) تمّ تكوين **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة، وكان رئيساً لها، كما كان الأمين العام معالي الوزير السابق محمد سرور الصبان. والرابطة منظمة عالمية شعبية مواردها المالية من المملكة العربية السعودية، وهي تضم نخبة من العلماء والسياسيين يمثلون دولهم الإسلامية وبعض الأقليات في الدول غير الإسلامية، والغرض من تكوين الرابطة دراسة أحوال المسلمين في العالم وبالأخص الأقليات في الدول غير الإسلامية، وكان للرابطة دورٌ فعال برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، إذ كان الموجه الأول والرئيس في جميع

المجالس الدورية، وكان الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ هو صاحب الفكرة لهذه الرابطة، سيما وأن النشاط الشيوعي والاشتراكي امتد نفوذه إلى دول عربية وإسلامية، ومن هنا كان للرابطة دور في حركة التضامن الإسلامي ضد التكتل الشيوعي أو الاشتراكي أو القومي، وذلك بوسائلها المتعددة كدعم المشاريع الإسلامية والإعلام واللقاءات المتكررة بين رجالات العلم والسياسة في مكة المكرمة.

٨ ـ وفي عام (١٣٨٥هـ) صدر الأمر الملكي بافتتاح **مكتب الدعوة** تابع لدار الإفتاء؛ مهمته بعث الدعاة إلى الله في العالم الخارجي من متخرجي الجامعة الإسلامية في المدينة، بتوجيه من سماحته وتحت إشرافه تم اختيار عدد من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في دول إفريقية كان لصاحب هذا القلم شرف الاستجابة للدعوة إلى الله في غرب إفريقية، وبالتحديد في نيجيريا أكبر دول إفريقية الغربية مساحة وسكّاناً، حيث مكث بها سنة كاملة، كانت صلته بسماحة الشيخ صلة التلميذ بأستاذه، فكانت التقارير تتلى على سماحته ليطلع على أحوال العالم الإسلامي بواسطة معالي نائبه في الإفتاء، ومن هنا ندرك فيما مضى أن روافد العمل الإسلامي والتي تتمثل في الجهة التعليمية للجامعة الإسلامية في المدينة، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، ودار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية في الرياض؛ كلها تتوجه إلى دعم حركة التضامن الإسلامي، وكلها بإشراف ورئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ عليه رحمة الله وبركاته ـ.

٩ ـ **دوره في الإعلام**: لم يكن لعلماء نجد دورٌ إيجابي في الإعلام عموماً، بل على العكس من ذلك، فإن الكثير منهم يمج أجهزة الإعلام، وبالأخص الراديو والتلفاز، أما الصحافة فللكتّاب الإسلاميين بعض الدور في تخفيف ما ينشر فيها، إلا أنها لم تكن صلة إشراف وتوجيه، ولكنه نقد وملاحظة، وقد عمد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى إنشاء مجلة أسماها (مجلة راية

الإسلام) يرأسها الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، ومدير تحريرها الشيخ صالح اللحيدان، ومن كتّابها الشيخ زيد بن فياض، وقد آل إشراف المجلة إليه، وحدث أنه كتب مقالاً عن الدروز في لبنان، نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم، فاحتج دروز لبنان إلى الملك سعود، فأمر الملك سعود بإيقاف الكتابة عن الدروز، فراجع الشيخ زيد سماحة الشيخ في الأمر، فأمر سماحته الشيخ زيد بن فياض بالاستمرار في الكتابة عن الدروز أو غيرهم من أهل البدع، فقال: سأراجع الملك سعود في الموضوع، ثم تأسست مؤسسة الدعوة، فكان هو رئيسها ولا زالت تصدر والحمد لله.

١٠ ـ **دوره في السياسة والحكم**: قد يفهم البعض أن سماحة الشيخ هو مختص بالنواحي الدينية الدعوية منها والقضائية، غير أن واقع أعماله والحمد لله يشير إلى أنه الرجل الأول في الدولة؛ حيث يمثل التشريع والحكم الإسلامي ومن عداه، فهو جهة تنفيذ للأحكام الشرعية، وأعظم حدث في السياسة وقع في عهده أن قام هو بخلع الملك سعود، وإعطاء البيعة لولي عهده فيصل بن عبد العزيز، حيث اتفق الرأي من العلماء والأمراء عى عدم قدرة الملك سعود على إدارة الحكم، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ المعلن الأول بخلع الملك سعود، وبه تمت القناعة ورضي الجميع بذلك، ومن الجدير بالذكر أنه في اليوم الثاني من خلع الملك سعود توجه سماحته إلى قصر الملك سعود، وتحدث معه مما جعل الملك سعود يزول ما في خاطره، ويتم الوئام بين الأخوين، وينتظم سلك العمل بولاية الملك فيصل، ولا شك أن هذا حدث في السياسة السعودية، وقبل ذلك حصل لجده عبد اللطيف حين وقع الخلاف بين ابني الإمام فيصل سعود وعبد الله ـ رحمه الله وعفا عما سلف ـ.

وفي ختام ذكر أعماله ومناصبه قد يظن البعض ما ظنه الكثير في حياته أن سماحة الشيخ يتقاضى على كل وظيفة من الوظائف السابقة مرتباً خاصاً بكل وظيفة، والأمر على خلاف ذلك، فإن سماحة الشيخ

أعلى وأرقى أن يكون ممن تكون دنياه بين عينيه، فقد حدثني أمين الصندوق بدار الإفتاء عبد الرحمن بن سعد بن حقان قال: سماحة الشيخ ليس له اسم في المسيرات للرواتب كسائر الموظفين، ولكني آخذ مخصصاته من وزارة المالية مباشرة بتفويض من سماحته، والمعنى أنه ليس كسائر الموظفين الذين يعملون على مسميات الوظائف كالوزير أو الوكيل أو غير ذلك من كبار الموظفين وصغارهم، ولكن الشيخ يتقاضى حاجته من بيت المال من غير خضوع للروتين الوظيفي، كما أن الشيخ يكرر لدى محبيه براءته من تسمية أعمال القضاء بالوزارة أو الوزير، ولهذا رفض سماحته في حياته تسمية ما يتعلق بالقضاء والقضاة بوزارة العدل إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتكونت وزارة العدل، وعيّن أول وزير لها الشيخ محمد بن حركان، ثم الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ... إلخ وقد أحيل إلى التقاعد وخلفه بالنيابة الشيخ محمد الجبير.

وفي أثناء كتابة هذه الأسطر صدر الأمر الملكي بتعيين نجله الأصغر الدكتور عبد الله بن محمد بن إبراهيم وزيراً للعدل خلفاً لأخيه ـ علماً بأن هيئة القضاء العليا هي السلطة العليا فيما يتعلق بالقضاء والقضاة، والوزارة هي تشكيل إداري لها اختصاصاتها الإدارية والتنظيمية، وعلى هذا فإن ما رآه سماحة الشيخ من عدم انضواء القضاة في مسمّى الوزارة وما هو مشكل في التنظيم الوزاري لا خلاف بينهما، والحمد لله أولاً وآخراً.

سادساً: ما قيل في رثائه، ومن رثاه نثراً ونظماً:

ما كادت المصيبة تقرع الأسماع وتنشر وتذاع حتى أصيب العالم وبالأخص العلماء منهم بمصيبةٍ تقل عنها جلل المصائب، فما امتلك أحد غير العزاء والثناء والدعاء للمتوفى رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وقد انبرت الأقلام لتقول، وتفجرت أنهار الشعر لتعبر عن مدى أليم هذا الحزن والفجيعة الكبرى لقد عجَّت الصحف بالمقالات، وحرر على صفحاتها القصائد الشعرية

حتى رأينا من قال الرثاء شعراً وهو غير معروف بالشعر، ولكن مرارة الأسى تولد في النفس قريحة الشعر والإبداع في إظهار محاسن المصاب به، كتب وأنشد منهم على مستوى الوزراء والأدباء والعلماء، ومن له ملكة في التعبير، أما الذين كظموا وصبروا فهم كثير، ورحم الله من كانت مصيبته مصيبة ذوي الألباب، لا في أبوته وعطفه، ولا في علمه وفضله، ولا في قيادته وحنكته، ولكنها جوانب متعددة من حياته فقد فعاليتها العالم الإسلامي، وفيما يلي ذكر بعض من رثاه نثراً ونظماً، مما نشر في الصحافة المحلية وبالأخص في مجلة الدعوة التي قد اختصت بعدد خاص لما قيل في رثاه رَحِمَهُ اللَّهُ.

أولاً: معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ، وزير المعارف

يقول: تحت عنوان: عالِمٌ فقدناه:

صنفان من الناس يترك فقدهما فراغاً كبيراً وهزة بعيدة المدى، بل ربما يؤدي ذهابهما إلى الاضطراب والحيرة، وهما العلماء المحققون والزعماء المخلصون، والأمم في كل مراحل حياتها لا تستغني عن أولئك ولا هؤلاء، لأنها بالعلماء تعرف واجباتها نحو ربها ودينها وتمضي في حياتها على بصيرة، وبالزعماء تنظّم معيشتها، وتأمن بها السبل، ولا يمكن لأي إنسان أن يقف صامتاً عندما يشهد انحدار أو تهاوي إحدى الدعامات التي يقوم عليها مجتمعه، ونحن بما فقدنا قبل أيام بوفاة صاحب السماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم، نجد أنفسنا بشبه الدوامة الحائرة من الأسف والأسى، فالفقيد شخصية علمية لامعة، وحياته كانت جهاداً متلاحقاً في سبيل العلم والتعليم، وكان من أبرز صفاته بعد علمه الواسع عقله الكبير، فالفقيد كان يتحلى بعقلٍ راجح يحجزه عن الاندفاع والتسرع، . . . إلى آخر المقال.

المرجع صحيفة الدعوة عدد (٢٣١)

في (١٣/سنة ١٣٨٩هـ)

ثانياً: معالي محمد سرور الصبان، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: تحت عنوان: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

ما أثقلَ الأعباء بعد ثقل الرزية فيه، ولكن المعاني المتألقة في مجال المعرفة واقتباس الهداية هي الأشعة التي ما زالت، وستبقى تنبض في حياته الخالدة ـ حياة المؤمنين الصادقين والمجاهدين الثابتين في إعلاء كلمة الدين، إنها المنارة المضيئة في معالم الطريق للمقتفين أثره، المشمولين بما شمله الله به من حسن التوفيق، وإن خسارة الدولة الإسلامية في أي عالم لهي الخسارة التي من شقائها وآلامها، وفقيدنا العظيم من أولئك الأعلام الذين أدوا للدين رسالته، وللعلم أمانته، وللتشريع الإسلامي هدفه وغايته، فقد عرفت الفقيد الكبير عليه رحمة الله ورضوانه، لقد عرفت الفقيد الكبير أفضل المعرفة النجم المتألق في سماء رابطة العالم الإسلامي رئيساً لمجلسها التأسيسي، نعم عرفته الرجل الكريم في سيرته، وسريرته، الحكيم في رئاسته، الواسع الأفق في تصريف مهام الرئاسة بحنكة العالم وفقه المتمرس بجسام الأمور وعظائمها... إلى آخر ما قاله.

المرجع صحيفة الدعوة (٢٣١)
في تاريخ (١٣/١٠/سنة ١٣٨٩هـ)

ثالثاً: وكتب فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري: تحت عنوان: (مصيبة كبرى). قال:

أصيب الإسلام بوفاة فريد هذا العصر ووحيده مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، عظم الأسف لذلك وحزنت القلوب، وبكت العيون، وإنني في هذه الكلمة عاجز عن إيفاء تاريخ حياته حقه، لأن سيرته وفضائله أعظم من أن يبينها قلمي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى في شهرة الشيخ ما يغني عن الإسهاب والإطناب في ترجمته، وإنما أقتطف من ذلك ما يلي:

١ ـ نشأ الشيخ محمد بن إبراهيم في بيت أصيل عريق في الشؤون والعلم والتقوى والصلاح وبذل النفس والنفيس في إعلاء كلمة الله ﷻ ورفع شأنها، وإدحاض كل ما يثار حولها من شكوك وشبهات، نشأ في هذا البيت المبارك، فلم يرض لنفسه سوى الاقتفاء بآثار أولئك السلف الكرام، مجتهد في العلم ومواظب على تلقيه عن أهل ذلك البيت وغيرهم من أئمة العلم إلى أن نبغ وبرع... إلى آخر ما قاله الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ عفا الله عنه ـ.

المرجع: صحيفة الدعوة: العدد (٢٣١)
التاريخ (١٠/١٣ سنة ١٣٨٩هـ)

رابعاً: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: بعنوان: الكليات والمعاهد ثمرة من جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، قال:

يفتقد الرجال ويتألم الناس لفقدهم بقدر ما قدّموه من خدمات وأعمال لأمتهم ومجتمعهم، وتخلد أسماؤهم في التاريخ، وإن ماتوا بعد تضحياتهم في سبيل مبادئهم ومثلهم في الحياة إذا كانت عالية، ويقيّم التاريخ الرجل ويحكم له أو عليه بقدر ما يؤثر في بيئته وينتج في بني قومه، ولم يعهد أن الناس تألموا بفقد إنسان جهد في حياته لنفع نفسه فقط مادياً أو معنوياً، ولم يكن طوال الأزمان يعيشون مع أناس كانت أعمالهم لأنفسهم فقط، بل كانوا يعيشون مع أناس ماتوا منذ قرون طويلة ولا يزالون يعيشون معهم في أفكارهم وفي تراثهم، وفي جهادهم ودعواتهم، ذلك أنهم أنتجوا للأمة وللمجتمع، وهدفهم النفع العام، فاستفاد منهم اللاحق كما حيا بسببهم السابق، لذلك لم يختفِ لهم اسم وجالوا عبر القرون.

الناس صنفان: موتى في حياتهم، وآخرون ببطن الأمة... إلى آخر ما قال في مقاله المطول جزاه الله خيراً.

المرجع: صحيفة الدعوة (٢٣١)
في (١٠/١٣ سنة ١٣٨٩هـ)

خامساً: وكتب الشيخ حمد بن فريان (عليه رحمة الله): لقد كانت وفاة الفقيد حدثاً مفجعاً آلم القلم، وحرك المشاعر، ونبّه الأحاسيس. نعم إن وفاة فقيد المسلمين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم العبد اللطيف قد أبكت العيون، وأحزنت القلوب، ولأن المصيبة كبيرة والخطب جلل، ذلكم أن المصيبة تكبر وتُجْسُم حينما تكون من هذا النوع، فأيّ خسارة هذه، وأيّ مصيبة، إنها مصيبة العلم وخسارة المجتمع؛ فقبض العلماء نزع العلم، إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم، بموت العلماء، كلنا يعلم ما كان يتمتع به الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ علاوة على تبحره في علوم الشريعة ورجاحة في العقل، وحسن تصرف في الأمور مما جعله ينال المنزلة اللائقة به في نفوس القوم، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ عاقلاً بصيراً منذ صغره، عرف ذلك وأدركه كلّ من عاصره، فتوسم القوم فيه معاني الخير والفضيلة، وقدروه حق قدره، وفوق كل ذلك كان رَحِمَهُ اللَّهُ أباً بارّاً رحيماً لأفراد هذه الأمة، ومعلماً حكيماً... إلى آخر ما قال ـ عفا الله عنه ـ.

المرجع: صحيفة الدعوة ـ العدد (٢٣١)
في (١٠/١٣ سنة ١٣٨٩هـ)

سادساً: وكتب الأستاذ محمد لقمان السلفي، تحت عنوان: (لتبكي الأمة الإسلامية فقيدها)، قال:

اليوم الذي وافت فيه المنيّة فقيد الأمَّة وعالم الإسلام الشامخ الذي رفرف على العالم الإسلامي قرابة نصف قرن، ما أشد الوقت الذي سمعت فيه ذلك الخبر المحزن، وما أصعبه تحملاً، وما أبلغ وأعمق أثره في النفوس التي رأت الفقيد يقود قطار المجتمع الإسلامي نحو الازدهار والرقي في ظل تعاليم الدِّين الحنيف كمؤسس لدور علمية إسلامية، تتمثل في الكليات والمعاهد، وفي كليات الجامعات الإسلامية التي ضمت ألوفاً من أفلاذ أبناء الإسلام من أقطار شتى إسلامية وغير إسلامية، عربية وشرقية، وكرئيس لرابطة العالم الإسلامي التي تجمّع كل سنة خلاصة

المسلمين في العالم بأسره متمثلة من علمائهم الذين كانوا يجتمعون تحت رئاسة الفقيد العظيم، ويتباحثون في أمور دنياهم ودينهم، الأمر الذي لم يوجد إلا منذ سنوات عديدة، والعلم الذي طالما رآه العلماء ولم يخرج تعبيره إلى حيّز الوجود إلا بجهود الفقيد الغالي الجبارة... إلى آخر ما قاله الدكتور محمد لقمان السلفي.

المرجع: صحيفة الدعوة عدد: (٢٣١)
في تاريخ (١٣٨٩/١٠/١٣هـ)

سابعاً: وكتب الأستاذ سعد بن عبد العزيز الرويشد: تحت عنوان: (فقيد الإسلام)، قال:

لقد أمضى الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ خمسين عاماً من عمره المبارك في تعليم العلم النافع في التوحيد والفقه والحديث والتاريخ واللغة العربية والفرائض وغيرها، قطع ثلاثين سنة من الخمسين عاماً يدرس تلامذته ليلاً ونهاراً في مسجده المعروف بمسجد الشيخ بالرياض، وجانباً من مجالس التدريس كان يقضيها في دار سماحته، وداره بجوار مسجده الذي بقي إماماً له مدة خمسين عاماً حتى توفاه الله، ومجالس تدريسه مستمرة في جميع الأوقات والفصول، فلا يعرف الكلل والملل والانقطاع، ونفع الله بعلومه وبارك فيها حتى تخرج عليه علماء كثير، من أبرزهم الشيخان الفاضلان: عبد الله بن حميد، وعبد العزيز بن باز، وهؤلاء العديدون سدوا فراغاً كبيراً في القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد، والمناصب الهامة الأخرى، ومنذ أن بدأت العشرون الباقية من الخمسين عاماً من عمره رَحِمَهُ اللَّهُ وبُعد أمصار المملكة يتطلب التوسع في مجال العلم والتعليم، اتفق سماحته مع الملك عبد العزيز على فتح أول معهد علمي في مدينة الرياض عام (١٣٧٠هـ)... إلى آخر مقاله.

المرجع: صحيفة الدعوة: العدد (٢٣١)
سنة (١٣٩٠هـ)

ثامناً: وكتب الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم آل الشيخ ـ ابن أخي المرحوم ـ تحت عنوان: (صفحات في حياة الفقيد) كتب وأجاد وأفاد لعلمه بعمه وقربه منه، وحريٌّ أن يكون ما كتبه موثق فيما أدلى به من أرقام وتواريخ، قال فيما كتب:

هو الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله جميعاً.

ومن ذلك يتضح أنه من سلالة أعلام أفاضل فهو شيخ ابن شيخ ينتهي نسبه إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدعوة المحمدية، وناشر السنّة النبوية، ومحارب البدع والخرافات في نجد وما حولها، أما أخواله فهم من بيت كريم، إذ إن جده لأمه هو عبد العزيز الهلالي أمير عرقة آنذاك وأحد أخواله هو محمد بن عبد العزيز الهلالي من أدباء عصره وشعراء زمانه، وقد تولى إمارة عرقة بعد والده، ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة الرياض في منزل بقرب منزل الشيخ حمد بن فارس، وذلك في السابع عشر من شهر محرم عام (١٣١١هـ).

وحيث تضمن المقال بعض أرقام تاريخية ذات أهمية نسردها فيما يلي أخذاً من مقاله المذكور ـ عفا الله عنه ـ:

١ ـ في عام (١٣١١هـ) ـ ولد الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ في عام (١٣٢٩هـ) ـ توفي والده رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف.

٣ ـ في عام (١٣٠٥هـ) ـ ولد أخوه الشيخ عبد الله بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ وفي عام (١٣٨٦هـ) ـ توفي أخوه الشيخ عبد الله.

٥ ـ وفي عام (١٣١٥هـ) ـ ولد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم شقيق الشيخ محمد.

٦ ـ وفي عام (١٣٨٦هـ) ـ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ ـ وفي عام (١٣٢٤هـ) ـ ولد عبد الملك بن إبراهيم.

٨ ـ وفي عام (١٣٣٩هـ) ـ توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

٩ ـ وفي عام (١٣٤٥هـ) ـ تعين قاضياً في الغطغط [مدة قصيرة].

١٠ ـ وفي عام (١٣٧٣هـ) ـ أُنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية.

١١ ـ وفي عام (١٣٧٦هـ) ـ أنشئت رئاسة القضاة تحت رئاسته في نجد وملحقاتها.

١٢ ـ وفي عام (١٣٧٨هـ) ـ توفي الشيخ عبد الله بن حسن، رئيس قضاة الحجاز، وضمت رئاسة القضاء إليه خلفاً للشيخ عبد الله.

١٣ ـ وفي عام (١٣٦٩هـ) ـ بعد عودته من مصر أنشأ المعهد العلمي.

١٤ ـ وفي عام (١٣٧٠هـ) ـ تم افتتاح المعهد العلمي بالرياض.

١٥ ـ وفي عام (١٣٧٣هـ) ـ أنشئت كلية الشريعة بالرياض.

١٦ ـ وفي عام (١٣٥٤هـ) ـ افتتحت أربعة معاهد في كلٍّ من بريدة والمجمعة وشقراء والإحساء وفروع للمعهد العلمي بالرياض.

١٧ ـ في عام (١٣٧٤هـ) ـ أنشئت كلية اللغة العربية.

١٨ ـ وفي عام (١٣٧٦هـ) ـ تخرجت أول دفعة من كلية الشريعة.

١٩ ـ وفي عام (١٣٧٠هـ) ـ أنشئت المكتبة السعودية، وذلك بناءً على اقتراح سماحته للملك عبد العزيز ووافق على ذلك.

٢٠ ـ وفي عام (١٣٨٩هـ) ـ بدأ الإعداد لإنشاء مجلس هيئة كبار العلماء، والذي اعتمد في ميزانية (١٣٨٩هـ)، غير أن المنيّة وافته قبل أن يباشر المجلس الأعمال، كما ذكر صاحب المقال.

أبناء الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهم على التوالي:

١ ـ عبد العزيز: نائب سماحته في رئاسة الكليات والمعاهد العلمية.

٢ ـ فضيلة الشيخ إبراهيم: نائب سماحته في دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية.

٣ ـ أحمد: وهو يعمل برئاسة القضاة.

٤ ـ عبد الله: أحد طلاب كلية الشريعة وهو أصغرهم سناً.

قال محرر الأسطر: وقد تخرج عبد الله من كلية الشريعة ونال شهادة الدكتوراه وانتظم في سلك التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود.

أما البنات؛ ليس له سوى ابنة واحدة شقيقة الدكتور عبد الله، والأخوة الثلاثة من أم واحدة من العثمان أهالي الرياض، والله أعلم.

تاسعاً: وكتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا: تحت عنوان: (رجل علم وعمل)، قال:

رحم الله فقيد الإسلام والمسلمين محمد بن إبراهيم، فقد اجتمع له ما تفرق في كثير من الناس، والتقى في شخصه ما لو وزِّع على قبيل من الرجال لجعل كلّاً منهم رجلاً، ألقيت علىٰ كاهله أعباء جسام تنوء بها العصبة من أولي القوة، فنهض بها بحزم المؤمن وصبر المجاهد وروية الحكيم، بذل للمهام التي أنيطت به نفسه، فدانت له ومنحها وعيه، فجرت على عينه وأولاها نصحه، فسارت رشيدة سديدة، لا تنحرف ولا تنجرف ولا تنحاز، حكّم من أعماله شرع الله فكان له في ذلك عاصم من الخطأ، واسترشد في سيرته بنهج الصدر الأول فاستقامت له ربة الأمور، واستشعر مسؤوليته أمام الله، فذاد عن شرعه أكرم الذود، ونافح عن دينه أصدق المنافحة، أيقن أن العلم هو الوسيلة القويمة لتربية الأجيال وإعداد الرجال، تعلّم بنفسه من صدر شبابه إلى حين وفاته، وعمل على افتتاح المعاهد والكليات، ورأى شؤون تعليم البنات... إلى آخر ما قاله في كلمته البليغة، وهو المؤرِّخ الأديب، العالم النجيب ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

المرجع: صحيفة الدعوة (٢٣١)
في (١٣/١٠/سنة ١٣٨هـ)

عاشراً: كتب رئيس تحرير صحيفة الدعوة الأسبوعية الشيخ عبد الله بن إدريس، قال:

كنت وعدت القراء الأكارم في العدد الماضي وهو العدد الخاص بالعيد، والذي صادف وفاة فقيد الإسلام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بأننا سوف نصدر ملحقاً خاصاً يحتوي على ما يبعثه لنا العلماء والشعراء والكتّاب في الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن عطلة العيد كانت لنا بالمرصاد، وهنا قررت أن يكون أول عدد يصدر من الدعوة بعد عطلة العيد كله خاص بفقيد الأمة إلا ما تدعو الضرورة إلى إدراجه ضمن هذا العدد وكذلك فعلنا، لقد كانت مصيبة المملكة العربية السعودية في عالمها الجليل وفقيهها الأكبر ورئيس قضاتها ودعامة علمائها كبيرة ومؤثرة، لذا فقد هزت المصيبة مشاعر عدد كبير من الكتّاب والشعراء فبعثوا لنا بمقالاتهم وقصائدهم مشاركة منهم في التعبير عن أليم حزنهم بجزءٍ من حقه عليهم يرحمه الله... إلى آخر ما قاله رئيس التحرير، وقد اقتصرنا على بعض من كتب نثراً.

وفيما يلي بيانٌ بذكر من رثاه شعراً بذكر الراثي وعدد أبيات شعره من غير ذكر القصائد لطولها ولترادف معانيها، وذلك مما طبع ونشر في جريدة الدعوة، قد يكون هناك من رثاه من غير من نشر.

ذكر من رثاه شعراً على الترتيب الهجائي

الناظم	عدد الأبيات
١ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٣٠ ثلاثون
٢ ـ إبراهيم السبيعي	٢٩ تسعة وعشرون
٣ ـ إسماعيل بن سعد بن عتيق	٢٨ ثمانية وعشرون
٤ ـ أحمد بن عبد الله بن حميد	٢٠ عشرون
٥ ـ أبو سامي	١٦ ستة عشر
٦ ـ حسن بن عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ	١٦ ستة عشر
٧ ـ راشد بن صالح بن خنين	١٢ اثنا عشر
٨ ـ سعد بن جريول (شعبي)	١٣ ثلاثة عشر
٩ ـ صالح بن سليمان بن سحمان	١٧ سبعة عشر

الناظم	عدد الأبيات
١٠ ـ ضياء الدين الصابوني	٢٤ أربعة وعشرون
١١ ـ طه عبد الواسع البركاتي	١٦ ستة عشر
١٢ ـ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٣ ثلاثة وعشرون
١٣ ـ عبد الله بن إدريس	٢١ واحد وعشرون
١٤ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان	٢٠ عشرون
١٥ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان بن سحمان	١٨ ثمانية عشر
١٦ ـ محمد بن عبد العزيز بن هليل	٥٥ خمسة وخمسون
١٧ ـ محمد بن مسيطير	٢٨ ثمانية وعشرون
١٨ ـ محمد كامل الفقي	٣٢ اثنان وثلاثون
١٩ ـ محمد بن سعد بن حسين	٢٢ اثنان وعشرون
٢٠ ـ محمد بن عبد المنعم خفاجي	٤٢ اثنان وأربعون

بلغ مجموع من رثاه شعراً عشرون شاعراً في أربعمئة واثنين وثمانين بيتاً، وقد أفردتها جميعاً في كتاب واحد، نسأل الله أن يمن بإخراجه وإبرازه، عدا من رثاه نثراً، وبهذا القدر في بيان من رثاه يكفي أن تعلم أنه لم يسبق أن قام أحد في زماننا بمثل مقام هذا الرجل العظيم الذي بكاه من عرفه وحزن عليه من فقده، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى. . . وصلى الله على محمد.

سابعاً: آثاره العلمية ومؤلفاته:

لم تكن لحركة التأليف رواج أو توجه من أصحاب الأقلام والمؤلفين، غير أن الردود على المناوئين والمعارضين للدعوة السلفية تبدو واضحة في حركة التأليف منذ أن اتسعت رقعة الدولة السعودية، وظهر معارضون بدافع عقدي أو سياسي، لذا فقد قام الشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم ابنه عبد اللطيف برد كثير من الشبه القائمة عند بعض المعارضين في حياتهما، ثم جاء من بعدهم صاحب القلم السيّال، والسحر الحلال، العالم الأديب اللوذعي الشيخ سليمان بن سحمان،

فكافح وناضل بقلمه نثراً ونظماً، فقد كتب ما يزيد عن ثلاثين مؤلفاً كلها ردود على المناوئين المعارضين، فرحمه الله وغفر له، فكان الشيخ سليمان أمة وحده فيما سلكه من مسلك الردع والدفاع عن هذه الدعوة المباركة السُّنية السَّنية، أما شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ فلم يكن صاحب قلم أو ردود على أحد، فقد اتخذ منهج التدريس منهجاً عملياً في تكوين الجماعة وإقامة الأمة في تبصيرها عملياً، فقد يكون في بعض الردود شهرة المردود عليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سلطة الحكم في يد الشيخ فقد يعاقب المناوئ أو المنحرف بعدالة السلطان وحكم القرآن من غير حاجة إلى الردود والتوضيح.

أذكر بعض أمثلة على هذا:

١ ـ سبق وأن كتب العلّامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي العالم الشهير اجتهاداً منه أن يأجوج ومأجوج هم الصين.

سمعت الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لما اشتهرت هذه المقالة عن الشيخ ابن سعدي استدعانا الملك عبد العزيز باستدعاء الشيخ ابن سعدي برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، قال الشيخ عبد الله: فأعددنا بحثاً حول هذا الموضوع ظنّاً منا أنه سيحصل بحث ومناقشة، غير أن الاجتماع تمّ بمقالة الملك عبد العزيز حينما قال:

أما فلان ـ وسمّاه الشيخ إبراهيم الجاسر ـ، فقد ذهب إلى العراق ومات هناك وأنا والله لا أكرهه، وأما فلان وسماه ابن عمرو فقد قتلته وما قتلت عالماً قبله، واليوم أنت يا عبد الرحمن إن كان عندك علم فهذا اليمن محتاج إلى طلاب العلم ولا حاجة لنا في البحث عن يأجوج ومأجوج، قال الشيخ عبد الله: وانفضّ المجلس بهذه الكلمة، واعتذر الشيخ ابن سعدي عن مقاله، وأخبر أنه لم يطبع ويستوقف عن رأيه ويرى ما رأى المشايخ، وما قاله هو اجتهاد منه شخصياً ويستغفر الله ويتوب إليه من القول على الله بلا علم.

وقد سمعت هذه القصة بسندٍ آخر عن بعض من حضره، ولكن مسند الشيخ عبد الله أوثق وأحكم وأدرى، ولهذا أوردتها باختصار، ومن المعلوم أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ارتوى من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وقام بتأليف عدد من الكتب ليس فيها ردود على أحد بعينه، ولكنها في الإجمال كتب جيدة ومفيدة، وإن لم تلقَ رواجاً رغم أنها توزع مجاناً، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يكنّ له الود والاحترام لنزاهته وعلمه وفضله وزهده ـ رحم الله الجميع وغفر لهم إنه سميع مجيب ـ ويلاحظ أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ اعتمد على كتب الحديث والتفسير غير أنه قليل الاستشهاد بما ألفه أئمة الدعوة والمصلحين في هذا القرن، وهذا مما يلاحظ عليه إن كانت ملاحظة، وقد كتب كتيباً صغيراً سماه: القول السديد في مقاصد التوحيد وقد طبع طبعته الأولى مفرداً، ثم طبع طبعة ثانية ومعه متن كتاب التوحيد، ولم يشر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن هذا الكتاب تعليق أو شرح لكتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما اختار هذا العنوان «القول السديد في مقاصد التوحيد» فهم البعض أنه يعني بهذا كتاب التوحيد المعروف، وهو أشبه ما يكون بتبيين التراجم ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

٢ ـ قام رئيس محاكم قطر الشيخ عبد الله المحمود بتأليف نسخة من مناسك الحج، توسع فيها بما خالف به جمهور العلماء، والمفتى به، والمعمول به حول المبيت في مزدلفة والرمي قبل الزوال في أيام التشريق، وطبع كتابه، فأراد الشيخ محمد بن إبراهيم أن يعيد الصورة باستدعاء ابن محمود عند الملك سعود ومناقشته عما تجاوز به من الفتوى، وذلك بحضور المشايخ وفق ما وقع للشيخ ابن سعدي مع الملك عبد العزيز، وبعد مناقشة ابن محمود أبدى استعداده على نقض كلامه والرجوع عنه فور عودته إلى قطر، غير أنه لم يَفِ بما وعد، فبعد عودته لم يفعل شيئاً، بل أخبر أنه لا يتراجع عما كتبه في مناسك الحج،

فقام الشيخ محمد بن إبراهيم بالرد عليه، وشدد في رده وردعه، وأخبر بما حصل منه من الوعد بالتوبة والإقلاع، وهو مطبوع متداول، نقل لي بعض الإخوة أنه قال لابن محمود:

ألم تعد بالرجوع أمام الملك سعود عما قلته في مناسك الحج؟ فقال ابن محمود: لو لم أفعل لكان حبسي في حوطة بني تميم، يعني في بلده القديم ـ رحمهم الله وعفا عنهم جميعاً ـ.

٣ ـ حدث أن تمّ بعد توسيع الحرم المكي البحث في إزاحة مقام إبراهيم توسعة للمطاف، وكان رأي الشيخ محمد أنه لا مانع من إزاحة المقام كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ، حيث كان المقام ملاصقاً للكعبة.

فإزاحة عمر توسعة للمطاف، غير أنه حصل ضجة يتبناها أحد طلاب الشيخ وهو الشيخ سليمان بن حمدان، المدرس في المسجد الحرام، وكتب نسخة يرد بها على الفتوى. فصدر الأمر بإبقاء المقام مكانه مع هدم البناية فوقه، وإبقاءه في بلورة من الزجاج، لا يأخذ حيّزاً كبيراً من الأرض.

ومن هذه النماذج الثلاثة الواقعة في حياة الشيخ محمد، ومواقفه من مخالفيه ندرك أن الشيخ لا يحرص على الرد ما دام أن السلطة في مقدورها الإصلاح وترك الجدل والخوض فيما لا يفيد العامة، فكان هذا هو أسلوبه في الرد وهو منع التظاهر بمخالفة ما عليه جمهور العلماء. وبخاصة ما عليه الحنابلة المفتى بمذهبهم مما لا يخالف الكتاب والسنّة، وقد ردّ سماحته على دعوى الشيخ سليمان بن حمدان بكتيب مطبوع، وإن كان قد أمر بعدم إزاحة المقام خشية الافتتان وكثرة الكلام وخروجاً من الخلاف، وجمعاً للكلمة، مع جواز ذلك شرعاً وعدم حجية من منعه، رحم الله الجميع وغفر لهم، إنه سميع مجيب.

٤ ـ كان الشيخ عبد العزيز بن باز ولا زال يفتي لمن طلق ثلاثاً بلفظ واحد طلقة واحدة كما هو مذهب عمر بن الخطاب ﷺ، وأفتى به ابن

تيمية وهذا فيه مخالفة لما يراه الشيخ محمد بن إبراهيم غير أن الشيخ لم يلزم الشيخ ابن باز بالرأي الآخر، حيث إن الأمر فيه سعة، وإن كان الشيخ محمد لا يرى تعدد الفتوى في مسألة واحدة بين العلماء، كما أن الشيخ ابن باز طبق عملياً صلاة التراويح إحدىٰ عشرة ركعة في جامع الرياض، وهذا كان مخالفاً لما عليه مساجد الرياض عموماً، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم لا يرى غير ما عليه الجمهور والمعمول به وهو عشرون ركعة والوتر.

حدثني الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن عتيق وكان قاضياً في مدينة في الشمال، قال: صليت التراويح إحدىٰ عشرة ركعة ثم جاءتني برقية من الشيخ محمد يقول: صلِّ كما يصلِّ الناس صلاة التراويح، قال: فعدت وصليت عشرين ركعة كما أمر سماحته. من هذا نعرف قلة المخالفين للشيخ فيما يفتي به أو يأمر به.

وندرك أن الحاجة للتأليف في الرد على المخالف ليس بضروري ولا حاجة له ما دامت السلطة هي الموجهة في حل النزاع والخصام: **(إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)** قول لعثمان رضي الله عنه.

٥ ـ وقد ألف سماحة الشيخ رسالة في وجوب تحكيم الشرع، وذلك ردّاً على ما صدر من أنظمة حول التعامل التجاري في عام (١٣٦٩هـ)، وقد كان رحمه الله يؤكد على جميع القضاة عدم صرف النظر في أي قضية كانت، وعليهم أن يحكموا بما يرونه شرعاً، وليس لهم اعتراض على جهة التنفيذ، وذلك إثر قضية رفعت للمحكمة الشرعية في خصومة على جهاز التلفاز، رأى القاضي صرف النظر عن القضية.

هذا كل ما أعرفه من آثاره العلمية ومؤلفاته، وبعد وفاته رحمه الله وافق الملك فيصل بطلب من أبناء سماحته على جمع كلّ ما صدر من سماحته من فتاوى أو أحكام، وقام الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم بجمع شتات مكاتبات أو برقيات أو ما هو محتوى المعاملات، فجد واجتهد وحرص ودأب، فجمع ثلاثة عشر مجلداً كلها تحت عنوان فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم وكانت مصادر تلقي هذه الفتاوى:

١ ـ ما كتب هو من تقارير أثناء الطلب من عام (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٨١هـ).

٢ ـ أرشيف رئاسة القضاة قد استخلص منها فتاوى جمّة.

٣ ـ أرشيف دار الإفتاء.

٤ ـ مكتب سماحته الخاص.

وقد تمّ طبع هذه المجلدات على نفقة الحكومة، وتمّ توزيعها على خواص طلبة العلم توزيعاً محدوداً، غير أنه حصل استدراك على جامع الفتاوى لعلّ من أبرزها أن ما طبعه من تقارير لم يكن في نيّة الشيخ محمد أنه تأليف وعرض للطباعة، وإنما هو شرح وبيان، وهذا قد يختلف عما يُراد نشره وطبعه، أما الاستدراك الآخر فهو وجود أسماء أشخاص بذكر جنايتهم، وهذا قد لا يكون من المصلحة تدوين اسم الجاني، وإن كان الجامع للفتاوى يدرك هذا، إلا أنه أبقى بعض الأسماء وألغى الكثير منها، لذا فقد صدر الأمر بعدم توزيعها توزيعاً شمولياً، غير أن الناس تسابقوا إلى تصويرها وتوزيعها تجارياً، بلغت قيمة النسخة الواحدة ألف ريال، وقد تزيد وتنقص، والمتصفح لهذه الفتاوى يدرك مدى منزلة الشيخ القيادية والعلمية فيما يمليه ويأمر به مع اختصارٍ في الأسلوب وعدم إيراد الأدلة فيما يفتي به أو يأمر به، وهذا ليس بقاعدة مضطردة، ولكن في الغالب مما يدل على أن الأمر يجري بالتسليم وعدم المناقشة مما يفتي به أو يأمر به.

هذا ولا يفوتنا التنويه بوجود أعضاء مشاركين في رئاسة القضاء وفي دار الإفتاء من خواص طلبة العلم، ومن لهم دور في التحرير والتحقيق والإيضاح سواء فيما يتعلق بالخصومات وفض المنازعات أو فيما يتعلق من جانب واحد وهو المستفتي الذي ليس له طرف منازع، وكل ما يكتبه الأعضاء من الجهتين فإنها تصدر بموافقة سماحة الشيخ والختم عليها بختمه، وقد يتم وهو في الغالب مدارسة القضايا والفتاوى برئاسة سماحته، فيأمر بتحرير ما اتفقوا عليه من غير خلاف.

وهاتان اللجنتان ـ أعني: أعضاء الإفتاء وأعضاء رئاسة القضاة ـ

لهم من الخبرة بما جد وما يستدعي الاستيعاب في الدراسة وإعطاء التصور الشامل الكامل للقضايا والفتاوى مما يجعل ما يصدر بختم سماحته موثقاً من جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والفردية، وهذا عامل من عوامل مطابقة الفتوى والأحكام لشرع الله تعالى، حيث إن هناك جهود اشتركت في تحرير ما يصدر على مستوى المعرفة والإدراك، وبرئاسة كبير العلماء ومفتيهم ـ رحمهم الله ـ.

أحببت التنبيه على هذه الملاحظة وهم إن شاء الله في الأجر سواء.

رحم الله ميِّتهم ووفق أحياءهم.

وبعد: فهذا جهد المقل المتعثر في كلامه، والمتريث في تبيانه، دفعني لما كتبته معرفتي الخاصة بهذا الرجل العظيم وعدم إيفائه حقه في بيان سيرته ووصف شخصيته، والغرض من هذا كما هو في تراجم الصالحين المصلحين، إذ هو غرة في جبين الزمان، وعلمٌ يهتدى به في مسيرة الظلام، وكم سجل التاريخ من أفذاذ الأمة ونوابغ الفكر وأحبار الفقه والعلوم، مما جعل الخلف يحتقر عمله بجانب ما عليه السلف فيشتدَّ للعمل الجاد في تحقيق معنى وجود الإنسان في هذا الحَيّز من المكان والزمان ليبقىٰ بعد مماته حيّاً يذكر، يردد اسمه وإن عفى رسمه، ومن أولئك علمنا الشامخ كبير الأمراء والمشايخ: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد اخترت لما كتبته عنوان «تاريخ من لا ينساه التاريخ: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف»، وذلك كله بإملاء الفقير إلى الله العاجز في مبدئه ومنتهاه: إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد الحميضي، نسبة إلى حميضة من الأعلوق من قحطان، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم.

حرر في اليوم الأول
من صفر لعام (١٤١٣هـ)

رئيس الجامعة الإسلامية
الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

✍ بقلم صاحب الفضيلة الشيخ العلّامة:
عبد المحسن بن حمد العباد البدر
المدرس بكلية الشريعة ونائب رئيس الجامعة الإسلامية
بالمدينة ـ سابقاً ـ، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك هذا العام ـ (١٣٨٩هـ) ـ فقدت المملكة العربية السعودية علمها الشامخ وكوكبها الأغر ونجمها اللامع ومشعلها الوضّاء سماحة المفتي ورئيس القضاة ورئيس الجامعة الإسلامية والكليات والمعاهد العلمية الشيخ الجليل العالم العامل الذي طال عمره وحسن عمله: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب غفر الله له ورحمه، وكان لوفاته الأثر البالغ في النفوس لما للفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ من مكانة مرموقة وأعمال جليلة، وهذه لمحة قصيرة عن سماحته رأيت إثباتها في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، التي هي إحدى المؤسسات العلمية التي يرأسها سماحته في أول عدد يصدر بعد وفاته وموضوع الحديث عن سماحته مشاع لا يخفى على الكثير من الناس لكنها الرغبة في أداء بعض ما يجب لهذا الرجل الفذ الذي جمع بين العلم والعمل، وإن هي إلّا حاجة في نفس يعقوب قضاها، رحم الله الفقيد ولا فتننا بعده، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نسبه:

هو صاحب السماحة الشيخ الجليل أبو عبد العزيز محمد ابن

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني، السنة الثانية، شوال (١٣٨٩هـ).

الشيخ إبراهيم المتوفى سنة (١٣٢٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ابن الشيخ عبد اللطيف المتوفى سنة (١٢٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن المتوفى سنة (١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ابن شيخ الإسلام الإمام الجليل مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة (١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ينتهي نسبه إلى ذلك الإمام المبارك الذي أظهر الله به السنّة المحمدية في وقت اشتدت فيه غربة الدِّين وكثر فيه تعلق الخلق بغير رب العالمين فأرشد الناس إلى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحذّرهم من طرق الجحيم الطرق التي سلكها أعداء الله من المغضوب عليهم والضالين، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ولادته ونشأته وأبرز شيوخه وتلامذته:

ولد رحمه الله وغفر له في اليوم السابع عشر من شهر محرم سنة إحدى عشرة بعد الثلاثمئة والألف (١٣١١هـ) في مدينة الرياض، ونشأ في بيت العلم والفضل والتقى والصلاح، فتغذى بلبان العلم والإيمان وتسلح بسلاح المعرفة والعقيدة السليمة منذ نعومة أظفاره حتى آل أمره إلى أن صار مرجع العلماء وأبرز الفقهاء ونادرة الأذكياء، أخذ العلم عن والده الشيخ إبراهيم، وعن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وعن الشيخ سعد بن عتيق، وعن الشيخ حمد بن فارس... وغيرهم ممن فقهه الله في دينه ونوّر بصيرته. ثم أخذ ينشر العلم ويرشد إلى الخير ويحذر من الشر صابراً محتسباً حتى تخرَّج على يديه الأعداد الكبيرة من العلماء الذين قاموا بمهام القضاء والتدريس وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومن أبرزهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نائبه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام.

أعماله رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة (١٣٣٩هـ) أسند إليه عمله وقام مقامه في الإفتاء ومشيخة علماء نجد وملحقاتها، ثم تولى رئاسة القضاة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وعند تأسيس الكليات والمعاهد العلمية باقتراحه ومشورته أسندت إليه رئاستها ثم رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورئاسة رابطة العالم الإسلامي وغيرها من الأعمال العظيمة التي أنيطت بسماحته والتي كان يزاولها بقوة وحزم إلى نهاية أمره، وما كان تقليد ولاة أمور المسلمين لسماحته هذه الأعمال إلا لكونه موضع الثقة التامة، وما كان تقلده إياها إلّا حرصاً منه على أن تسير الأمور فيها على أكمل وجه وأحسن حال.

هذا وإن المدة التي بين وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة (١٣٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ وبين وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٨٩هـ) خمسون سنة قضاها في الدعوة إلى الحق والجهاد في سبيل الله والذب عن شريعته والعمل بجد وحزم فيما ينفع المسلمين، أجزل الله له الثواب وأسكنه فسيح الجنان.

مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورغم كثرة هذه الأعمال التي نهض بها والتي يشق القيام بها على الجماعة من الرجال خلف وراءه من الفتاوى ما يبلغ المجلدات الكثيرة، وقد جمع بعضها الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم وأكثرها في ملفات دار الإفتاء، ونرجو الله تعالى أن يوفق المسؤولين لنشرها ليعم الانتفاع بها، كما أن له نصائح توجيهية عامة وخاصة ورسائل قيمة كبيرة الفائدة قد طبع كثير منها.

صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان سماحته غفر الله له من الرجال القلائل الذين يعدون من

نوادر الزمان لما منحه الله من الصفات الحميدة والخصال الجمّة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جانب غزارة علمه وسعة اطلاعه وقوة ذاكرته راجح العقل ثاقب الرأي صبوراً حليماً ذا أناة وروية وذا شخصية فذة تذوب أمامها الشخصيات الكبيرة، مهيب الجانب مع تواضعه وبعده عن الترفع، عالي الهمة رجل علم وعمل حافظاً لوقته معنياً بعمارته في خدمة الإسلام والمسلمين بعزيمة لا تعرف الكسل وهمة لا يشوبها فتور، داعياً إلى الله على بصيرة لا يخشى في الله لومة لائم إلى غير ذلك من الخصال الحميدة التي وفقه الله للاتصاف بها، وقد فقدَ بصره في السابعة عشرة من عمره، ولكن الله عوضه قوة في البصيرة ونوراً في القلب وإشراقاً في حياته المباركة المعمورة بتقوى الله والجهاد في سبيله.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

انتقل إلى رحمة الله تعالى ضحى في أول الساعة الخامسة من يوم الأربعاء الموافق الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١٣٨٩هـ)، وصُلِّي عليه في المسجد الجامع الكبير في الرياض عقب صلاة الظهر أمّ الناس في الصلاة عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، واكتظ المسجد بالمصلين عليه من خاصة الناس وعامتهم على الرغم من قصر المدة التي بين وفاته ووقت صلاة الظهر، وكان على رأس الذين حضروا للصلاة عليه جلالة الملك فيصل حفظه الله؛ حيث أدى الصلاة عليه مع الناس في الجامع الكبير، ثم ذهب إلى المقبرة ولم يزل على حافة القبر حتى دفن رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد نقل من المسجد إلى المقبرة على أكتاف الرجال في مسافة تقرب من اثنين كيلومتراً واكتظت الشوارع بالمشاة وبالسيارات التي تحمل المشيعين لجنازته، ولم تكن المصيبة فيه مصيبة أسرة بل كانت المصيبة عامة لا تكاد تلقى أحداً إلا وهو يتمثل بقول الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وكانت وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ على أثر مرض أصابه في كبده في أواخر شهر شعبان حيث دخل المستشفى في الرياض، وفي أوائل شهر رمضان سافر إلى لندن ثم عاد منها إلى الرياض في مساء يوم الخميس الثامن عشر من شهر رمضان، ومنذ عودته وهو في غيبوبة يفيق أحياناً فيذكر الله ويستغفره حتى توفاه الله تعالى، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفتح له أبواب الجنة الثمانية ليدخل من أيّها شاء، إنه وليّ ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا به.

وقد أرخت سنة وفاته بهذه الأبيات:

سماحة الشيخ العظيم المنزلة الثاقب الرأي بحل المشكلة
مفتي الديار رأس كل قضاتها مَعْ درر علم الشرع كل أنّ له
وفاته بأحرف أرختها فقلت (جد جواد واغفر لي وله)

٢١ - ١٣٢٧ + ٤١ = ١٣٨٩هـ

سيرة سماحة الشيخ
محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ
مفتي الديار السعودية

رواية الشيخ الجليل حمد بن حمين الفهد
إعداد ابنه: ناصر بن محمد الحمين

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن قراءة سير الصالحين تبعث في النفس الرغبة في التأسي، وتثير في القلب كوامن الإيمان والحرص على الخير، والرغبة في الاستزادة من الصالحات.

ولعلّ من أبرز العلماء الذين شهد لهم بالتقوى والصلاح والجرأة في قول الحق والسير على نهج السلف ـ نحسبه كذلك ـ صاحب السماحة الشيخ **محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ** ـ رحمه الله تعالى ـ، فهو نسيج وحده ـ رحمه الله تعالى ـ، فقد جمع الله له أموراً قل أن تجتمع في رجلٍ واحد، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ أمة لوحده علماً وعملاً وجهاداً وخدمة للمسلمين ونفعاً لهم.

وقد كان للوالد ـ حفظه الله تعالى ـ صلة وثيقة بالشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ عمل عنده ما يقارب من ثمانية عشر عاماً، وصحبه في حلقات الدرس

وفي منزله وفي رحلاته وفي مجالسه العامة والخاصة، وكان الوالد كثيراً ما يتحدث عنه وعن فقهه وفتاواه وعلمه وأحاديثه وفوائده.

وقد طلبت من الوالد ـ حفظه الله تعالى ـ أن يذكر لي بعض ما يعرفه عن حياة الشيخ وسيرته فوافق جزاه الله خيراً، فكان هذا الكتيب الذي أملاه عليَّ ورأيت إخراجه تعميماً للفائدة.

واعلم أن جميع ما في هذه النبذة هي من إملاء الوالد من حفظه لم يرجع فيها إلى كتاب ولا لغيره، ولم أفعل شيئاً فيها سوى الترتيب وإعادة الصياغة في بعض المواضع، وتقديمي لها بهذه المقدمة، وبترجمة موجزة للراوي، وصلى الله على محمد.

ناصر بن حمد بن حمين الفهد

ترجمة الراوي

هو الشيخ حمد بن حمين بن حمد بن فهد الفرهود من الأساعدة من الروقة من قبيلة عتيبة الهوازنية.

ولد ـ حفظه الله تعالى ـ في مدينة الزلفي عام (١٣٥١هـ)، ونشأ عند أبويه وتعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن صغيراً، ثم انتقل إلى مدينة (الرياض) واستقر به الحال فيها عام (١٣٧٤هـ)، وبدأ في العمل عند الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ ذلك العام وحتى وفاة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٣٨٩هـ).

ورُزق ـ حفظه الله ـ بأحد عشر ولداً منهم أربعة من الذكور هم:

عبد العزيز وعبد الرحمٰن ومحمد وناصر.

وقد كان أول عمله الرسمي في (رئاسة المعاهد)، ثم في (رئاسة القضاء)، ثم في (وزارة العدل) وبقي فيها حتى أحيل على التقاعد في رجب سنة (١٤١١هـ).

سيرة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

اسمه وولادته:

هو الإمام العلامة والبحر الفهامة سماحة الشيخ: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ يوم عاشوراء من عام (١٣١١هـ)، حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ أخو الشيخ الأكبر قال: كانت أمه صائمة عاشوراء يوم ولدته. اهـ.

أبوه هو الشيخ القاضي إبراهيم بن عبد اللطيف، وأمه هي (الجوهرة بنت عبد العزيز الهلالي) من (عرقة) من المزاريع من بني عمرو من تميم.

نشأته وفقده لبصره:

نشأ نشأة دينية علمية، في بيت علم ودين، فأدخل الكتّاب في صغره فحفظ القرآن مبكراً، ثم بدأ الطلب على العلماء مبكراً قبل أن يبلغ السادسة عشرة، ثم أصيب ـ رحمه الله تعالى ـ بمرض في عينيه وهو في هذه السن ولازمه سنة تقريباً حتى فقد بصره في حدود عام (١٣٢٨هـ) وهو في سن السابعة عشرة ـ كما حدثني هو رحمه الله تعالى بذلك ـ.

وكان يعرف القراءة والكتابة قبل فقده لبصره، ويوجد له بعض الأوراق بخطه قبل أن يفقد بصره، وكان يعرف الكتابة حتى بعد فقده بصره وشاهدته ـ رحمه الله تعالى ـ يكتب بعض الكلمات على الأرض.

زواجه وأولاده:

حدثني الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أنه تزوج ست مرات، وأول زواجٍ له كان في سنة (١٣٣٥هـ) تقريباً وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ومات وفي عصمته ثلاث زوجات:

١ ـ أم عبد العزيز بنت عبد الرحمٰن آل الشيخ، وأنجب منها المشايخ: عبد العزيز وإبراهيم وأحمد.

٢ ـ أم عبد الله بنت عبد الرحمٰن بن ناصر، وأنجب منها: الشيخ عبد الله وشقيقته.

٣ ـ والثالثة من عائلة القفاري من بني تميم.

أوصافه:

كان ـ رحمه الله تعالى ـ متوسط الطول، مليء الجسم، متوسط اللون ليس بالأبيض ولا بالأسمر بل بين ذلك، خفيف شعر العارضين جداً، يوجد شعر قليل على ذقنه، إذا مشى يمشي بوقار وسكينة، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ كثير الصمت، وإذا تكلم لا يتكلم إلا بما يفيد.

مشايخه وطلبه للعلم:

سبق أن ذكرت أنه أدخل الكُتَّاب في صغره، فحفظ القرآن مبكراً، ثم بدأ بطلب العلم على مشايخ عصره قبل فقده لبصره، وهو في سن المراهقة قبل أن يفقد بصره ـ رحمه الله تعالى ـ، وبعد أن فقد بصره استمر في طلبه العلم حتى نبغ مبكراً، وتصدر للإفتاء والتدريس.

ومن المشايخ الذين درس عليهم:

١ ـ **الشيخ عبد الرحمٰن بن مفيريج**: وقرأ عليه القرآن وهو صغير، وكان الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يثني كثيراً على حفظ هذا الشيخ وسمعته، يقول عنه: (إنه آية في حفظه لكتاب الله، وفي ضبطه للإعراب، وكان أثناء

القراءة عليه يكتب فإذا أخطأ أحد في الحفظ أو القراءة يرد عليه، وكان يرد الخطأ في الحفظ والخطأ في الإعراب، وكان يفتح على الأئمة إذا أخطؤوا من أول الآية أو التي قبلها). اهـ.

٢ ـ **عمّه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف**: وبدأ في الدراسة عليه قبل أن يفقد بصره، وكان الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ يحب الشيخ محمداً ويقدّره كثيراً رغم صغر سنه آنذاك، وقد سمعت الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ يصفه ويقول: (كانت عيون الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ حسنة، وكنت إذا أتيت إليه يرحب بي ترحيباً كثيراً، ويقدمني في المجلس، وكان هذا الفعل من الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يخجلني). اهـ.

٣ ـ **الشيخ سعد بن حمد بن عتيق**: وكان الشيخ محمد يحبه ويقدره كثيراً، وكان إذا ذكره قال: (شيخنا الشيخ الكبير والعالم الشهير).

٤ ـ **الشيخ عبد الله بن راشد**: سمعت الشيخ محمداً يقول: (درست عليه علم الفرائض وكان آية فيها).

٥ ـ **الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع**: رأيته مراراً إذا جاء للشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ قام إليه واستقبله ورحب به وأجلسه مكانه، فسألت عن السبب في تقدير الشيخ له، فقيل لي: إنه شيخ له، ولأنه يكبره بالسن.

أعماله:

من أعماله التي تولاها:

١ ـ عُيِّن قاضياً في (**الغطغط**) واستمر في هذا العمل ستة أشهر، وتزوج الشيخ من أهلها أثناء إقامته هناك.

٢ ـ كان إماماً لمسجد الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ـ المسمى الآن مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ـ وقد حدثني الشيخ نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ أن اسم المسجد هو (مسجد الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن)، وكان خطيباً للجامع الكبير، واستمر في الإمامة والخطابة إلى موته ـ رحمه الله تعالى ـ.

٣ ـ التعليم: وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قبل انشغاله بالأعمال الكثيرة في مصالح المسلمين ـ له حلقة تدريس في مسجده بعد الفجر، وفي بيته في الضحى، وفي مسجده أيضاً بعد العصر أحياناً.

٤ ـ وكذلك كان هو المفتي للبلاد، وكان قبل فتح (إدارة الإفتاء) رسمياً هو الذي يفتي، ثم افتتحت (إدارة الإفتاء) رسمياً في شهر شعبان من عام (١٣٧٤هـ) تحت إشرافه.

٥ ـ ولما افتتحت رئاسة المعاهد والكليات أيضاً كان هو الرئيس، وكان قد أناب عنه أخاه الشيخ عبد اللطيف.

٦ ـ ولما تأسست رئاسة القضاء عام (١٣٧٦هـ) عُيِّن رسمياً برئاسة القضاء، ووضعت لها ميزانية خاصة، وعيَّن ابنه الشيخ عبد العزيز نائباً له فيها، والشيخ عبد الله بن خميس مديراً عاماً.

٧ ـ ولما افتتحت رئاسة تعليم البنات عام (١٣٨٠هـ) كان هو المشرف العام عليها، فوضع الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيساً عليها، ثم عيَّن بدلاً عنه الشيخ ناصر بن حمد الراشد.

٨ ـ ولما افتتحت رابطة العالم الإسلامي كان هو رئيس المجلس التأسيسي لها، وكان الأمين للرابطة هو محمد سرور الصبان.

٩ ـ ولما افتتحت الجامعة الإسلامية عام (١٣٨٠هـ) كان هو المؤسس لها، وعين نائباً له الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

طريقته في التعليم وتلاميذه:

١ ـ كان إذا صلّى الفجر استند على سارية مستقبلاً القبلة ـ في الصيف على الجدار الشرقي لمسجده، وفي الشتاء في خلوة المسجد ـ، ويتحلق عليه الطلبة، ثم يبدؤون بالقراءة عليه من المتون حفظاً، ثم يبدأ بالشرح، لمدة ساعة أو أكثر، ثم يفترقون ويأتي آخرون عند الشيخ في البيت للدرس وقت الضحى.

٢ ـ كان يطلب القراءة من بعض الطلبة الذين يمتازون بقوة الصوت أو حسنه ـ دون من في صوتهم ضعف ـ كالشيخ أحمد بن قاسم وأخيه الشيخ محمد والشيخ فهد بن حمين والشيخ عبد الرحمٰن بن فريان.

٣ ـ كان يلزم طلبته بحفظ المتون، وكان حازماً في هذا الأمر، ويقول: إن الذي لا يحفظ المتون ليس بطالب علم، بل هو مستمع.

٤ ـ وكان يلزم طلبته بالحضور للدرس دائماً ولا يرضى بغياب أحد منهم.

٥ ـ كانت طريقته في درس المطولات الاختصار في الشرح، فلا يشرح إلا مواضع قليلة تحتاج للشرح، بخلاف المختصرات فإنه كان يطيل الشرح فيها.

٦ ـ وكان لا يريد الأسئلة التي تكون خارج الدرس أو التي يراها قليلة الفائدة.

٧ ـ كان في أول وقته يدرس طلبته جميع الدروس، ثم لمّا بدأت مسؤولياته تكثر صار يأتي غيره في بعض العلوم كالشيخ أبي حبيب والشيخ حماد الأنصاري والشيخ إسماعيل الأنصاري ـ رحمهم الله ـ.

٨ ـ كان له درس عام قبل صلاة العشاء في مسجده في التفسير وكان الذي يقرأ عليه في هذا الدرس هو الشيخ (عبد العزيز بن شلهوب).

٩ ـ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحضر دروسه بعد العشاء الآخر، وكان الذي يأتيه لهذه المهمة هو الشيخ أحمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم، فكان يأتيه بعد العشاء ويقرأ عليه دروس الغد، وكان يطلب منه أن يأتيه بحاشية أبيه (الشيخ عبد الرحمٰن) على الروض ـ قبل أن تطبع ـ ويطلب منه أن يقرأ فيه، وكان يقرأ من حاشية العنقري أيضاً، وكان يقول: إن العنقري طالت مدته في القضاء لذلك فحاشيته عن علم وفهم وممارسة.

١٠ ـ وكان يختبر طلبته دائماً بنفسه في جميع العلوم التي يدرسهم إياها، ويصحح اختباراتهم أيضاً، فلا يعين الطالب قاضياً أو مدرساً ونحو ذلك إلا بعد اجتيازه هذه الاختبارات.

تلاميذه:

ينقسم الذين درسوا على الشيخ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من درسوا عليه قديماً ـ ولم أدرك وقت دراستهم ـ وهؤلاء كثيرون؛ ومنهم:

١ ـ الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ الشيخ سليمان بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ ـ الشيخ صالح بن غصون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ ـ الشيخ محمد بن مهيزع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان قاضياً في (الزلفي).

٧ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن هويمل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القسم الثاني: طلبته الذين أدركتهم، وكانوا ملازمين له دائماً، وهؤلاء عشرة طلاب؛ هم:

١ ـ الأخ الشيخ فهد بن حمين: وقد التحق بالشيخ من عام (١٣٧٠هـ) ولازمه ملازمة تامة، وكان صوته جميلاً في القراءة فكان الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرتاح لقراءته فيجعله إذا قرأ يطيل أكثر من غيره.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم: وكان يمتاز بحفظه للمتون وضبطه واستحضاره لها.

٣ ـ الشيخ أحمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم: وكان كثير القراءة على

الشيخ، وهو الذي كان يأتي للشيخ لتحضير الدروس بعد العشاء، وهو الذي كان كثيراً ما يسافر مع الشيخ في رحلاته ويقرأ عليه فيها، وهو الذي قام بترتيب مكتبة الشيخ محمد.

٤ ـ الشيخ محمد بن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان كفيفاً وصار قاضياً في المحكمة المستعجلة.

٥ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن فريان.

٦ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن معيوف ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يكمل.

٧ ـ الشيخ محمد بن عبد الله السحيباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد صار قاضياً.

٨ ـ الشيخ عبد الله بن سعدان الجظعي، وصار قاضياً.

٩ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين.

١٠ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن مقرن رَحِمَهُ اللَّهُ.

القسم الثالث: من لم يلازمه دائماً، بل كان يأتي لحلقة الدرس أحياناً، وهؤلاء كثيرون؛ منهم:

١ ـ الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان رجلاً صالحاً، وكان يأتي لحلقة الشيخ أحياناً.

٢ ـ الشيخ ناصر البكر.

٣ ـ والشيخ عبد الله بن عقيل.

٤ ـ والشيخ أحمد الحميدان.

٥ ـ والشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ.

أخلاقه:

١ ـ الذكاء:

فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذكياً، ولم يبلغ إلى ما بلغ إليه مع فقده بصره مبكراً إلا لذكاء باهر تميز به عن غيره.

٢ ـ الحفظ:

فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ حافظاً للمتون، متقناً للقرآن؛ فلا أذكر مرة ـ خلال (١٨) سنة قضيتها معه ـ أنه قد رد عليه أحد أثناء قراءته للقرآن في المسجد أثناء الصلاة، وإن كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يتحدث مطلقاً عن سعة حفظه أو عن محفوظاته أو ما أشبه ذلك.

٣ ـ الحزم والشدة:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ حازماً شديداً، فكان يلزم الطلبة بالحفظ للمتون ولا يرضى بأقل من ذلك، ولا يرضى بغياب أحد منهم.

٤ ـ الزهد في الألقاب والمديح:

وقد صحبته ثمانية عشر عاماً ما سمعته يوماً قال عن نفسه: (الشيخ) أو (المفتي) حتى لو كان ينقل الخبر عن غيره بل كان إذا ذكر اسمه ذكره مجرداً إلا مرة واحدة فقط، وذلك عندما استضاف أحد وجهاء الخليج الصالحين فأراد مني أن أتصل له على الفندق ليحجز له فيه، فلما كلّم موظف الفندق ـ وكان مصرياً ـ قال له: معك محمد بن إبراهيم، فلم يعرفه، فقال: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فلم يعرفه، فردد عليه مراراً فلم يعرفه، فقال: المفتي، فلما انتهت المكالمة قال: هداه الله، ألزمني أن أقول هذه الكلمة.

وكان إذا أثنى عليه أحد أو مدحه يقاطعه بقوله: الله يتوب علينا، الله يعفو عنا.

٥ ـ الورع:

فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ ورعاً خصوصاً في أمور العبادات إذا استفتي فيها، وأحياناً لا يقضي فيها بشيء بل يتوقف، وأحياناً يسأل عن المسألة فيتأملها يوماً أو يومين قبل الإجابة عليها ـ كما سيأتي بعض الأمثلة على ذلك إن شاء الله تعالى ـ.

٦ ـ تقديره للعلماء والمشايخ والدعاة والقضاة:

فكان يثني على مشايخه الذين درس عليهم ـ وقد سبق ذكر شيء من ذلك ـ فكان يقول عن شيخه الشيخ سعد بن عتيق: شيخنا الشيخ الكبير والعالم الشهير، وكان إذا أتاه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع قام له ورحب به وأجلسه مكانه.

ومن ذلك أنه كان يحب الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى الداعية في (جيزان) ـ ويقدره، فكان إذا أتى إليه يكرمه كثيراً.

ومن ذلك أنه كان يحب الشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد رأيت الشيخ حمود مرة أتى إلى الشيخ محمد يقرأ عليه أحد ردوده التي ألفها ضد بعض المبتدعة، فلما نهض الشيخ حمود وانصرف قال الشيخ محمد: الشيخ حمود مجاهد جزاه الله خيراً.

ومن ذلك أنه كان يحب الشيخ أحمد شاكر والشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمهما الله تعالى ـ، وقد رأيتهما عنده كثيراً إذا أتيا إلى المملكة، وكان يكرمهم ويجلهم.

ومن ذلك احترامه وتقديره أيضاً للشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» والشيخ محمد المختار الشنقيطي.

ومن ذلك أنه كان لا يرضى لأحد من العامة أن يتكلم في القضاة مطلقاً إذا كان بغير حقٍّ أو اتهام لنية القاضي وقصده، ولو حدث ما يستدعي عزل القاضي لعزله ولا يتكلم عليه ولا يجعل أحداً يتكلم عليه إلا بحدود القضية.

٧ ـ الغيرة على دين الله:

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب غيرة شديدة على دين الله، وله حوادث كثيرة جداً في هذا الباب.

ومن ذلك أنه أتاه في أحد الأيام خطاب ذكر له فيه بعض

المنكرات، فأصبح من الغد مهموماً، وسمعته يقول: لم أنم طول الليل من الضيق.

٨ ـ الحرص على الوقت:

فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ وقته كله معموراً بالعلم والتعليم والسعي في مصالح المسلمين، وكان يأخذ جميع العرائض والأوراق التي تقدم إليه من عامة المسلمين في كل وقت، ويجعل أحد الذين معه يقرؤها عليه ثم يحيل كل ورقة إلى الجهة المختصة.

ومن حرصه على الاستفادة من الوقت أنه كان يحرص على الفائدة حتى في نزهاته، ومن ذلك أننا خرجنا معه مرة لـ(روضة نورة) في عام (١٣٧٤هـ) وكان معه في تلك الرحلة أحمد بن قاسم، فكان يطلب منه أن يقرأ عليه بعض الكتب، وأذكر من تلك الكتب في تلك الرحلة: مسودة كتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ وكان قد أعطى الشيخ محمداً مسودتها ليراجعها، فراجعها في تلك الرحلة، ومنه كتاب في «التعزير» لمؤلف مصري يدعى الشرباصي، وخرجنا معه أيضاً في رحلة عام (١٣٧٧هـ) لروضة (أم حجول) قرب (رماح)، وعام (١٣٨٣هـ) لـ(بطين ضرمى) وفي كل هذه الرحلات كان يصطحب معه بعض تلاميذه الذين يقرؤون عليه بعض الكتب.

٩ ـ الدعابة:

كان رحمه الله تعالى ـ رغم شدته وحزمه وهيبة الناس له ـ صاحب دعابة ـ خصوصاً مع خاصته ـ، وأحفظ له رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك حكايات كثيرة.

١٠ ـ العبادة:

كان ـ رحمه الله تعالى ـ لا يتحدث عن عبادته مطلقاً ولا يطلع

أحداً عليها، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحج كثيراً خصوصاً في آخر عمره، وكان كثير الاعتمار في رمضان، وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في سره.

١١ ـ طهارة القلب وعدم الغيبة والنميمة واستصغار الناس:

وكان لا يرضى أن يغتاب أحد في مجلسه، ولا أذكر مرة ـ طيلة صحبتي له ـ أنه تكلم على أحدٍ بسوء، بل كان إذا أحب شخصاً مدحه، وإن لم يحبه تركه فلم يذكره ولا يرضى أن يذكره أحد بسوء عنده.

من فتاواه وفوائده:

١ ـ سألته عن العقل: هل هو في الصدر أو في الرأس؟ فقال: قيل هذا، وقيل هذا، ولكن الذي يظهر أن الصدر يحضر، والرأس يجمع.

٢ ـ وسمعته يقول: لا بد في الوضوء من أقل جريان، ولا يكفي مجرد البلل.

٣ ـ وكان أحد أبنائه الصغار يتوضأ فبدأ باليسار قبل اليمين فأخبرت الشيخ بذلك، فضحك وقال: يجوز، ولكنه خلاف الأفضل.

٤ ـ وسأله رجل وأنا أسمع عن التسوك: هل يبدأ باليسار أو باليمين؟ فقال: بل باليسار لأنه إماطة أذى.

٥ ـ وكان يقول في المسح على الجوارب أنه إذا كان فيه شق يسير فلا بأس بالمسح عليه خصوصاً إذا كان مما يلي باطن القدم.

٦ ـ وكنت معه مرة فصلينا المغرب خارج الرياض، فلما انصرف خلع الخفين، فسألته عن السبب، فقال: انتهى وقت المسح عليهما والإمام ليس كالمأموم ـ يعني يخاف من نسيان المدة ـ.

٧ ـ وسألته عن التيمم: هل يجزئ بكل تراب له غبار أو لا؟ وهل يجزئ التيمم على الرمل ـ لأن منطقتي (الزلفي) كثيرة الرمل ـ؟ فقال: نعم يجوز.

وقد رأيت الشيخ محمداً مراراً يتيمم على الجدار وكان طينياً، يضربه مرة واحدة ثم يمسح يديه ووجهه.

٨ ـ وسمعته يقول: إن النبيَّ ﷺ (لما غزا تبوك في السنة التاسعة كان طريقه إلى (تبوك) أكثره رملي، ولم ينقل عنه أنه حمل معه تراباً ليتيمم به، لو كان فعل ذلك لتوفرت الدواعي والهمم لنقله، فدل ذلك على جواز التيمم بالرمل وما أشبهه.

٩ ـ وكان كثيراً ما يسأل عن تغسيل اليدين من أثر الأكل وسريان الغسالة في ماء المجاري هل يجوز؟ فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: نعم، يجوز، وهل هو إلا وساخة من اليدين!!.

١٠ ـ ورأيت مرة على (بشت) الشيخ دماً يسيراً بعد الصلاة فأخبرته، فقال: الشيء اليسير لا بأس به.

١١ ـ وسأله رجل وأنا أسمع عن (الكولونيا) فقال الشيخ محمد: أما أنا فلا أستعمله، ولو أصاب ثوبي شيء منه ما غسلته.

١٢ ـ وسمعته يوماً يتكلم عن الأذان ومشروعيته وأهميته، وقال: (إنه من شرائع الإسلام الظاهرة، وأن الرسول ﷺ «كان إذا غزا قوماً انتظر حتى الصبح، فإن سمع أذاناً وإلا أغار عليهم»، وإنه لو صلّى القوم ونسوا الأذان فإنهم يؤذنون ولا يعيدون الصلاة لأن الأذان للوقت وهو شريعة من شرائع الإسلام لا تترك، ثم قال: كنا عند الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ في درسه قبل العصر في «الجامع الكبير»، ثم إنه صلّى العصر وقد نسوا الأذان، فلما انصرف من الصلاة سأل عن الأذان، فأخبر بأنهم لم يؤذنوا، فأمر أحد المأمومين أن يقوم ويؤذن، قال الشيخ محمد: فقام في وسط الصف فأذن بعد الفراغ من الصلاة).

١٣ ـ وكان رجل من أهل (الزلفي) يعمل بالتجارة ويسافر إلى بعض دول الخليج ليأتي ببعض البضائع، فذكر لي أنه يسكن بجانب

مسجد إمامه يحلق لحيته ويشرب الدخان، وطلب مني أن أستفتي الشيخ محمداً عن الصلاة خلف ذلك الرجل، فسألت الشيخ، فسكت الشيخ قريباً من يومين، ثم أعدت عليه السؤال فقال: يبحث عن مسجدٍ آخر؛ فإن لم يجد فلا يصلي خلف هذا الفاسق ما دام مسافراً.

١٤ ـ وسمعته يقول: إذا جلس الإمام للتشهد الأول وقام ولم يكمل المأموم تشهده فلا يتبعه حتى يكمل.

١٥ ـ وفي عام (١٣٧٧هـ) أصيبت رجلي بمرضٍ فوضع فيها (الجبس) في مدينة (جدة)، وكنت لا أستطيع الحركة فكنت أتيمم وأصلي إلى غير القبلة، فلما جئت إلى الرياض سألت الشيخ عن صلاتي وهل هي صحيحة أم أقضيها؟ فمكث أياماً ينظر فيها ثم لم يفتني فيها بشيء.

١٦ ـ ورأيت رجلاً أتى إليه وقال: إنني أسافر من (الخرج) إلى (الرياض) وتدركني صلاة المغرب في الطريق فهل يجوز لي أن أجمع معها العشاء مع العلم أنني سوف أصل إلى (الرياض) قبل صلاة العشاء؟ فقال: نعم يجوز.

١٧ ـ وفي أحد أيام الشتاء نزلت أمطار غزيرة على مدينة (الرياض) قبل صلاة (الظهر)، فقام أحد الأئمة في أحد المساجد بالجمع بين (الظهر) و(العصر)، فلما علم الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ تكلم في مسجده وأمر من صلّى معهم بإعادة صلاة (العصر).

١٨ ـ وتأخرت مرة عن صلاة (الجمعة) فوجدته رَحِمَهُ اللَّهُ قد شرع في الركعة الأولى فصففت مع الذين يصلون في (ساحة الصفاة) بجانب (الساعة) ويقتدون بمكبر الصوت ـ بدون اتصال الصفوف ـ، فلما انتهينا من الصلاة سألته عن صلاتي هذه، فأمرني بالإعادة.

١٩ ـ وسألته عن صلاة (الكسوف) هل هي فرض عين أو فرض كفاية؟ فقال: إن ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ قال في كلامٍ له عنها: إنه لو قيل بوجوبها لكان له وجه.

٢٠ ـ وصلّى مرة على جنازة فكبر خمس تكبيرات، فلما انصرف أخبرته فقال: لا بأس بذلك.

٢١ ـ وكان يقول بعدم وجوب الزكاة في الحلي، ويقول ثبت عن خمسة من أصحاب محمد ﷺ القول بذلك.

٢٢ ـ وكان هناك رجل من أهل (الزلفي) يعطي زكاته لقريبة منه وكانت تجمع هذه النقود ولا تشتري بها شيئاً مطلقاً، فطلب مني أن أسأل الشيخ: هل يجوز أن يشتري بالزكاة التي يريد دفعها لها ملابس وطعاماً ونحو ذلك ودفعه إليها؟ فسألت الشيخ فسكت ولم يجب قريباً من يومين، ثم قال: ما دام الحال كما ذكر، فإنه يجوز هذا.

٢٣ ـ وطلب مني رجل أن أسأله في مسألة حصلت له، فقال: عندي نقود وعليَّ دين فهل أخرج الزكاة عنها كلها، أو أزكي المال الذي لي وأترك الدين، فسألت الشيخ، فسكت الشيخ وقتاً ثم قال: بل زكِّ مالك دون الدَّين.

٢٤ ـ وسألته عن النقد الورقي: هل هو سند أو نقد بذاته؟ فتوقف في ذلك ولم يجب، والذي أعرفه عنه أنه مات رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يفتِ فيها بشيء.

٢٥ ـ وكنت معه مرة في اليوم التاسع والعشرين من رمضان بعد العصر، فقال: يظهر أن الليلة يهل هلال شوال، ثم قال: إن ابن مسعود قال: صام رسول الله ﷺ تسع رمضانات كلها تسع وعشرون يوماً.

٢٦ ـ وفي عام (١٣٧٦هـ) كتب الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً في المناسك أجاز فيه الرمي قبل الزوال وبالليل ولم يحدده بوقت، فطلبه الشيخ للمباحثة، فكانت بينهما جلستان حضرهما جمع من المشايخ وقد حضرت عندهم، ومما دار في النقاش:

إن المحمود ذكر في منسكه أن العاجز عن الرمي يسقط عنه الرمي ولا يوكل عن نفسه لأنه لا واجب مع العجز.

فقال الشيخ محمد: أيّهما أوجب: الرمي أم المبيت بمنى؟.

قال الشيخ المحمود: الرمي والمبيت واجبان.

قال الشيخ محمد: سبحان الله!! الرمي أوجب، وإنما المبيت وسيلة للرمي.

قال الشيخ المحمود ـ يعني بعض الحاضرين من تلاميذ الشيخ ـ: إنه يوافقني على ما قلته من جواز الرمي في الليل.

فقال الشيخ ـ لهذا الذي أشار إليه المحمود ـ: ما دليلك على ما ذهبت إليه؟.

فقال: قسته على يوم عرفة، فإن الحاج لو وقف في عرفة ليلة النحر لأجزأه لحديث عروة بن مضرس الطائي.

فقال الشيخ محمد: لا، هذا قياس مع الفارق، فإن الرمي أصل مستقل، واليوم ينتهي بغروب الشمس، والليلة تتبع اليوم الذي بعدها لا الذي قبلها.

ثم بعد هذه الجلسات اعتذر الشيخ ابن محمود وقرر أن يكتب كتاباً ينقض فيه الذي قرره أولاً، ولكنه لم يفِ بما ذكره للشيخ فرد عليه الشيخ محمد، بكتاب «**تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك**».

٢٧ ـ وكان رجل بدوي في (الزلفي) اسمه (نافع) حجَّ ولم يسعَ ومضى على ذلك قريباً من (١٥) سنة، ثم إن الشيخ محمد حجَّ عام (١٣٧٦هـ) وكنت معه، فلما ذهبت لأسلم على بعض الجماعة من أهل (الزلفي) وكان معهم (نافع) هذا، قالوا: إنه استفتى بعض أهل العلم ـ في الميقات من هذه السنة ـ وأفتاه بأن عليه دم، فقلت: الذي أعرفه أن السعي ركن والركن لا يجبر بدم، ثم أخبرتهم بأني سوف أسأل الشيخ محمداً عن هذا.

فلما عدت إلى الشيخ أخبرته بالواقع وسألته، فسكت ـ وهذه عادته رحمه الله فإنه كان ورعاً خصوصاً في العبادات ـ ولم يجبني إلا من

الغد حيث ناداني وقال: إنه يحرم من مكانه ثم يسعى ويقصر ويلبس، وحجه تام إن شاء الله نظراً لجهله.

٢٨ ـ وسألته مرة عن معنى قول صاحب الروض حيث قال في باب الخيار: **(ويقبل قول قابضٍ في ثابتٍ في ذمة من ثمنٍ وقرضٍ وسلم ونحوه إن لم يخرج من يده)** فقال: إن قبضت شيئاً ثابتاً في ذمة آخر فإنه يقبل قولك بأنه ناقص مثلاً وأنك لم تستوفه، لأنه ثابت في ذمة الآخر، ولكن يقبل هذا بشرط أن لا يخرج هذا المقبوض من يدك، فإن خرج من يدك لآخر لم يقبل قولك.

٢٩ ـ ومن ذلك أنه كان هناك قط مؤذٍ في بيتي، فاستفتيت الشيخ في قتله فأفتاني لأنه مؤذٍ.

٣٠ ـ وكان يفتي بلزوم الطلاق الثلاث، فمن طلق ثلاثاً بلفظ واحد فإن الشيخ محمداً رَحِمَهُ اللَّهُ يلزمه ويجعل امرأته تبين منه، وسمعته يقول: (إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ لما أفتى بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعدّ طلقة واحدة لم يكن يقصد بذلك مخالفة الجمهور الذين يفتون بلزومه، ولكن لانتشار (نكاح التحليل) في زمنه بين المسلمين بسبب أيمان الطلاق هذه، رأى رَحِمَهُ اللَّهُ أن مخالفة الجمهور أخف من مفسدة (نكاح التحليل) فأفتى بذلك).

وسمعته يقول: إن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي يحتج المخالفون بقوله ورد أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فاستفتاه فقال: (عصيت ربك وبانت منك امرأتك).

وسمعته يقول: (إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ كان يوافق الجمهور في هذه المسألة، ولم يفتِ بخلاف ذلك إلا مرة واحدة لما طلق رجل امرأته ثلاثاً وكان له منها أولاد، ورأى أنهم سيفسدهم الافتراق فأفتى بقول شيخ الإسلام ابن تيمية).

٣١ ـ وكنت معه مرة فأتت إليه امرأة من (الخرج) ومعها زوجها وأبوها وأخوها، وهي تطلب الطلاق، فحاول الشيخ الإصلاح بينهما ولكنه لم يستطع، فقال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]، ففرض الشيخ على الزوجة أن تدفع (٣٠٠٠) ريال ويكون خلعاً، فوافقت فالتزمت بذلك، فقال للزوج: قل: طلقت زوجتي فلانة، فطلقها.

٣٢ ـ وحدث أن امرأة قتلت زوجها وقبض عليها واعترفت وحكم عليها القاضي بالقتل، ثم إن أولياء المقتول تنازلوا عن القصاص، فرفض الشيخ تنازلهم، وقال: إن قتلها حرابة لا قصاص لأنها قتلته غيلة فليس للأولياء حق في ذلك، وأمر بقتلها، فقتلت ـ وكنت من الحضور عند قتلها ـ.

٣٣ ـ وحصلت قضية عند أحد القضاة ـ من طلبة الشيخ ـ وهو أن رجلاً قبض عليه بتهمة السرقة واعترف عند الشرطة بذلك، فلما أحيل إلى القاضي أنكر ما سبق أن أقر به، فسأله القاضي عن هذه القضية أثناء زيارةٍ للقاضي للشيخ في منزله وأنا أسمع، فقال الشيخ: أما الحد فيدرأ عنه، وأما المال الذي اعترف به فيلزم به.

٣٤ ـ وسمعته يتكلم عن القضاء يوماً وأنه ابتلاء، ثم قال: لما كانت البيِّنة على المدعي واليمين على من أنكر وبعض المدعين لا يأتي ببينة ولا يدري أن له حق اليمين على المدعى عليه فللقاضي أن يخبره بأن هذا حق له، ولا يكون هذا من باب تلقين الخصم حجته المنهي عنه.

٣٥ ـ وسمعته يوماً يتكلم عن تزكية الشهود وأنه لا بد للمزكي من معرفة تامة بالمزكى، وقال: إن عمر لما طلب تزكية أحد الشهود فزكاه رجل، قال له عمر: هل جاورته؟ قال: لا، قال: هل تعاملت معه في بيع وشراء؟ قال: لا، قال: هل سافرت معه؟ قال: لا، قال: فأنت لا تعرفه.

من أحاديثه:

١ ـ سمعته يقول: (لما كَبُر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ صار يؤم الناس في (التراويح) ابنه الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان الشيخ محمد يسأل الناس عن ابنه فيثنون عليه فقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يقوم بالواجب).

٢ ـ وسمعته يقول: (كان الإمام محمد بن سعود ـ رحمه الله تعالى ـ ديّناً عادلاً، وكانت له أكثر من امرأة، وكان هناك قماش اسمه (المرود) فكان من عدله إذا أراد أن يقسم هذا القماش بين نسائه يزنه بالميزان).

٣ ـ وسمعته يقول: (كان الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: أنا أعرف رجال الحديث مثل معرفتي برجال الدرعية، ولو ذهب للنخيل ما فرّق بين شجر (الجح) وشجر (القرع)).

٤ ـ وسمعته يقول: (كان الإمام فيصل بن تركي ـ رحمه الله تعالى ـ شديد الخوف من الله، ومن ذلك أنه استدعى أحد الرعية ـ لشكوى جاءته ـ فقال له ـ بعد أخذ وردّ ـ: خف الله يا طويل العمر، فبكى الإمام فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ).

٥ ـ وسمعته يقول: (كان الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ـ رحمه الله تعالى ـ يقول عن نفسه: إنه يذكر ثدي أمه لما كانت ترضعه).

٦ ـ وسمعته يقول عنه أيضاً: (كان رَحِمَهُ اللَّهُ حاد البصر، ولما كبر وثقل بقيت معه حدة البصر، فكانوا إذا تحروا الهلال حملوا الشيخ عبد الرحمٰن إلى سطح المسجد ـ وهو كبير ـ ليرى الهلال).

٧ ـ وسمعته يقول عنه أيضاً: (إنه أسند التدريس لابنه عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان ابنه لا يشرح مطلقاً وأبوه موجود، فكان أبوه يخرج من الحلقة حتى يشرح ابنه، ثم يأتي وهو لا يعلم به حتى يستمع شرحه).

٨ ـ وكان للمسجد الذي يؤمه الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ وقف قديم من وقف الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ـ رحمه الله تعالى ـ، فذكر للشيخ محمد أن البعض قد اعتدى على هذا الوقف فطلب ورقة الوقف ـ التي كتبها الشيخ عبد الرحمٰن ـ وكنت معهم، فلما قرئت عليه وكان فيها:

«وقف على مسجد دخنة الكبير»

قال الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (الله أكبر، لم يقل: وقف على مسجد الشيخ؛ لأنه هو الشيخ المقصود).

وسمعت الشيخ محمداً يذكر أن المسجد المسمى باسمه الآن إنما اسمه أصلاً (مسجد الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن).

٩ ـ وسمعته يقول: (دعانا بعض أهل (ضرمى) على وليمة مع (الشيخ سعد بن حمد بن عتيق) رَحِمَهُ اللَّهُ وبعض الإخوة، فلما انتهينا من الغداء ـ وكان بعد العصر ـ استأذن الشيخ سعد ونهضنا معه ـ وكان هذا قبل السيارات ومعنا رواحل ـ فلما ظهرنا فوق عقبة (القدية) أردنا أن ننام فقيدنا الرواحل ـ ولم نعقلها ـ حتى تستطيع الرعي ولا تبتعد عنا، فلما أصبحنا ذهب الذين معنا للبحث عن الرواحل فوجدوها كلها إلا راحلة الشيخ سعد، فتفرقوا للبحث عنها، وكان الشيخ سعد في هذه الأثناء يدعو الله تعالى أن يأتيه براحلته، فأتى الذين ذهبوا للبحث عنها ولم يجدوها، قال الشيخ محمد: فأتى رجل إلينا من بعيد وهو يسوق راحلة الشيخ سعد معه حتى وصلت إلينا، ثم اختفى ولا ندري من هو، وكان الذين ذهبوا للبحث عنها كل واحدٍ منهم يحسب أن الآخر هو الذي يسوقها حتى أتوا وسأل بعضهم بعضاً فأنكر كل واحد ذلك، وهذه من كرامات الشيخ سعد رَحِمَهُ اللَّهُ).

١٠ ـ وسمعته يقول عن أبيه الشيخ إبراهيم:

(عندما وضعت له زوجته ـ أم الشيخ محمد ـ العشاء في أحد الأيام وكان بعد العصر ـ في ذلك الوقت ـ، فلما بدأ بالأكل إذا الباب يطرق، فخرج فإذا رسول من الشيوخ ـ يعني الملك عبد العزيز وكان يسمى بذلك في ذلك الوقت ـ يخبره بتكليفه بالقضاء، قال الشيخ محمد نقلاً عن والدته: فدخل البيت مهموماً وترك العشاء وغسل يديه ـ ولم يتناول إلا اليسير ـ، ولحظت عليه في الليل عدم نومه، فلما أصبح سألته عن السبب فأخبرها بأنه ولي القضاء، وكان ورعاً رَحِمَهُ اللَّهُ).

١١ ـ وجئت يوماً إلى الشيخ فلقيني الشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ ومعه مسودة كتاب له قرأها على الشيخ، فلما دخلت على الشيخ ـ وليس عنده أحد غيري ـ قال: إن رجلاً قرأ عليه قبل قليل ـ يعني الشيخ حموداً ـ كلاماً فيه بيت أعجبه وهو:

ترى الأرض تهتز ارتياحاً لوقعه كما ارتاحت البكر الهدي إلى البعل

وفاته:

في صباح أحد أيام شعبان من عام (١٣٨٩هـ) خرج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عمله كالعادة ووقف يوصيني ببعض الأعمال، ورأيت على وجهه أثر صفرة ظاهرة فسألته إن كان متعباً، أو لم ينم؟ فسأل عن سبب سؤالي، فقلت له عن أثر الصفرة في وجهه، فرجع إلى بيته فسأل أهل البيت فأخبروه فذهب إلى (المستشفى المركزي)، فأجروا له بعض التحاليل، فاكتشفوا فيه أحد الأمراض المستعصية فلم يخرج من (المستشفى) إلا عند تحري رؤية هلال رمضان؛ حيث خرج إلى البيت فلما ثبت الشهر عاد إلى المستشفى، ثم صدر أمر ملكي بنقله إلى (لندن) لمواصلة العلاج، فلما وصل (لندن) أجروا له الفحوصات والتحاليل اللازمة فرأوا أن المرض بلغ غاية لا ينفع معها عملية أو علاج، ثم دخل في غيبوبة ـ رحمه الله تعالى ـ وهو هناك، فأتي به إلى (الرياض) على طائرة خاصة

محمولاً على (نقّالة) وبقي في غيبوبة حتى وافته المنيّة ـ رحمه الله تعالى ـ في الساعة الرابعة صباحاً ـ بالتوقيت العربي ـ من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من عام (١٣٨٩هـ)، وصُلِّي عليه بعد صلاة الظهر من نفس اليوم وأمَّ الناس عليه الشيخ ابن باز وامتلأ المسجد وجميع الطرقات المؤدية إليه، حتى إن كثيراً من الناس لم يدركوا الصلاة عليه من الزحام، وحُمل على الأعناق إلى مقبرة (العود) وصلّى عليه جماعات كثيرة في المقبرة ممن فاتهم الصلاة عليه في المسجد، وأذكر أن أول جماعة صلّت عليه في المقبرة كان إمامهم (الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن فارس) رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو من طلبة الشيخ ـ.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قاله ممليه

حمد بن حمين بن حمد الفهد

الشيخ محمد بن إبراهيم
عالم الديار السعودية وفقيهها
(١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ)

بقلم معالي الدكتور
محمد بن سعد الشويعر[١]

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

أما بعد:

فإن القلم يقف مع الأفكار التي تتداعى في اختيار من يكتب عنه، واستحضار مكانته في النفوس، وأثره في الأمة، ذلك أن الأسماء المطروحة كثيرة، لكن الذي ترك بصمات بارزة، وتعلّقت به الأفئدة، هو الذي تشرئب الأعناق لاستطلاع سيرته، وتذوُّق مسيرة حياته، حيث يتفتق الحديث عنه، إلى مواقف وعبر.

وهذا النوع من الرجال، بهم ندرة في كل مجتمع؛ لأن مكانتهم وأثرهم تعظمان بعد خلوِّ الميدان منهم.

وحديثنا في هذا الموقف، عن عالم جليل القدر، جم التواضع، هو من القلة النادرة من الرجال الذين تكبر مكانتهم بعدما تقلّب سيرة

---

(١) كتاب: مشاهير علمائنا، ص(٩ ـ ٥٥).

حياتهم، وعند استجلاء مواقفهم، قد منحه الله خصالاً شتى: شدة في غير عنف، ولين من دون ضعف، علاوة على ما خصّه الله من ذكاء وفطنة، وورع وتقى.. مع حبّ للمساعدة وعطف على المحتاجين.

ومن تتبع سيرته: المرصود منها والمحفوظ، يتضح له أنه إمام في علمه واجتهاده، جبل أشم في تصديه للتيارات الوافدة، إذ هو من النوادر الذين يبرزون على الساحة بين وقت وآخر، ومن ينطبق عليه قول شاعر:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهمُ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

إنّه العالم الفذّ، إمام عصره، الذي جمع الله فيه خصالاً عديدة، مع الإخلاص، والاهتمام بالعلم ونشره، إلى جانب الحكمة في معالجة الأمور، وبُعد النظر في تحرّي العواقب، وتلمّس ما فيه الرأفة بالأمة.

إنه مفتي الديار السعودية، ورئيس قضائها: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ـ رحمهم الله جميعاً ـ[1].

ولئن كان الشيخ محمد علماً من الأعلام البارزة، المرتبطة بتاريخ المملكة العلمي والقضائي والفتوى، والمعروف لا يعرَّف به، فإنه حيّ في ذاكرة كلّ من عرفه بأعماله وحكمته، ولذا فإن البحث، والحديث مع عارفيه، يجعلني أتقاصر الجهد الذي يبذل في التعريف بسيرة حياته؛ لأنه موطن خصب للدراسة، ومنبع ثر لمن يعرف بالجوانب العديدة في حياته، وكل جانب يستحق الدراسة المتأنية: فالشيخ محمد في علمه، والشيخ في أسلوبه في التعليم، والشيخ في تشجيعه للعلم، والشيخ في بُعد نظره، والشيخ في حكمته وزهده، والشيخ في صبره وجلده، والشيخ في حكمته ومعالجته للأمور، والشيخ في جرأته وفتاواه، كل هذه الجوانب تستحق

---

(١) وقد وصل محمد قاسم نسبه إلى تميم في (٣٧) جداً، ثم إلى نزار بن معد بن عدنان. انظر: «مجموع فتاوى سماحته»: ١/٩.

الإفراد بدراسة مستقلة ليظهر من ذلك مكانة هذا الرجل، وما كان يؤدي من أعمال، والثغور التي كان يسدّ.

وما سوف أقدم في هذه العجالة، ما هو إلا جهد المقلّ، المحكوم بزمن معين، وحجم محدود، سأسهم به مع المترجمين لحياته، لما له من مكانة في الأنفس وذكرى طيبة يرددها كل من عرفه، أو سمع عنه، إلى جانب الآثار التي خلدتها أعماله.

وسأكون في هذا عالة على من سبقني في الحديث عنه، حيث وضعوا الصُّوى على الطريق، إلا أن أمثاله من العلماء الأفذاذ لهم حق على طلابهم، بتجديد الحديث عنهم، لما لهم من حق على عارفيهم، ولما لهم من سابقة، وبما يمتازون به من قدم راسخة وشجاعة. فالشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ مع تواضعه له هيبة، ومع ما أحله الله من مكانة فإنه يبذل جاهه، ولا يبخل بمساعدته للمحتاج، ومع علمه ومكانته، يمتاز بالتبسط والمزاح مع الإنسان العادي ولا يضن بالتفقد لحال الضعيف.

وفي هذه المساهمة، سوف أحاول الإلمام بجوانب من حياة هذا العالم الكبير في علمه وقدره، الصغير عند نفسه، الباذل لعلمه، المحب لطلابه، المدافع عن العلماء والقضاة الذين أنيطت به مسؤولية عملهم.

مولده ونشأته:

أجمع الكاتبون عن سيرة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ على أنه ولد في السابع عشر من شهر محرم سنة (١٣١١هـ) بمدينة الرياض، وأنه نشأ في بيت علم وفضل، فأبوه الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف كان عالماً، أسند إليه الملك عبد العزيز قضاء الرياض من عام (١٣٢١هـ)، إلى أن توفي عام (١٣٢٩هـ)، إلى جانب جلوسه للتدريس، وجدُّه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن درس في الأزهر بمصر، بعدما نقله إبراهيم باشا مع أسرته لمصر بعد سقوط الدرعية عام (١٢٣٣ ـ ١٢٣٤هـ)، وقد نال مكانة علمية كبيرة في مصر، ثم بعدما عاد منها: في الدعوة والتأليف والتعليم.

وجد والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤلف كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وقد قدم من مصر عام (١٢٤١هـ) بعدما نفيت أسرتهم إلى هناك مع من نفي من آل سعود وآل الشيخ وغيرهم بعد هدم الدرعية. . وكان عالماً ورعاً أثنى عليه ابن بشر في تاريخه في علمه وسعة أفقه[١].

وكل واحد من فروع هذه الشجرة الطيبة، له شهرة علمية، وفضل لا يضاهى في سبيل نشر الدعوة، وتصحيح العقيدة، وحماية جناب التوحيد، توارثوا العلم كابراً عن كابر، فكانوا مصابيح تضيء دجى الجهل، وعلامات يسترشد بها الساري في الذود عن العقيدة.

ففي الرياض نشأ مجدد الدعوة، ومحيي السنّة، الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي ربوعها درج، حيث بانت علائم النجابة عليه منذ صغره، وفي حي دخنة حيث بيوت العلم من آل الشيخ خاصة، ترعرع وتفتح ذهنه على طلب العلم فأدخله والده مدرسة الكُتَّاب: لدى عبد الرحمٰن بن مفيريج وهو في الثامنة من عمره، ولنباهته وشغفه بالعلم فقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم درس بعد ذلك التجويد.

وكانت دراسته عند ابن مفيريج على مرحلتين: المرحلة الأولى وهو مبصر من الثامنة حتى الحادية عشرة حيث ختمه نظراً، والثانية بعدما أُصيب بمرض الرمد في عينيه في السادسة عشرة، حيث استمر معه المرض سنة كاملة، كف بصره على أثره، فعوّضه الله البصيرة، فعاد إلى الكتاتيب فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب[٢].

---

(١) لراغب الاستفادة ينظر: عنوان المجد، لابن بشر، حوادث عام (١٢٤١هـ)، ج١، ومقدمة فتح المجيد، ص(٣، ٤).

(٢) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف، ص١٦٩، لكن ابن قاسم يرى أنه حفظ القرآن نظراً وهو ما بين الثامنة والعاشرة. الفتاوى: ٩/١، ومحمد القاضي في «روضة الناظرين»: ٣٢٦/٢، يرى أنه حفظه وهو في العاشرة من عمره.

لكن الشيخ عبد الله بن منيع في حديثه عن سماحته قال: «فمن حين بلغ السابعة من عمره شرع يتعلم القرآن الكريم في كُتّاب للمقرئ عبد الرحمٰن بن مفيريج فأتم قراءته وإجادته، ثم شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما بلغ الحادية عشرة حتى أتمّه حفظاً»[1].

ومهما يكن من اختلاف بين الكاتبين عن سماحته في العمر في بدء الدراسة، وختم القرآن، فإن هذا الاختلاف ليس بكثير. وهذا من الأمور المعتادة لكثير ممن يترجم لحياتهم في فترة متأخرة، بعدما علت مكانة الشيخ، وسما نجمه، ذلك أن المعلومات الأولية عن حياة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تجمع من الذاكرة، ومن مساءلة العارفين به، وليس بمستغرب حصول الاختلاف في التاريخ الذي لم يدوَّن.

ومثل هذا الاختلاف أيضاً، حصل في تحديد السنّ التي فقد فيها البصر، ولكنه أخف، إذ عبد الله بن رويشد في كتابه «قادة الفكر الإسلامي» يرى أنه فقد البصر، ولمَّا يبلغ العاشرة من عمره[2]، ويرى عمر رضا كحالة في مستدركه على معجم المؤلفين، نقلاً عن خير الدين الزركلي في الأعلام، أنه فقد بصره في الحادية عشرة من عمره[3].

ويرى الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف في كتابه «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[4]، والشيخ محمد بن قاسم في مقدمة مجموع فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم[5]، أنه أُصيب بالرمد وهو في السادسة عشرة من عمره في عينيه فكف بصره.

والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع الذي لازم سماحته آخر عمره،

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢١٣).

(٢) ص(٤٠٥).

(٣) المستدرك لمعجم المؤلفين، ص٥٨٢، والأعلام، للزركلي: ٥/٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) ص(١٦٩).

(٥) (١/٩).

قرابة خمسة عشر عاماً، يرى: أنه كف بصره وهو في السابعة عشرة من عمره حيث حدثنا سماحته عن نفسه بذلك[1].

وأجدني أميل مع الشيخ عبد الله بأن بصره كف وهو في السابعة عشرة لأنه أسند هذا الرأي للشيخ محمد نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ فيكون أخذ العلم عن مصدره؛ لأن أصدق وأوثق ما يكتب في السير الذاتية، ما كانت المعلومات بحديث المترجم له، إنباءً عن نفسه.

أما الرأيين في: مشاهير علماء نجد، ومجموع فتاوى سماحته، فلعلهما عبَّرا به عن بدء المرض، الذي استمر معه سنة، بفقدان البصر ومعلوم أن النتيجة لا تتم إلا بعد البرء من المرض، والبرء تم وهو في السابعة عشرة، ولعلهما اعتبرا فقدان البصر، مع بداية المرض. وبهذا يمكن التوفيق بين الرأيين.

إن مرض عيني الشيخ محمد، ثم فقدان البصر، لم يفُتَّا في عضد الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يوهنا عزيمته عن طلب العلم، لوجود سببين هيأهما الله له:

الأول: النشأة في المحيط العلمي وترغيب والده له في العلم، فتلازم الدافع مع الترغيب، ونمَّى ذلك ما جعل الله في قلبه من حبّ للعلم، الذي وجد أسبابه ميسرة، والترغيب فيه مبسوطاً، وكأن الشاعر عناه بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوَّده أبوه

والسبب الثاني: الموهبة التي خصّه الله بها: من ذكاء فطريّ، وحافظة وقّادة؛ لأن العلم لا بد له من وسيلة معينة على التحصيل، ووعاء يحفظ العلم، وهاتان الخصلتان قد خصّ الله بهما الشيخ محمداً،

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص٢١٣.

منذ تفتح ذهنه على الدنيا.. فالله جلّت قدرته، إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه.

طلبه للعلم:

للبيئة التي نشأ فيها المرء أثر في توجيه مساره في الحياة، وللنفوس دور في التعلق بما تفتحت عليه العيون، ووعته الذاكرة، حسبما هو دائر في محيط الإنسان.

والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ الذي نشأ في بيت علم، ومن سلالة علم، ونشأ في محيط كله شرف ودين، مقروناً فيه القول بالعمل، قد تولّد عنده حب العلم، والحرص عليه، منذ بدأ يعي ما حوله، وقد اهتم به والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف عالم الرياض، وقاضيها: توجيهاً وترغيباً، عندما أدرك من ذكاء ابنه وفطنته ما يهيئه للأخذ من العلم بنصيبٍ وافر.

فالشيخ إبراهيم يقصده الطلاب في مجالسه ودروسه ليأخذوا عنه ويستفيد منه العامّة في فتاواه، ومن القضايا التي تمر عليه في المنازعات وغيرها، وضمن توجيهاته في الدعوة والإرشاد.

والعارض الصحي الذي قدره الله على عيني الشيخ محمد، لم يسلمه لليأس، بل زاده جَدّاً، وعزماً على المضيّ قدماً في مشوار العلم، ـ كما مرّ بنا من قبل ـ يساعده أمران:

١ ـ دافع وجداني؛ لأن العلم تغلغل في جوانحه، والإصرار على الأخذ بأسبابه استحوذ على مشاعره.

٢ ـ ودافع ممن حوله، شدّ عضده، وشجعه على الطلب: من الأب الذي يمحضه نصحه، ومن الأسرة العلمية التي اهتمت به، أخذاً وعطاءً ودعوةً.

فكانت بداية المشوار العلمي للشيخ محمد ـ بعد أن استسلم لقضاء الله، ورضي بقدره عندما فقد حبيبتيه ـ أن أعاد القرآن الكريم حتى

ختمه حفظاً، في فترة وجيزة، إذ عوّضه الله عن البصر البصيرة، وعن الإحساس بالنظر لما حوله الذاكرة التي تستوعب ما يلقى إليها، والنهم العلمي الذي جعله يطلب المزيد باستمرار.

واهتمامه بالقرآن الكريم أولاً، جاء من مكانة القرآن الكريم من قلبه لأن كل طالب علم يراه مجمع العلوم وأساسها.

وقد جعل الصبر والمثابرة مطيته في طريق العلم، محتملاً في سبيل ذلك المشاق، مع التواضع في الأخذ، والتأدب مع المعلّمين، فالعلم لا يناله مستكبر ولا مستحيٍ، مستعيناً على ذلك بالله ثم الدعاء وحسن العبادة مع خالقه، متأسياً بقول الشاعر:

لأستسهلنّ الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

ذلك أن العلم الذي هو ميراث الأنبياء، له أدب في الأخذ، وواجب في العطاء، وحق لازم عند من أخذه، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم**». وفي بعض الروايات زيادة: «**فمن أخذه أخذه بحقه**»، وحق العلم التبليغ.

وطالب العلم الصادق في النيّة، يضع نصب عينيه في طلبه: الإخلاص لله، والاهتمام بتبليغه، والتواضع في حلقاته، والتأدب مع معلميه، والحرص على تبليغه، والاهتمام بأمانته، وعدم مماراة السفهاء فيه، والعهد على ذلك، ومن صدق مع الله، وعلم منه سبحانه حسن النية في ذلك، أعانه الله في طلبه للعلم، ويسر له سبله، حتى يبلغ غايته.

والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ظهرت عليه النجابة مبكراً قد حرص على أن تكون هذه الأمور أمامه منذ بداية المشوار، عُدة تعينه على المسيرة وتخطي العقبات، متأسياً في ذلك بسير أعلام الإسلام، وعلماء السلف من المسلمين، ومتأثراً بأقرب الناس إليه، حيث يشدّ طلاب العلم رحالهم إلى مدينة الرياض، التي أصبحت محط الأنظار

لتوافر العلماء، رغم ما يكتنف هؤلاء الطلاب من مشقة في الترحل، وفراغ في اليد، إلا أن المورد العذب شوّقهم لينهلوا منه. ومن رحمة الله بهذا الشاب المتوثب ـ الشيخ محمد ـ أن كانت المناهل العذبة، تحت سمعه وبصره، فدفعه ذلك إلى المزاحمة والمثابرة، فبدأ قراءة المختصرات العلمية من مؤلفات جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفقه والعقيدة، وهي رسائل مركزة في محتوياتها، مبسطة في أسلوبها، سهلة في فهمها، مما ترغب الطالب، ولا تثقل على المبتدئ، وتشوّق إلى المزيد. وإلى جانبها كان يأخذ مبادئ النحو والفرائض.

كانت هذه البداية على يد والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، الذي كان له خير موجه ومعين ومرغب، فكان الأب يعطي ابنه من هذه العلوم بقدر ما يتلاءم مع رغبته وقدراته، كالطبيب الذي يصف جرعات الدواء.. فلا يزيده ليملّ، ولا ينقصه ليتألم ويتحسّر.

لكن همة التلميذ، وما حباه الله من فطنة وذكاء، كل ذلك جعله يستوعب هذه المختصرات في فترة وجيزة، مع حفظها عن ظهر قلب.

ثم زادت رغبته في التحصيل، وسمت نفسه إلى المزيد من العلم، كالظمآن الذي أُعطي جرعات قليلة من الماء، فزادته هياماً؛ لأنه رآها لا تروي ظمأً ولا تسدّ حاجة.

ولما كان لعمه العلّامة الورع الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عالم الرياض وحكيم علمائها، حلقات في العقيدة، فإن الشيخ محمداً وجدها فرصة مهيأة لينتظم فيها، فبدأ بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم العقيدة الواسطية، تلتها الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فحفظ ذلك. كما قرأ عليه في أصول التفسير والحديث أيضاً.

أما فقيه الرياض ومحدِّثها، الذي جعل الله له قبولاً لدى الخاص والعام الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق، فقد قرأ عليه الحديث

والفقه، ومصطلح الحديث، ولسعة علم الشيخ سعد، فقد حرص الشيخ محمد على ملازمته، والنهل من مورده العذب، فاستفاد منه كثيراً.

أما الشيخ حمد بن فارس، اللغوي البارع، فقد أخذ عنه الشيخ محمد في اللغة العربية: ألفية ابن مالك، وقرأ عليه في بعض المؤلفات في النحو، كما قرأ عليه في الفقه أيضاً.

وازداد في علم الفرائض، بما تعلّمه على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي، عندما نزل الرياض واستوطنها[1].

ويذكر ابن قاسم في تفصيله لمناهله العلمية: أنه أول ما أخذ الفرائض عن والده الشيخ إبراهيم، ثم عن الشيخ عبد الله بن راشد، ومما قرأ عليه في ذلك ألفية الفرائض، والعقيدة وعلومها، أخذها عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ثم كتاب التوحيد، وأصول الإيمان، وفضائل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدلائل «حكم موالاة أهل الشرك»، للشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعقيدة الواسطية، والعقيدة الحموية، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ الفقه أولاً عن الشيخ حمد بن فارس، ثم عن الشيخين سعد بن حمد بن عتيق، ومحمد بن حمود المتوفى عام (١٣٣٣هـ)، ومن كتب الفقه قرأ زاد المستقنع.

وعن الشيخ حمد بن فارس أيضاً أخذ علم العربية، ومما قرأ عليه في هذا الفن: الآجرومية، والملحة، والقطر، والألفية.

وفي الحديث وعلومه قرأ بلوغ المرام، وثلث المنتقى على عمه الشيخ عبد الله، ثم أعاد بلوغ المرام على الشيخ سعد بن عتيق، وعليه أيضاً قرأ ألفية العراقي في مصطلح الحديث.

ثم قال: هذا ومن المستفيض أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كان كثير الدأب

---

(١) يراجع في هذا مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٠).

على المطالعة في مختلف الكتب وتدريسها، فكان هذا مصدراً ثانياً غنياً بتنمية حصيلته العلمية، وتوسيع أفقه، أعانه على ذلك ما عرف عنه من حدة الذكاء، ورجاحة العقل[1].

والشيخ محمد بن عثمان القاضي، قد أجمل في كتابه: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، في ترجمته للشيخ محمد ـ الحديث، فقال عن شيوخه: بعد أن حفظ القرآن الكريم شيئاً فشيئاً حتى أكمله، صار والده يدارسه القرآن، ويحفظ المتون العلمية من فقه وفرائض، وحديث وتوحيد، على أبيه وعمه، وكان أبوه قاضياً لمدينة الرياض، ولازم علماء الرياض ليله ونهاره، ومن أبرز من لازمه الفقيه المحدِّث الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود، والشيخ حمد بن فارس؛ لازم سعداً في الفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والفرائض.. ولازم حمداً في علوم العربية كلها، وابن جلعود في الفقه والفرائض وحسابها، ولازم أباه وعمه عبد الله بن عبد اللطيف بأصول الدين وفروعه، وبالحديث والتفسير، وأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى نبغ في فنون عديدة، وكان لا يحس بالملل في المطالعة والقراءة، ولا يسأم. وكان مفرط الذكاء قوي الحفظ، سريع الفهم، وكان المشايخ معجبين بفرط ذكائه ونبله، ويقولون: سيكون لهذا الفتى شأن.

ولما توفي أبوه عام (١٣٢٩هـ)، وصى به عمه عبد الله، وكان يحثه على المثابرة في طلب العلم[2].

والشيخ عبد الله بن منيع في ترجمته لحياة الشيخ محمد، التي استقى أغلبها من سماحته مشافهة، يقول: هو من أكابر علماء نجد

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/٩، ١٠.

(٢) انظر: روضة الناظرين: ٢/٣١٦، ٣١٧.

ومشاهيرهم، فاحتذى الابن سنة أبيه، فمن حين بلغ السابعة من عمره، شرع يتعلم القرآن الكريم في كُتَّاب المقرئ عبد الرحمٰن بن مفيريج، فأتم قراءته وإجادته، ثم شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما بلغ الحادية عشرة حتى أتمه حفظاً، ثم شرع في طلب العلم، فأخذ في القراءة على أبيه وعمه علّامة نجد في زمنه، الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

وقراءته الأولى في التوحيد، وأصول العقيدة، قراءة حفظ وتفهم، ثم قرأ مختصرات كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومختصرات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم، كالواسطية والحموية، وكذلك عني بمختصرات النحو والفرائض، كالآجرومية والرحبية.

ولم يثن عزمه كف بصره، ولا تصميمه في طلب العلم، بل صبر واحتسب، وزاد هيامه في تحصيله، وقضى أيام حياته في إدراكه، فشرع في القراءة على علماء الرياض، زيادة على القراءة على عمه وأبيه، فشرع في قراءة التفسير والحديث وأصولهما، على الشيخ سعد بن عتيق، وفي النحو وعلوم العربية على الشيخ حمد بن فارس، وفي المطولات من كتب الفرائض على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود فأدرك من كل هذه العلوم إدراكاً جيداً، وذكر لنا رَحِمَهُ اللَّهُ أن من مشايخه الشيخ عبد الله بن عمار[1].

والشيخ عبد الله بن رويشد، في مروره على ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم، في كتابه: قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، قد انفرد بذكر بعض أعلام العلماء الذين تتلمذ عليهم، من أمثال الشيخ عبد الستار الدهلوي الهندي، والشيخ عبد الله العنقري، والشيخ محمد عبد القادر الهلالي - رحمهم الله جميعاً -[2].

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢١٣).

(٢) انظر ص(٤٠٥) من هذا الكتاب، وصحة اسم الأخير الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وهو من علماء المغرب السلفيين.

لكنه لم يذكر الزمان والمكان في أخذ الشيخ محمد على أي منهم، مع أن العنقري من المعاصرين للشيخ محمد والمقربين له في العمر.

ومهما يكن من أمر فإن في الكاتبين عنه، نجد اختلافاً في أسماء المدرسين الذين أخذ عنهم، والكتب التي درس، والفنون التي أخذ على كل واحد منهم.. كما أننا لم نجد من بينهم من ذكر أنه أخذ العلم في غير الرياض.

كما نخرج من هذا الكم والاختلاف أن شيوخ الشيخ محمد كثيرون، واتفاقهم جميعاً على الثناء عليه، والاعتراف منهم جميعاً له بالذكاء والعلو في المكانة العلمية.. وهذا مما يدل على الموهبة التي خصه الله بها، والمكانة التي سيتبوأ، حيث كان على يديه خير كثير، من نصح وصدق، وحكمة، وقفل لعدة أبواب، علاوة على الاهتمام بالعلم والعلماء، والحرص على مواكبة التطور الذي سارت فيه البلاد، بالحكمة والإدارة الحسنة.

جلوسه للطلبة:

جرت العادة بين العلماء، ألا يتصدر حلقات العلم، ولا يجلس للطلاب يقرؤون عليه ويأخذون عنه، إلا من تشبع بالعلم، وأدرك من العلماء ما يخوله لذلك.

والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ قد بدأت عليه علائم النجابة، وسيماء الذكاء في وقت مبكر، وقد أدرك عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف منه ذلك؛ لأنه كان يتابع مسيرته العلمية، ويسر بما عرف وسمع عن ابن أخيه، من نبوغ وذكاء، مع حرص شديد على العلم: حفظاً واستيعاباً، حتى أدرك واستوعب في وقت مبكر، فوق ما يدركه غيره في سنوات أكثر، فوصى عليه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وزكاه له، من جوانب عديدة.

ولما توفي عمه الشيخ عبد الله في عام (١٣٣٩هـ)، نفذ الملك عبد العزيز وصيته في ابن أخيه، وذلك أن الشيخ عبد الله في مرض موته، أكد تزكيته لعلم وعقل ابن أخيه، وأنه كفء لما يسند إليه من أعمال، وأخبره بكفاءته العلمية، وسعة صدره في معالجة الأمور، وأنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده: في إمامة المسجد بدخنة، والتدريس، وحل المشكلات... إلى غير ذلك[١].

ويتناقل كبار السن أن الملك عبد العزيز تحدث مع العلماء والمشايخ عند قبر الشيخ عبد الله، في وداعه الأخير وقال: الله يخلف على المسلمين بمن فيه السداد، اليوم دفنا العلم والورع، من ترون يحل مكانه.. فسكتوا. فقال: إن صدق ظني، فلا أجد أحداً يقوم مقامه إلا هذا الكفيف ـ ولو أنه أصغركم ـ بعلمه وعمله ونظرته للأمور.

قم يا شيخ محمد تراك محل عمك في جميع أموره من اليوم، الله يجعل فيك بركة، صلِّ بمسجده، واجلس للطلبة يقرؤون عليك، فهم في حاجة لمثلك.

ويذكر نجله معالي الشيخ عبد العزيز أن الملك عبد العزيز رحمه الله حين خرج من المقبرة بعد دفن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف جلس في الجانب الغربي من الوادي وجلس من حوله المشايخ والمشيِّعون فقال ما معناه: (اسمعوا، لا تقولوا ـ وكان يخاطب المشايخ ـ مات ابن عبد اللطيف! فمن خاض فيما لا يعنيه والله لأكونن له بالمرصاد) وهدفه من هذا الكلام أنه لا يرضى من يفتي بدون أن يتلقى من ولي الأمر إذناً بالفتوى أو أي أمر لم يسند إليه؛ حرصاً منه على الانضباط ووحدة الفتوى.

وقد سمعت وحفظت أن عمه الشيخ عبد الله وشيخه العلامة سعد بن

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص١٧٠.

عتيق قد أثنوا على الشيخ محمد ثناءً عطراً، والمجتمع كله أيضاً قد أدرك فضل الشيخ محمد في علمه وشخصيته المتميزة بالعقل الراجح وحسن الخلق. وحينما تصدر للتدريس كانت مجالسه منذ أن بدأها تغص بالطلاب من داخل البلاد وخارجها.

ويقول محمد العثمان القاضي: لما مرض عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وزاره الملك عام (١٣٣٩هـ)، قال: إن ابن أخي، قد تضلع في العلم، وأخذ نصيباً وافراً منه ولديه مؤهلات تؤهله لما يوكل إليه، فاستمسك بغرزه.

وتوفي عمه فعينه الملك عبد العزيز خلفاً له في الفتيا والتدريس والخطابة، في الجامع الكبير[١]، وفي مسجد عمه في حي دخنة، الصلوات الخمس، ويجلس للطلبة فيه، في مختلف الفنون[٢].

ثم قال: فوالى نشاطه التعليمي: فبعد[٣] صلاة الفجر إلى الضحى، وبعد الظهر ساعة، وبعد العصر، وبعد المغرب مثلها، والتف إلى حلقته طلبة لا حصر لعددهم ووفد إليه الطلبة من كلِّ صوب، وظل في تدريسه حوالي نصف قرن، ولم تصده الأعمال الموكلة إليه من نفع الخلق في التعليم، وتخرج عليه علماء عاملون، نفع الله بهم، ما بين أساتذة ومدرسين، وقضاة عادلين في الأصول والفروع والحديث، والتوحيد والتفسير، وصار مسجده نادياً من أندية العلم، وكان حسن التعليم، يرتب الطلبة، فكل طبقة وما يشاكلها: فالمبتدئون يجمعهم على المختصرات، والمتوسطون والمنتهون على المطولات، وكان واسع الاطلاع في الأصول والفروع، والحديث وعلوم العربية، وصار له نشاط

---

(١) هو جامع الإمام تركي بن عبد الله بالصفاة بجوار قصر الحكم.
(٢) انظر كتابه: روضة الناظرين، ص(٢/ ٣١٧).
(٣) لعلّه يقصد تحديد أوقات جلوسه للطلاب.

في الإفتاء والإرشاد، والنصائح منقطع النظير[1].

لكن الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف في كتابه: مشاهير علماء نجد وغيرهم، قد توسع في تبيين طريقة تدريسه، وأوقات جلوسه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا صلّى الفجر جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في الآجرومية[2] في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في القطر لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في ألفية ابن مالك، وشرح ابن عقيل، فإذا انتهوا من قراءة النحو، في الألفية والشرح قرؤوا عليه في الفقه، في متن «زاد المستقنع» غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت أخذ الشيخ في إعادة ما قرؤوه من المتن من حفظه، وشرع يتكلم على العبارات، ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح الزاد المسمى: الروض المربع، شرح زاد المستقنع.. قراءة ترتيل، يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يعلق على عبارات الشارح وجمله، بكلام يوضح المعنى ويزيح الإشكال، ويصور المسائل تصويراً ملموساً، يقرب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ بناصية علم الفقه، ومتبحر فيه تبحراً عظيماً، فإذا انتهى من تقريره على الفقه شرعوا في القراءة عليه في بلوغ المرام، فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهاراً، انصرف إلى داره، وجلس فيها، فإذا حانت الساعة الثالثة جاءه كبار الطلبة وخواصهم، وقرأوا عليه إلى الساعة الخامسة نهاراً، ثم انصرفوا فإذا أذن الظهر، خرج وصلّى بالناس

---

(١) انظر: روضة الناظرين ٢/٣١٧، ٣١٨.

(٢) نسب إلينا بعضهم: أن الذي كان يدرس الآجرومية هو شقيقه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم في حلقة أخرى في المسجد بعد صلاة الفجر، يوم تسميع ويوم إعراب.
ولعلّ الشيخ محمداً كان يدرسها، ولكن لما كثرت مشاغله أسندها لأخيه الشيخ عبد اللطيف.

في المسجد، وجاءه أهل المطولات وقرؤوا عليه في مختلف الكتب، كجامع الترمذي، وصحيح البخاري، وزاد المعاد في هدي خير العباد، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في بعض المتون العلمية غيباً، مثل: كتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، فإذا أذن العصر خرج إلى داره، وجدد وضوءه، ثم رجع وصلّى بالناس العصر، وجلس في المسجد يقرأ عليه أحد الأعيان من الطلبة، في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرؤوا عليه في العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي على أذان المغرب مقدار نصف ساعة، خرج إلى داره، فإذا أذن المغرب جاء وصلى بالناس، ثم جلس في المسجد للطلبة، يقرؤون عليه علم الفرائض، والمواريث، فإذا ختم وأذن للعشاء قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول وتنفل، ثم أمر القارئ، فشرع يقرأ عليه في تفسير ابن كثير إلى الساعة الثانية والنصف ـ بالتوقيت الغروبي ـ فيأمر بإقامة الصلاة للعشاء، فإذا أقيمت وصلّى بالناس تنفل وأوتر وخرج إلى داره، وهي قريبة من مسجده، واستمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة، من عام (١٣٣٩هـ) إلى عام (١٣٨٠هـ)، حيث ترك جميع الدروس، ما عدا درس الفقه، وبلوغ المرام، فإنه لم يترك الجلوس لهما، بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض[1].

والشيخ عبد الله بن منيع في حديثه عن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر توزيع سماحته وقته في التدريس بين طلابه حسب مستوياتهم، حيث يبدأ وقته اليومي من صلاة الفجر حتى الساعة الثانية والنصف ليلاً بالتوقيت الغروبي، حيث يخلد للراحة، قال: وكلّ ما تقدم من دروس النحو، ودروس الفقه، ودروس الحديث في جلسة واحدة من جلساته، والتلاميذ

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٢).

على حلقته الكبيرة، ما بين وارد وصادر، وهو في مجلسه كالنبع الصافي، والمورد العذب، الذي لا ينضب على كثرة الواردين، وازدحام الناهلين، ثم يذهب إلى بيته، فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجاته الضرورية، ثم يعود إلى مجلسه في المسجد، فيأتيه الطلاب، ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار، والمراجع الضخام.

إلى أن قال: وهكذا فقد فرَّغ كل أوقاته، وصرف جميع حالاته، في خدمة العلم وتحصيله، ونشره.

ومن هذا الإقبال العظيم على العلم، والانصراف إلى مراجعته، وتدريس وسماع هذه الكتب النافعة والأسفار المفيدة، ندرك السر في سعة علمه، وكثرة تحصيله، ومدى اطلاعه. وقد لبث على هذه الحال، منذ توفي عمه في عام (١٣٣٩هـ)، حتى عام (١٣٨٢هـ)، حينما أسندت إليه كبار الأعمال، وتعددت مسؤولياته، وكثرت مشاغله[١].

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر أنه عندما أسندت إليه إدارة التعليم في نجد، قابل سماحته ولمس منه رغبة وموافقة على تدريس العلوم النافعة الحديثة، وأن من الخير له أن يقوي صلته بالشيخ؛ لمكانته من النفوس ولصفته العلمية التي لا تجهل، كما أن جلّ موظفي التعليم من تلامذته، وفي (٢٨/ ٢/ ١٣٦٩هـ) كتب تقريراً مطولاً برقم (٦١) لولي العهد سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، عن اقتراحاته في التعليم، وعن رأي الشيخ محمد بن إبراهيم بعدما قابله، ويقول: لا خوف على مسار التعليم طالما كان تأسيس المعاهد والمدارس على اختلافها، تحت إشرافنا الذي يتولاه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فبعثه ولي العهد برقم (٧٤٥) وتاريخ (٢/ ٣/ ١٣٦٩هـ) للشيخ محمد بن إبراهيم ليأخذ رأيه وإفادته بما يرى فيه، وكان من نتيجة ذلك فتح المعاهد العلمية، أولها معهد

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢١٦ ـ ٢١٨).

الرياض عام (١٣٧١هـ)[١].

ومن هذه الإلمامة بعرض من تطرقوا لطريقة الشيخ محمد في التعليم، وحرصه على طلابه تعليماً، ووقته تنظيماً، فإننا نلاحظ أن مشاغله الكثيرة لم تصرفه عن الاهتمام بالعلم، وتشجيع الطلاب عليه، فقد حرص على توسيع القاعدة العلمية، والاهتمام بتوجيه ورعاية طلاب العلم، حيث تبنى فتح المعاهد العلمية في مدن المملكة، وكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض، ووافق الملك على اقتراحه، ولكي يستقطب أكبر عدد ممكن من الطلاب عرض على الملك عبد العزيز ـ رحمهما الله جميعاً ـ وضع مكافآت مجزية للطلاب، وحظي هذا العرض بالتأييد، فكان الشيخ محمد يحضر الدروس ليستمع إلى الطلاب في فصولهم، ويناقشهم ليعرف مستواهم العلمي، ويلتقي بالمدرسين ليشجعهم ويطمئن على سلامة تدريسهم وعلى قدراتهم العلمية.

كما كان يخصص يوماً يلقي فيه كلمة توجيهية في المدرسين والطلاب، ويجيب على أسئلتهم، ويحضر النادي الثقافي في مساء الخميس من كل أسبوع بالمعهد العلمي بالرياض، ويستمع لما يلقى فيه، ويعلق وينبه على كل ما يراه ضرورياً.

كما تولى سماحته الإشراف على مدارس دور الأيتام في المملكة، وفي عام (١٣٨٠هـ) صدر أمر بالموافقة على تعليم البنات في المملكة. وأن يكون بإشراف ورعاية الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث سار التعليم في دور الأيتام، وفي مدارس البنات بالمملكة على توجيهاته، ورقابته الدينية.

وعلاوة على ذلك، لم يغفل الشيخ محمد الصحافة والتأليف، وما يصدر فيه من جديد. فكان متابعاً لذلك باهتمام بالغ وبدقة؛ ليوجه من

---

(١) صحيفة اليوم، الصادرة يوم الجمعة ١٤١٨/١/٢٤هـ، وفيها تفاصيل أكثر.

شطح قلمه، ويعلم من انحرف فكره، وينبه من غفل قلبه، في أدب جم، ودأب وصبر، ومثابرة على التعليم وحسن التوجيه، فكان الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ هو المؤسس في عام (١٣٨٥هـ) لمؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، والتي صدر عنها مجلة الدعوة.

فالمتابع لأسلوب ومنهج الشيخ في التعليم ومتابعة طلابه، وفي حكمته وسعة صدره في معالجته للأمور، يدرك أنه قلعة منيعة، بعلمه الواسع، ونظرته البعيدة، وصبره على عظائم الأمور، وحلمه في المواقف العصيبة، وصلابته في الحق، وحرصه على سد الذرائع، ودرء المفاسد.

ولذا يروى عنه رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه لما ناقشه بعض المتحمسين في بعض المسائل التي له نظرة خاصة فيها، بعيدة المرمى، قال للمناقش: ستعلمون عن مكانة محمد بن إبراهيم، وحسن تصرفه في معالجة الأمور، بعدما تفتقدونه.

وما ذلك إلا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يعلِّم ويوجه، ويعالج كلّ معضلة بما يناسبها، فمَنْ عليه ملاحظةٌ؛ يعالجها بطريقة خاصة بينه وبين من لوحظ عليه، حيث ينفرد به، وينصحه بأفق واسع، وصمت وهدوء، ثم يلي ذلك المتابعة وتحسس صدق إنابته، كل ذلك يراعى فيه تغليب المصلحة، وعدم جرح الشعور؛ لأنه يرى أن لكلِّ جواد كبوة، وكان يراعي في معالجته الأمور القاعدة الأصولية التي تنادي: بأن دفع المفاسد مقدّم على جلب المنافع.. وإيثار المصالح.

أبرز تلاميذه:

لم تستقطب الرياض طلاباً بقدر ما استقطبت على يد الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث سطع نجمه في وقت مبكر، وعلا ذكره العلمي، فلفت الأنظار، واتجهت إليه المجاميع من أنحاء الجزيرة العربية، بل ومن خارجها منذ جلس للتدريس، فالتف حوله طلاب العلم، بحرص

ورغبة، لكي ينهلوا من معين علمه الثر، للأسباب التالية:

١ ـ ما جعله الله من قبول في القلب، وسمعة حسنة لدى القاصي والداني، وما جبلت عليه طباعه من خصال عديدة وحميدة، ترغب في القرب منه، وتحبب في الأخذ عنه وتزيل الهيبة، وتباعد عن الجفوة.

٢ ـ ما جبلت عليه نفسه من حب في نشر العلم، وهمة عالية في توصيل ما أفاء الله به عليه للآخرين، حيث يرى أن أمانة العلم في تبليغه، وعدم كتمانه.

٣ ـ حرصه على التطبيق العلميّ في نفسه؛ **أولاً**: خوفاً من التأثم بكتمان العلم. **وثانياً**: اهتمامه بإرواء نهم المتعطّشين للنيل من موارد العلم العذبة. **وثالثاً**: رجاء أن يترك أثراً علمياً ينتفع به ليكون له في العمل المستمر الصالح.

٤ ـ إخلاصه وبذله من جهده ووقته فوق ما يتحمله غيره، حرصاً منه على أداء الأمانة وشعوراً بحاجة العباد والبلاد إلى العلم، الذي به السعادة والخير في الدنيا والآخرة.

٥ ـ تواضعه مع طلابه، فهو للصغير أب يمحضه النصح والتوجيه، وللمتوسط أخ يتداول معه الرأي ويأخذ معه ويعطي، وللكبير ند يتشاور معه، ويتداول الأمور؛ ليستفيد كل منهما علمياً ومباحثة من صاحبه.

ولصدقه وحصافة رأيه، فقد تجاوب معه الملك عبد العزيز ـ رحمهما الله ـ ويسر للطلاب السبل المعينة على التفرغ للدراسة بحلقة الشيخ محمد خاصة، والمشايخ الآخرين عامة، وذلك: بتوفير مساكن وأربطة لطلبة العلم، أكبرها وأهمها رباط دخنة المجاور لمسجد الشيخ عبد الله، الذي إمامه الشيخ محمد بعد وفاة عمه منذ عام (١٣٣٩هـ)، ويقع جزء من هذا الرباط والمكتبة السعودية في مبنى مجمع المحاكم بالرياض في دخنة.

٦ ـ بعدما ازداد عدد الطلاب، وضاق بهم رباط دخنة وما حوله، أوجدت مساكن أخرى متعددة لإسكان الطلبة واستيعاب عددهم المتكاثر سنة بعد أخرى، عرفت باسم بيوت الإخوان.

٧ ـ الحرص على إتاحة الفرصة في العمل للنابهين القادرين من كبار الطلبة: في القضاء والوعظ والدعوة والإمامة والتدريس.. كل في الموقع المناسب له.

٨ ـ تنظيم ترحيل هؤلاء الطلبة إلى ديارهم وقت الإجازة، ولأعمالهم لمن يكلف بعمل على حساب الدولة.

٩ ـ وضع مخصصات للطلاب تصرف لهم من المالية: أرزاقاً وكسوة في بادئ الأمر، ثم تحولت إلى مبالغ نقدية بعدما استقرت ميزانية الدولة، وثبت دخلها.. لكي تعينهم على التفرغ للعلم، وتكفيهم مؤونة البحث عن لقمة العيش.

وقد تحقق بذلك نتائج جيدة، فكان مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنة جامعة علمية كبيرة، تخرج منه على يدي الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ أفواج كثيرة من العلماء، شغلوا مناصب مهمة في الدولة، ولا يزالون.. لعلّ من أبرزهم، حيث لن نستقصي تعدادهم ولا أعمالهم لكثرتهم، ولكن نشير لمن أوردنا إلى آخر عمل قام به:

١ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ، وآخر عمل تولاه: رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، مفتي عام المملكة العربية السعودية.

٣ ـ الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي رَحِمَهُ اللَّهُ، آخر عمل تولاه: الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل ـ ختم الله له بالجنة ـ، قاضي أبها ونزيلها حالياً الذي أصيب بمرضٍ لازمه طويلاً.

٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، أول رئيس لمدارس البنات وآخر عمل قام به: رئيس محكمة التمييز بالرياض.

٦ ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ ـ شقيق الشيخ محمد رحمهما الله ـ، آخر عمل قام به: الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية، ومقره مكة.

٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، آخر عمل قام به: وزير المعارف ثم رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، أحد علماء الرياض ووجهائها.

٩ ـ الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.. رئيس المجلس الأعلى للقضاء حالياً.

١٠ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي رَحِمَهُ اللَّهُ، آخر عمل قام به: القاضي بمحكمة التمييز بالرياض.

١١ ـ الشيخ صالح بن علي بن غصون، آخر عمل قام به: عضو هيئة كبار العلماء، والقاضي بمجلس القضاء الأعلى قبل تقاعده رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ ـ الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش رَحِمَهُ اللَّهُ، رئيس محكمة مكة.

١٣ ـ ابنه الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، المستشار بالديوان الملكي حالياً.

١٤ ـ ابنه الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ، آخر عمل قام به قبل تقاعده: وزير العدل.

١٥ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خنين، المستشار بالديوان الملكي حالياً.

١٦ ـ الشيخ سعود بن رشود، رئيس محكمة الرياض الكبرى سابقاً رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قبل وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٨ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن الأمير، عضو المجلس الأعلى للقضاء حالياً.

١٩ ـ الشيخ علي الرومي، القاضي بمحكمة التمييز بالرياض سابقاً.

٢٠ ـ الشيخ غيهب بن محمد بن غيهب، القاضي بمحكمة التمييز بالرياض حالياً.

٢١ ـ الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم، الذي جمع فتاوى سماحته[1].

وقد أورد فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع (٣٣) عالماً، كلهم أخذوا عن سماحته، ومن أبرزهم ممن لم يرد لهم ذكر عند غيره:

١ ـ الشيخ حمد الجاسر.. علامة الجزيرة وباحثها.

٢ ـ الشيخ محمد بن هليل رَحِمَهُ اللَّهُ، القاضي بالدوادمي.

٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم، جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وأول أمين للمكتبة السعودية بالرياض رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ داعية الجنوب، والذي نفع الله به في جنوب المملكة واليمن.

٥ ـ شقيقه وعضده في التعليم بعدما فتحت المعاهد: الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ ـ الشيخ الدكتور حمد بن محمد بن فريان، وكيل وزارة العدل السابق، وعضو مجلس الشورى.

---

(١) راجع عن تلاميذه: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٢ ـ ١٧٧) وقد أورد منهم ٦٦ اسماً. وانظر كتاب: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، لمحمد عثمان القاضي: ٢/٣١٩، ٣٢٠ وقد أورد منهم ٤١ اسماً.

٧ ـ الأمير مساعد بن عبد الرحمٰن رَحِمَهُ اللَّهُ، وزير المالية سابقاً وصاحب أكبر وأقدم مكتبة خاصة بالرياض.

٨ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، عضو المجلس الأعلى للقضاء سابقاً.

٩ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة، آخر عمل قام به: الرئيس العام لتعليم البنات.

١٠ ـ الشيخ الدكتور عمر بن عبد العزيز المترك رَحِمَهُ اللَّهُ، المستشار بالديوان الملكي سابقاً.

١١ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن غديان، عضو الإفتاء، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة.

١٢ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، عضو هيئة التمييز بمكة، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة.

وقد أورد شهادة من سماحته له تاريخها (١/ ٦/ ١٣٨٤هـ) تتضمن التزكية العلمية[١].

وخلاصته أن غالب علماء المملكة هم من تلاميذه، ذلك أن الشيخ مورد عذب، ترده الجموع من طالبي العلم، فينهلون من معينه، فيصدرون بعد ارتواء.

ولما تكاثر عددهم، ورأى حاجة البلاد بعد استقرارها، وتشعب الأعمال فيها، فقد اقترح الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ على الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ فتح المعاهد والكليات في عام (١٣٧٠هـ)، حيث تحول طلابه إلى الدراسة بها، كل بحسب مستواه العلمي، وكان له الإشراف التعليمي والمتابعة، وأسند الإدارة لأخيه الشيخ عبد اللطيف، الذي كان له عضداً، يعمل بما يوجهه، ويتابع العمل مباشرة عنه.

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢١٦ ـ ٢١٩).

وقد تحولت المعاهد والكليات فيما بعد إلى جامعة أخذت اسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فنفع الله بها وبمن تخرج منها في داخل المملكة وخارجها.

مؤلفاته:

مع ما حبا الله الشيخ محمداً من علم وافر، وقدرة على الاستيعاب، وفهم لأقوال العلماء، واستظهار المسائل، كما يبرز هذا في فتاواه، وفي منهجه في التدريس.

ومع المدة الطويلة التي قضاها في التحصيل والاستيعاب متفرغاً للعلم، ثم بما تبوأ من صدارة بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في عام (١٣٣٩هـ) إلى أن توفاه الله في عام (١٣٨٩هـ)، وهي نصف قرن من الزمان.

مع هذا كله، إلا أن مؤلفات الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعتبر قليلة، بالنسبة لهذه الأمور والمهمات التي تولى، وللمدة الزمنية التي استغرق.

وما ذلك إلا أن الشيخ محمداً، كان في الدور التأسيسي للمملكة من ناحية التعليم والقضاء، وتنظيم أمورها في مملكة واسعة الأرجاء، حديثة البناء، قليلة العدد من العلماء والمتعلمين، فكان من همة الشيخ محمد، وحصافة رأيه، الاهتمام بانتقاء الرجال، والجلوس لهم تعليماً وتوجيهاً، وتهيئتهم لتحمل المسؤولية العلمية في: القضاء، والدعوة، والتعليم.

ولكي يتحقق ما كان يصبو إليه، فإنه قد أعطى نفسه ووقته نموذج العمل، ونظم الجلسات للطلاب الذين توافدوا عليه من أنحاء المملكة وخارجها، يأخذون عنه، بعد أن أعانهم على ذلك بما حرص عليه من تهيئة ما يعينهم على التفرغ للعلم، وبذل الأسباب المعينة على التحصيل.

وكان الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد رغبهم في ذلك: بالبشاشة وحسن

الاستقبال، وباللينونة وبسط الوجه، كما هيأ لهم كل وقته، تعليماً على جميع المستويات، وفي أنواع المعارف الشرعية والعربية؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان موسوعة علوم، وحافظاً متمكناً للمتون، وكان يردد على طلابه القول المأثور: حفظ المتون يشد المتون.

- كما كان قدوة لتلاميذه الذين أصبحوا علماء في جهات المملكة، بما رسم لهم من برنامج يومي، وأسلوب جيد في المحادثة، وحسن الاستماع، مع حسن خلق وتنظيم للوقت بين عمل الدين والدنيا.

فكان طلابه يأخذون منه ما طبقوه عملاً بعدما تحملوا المسؤولية في أعمالهم المناطة بهم: في التدريس والدعوة، وفي التنظيم بين العامة والطلاب، وفي الورع عند إصدار الأحكام وفي التأدب معه واستشارته ورفع الأمر إليه في مجال الغيرة على الدين والعقيدة، وإنكار المنكرات، وفي وقار القاضي، وهيبة مجلس القضاء، وفي التعفف عما في أيدي الناس، والبعد عن المجالس التي تنزل قدر طالب العلم، وفي الحرص على انتهاج طريق السلف الصالح في مكانة العلماء وعبادتهم.

وكل هذه الأمور تغني عن مؤلفات في مجالها؛ لأنه زرعها في رجال آتت أكلها على الوجه المرضي.. ومع هذا فكان يتابع ويوجه، ويراقب جميع طلابه في أعمالهم، ويمحضهم نصحه، ويعاقب من يراه أهلاً للعقاب بأسلوب رقيق مهذّب.

يقول معالي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن إبراهيم: إن الشيخ محمداً لما عزم على تعيين الشيخ عبد العزيز بن باز في الجامعة الإسلامية بالمدينة، استدعاه وعرض عليه هذا الأمر، فأجابه الشيخ عبد العزيز قائلاً: أنا لا أرغب في ذلك. فقال الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يخفاك أهمية هذه الجامعة وأملنا كبير في أن تنتشر منها الدعوة الإسلامية في العالم، إن شاء الله. فقال الشيخ ابن باز: إذا كنت تؤكد عليَّ في

ذلك فليس لدي إلا السمع والطاعة. فقال له الشيخ: أرى أنه لا يصلح لهذه الجامعة إلا أنت، فتوكل على الله. فقال الشيخ عبد العزيز: سمعاً وطاعة وأخذ عصاه، وقام ممتثلاً لما ألزمه به الشيخ محمد. وكان في تعيينه في هذه الجامعة الخير الكثير[1].

فكان الشيخ إماماً في عمله، يتحمل أعباء كثيرة لصالح الأمة، وتعليم أبنائها، مما شغله عن الإكثار من التأليف، لكنه لم ينشغل عن التعليم والإشراف عليه، وإفادة الناس بالإفتاء والتوجيه والإرشاد، كما سيبين ذلك من أعماله. ولعلّ أهم مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، تلك الفتاوى التي جمعت بعد وفاته، وخرجت في (١٣) مجلداً، والتي تنبئ عن غزارة علمه، وسعة مداركه، ونظرته لأمور جدت في حياة الناس، هي نظرة العالم المتبصر، الذي يجمع بين العلم بنصه الشرعي، وبين العقل والحكمة في معالجة الأمور: قياساً، واجتهاداً، واستصحاباً للحال.. وقد رتب على البداية بالعقائد، ثم أصول الفقه، ثم وزعت على أبواب الفقه المختلفة.

وقد برز فيها علمه الغزير، ونظرته الواسعة للأمور، مما يشبع معه نهم المسترشد، وسوف نورد في هذه العجالة من ترجمته نماذج لفتواه، يدرك منها القارئ سعة علمه، مع أن كثيراً من فتاواه كانت تلقى مشافهة، أو تكتب برسائل تحمل إجابات شخصية لم يتوفر منها شيء، ولم تضم لهذه الحصيلة العلمية التي بقيت بعده رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ذكر عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ مؤلفات الشيخ محمد إجمالاً، فقال: ألَّف مؤلفات وكتباً عديدة، ورسائل كثيرة، وله فتاوى تبلغ مجلدات، جمعها ورتبها الشيخ محمد بن قاسم، وله فتاوى غير ما جمعه ابن قاسم، تبلغ عدة مجلدات لا تزال محفوظة في ملفات

---

(١) المصدر: الشيخ صالح ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد خطياً.

دار الإفتاء، وفتاوى كثيرة، وله مجموعة أحاديث في الأحكام، رتبها على أبواب الفقه، لا تزال محفوظة في ملفاتها[1].

وجاء في الهامش: من مؤلفاته: الجواب المستقيم، طبع بمطبعة الثقافة بمكة، ورسالة تحكيم القوانين، طبع غرة رجب عام (١٣٨٠هـ) بمطابع دار الثقافة بمكة، ورد على كتاب نقض المباني[2].

ويقول محمد العثمان القاضي: وله مقالات في الصحف، وله في الإذاعة أحاديث مفيدة، وقد أملى رسائل عديدة، وفتاوى تبلغ مجلدات ضخمة[3].

أما الأستاذ عبد الله الرويشد في كتابه قادة الفكر، فقد ذكر عن مؤلفات الشيخ محمد بن إبراهيم كلمة مجملة، وبعضاً من الكتب، فقال: وله تآليف كثيرة؛ منها:

١ ـ مجموع في علم الحديث.

٢ ـ مجموع خطب منبرية.

٣ ـ مجموعة فتاوى تكون أربعة مجلدات[4].

٤ ـ عدة رسائل ونصائح موجهة للأمة الإسلامية[5].

ومحمد بن قاسم الذي جمع ورتب مجموع فتاواه، اعتذر للشيخ عن قلة التأليف بكثرة الأعمال المناطة به، وأنه كثير التأمل، شديد المحاسبة لنفسه، ومسؤوليته تحتم عليه أن لا يكتب إلا بعد تحرٍّ طويل؛ لأن كلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة والخاصة. ومع ذلك فإن حياته

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٧).

(٢) انظر: هامش المصدر السابق، ص(١٧٧).

(٣) انظر كتابه: روضة الناظرين: ٢/٣١٨.

(٤) لعلّه قال هذا قبل خروج فتاوى سماحته التي أشرنا إلى أنها بلغت (١٣) مجلداً.

(٥) انظر كتابه: قادة الفكر، ص(٤٠٥، ٤٠٦).

لم تخلُ من كثير من الرسائل والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة.

على أن أجل أثر من آثاره، هذا الأثر الكبير الذي نقدمه هذا اليوم، والمتمثل في فتاواه التي بلغت عشرة أجزاء[1]، لو لم يكن له أثر سواها لكفى به فخراً، لم يصل إليه غيره من أهل عصره، وقد كان ذلك بأمر من الملك فيصل مؤرِّخ في (٧/ ١٠/ ١٣٩٠هـ)، وقد أسندت دار البحوث والإفتاء ذلك للشيخ محمد بن قاسم[2].

ومما ينبغي التنويه عنه من آثاره، أنه اختار ألف حديث في أبواب مختلفة[3].

وعمر رضا كحالة ذكر في المستدرك على معجم المؤلفين في ترجمة الشيخ محمد عن مؤلفاته قوله: وأملى من تأليفه كتباً، منها: الجواب المستقيم، تحكيم القوانين مجموعة أحاديث الأحكام، والفتاوى من عدة مجلدات[4].

وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات عن خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام، ولعلّ الزركلي أخذ هذه المعلومات عن الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف في كتابه: مشاهير علماء نجد وغيرهم.

أما الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، الذي التصق بالشيخ محمد في العمل فترة تزيد عن عشر سنين، فقد قال: لم يكن من الشيخ محمد رغبة في التأليف، فقد يكون سبب ذلك انشغاله بأعماله، وبالرغم من ذلك فله رسائل صغيرة، في زكاة العروض وفي حكم الدخان والقات، ومعالجة

---

(١) لعلّه كتب هذه الترجمة حتى تطبع مع الجزء الأول قبل الانتهاء من العمل، الذي خرج بعد الطبع في (١٣) مجلداً.

(٢) انظر: الجزء الأول من المجموع، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٣) انظر: ص٥٨٢.

(٤) تراجع مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢٣٦، ٢٣٧).

غلاء المهور وغيرها، وقد ضمت هذه الرسائل في مجموع فتاواه.

ثم قال: لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الحرص على ألا يخرج لسماحته إلا ما تطيب به نفسه، وما أقل ما ترضاه نفسه العالية، ثم ذكر رؤيا منه للشيخ محمد، بعد وفاته بشهر، يحرّضه فيها على التثبت من فتاواه التي ستجمع[1].

والشيخ إسماعيل بن عتيق، وهو ممن عاش في بيت الشيخ صغيراً، وتربى في كنفه، قال في كتابه «تاريخ من لا ينساه التاريخ»: أما شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم يكن صاحب قلم أو ردود على أحد، فقد اتخذ منهج التدريس منهجاً عملياً في تكوين الجماعة، وإقامة الأمة في تبصيرها عملياً، فقد يكون في بعض الردود شهرة المردود عليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن سلطة الحكم في يد الشيخ، فقد يعاقب المناوئ أو المنحرف بعدالة السلطان، وحكم القرآن من غير حاجة إلى الردود والتوضيح.

ثم ذكر خمسة نماذج لمن خالف الشيخ فيما يفتي به، وطريقة الشيخ محمد في إثبات ما يراه وما يفتي به، دون حاجة للردود المكتوبة، وهذه الحالات باختصار هي:

١ ـ عندما كتب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي اجتهاداً منه: أن يأجوج ومأجوج هم الصين، فقد استدعاه الملك عبد العزيز مع المشايخ برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، وانتهى الاجتماع بعدم الحاجة لمثل هذا البحث واعتذر الشيخ ابن سعدي[2].

---

(١) ينظر خبر ذلك في: جريدة البلاد، يوم الخميس ٢٠ رمضان ١٣٩٢هـ.

(٢) يقول معالي الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد: (ويوم أن زار الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي سماحة الشيخ محمد ـ رحمهما الله ـ قابله الشيخ محمد مقابلة تكريم واحترام وأجلسه في مجلسه الخاص وجلس الشيخ محمد عن يمينه).

٢ ـ قام الشيخ عبد الله بن محمود رئيس محاكم قطر بتأليف نسخة من مناسك الحج، خالف فيها جمهور العلماء والمفتى به والمعمول به حول المبيت بمزدلفة، والرمي قبل الزوال في أيام التشريق، فرأى الشيخ محمد بن إبراهيم استدعاء ابن محمود عند الملك سعود، ومناقشته وذلك بحضور المشايخ، وبعد المناقشة أبدى ابن محمود استعداده على نقض كلامه، والرجوع عنه فور عودته إلى قطر، ولما لم يف قام الشيخ محمد بالرد عليه، وشدد في رده وأخبر بما حصل منه من الوعد، وهو مطبوع متداول[١].

٣ ـ بعد توسعة الحرم المكي، كان الشيخ محمد يرى أنه لا مانع من إزاحة المقام، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان المقام ملاصقاً للكعبة فأزاحه عمر توسعة للمطاف، فحصل ضجة تبناها الشيخ سليمان بن حمدان، المدرس في المسجد الحرام وكتب نسخة يرد بها على الفتوى، فصدر الأمر بإبقاء المقام مكانه مع هدم البناية فوقه وإبقائه في بلورة من الزجاج.

٤ ـ وقد ألّف سماحته رسالته في وجوب تحكيم الشرع، وذلك ردّاً على ما صدر من أنظمة حول التعامل التجاري في عام (١٣٦٩هـ)، وقد كان رحمه الله يؤكد على جميع القضاة، عدم صرف النظر في أي قضية كانت، وعليهم أن يحكموا بما يرونه شرعاً، وليس له اعتراض على جهة التنفيذ.

٥ ـ كان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله يفتي لمن طلق ثلاثاً بلفظ واحد طلقة واحدة، كما هو مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأفتى به ابن تيمية، وهذا مخالف لما يفتي به الشيخ محمد بن إبراهيم، غير أنه لم يلزم الشيخ ابن باز بالرأي الآخر، حيث الأمر فيه سعة، مع

---

(١) أدخل هذا الرد في مجموع سماحته في كتاب الحج.

أن الشيخ محمداً يرحمه الله، لا يرى تعدد الفتوى في مسألة واحدة بين العلماء، كما أن الشيخ عبد العزيز بن باز طبق عملياً صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة في جامع الرياض، وهذا كان مخالفاً لما عليه مساجد الرياض عموماً.

وكان الشيخ لا يرى غير ما عليه الجمهور والمعمول به، وهو عشرون ركعة والوتر، ثم أورد حادثة حصلت للشيخ إبراهيم بن عبد الله بن عتيق، الذي كان قاضياً في الشمال، فصلّى التراويح إحدى عشرة ركعة فجاءه برقية من الشيخ محمد، بأن يصلّي كما يصلّي الناس، فعاد وصلّى عشرين ركعة، كما أمر سماحته.

وبعد أن ساق هذه الأمثلة قال: وندرك أن الحاجة للتأليف في الرد على المخالف ليس بضروري ولا حاجة له، وما دامت السلطة هي الموجهة في حل النزاع والخصام، كما قال عثمان ﷺ: **(إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)**[1].

والعارفون بالشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن قرب، يرون أن له في هذا نظرة بعيدة، تتمثل في خوفه على الأمة من تعدد الفتوى، فيكون من ذلك نتائج بانت آثارها في عصور مختلفة، وفي جهات من ديار الإسلام، ومن ذلك الفرقة، والتطاول على الفتيا ممن لا يحسنها، والأخذ بالرخص، واتساع شقة الخلاف والشحناء بين طلبة العلم.

أعماله:

مرَّ بنا أن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، لما مرض لفت نظر الملك عبد العزيز إلى كفاءة ابن أخيه العلمية، مع رجاحة عقله وحكمته، وعندما توفي عام (١٣٣٩هـ) أسند الملك عبد العزيز أعماله إلى الشيخ

---

(١) انظر كتاب: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٥٣ ـ ٥٦) حيث اختصرنا منه ما يفي بالمطلوب.

محمد بن إبراهيم: من إمامة مسجده في حي دخنة، والخطابة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير، جامع الإمام تركي بن عبد الله، والتدريس في مكانه، الذي استمر فيه إلى قبيل وفاته، حيث تفرغ للأعمال الكبيرة المناطة به.

في عام (١٣٧٢هـ) عُيّن مفتياً أكبر للمملكة العربية السعودية، فقد صدر في جريدة أم القرى أمر بهذا النص[١]: صدر مرسوم ملكي بتعيين مفتي أكبر للمملكة العربية السعودية هذا نصه: جاءنا من الديوان العالي بالرياض في (٢/ ٤/ ١٣٧٢هـ) صدر مرسوم ملكي كريم بتعيين حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم مفتياً أكبر للمملكة العربية السعودية، ومرجعاً للعلماء ورجال الدين، نظراً لما يتصف به من الكفاية والصفات الحميدة.

وفي عام (١٣٧٤هـ) أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية، ورئاسة المعاهد، فأسندت رئاسة هذه الأمور إليه، ويرى الشيخ إسماعيل بن عتيق أن الافتتاح عام (١٣٧٣هـ) حيث كان يدعى الشيخ محمد بالمفتي، وقد كتب على أوراق مراسلته المفتي الأكبر، فنهى رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك، ورفض تلقيبه بهذا اللقب، حيث كان ملفتاً للنظر، وأمر بإلغاء اللقب والإبقاء على كلمة المفتي[٢].

وفي عام (١٣٧٦هـ) توفي الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رئيس القضاة بالحجاز، والمنطقة الغربية، فضمت إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية[٣].

---

(١) عدد يوم الجمعة ٩/ ٤/ ١٣٧٢هـ.

(٢) المصدر قبل السابق، ص(٣٦).

(٣) انظر: روضة الناظرين، للشيخ محمد القاضي: ٢/ ٣١٩.

ولحبه للعلم، واهتمامه بالعلماء، حيث أدرك بحصافة رأيه، وبعد نظره حاجة البلاد والعباد إلى العلم، فقد قدم اقتراحاً للملك عبد العزيز - رحمهما الله - يتضمن فكرة إنشاء معهد علمي بالرياض يجمع طلبة العلم، وتنتظم به دراستهم، فوافق عليه الملك، وتم الافتتاح عام (١٣٧٠هـ) لمعهد الرياض العلمي الذي كان بداية للمعاهد التي شملت مدن المملكة فيما بعد، فكان هو الرئيس والمشرف على الدراسة والمناهج التعليمية، واختيار المدرسين، وكان يتخول المعاهد بزيارته، ويتناقش مع الطلبة في فصولهم ليتعرف على مستواهم، كما كان يحضر النادي بالمعهد ليلة الجمعة، ويعلق على ما يدور فيه، وكان حريصاً على معرفة مستوى المدرسين مع طلابهم[١].

وفي عام (١٣٧٣هـ) أنشئت كلية الشريعة بالرياض، وفي عام (١٣٧٤هـ) أنشئت كلية اللغة العربية بالرياض، كما تحصل الشيخ محمد في عام (١٣٧٤هـ) على أمر ملكي يخوله افتتاح فروع لمعهد الرياض، فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد في كل من بريدة، وشقراء، والأحساء، والمجمعة، ومكة، وسامطة[٢].

وفي عام (١٣٧٣هـ) تم إنشاء دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية: المساجد ودور الأيتام والإفتاء، وغير ذلك.

وقد تعين في عام (١٣٧٦هـ) ابنه معالي الشيخ إبراهيم بعد تخرجه من كلية الشريعة بنفس العام نائباً له في إدارة الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية[٣].

وكان هو المرجع للقضاة: تعييناً وعزلاً، وتأديباً، وتمييز أحكام

---

(١) راجع: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٣٧).
(٢) راجع: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٩).
(٣) انظر: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٣٦).

منذ عام (١٣٧٦هـ)، حيث تم إيجاد رئاسة القضاة في المملكة، فكان هو الرئيس في المنطقة الوسطى والشرقية، حتى عام (١٣٧٨هـ)، حيث أسندت إليه مهمة رئاسة القضاة في المملكة، بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، الذي كان يشرف على قضاة الحجاز، والمنطقة الغربية، فأخذ الشيخ منذ ذلك التاريخ لقب: المفتي ورئيس القضاة في المملكة العربية السعودية.

ولرغبته رَحِمَهُ اللَّهُ في التخفف من الأعمال الإدارية، فقد أسند رئاسة القضاة إلى نجله الأكبر الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم[١].

وقد اقتنع سماحته في عام (١٣٧٩هـ) بأهمية تعليم المرأة، فقدّم مشروعاً وافق عليه الملك سعود ـ رحمهما الله ـ بافتتاح مدارس البنات في مدن المملكة في عام (١٣٨٠هـ)، وصدر بذلك مرسوم ملكي، أسند فيه الإشراف لسماحته، فاختار فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد؛ ليكون رئيساً مباشراً لتعليم البنات، ومرجعه هو الشيخ محمد ـ رحمهما الله ـ[٢].

وفي عام (١٣٨١هـ) صدر أمر بافتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ محمد بن إبراهيم هو رئيسها، وقد اختار نائباً له هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. وهذه الجامعة كانت الفكرة من إنشائها تعليم أبناء المسلمين في أنحاء العالم، ولم يخصص للسعوديين إلا نسبة قليلة، فآتت بحمد الله ثمارها اليانعة لحماسة وصدق وإخلاص النيّة من الافتتاح، ولحرص الشيخ محمد ونائبه الشيخ عبد العزيز بن باز.

---

(١) المصدر السابق، ص(٣٧).

(٢) يراجع كتاب ابن عتيق: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٣٨)، لكنه أخطأ في تاريخ الافتتاح فجعله عام (١٣٧٩هـ)، وفي الرئيس فجعله ناصر بن راشد، وهذا لم يأت إلا بعد ابن رشيد.

وكان الشيخ محمد رائداً للتعليم في المملكة منذ إنشائها، فمسجده جامعة تستقطب أعداداً كبيرة من أنحاء المملكة وخارجها، والمعاهد والكليات، التي هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الآن، كان يرأسها ويشرف عليها، دراسة ومناهج، علاوة على رئاسته للإفتاء والقضاة بالمملكة، والجامعة الإسلامية بالمدينة ودور الأيتام، مع الإشراف الديني والدعوي بالمملكة، وعلى تعليم البنات، ثم المعهد العالي للقضاء بعد افتتاحه، والإشراف على المكتبة السعودية بحي دخنة، بجوار مسجد الشيخ عبد الله، التي هي أول مكتبة عامة بالرياض.

ثم لما أنشئت رابطة العالم الإسلامي، كان الشيخ محمد هو أول رئيس للمجلس التأسيسي الأعلى للرابطة، كما كان مشرفاً على ترشيح الأئمة والمؤذنين، والوعاظ والمرشدين بالمملكة العربية السعودية[1].

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يدير هذه الأعمال الكبيرة بحصافة رأي، وحسن تدبير، وحكمة، ولا يتقاضى مرتباً إلا من عمله في رئاسة القضاة فقط، وهذا من زهده وورعه، ويصدق فيه قول الشاعر:

سيفقدني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

تقديره للعلماء:

إنما يوقر العلماء من عرف قدر العلم، وتشبع من سير العلماء وتقدير بعضهم لبعض، ولمحبة الشيخ محمد للعلم، وتشجيعه عليه، فإن للعلماء عنده رَحِمَهُ اللَّهُ مكانة رفيعة، فهو يعتبر الصغير منهم ابناً يوجهه ويمحضه نصحه، والمتوسط أخاً يتبادل معه الرأي والمشورة، والكبير أباً يوقره ويجله، ويعرف له منزلته العلمية.

يقول الشيخ عبد الله بن منيع عنه: يعتبر رَحِمَهُ اللَّهُ أبا حنوناً لطلبة العلم

---

(١) يراجع ملخص أعمال سماحته، ص(١٨٣) بكتاب: مشاهير علماء نجد وغيرهم، وص(٤٨، ٤٩) بكتاب: تاريخ من لا ينساه التاريخ.

عامة، وللقضاة خاصة، فهو رحمه الله لا يفتر من المطالبة بما يصلح أحوالهم، ويسد حاجاتهم، ويرفع شأنهم: اجتماعيّاً وماديّاً كما ارتفع شأنهم علميّاً.. كما أنه رحمه الله، يقف معهم ضد كل من يتناولهم بتجريح أو تهوين، يتحدث دائماً أمام العموم والخصوص بمكانة القاضي، وأنه العين البصيرة، واليد الطويلة، في دائرة اختصاصه القضائي، ويكثر اللوم والتقريع على من يتناول أحدهم بسوء، ولا يعني هذا أنه يرحمه الله، يرى القضاة جنساً معصوماً من الخطأ، ولكنه لا يظهرهم أمام العموم إلا بمظهر الهيبة والتقدير والاحترام، ويكون له مع القضاة مجالس خاصة، حضرت بعضها، يتناقش مع القاضي في أسباب الشكاية منه، ويوجهه التوجيه الأبوي ويبصره بمهمة القاضي في البلاد، من حيث الحرص على إنهاء الخصومات، وإيصال الحقوق لأصحابها، والترفع عن المصالح الشخصية من الأهالي، والقضاء على أسباب الشغب والفتن في البلاد، فكان رحمه الله نعم الأب، ونعم المربي، ونعم الموجه، ونعم الرئيس، وكان لتوجيهاته في نفوس أبنائه القضاة الموقع الحسن، من حيث السمع والطاعة والقبول، لقد سمعت أحدهم يقول لسماحته بعد إبلاغه قرار نقله إلى مكان أبدى عدم رغبته في قبوله، فأصرّ الشيخ على ضرورة قبوله ذلك المكان، قال: والله يا شيخ لو عزمت عليَّ بالقضاء في مكان وعينته، وهو من أكثر الأمكنة مشقة لما وسعني غير الاستجابة لأمرك، وهذا القاضي مثال لكلٍّ القضاة، إلا من ندر[1].

والشيخ محمد رحمه الله لصفاء سريرته، وحرصه على الخير، وبعده عن الأهواء أو الإضرار بأحد، قد جعل الله له قبولاً لدى العلماء خاصة، وأفراد المجتمع بصفة عامة، فالعلماء يجلونه، وهو يعرف لكلّ منهم قدره، وقد أورد الشيخ إسماعيل بن عتيق شيئاً من تعامله مع بعض

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص٢٣٥.

أصفيائه وأحبائه، وأسلوب تعامله معهم لأنه ممن ينزل الناس منازلهم، ويعطي كل واحد المكانة التي يستحقها؛ لأن له فراسة في الرجال، وبصراً جيداً يمحص به مكانتهم العلمية، وذكاء يستشف به ما سيكون لبعضهم من منزلة تظهر باعه في العلم، وتفقهه في الدعوة، أو يدرك من ذلك نظرته في الأمور، وحسن تصرفه وأمانته، وقد أورد عشرين شخصاً، أغلبهم من العاملين معه، كنموذج يبرز تقديره للعلم، واهتمامه بالعلماء، ومن العلماء:

١ ـ **الشيخ العلامة: عبد الله بن عبد العزيز العنقري**، فقد كان الشيخ محمد ينهض من مجلسه، إذا دخل عليه الشيخ العنقري، ويخطو إليه خطوات مستقبلاً إياه، ثم يجلسه في مجلسه الخاص به، وهذه خاصيَّة للشيخ العنقري لدى الشيخ محمد ـ يرحمهما الله ـ، ثم يجلس الشيخ محمد عن يساره جلسة التلميذ المتأدب مع أستاذه، ولا يتحدث بل يستمع إلى ما يقول الشيخ العنقري، وسر احترامه له، هو أن الشيخ العنقري من العلماء المبرزين، وله يد في الإصلاح، كما أن كبر سنه جعله محل احترام وتقدير لدى سماحة الشيخ محمد، ومع أنهما زميلان مبرزان لدى الشيخ سعد بن عتيق، إلا أنه يكثر الحفاوة والتقدير به.

٢ ـ **الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك**، فقد كان دائم الثناء عليه، ويذكر إخلاصه وزهده وتأثيره على البلدان التي ينصب فيها، ويذكر من آثاره: زهده وتأثيره في الجوف، وكان الشيخ فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ، مع فضله وعلمه أحد المجاهدين الذين اشتركوا في الغزوات مع الملك عبد العزيز أيام توحيد الجزيرة.

٣ ـ **الشيخ أحمد محمد شاكر**، المحدِّث المصري، كان يجلس عند الشيخ محمد في زيارته للمملكة، وكان الشيخ يجله ويحترمه، وربما جرى البحث معه في علوم الحديث، فيستمع إليه استماع المستفيد

والمسترشد، مما عند الشيخ شاكر، وكان يتردد على الشيخ محمد ويجلسه في مجلس الاحترام والتقدير.

٤ ـ **الشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الإفريقي**، المحدِّث الذي كان مدرساً بالمعهد العلمي بالرياض، ثم في كلية الشريعة، وقبل ذلك كان في دار الحديث بالمدينة، كان الشيخ يظهر له المحبة والإكرام، ويصغي إليه كثيراً، وربما جرى البحث معه في مسائل علم الحديث والرجال، ويضحك لأحاديثه، وقل أن يضحك رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أوصى عند وفاته على أبنائه الشيخ محمد بن إبراهيم.

٥ ـ **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي**، كان له مكانة عند الشيخ محمد، ويصغي إليه عندما يتكلّم، وربما جرى البحث معه في دقائق الأمور العربية: لغة وشعراً، وفي علم المنطق والفلسفة، وربما استشاره في بعض الأشياء، وما يرد من الخارج، خاصة في المسائل العلمية والفتاوى. والشيخ الشنقيطي أحد العلماء الأفذاذ في علم التفسير واللغة والفقه والحديث.. وله تفسير أضواء البيان.

٦ ـ **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، كان من أخص تلاميذه، وبعد أن قدم من الدلم عندما كان قاضياً بها أكرمه الشيخ محمد بمأدبة كبيرة حضرها كثير من المشايخ والعلماء، وكان الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم كثير الثناء عليه في مجلس الشيخ محمد.

وفي قرارة قلب الشيخ محمد كان يجله ويحترمه، ويرى له باعاً في العلم والتفقه والدعوة، وقد جعله نائباً له في إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة وتنظيمها عند افتتاحها.

٧ ـ **الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد**، يعتبر من أخص تلاميذ الشيخ محمد، وأنبههم، وقد عينه في قضاء الرياض في سن مبكرة، ثم المجمعة، وللشيخ عبد الله مواقف صلبة وقوية وشجاعة، وخاصة فيما

يتعلق بتنفيذ الأحكام الشرعية، ولما طال عمله في بريدة تقدم للشيخ محمد بطلب الإعفاء من القضاء، وبقي في التدريس إلى أن رشحه الشيخ رئيساً للإشراف على حرمي مكة والمدينة.

٨ ـ **الشيخ عبد الرزاق عفيفي**، فقد كان الشيخ محمد يحترمه ويستشيره فيما يتعلق باختيار الطلبة المتخرجين في كلية الشريعة للقضاء، وأحياناً يرفض الشيخ محمد رأيه، وقد حدث أن رشح أحد الخريجين من منطقة جيزان يدعى جبران، فأراد الشيخ عبد الرزاق الاعتذار له من القضاء، فقال الشيخ: إنه صغير، فأجابه بأنه سيكبر، فقال: إنه أمرد لا لحية له، فقال الشيخ محمد: سنرسله إلى جماعته، وكان الشيخ عبد الرزاق يقف من الشيخ محمد ـ رحمهما الله ـ موقف الهيبة والإجلال، حتى تكاد تعد كلماته عندما يخاطبه[1].

هذه نماذج لتقديره العلماء واستشارتهم في كثير من الأمور، وإلا فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ يمثل في مجلسه هيبة العلماء، ومكانة العلم، ومع العاملين معه مهما كانت منزلتهم تراه ودوداً ضاحكاً يمازح هذا ويلاطف ذاك.. ويسأل عن أحوالهم وأولادهم.. ولذا كان جميع العاملين معه في أنحاء المملكة من قضاة وعلماء، ومدرسين ودعاة، يشعرون بأنه لهم بمثابة الأب الموجه لهم العطوف عليهم، الحريص على دقة أعمالهم، وسلامة مقاصدهم، فكان يجرئهم على استشارته في كل أمر، ويمحضهم نصحه في كل وقت وموقف، ويهتم بإبانة المداخل الحسنة لمن غابت عنه، وإيضاح الأمور التي تسيء إلى سمعة طالب العلم، حيث يشعر كل واحد جلس معه أن الشيخ قد اختصه بوقته وحده، وأنه بالنصائح والتوجيهات اعتبره أحد أبنائه من صلبه، ومع هذا لا يسمع كلام العامة في القاضي، ولا يريد الإنقاص من مكانته وعمله، حتى لا يسقط من أعينهم، ولا

---

(١) انظر: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٢٨ ـ ٣٥)، باختصار وتصرف.

يظهر أي تبرم بحضورهم حتى لا يطمعهم، أما إذا انفرد بالقاضي، فإنه يعطيه دروساً قاسية، ليحس في قرارة نفسه أنه مخطئ وعليه تدارك الخطأ، ولذا فإن القاضي لا يعلم ما قال الشيخ لخصومه، ولا الخصوم يعرفون رأي الشيخ في القاضي.

وهكذا الحال في جميع طلبة العلم المرتبطين بالشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. وهذا ينبئ عن حسن أخلاقه وكمال علمه، ونظرته للأمور، وفكره الناضج.. ومع طيبة نفسه فلا أحد سبر غوره، أو يستطيع معرفة خفايا نفسه.

أخلاقه وصفاته:

جعل الله للإنسان أخلاقاً يتطبع بها، ويمكِّنها في نفسه العلم الذي وهبه الله إياه، والعقل الذي يقود إلى الخير، بتوفيق الله. ورسول الله ﷺ كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: **«كان خلقه القرآن»**. كما يكون للإنسان صفات جبلت عليها طباعه أو كانت جزءاً من تكوينه الخلقي، الذي أوجده الله عليه.

والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد منحه الله عقلاً وعلماً، فكان العلم بالنسبة له زينة وجمالاً، وأضفى العقل عليه سربالاً من المهابة والإجلال.. وكان هذا من توفيق الله له، بأن تحلّى بالأخلاق النبيلة؛ ليكون مقصداً ومعيناً لطلاب العلم يمحضهم نصحه وتوجيهه، ويرسم لهم أقوم الطرق وأسهلها حتى يعرفوا مداخل القلوب، فكان دمث الخلق، متواضعاً محباً للخير، رقيق القلب، حريصاً على تلمس حاجات الناس، شجاعاً في كلمة الحق، لا يخاف في هذا السبيل لومة لائم، شديداً في قمع الفتنة، قوي الذاكرة.

وقد تحدث الشيخ محمد بن قاسم في نبذة من سيرته، ضمن مقدمة الجزء الأول من مجموع فتاواه عن أخلاقه، دمج فيها تحت هذا المسمى، أخلاقه وصفاته.. شأنه شأن غيره، فكان من ذلك:

أ ـ من أخلاقه:

١ ـ الإخلاص في العمل، وعدم التبرم، أو التحدث عن العمل ومشاغله، حيث لم يكن طالب شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، بل كان يبتغي بعمله ما عند الله، والدفاع عن الحق.

٢ ـ ومع ما آتاه الله من مهابة في نفوس الناس، وصرامة في الحق، حيث يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يزل في كلمة، إلا أن الناس يجلونه ويحبونه؛ لأنه أنيس عند المخالطة، ألوف لمعاشريه بعيد عن الغلظة، يحسن الفرق بين مجالس الجد والعمل، ومجالس الراحة عندما يكون في سفر أو نزهة.

٣ ـ العفة والتورع عن أخذ ما ليس له، أو ما يرى فيه شبهة، فلم يعرف عنه الاشتغال بالبيع والشراء لا بالاستقلال ولا بالمشاركة.

٤ ـ كرهه الشديد للمديح والثناء، فقد كتب لشخص: ما ذكرتم في خطابكم من الثناء نود ألا نسمعه، فنحن نستغفر الله ونتوب إليه من تقصيرنا وضعفنا، نسأله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه. وكتب لآخر: نفيدكم أنه جاء في خطابكم بعض العبارات مثل قولكم: عالم الوجود! تلك العبارة التي لا يصدر مثلها إلا عن جاهل[1].

٥ ـ راجح العقل، واسع الأفق، بعيد النظر، كثير التأني في إعطاء قراره فيما يتطلبه الأمر منه، شجاعاً في إبداء رأيه، يقلب الأمر قبل قراره على أكثر من وجه، فإذا قرر مضى في قراره دون تردد أو تراجع، سمح النفس، كثير التبسط مع تلاميذه وموظفيه المباشرين للعمل مع سماحته، حاد الذكاء، عميق الفهم، كثير التروي والتأمل فيما يعرض عليه، مهيباً هيبة لم يكن أصلها غطرسة أو تجبر، وإنما هي مستمدة من الشعور العام

---

(١) راجع في هذه الأخلاق: مجموع فتاوى ورسائل سماحته: ١/ ١٦ ـ ١٨. وقد أورد الشيخ محمد بن قاسم بعضاً من الوقائع للاستشهاد مع بعض جزئيات الأخلاق.

عن سماحته بالقوة في جانب الحق، مهما كانت الجهة التي لديها الحق.

٦ ـ له أسلوب متميز في فحص ما يلقى عليه من معاملات والتحرير عليها من حيث الصياغة، واللغة، أو من حيث المعنى، أو من حيث العدول عما تم التوجيه من سماحته بالتحرير عليها.

٧ ـ حريص التوثق من أقوال أهل العلم، وكلما مرت عليه مسائل شرعية في العبادات أو المعاملات، فإنه يهتم باستذكار الحكم الشرعي، ويطلبه من أكثر من كتاب يتحدث عن المسألة التي عرضت، ولا تطيب نفسه إلا بعد التوثق.

ويقول للشيخ عبد الله بن منيع: يا عبد الله الأعمال شغلتنا عن بضاعتنا، فلا بد من فرص نرجع فيها لكلام أهل العلم استذكاراً أو استزادة في العلم والفهم، أو استبياناً لما قد يخفى علينا، وليس علينا نقص في ذلك.

٨ ـ طريقته في التأصيل تعطي العاملين معه ثقة وقدرة على التصرف في الأمور المهمة، حتى يتربوا على الشعور بتحمل المسؤولية في مستقبل أيامهم، كما كان يعاملهم كأبنائه لما يكنه لهم من المحبة والتقدير والعطف والشفقة، وقد ضرب الشيخ عبد الله بن منيع مثالاً برسالة ألفها وجمع فيها أقوال أهل العلم: عن حكم ذبح هدي التمتع والقران قبل يوم النحر، حيث قام بالاعتراض عليها مجموعة من طلبة العلم، وأكثروا على سماحته بشأنها..

ومع هذا فقد تلطف للشيخ عبد الله، وقال: أنت أحد أولادي والوالد يقسو على أولاده وقد يضطر لعقابهم بما يراه، إلا أن ذلك لا يغير من الأبوة شيئاً[1].

---

(١) راجع في هذه الأخلاق من ٥ ـ ٨: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢٢٦ ـ ٢٢٩) مقال للشيخ عبد الله بن منيع، وقد أورد شواهد وتفصيلات.

ب ـ من صفاته:

١ ـ منحه الله ذاكرة قوية، وحافظة نادرة، فكان مع حفظه لأقوال العلماء، ومعرفته لمظانها من كتب العلم، كان يحفظ كثيراً من القصائد المطولة، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ ثلاثمئة صفحة تقرأ عليه، ثم يملي ما يرى مستحضراً كل ما مرَّ فيها من الجزئيات، ولم يكن غريباً منه أن يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها ذاكراً رقم الصفحة أحياناً.

٢ ـ بدت علائم الذكاء عليه وهو صغير، يقول الشيخ عبد الله بن منيع رواية عنه رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت في آخر العام الثاني من عمري فدخلت والدتي غرفة نومها، فرأيتها تبحث عن شيء فظننت أن الشيء الذي تبحث عنه مكحلتها، فأشرت إليها أن المكحلة في طاق الغرفة، ففرحت بإشارتي وضمتني ضمة، لا أزال أتذكرها حتى يومي هذا.

وكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات، فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولا ينطلي عليه كيد أو احتيال. ورغم أنه لم يحمل الساعة في حياته فإنه يدرك الوقت ولا يكاد يخطئ فيه بضع دقائق.

٣ ـ قد رزقه الله قلباً طاهراً، فهو لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى، فكان يصفح ويتجاوز.

وهذه صفات نبيلة قلَّ أن يقوى عليها، إلا من زرقه الله علماً وحلماً وبعد بصيرة، وتقوى لله عَزَّ وَجَلَّ. ومع هذه الصفات فقد آتاه الله مهابة في نفوس الناس.

٤ ـ ولحرصه على أن تكون صفاته مستمدة من تعاليم القرآن، فقد كان يتنزه عن الغيبة والحديث في الآخرين بما يكرهون، وقد كان هذا سجية فيه منذ حداثة سنه، وهذا إلى جانب الحظ الوافر من الشجاعة

وقوة الشكيمة في الحق، حيث لا يخاف في الله لومة لائم أياً كان المخاطب.

٥ ـ عرف عنه رَحِمَهُ اللَّهُ إطالة التأمل، والتعمق في الأمور، وبُعد النظر فيما يعرض عليه من القضايا التي جدت في الحياة، فكان لا يتعجل حتى يمعن في الدرس والتأمل، والنظر في العواقب. ومن ذلك هذان المثالان:

أ ـ سئل عن افتتاح حمام فني فكتب ما نصه: لا أرى فتح مثل هذا الحمام في هذا البلد لأن الضرر سيكون أكبر من النفع، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر على بال الذي أسسها، ومهما حرصت الآن على مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية، فإنك لن تستطيع ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب.

ب ـ وسئل عن إنشاء صندوق لسائقي السيارات فأجاب: إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعاً خيرياً يحتاج إلى تقييد؛ لأنه وإن كانت طرق الخير مفتوحة أمام الراغبين إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلك، لئلا تكون وسيلة إلى استباحة أشياء لا تجوز تحت اسم الشيء المسموح.

ونظرته رَحِمَهُ اللَّهُ البعيدة للاحتمالات التي تفتح مجالاً غير مناسب، هو ما يحرص عليه كثير من علماء الإسلام في باب: سد الذرائع، حتى لا تفضي الأمور الصغيرة إلى الأمور الأكبر.

٦ ـ هذا إلى جانب ما عرف عنه من بذل وسخاء، وإكرام العلماء والقضاة، وخشية لله، ورقة قلبه في العبادة، وملازمته إحياء الليل بالصلاة، وحرصه على التأسي برسول الله ﷺ في جميع أموره[1].

---

(١) يراجع مقال الشيخ عبد الله المنيع في: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢٢٩ ـ ٢٣١). والشيخ محمد القاسم في الجزء الأول من مجموع فتاواه رَحِمَهُ اللَّهُ، ص(١٥ ـ ١٨).

٧ ـ حبه للعلم والعلماء منذ حداثة سنه، فصرف همته في العلم تعلماً وتعليماً، فرعى طلبة العلم وشجعهم وتواضع لهم، وسعى أمام ولاة الأمر في إعانتهم وتوسيع فرص التعليم لهم بنين وبنات في جميع مدن المملكة، ووضع الأسس التشجيعية لجذبهم لطلب العلم وترغيبهم فيه. ولاهتمامه الديني فقد شدد في المتابعة على أن يكون ركيزة التعليم الارتباط بشريعة الإسلام قولاً وعملاً، كما يتضح من فتاواه وملاحظاته ومتابعته[١].

٨ ـ ومن صفاته قال ابنه معالي الشيخ إبراهيم: كان يحفظ بعض قصائد الوعظ والزهد، ومن ذلك أبيات كان يكررها كثيراً، وهي:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخ من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
يا طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا[٢]

٩ ـ ويجمل الشيخ محمد بن عثمان القاضي أوصافه بقوله: وأما أوصافه رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو ربعة من الرجال، متوسط الشعر، حنطي اللون، قليل الكلام، ذو هيبة ووقار، أعمى البصر، فاتح القلب، ذو مكانة مرموقة عند الملك، وعند الناس، قام برحلة إلى مصر والشام[٣] واتصل بعلمائها[٤]، وكانت رحلته ممثلاً للعلماء في المملكة. ومرض فأشار عليه الأطباء بالسفر

---

(١) انظر: علماء نجد في ستة قرون: ١/ ٨٩، ٩٣ ـ ٩٥ للشيخ عبد الله بن بسام.
(٢) نقلاً عن ابنه صالح بن إبراهيم.
(٣) يرى ابنه معالي الشيخ عبد العزيز أنه لم يسافر إلى الشام وإنما سافر إلى مصر فقط.
(٤) يرى ابنه معالي الشيخ عبد العزيز أنه اجتمع بعلماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عبد المجيد سليم رَحِمَهُ اللَّهُ.

للعلاج، فسافر إلى مصر فلم يتمائل للشفاء، فواصل سفره إلى لندن، وتعالج فيها، ولم يقدر له الشفاء، فعاد إلى الرياض، بدون فائدة تذكر[1].

نوادره:

للنادرة وقع في النفس، وراحة في القلب، حيث تجلو صدأه مع رتابة العمل، والجدية المتواصلة. جاء في الأثر: روحوا عن النفس ساعة فساعة، فإنها إذا كلت ملت[2]. والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يهتم بالنادرة، ويتأسى برسول الله ﷺ في مداعبة أصحابه والتبسط معهم، ليسري عن العاملين، حيث يعاملهم كالأبناء. ومن ذلك:

١ ـ يقول الشيخ عبد الله بن منيع الذي لازم سماحته في العمل معه مدة طويلة: أذكر أنني أنا وأحمد بن قاسم كنا مع سماحته بعد العصر في الطائف، في منطقة الهدا لعرض ما لديَّ من معاملات على سماحته كالمعتاد، وفي رجوعنا وجه الكلام لأحمد بن قاسم قائلاً: يا أحمد، أمك جاءت بولد ليس أخاك ولا أختك فمن هو؟ فبهت أحمد من هذا وقال: خلها في قبرها عفا الله عنك، وبعد أن أتاح له فرصة التأمل، قال: هو أنت يا أحمد، جاءت بك أمك؛ فتنفس الصعداء وقال: الحمد لله فرجت عني جزاك الله خيراً.

٢ ـ وأورد له هذه النادرة فقال: كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحب النكتة ويسترويها، فقد صار من بعض الزملاء أن اجتمع لديه اثنان من فراشي الإفتاء فذكرهما أن الصوم يصير في الصيف، والشتاء، وكذلك الحج، هكذا فإن السنة تستدير، فإذا اجتمع الصوم مع الحج في إحدى السنين فمن

---

(١) انظر: روضة الناظرين: ٢/ ٣٢١.

(٢) جاء في: المقاصد الحسنة، ٣٣٠: أنه ضعيف، وورد في: ضعيف الجامع، رقم ٣١٤٠، قال السخاوي: يشهد له ما في صحيح مسلم وغيره من حديث: **(يا حنظلة ساعة وساعة)**.

منكما سيصوم ويترك الحج، ومن سيحج ويقضي الصوم؟ فقال أحدهما: سأحج وأترك الصوم لأيام أخر، وقال الآخر: سأصوم وأترك الحج، فذكرا لسماحته فاستدعاهما وأعيد السؤال عليهما، فاحتجَّ الأول على تركه الصوم بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

واحتجَّ الثاني بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فضحك رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: لقد بنيت هذه الدار على علم[١].

٣ ـ ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق أن محمد عطاء الهندي سأل الشيخ في مجلسه فقال: ماذا نصنع بالميت إذا مات في السفينة؟ فقال الشيخ: ألقه في البحر. فقال السائل: يطفح على سطح البحر. فقال له الشيخ: اعمل له مثقلاً. فقال السائل: يأكله السمك. فقال الشيخ: إذاً احمله على ظهرك ليكون معك حيث شئت.

٤ ـ كان من مداعبته للشيخ علي بن خميس: أن عليّاً تكلّم يوماً بالهاتف مع مكة مخاطباً الشيخ عبد الله بن إبراهيم. فقال له الشيخ محمد: كلمت مكة يا علي؟. قال: نعم. قال: فكلِّم الدرعية. فقال: لا تليفون فيها. قال: عجباً لك تكلّم البعيد ولا تكلّم القريب.. وقال الشيخ ابن عتيق: ومثل هذا يحصل من الشيخ أحياناً مع غيره.

٥ ـ وقرأ الشيخ عبد العزيز بن شلهوب، وهو حسن الصوت، قليل اللحن، ولكنه أخطأ في هذه القراءة بكلمة، وهي: وهذه لغة حِمْير قرأها: وهذه لغة حَمِير، فقال الشيخ: سبحان الله، وهل للحَمِير لغة؟![٢].

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨، ص(٢٣١، ٢٣٢) مقال الشيخ عبد الله بن منيع عن الشيخ محمد.

(٢) راجع في هذا ما ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق في كتابه: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٢٢ ـ ٣٥).

شعره:

قليلون جداً هم الذين يعرفون عن الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تذوقه للشعر حفظاً واستشهاداً، وقولاً في المناسبات، ذلك لأنه لا يشتغل به، ولا يجعله يلهيه عن مذاكرة العلم وتعليمه. فقد روي عنه قوله الشعر، ولكن في مناسباته كالرثاء، وحفظه للشعر، ولكن للاستحسان أو للاستشهاد به مع الوقائع التاريخية، أو للشواهد العلمية من لغة وغيرها.. يقول عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ: وللشيخ محمد معرفة بالعروض ويقرض الشعر على طريقة العلماء، وقد رثى الشيخ عمر بن سليم بأربعة أبيات[1] هي قوله:

إن المصيبة حقّاً فقدنا عمراً ... أعظم بميتته رزءاً بنا كبرا
قطب القصيم، وما دون القصيم وما ... خلف القصيم وما مجرى القصيم جرى
عليه دار الهدى، والحق بينه ... كان الحياة وكان السمع والبصرا
ارزقه يا ربنا عفواً ومغفرة ... واجبر مصيبتنا يا خير من جبرا[2]

وله مرثية في عمه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف تبلغ خمسة وخمسين بيتاً ومطلعها:

على الشيخ عبد الله بدر المحافل ... نريق كصوب الغاديات الهواطل[3]

ولم أقف على بقيتها كاملة، لكن قال عنها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام: إنها طويلة جيدة[4]. لكن الشيخ محمد بن عثمان القاضي أورد عشرين بيتاً بالمطلع فقال بعده:

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٧).
(٢) المصدر السابق، ص(٣٦٠) في ترجمة الشيخ عمر بن سليم.
(٣) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٠٩) في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.
(٤) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون: ١/ ٧٩ في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

دموعاً على الخدين تجري بعبرة ... ولوعة محزونٍ مهاج البلابل
فقد حق أن العين تهريق ماءها ... وتسكب دمعاً بالضحى والأصائل
وآن لكبدي أن تذوب وينطوي ... فؤادي على حزن به متواصل
وللأنس أن يزورّ عني جانباً ... فإني مصاب القلب مذكى الغلائل
فما مرّ بنا يوم فظيع على الورى ... كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمائل
فأعظم به من فادح جلّ خطبه ... به الكل مفجوع مصاب المقاتل
فهل أحد يرجى لسد انثلامه ... وفرجته هيهات ذا غير حاصل
هو العالم النحرير والجهبذ الذي ... يبين الهدى في مشكلات المسائل
هو الناصح البذال في النصح جهده ... وغايته كي ينتهى عن أباطل
إمام لعمري عارف أهل وقته ... طبيب زمان ما له من مماثل
تقي نقي حازم ذو رزانة ... وثابت جأش في اشتداد النوازل
حليم ذكي ذو دها وسماحة ... وذو خلق زاكٍ وحسن شمائل
فقيه نبيه ناسك ومتورع ... وذو نصف في أمره غير مائل
إليه تشد اليعملات وتمتطى ... ظهور الغلا من شاسعات المنازل
وصول لأرحام وإن قطعت به ... صفوح عن الزلات من جهل جاهل
فيا عين سحي أدمعاً بعد أدمع ... على وجناتي واستمري وواصلي
سأبكيه جهدي ما بقيت بأدمع ... ويبكيه غيري من شريف وفاضل
ويبكيه طلاب العلوم بلوعة ... وأعينهم كالمستهل بوابل
جزاه إلٰه العالمين بجنةٍ ... وأسكنه الفردوس أعلى المنازل[1]

وقال فضيلة الشيخ علي الرومي، قاضي التمييز بالرياض، وهو من تلاميذ الشيخ الملازمين: كنا في الدرس عند سماحة شيخنا محمد، بعد صلاة الفجر، وفي ذلك اليوم، أنشأ هذه الأبيات ـ التي رواها لنا الشيخ من ذاكرته ـ ليحث الطلبة على الاهتمام بالدروس، وزيادة التحصيل، على الفور:

---

(١) انظر كتابه: روضة الناظرين: ١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥.

وا سوأتاه لطالب العلم الذي ... ثقلت عليه مجالس التدريس
وإذا قراءته تقضت قام لا ... يلوي على ما بعد من تأسيس
هذا وفي حال القراءة قلبه ... بالفهم والإصغاء غير أنيس
ويود لو أن القراءة تنقضي ... في لحظة. . ماذا يقول جليسي
إن قلت إنهم لعمري ما لهم ... من رغبة في نيل كل نفيس
إن قلت ما لهمو من الإقبال من ... إدلاجه حظ ولا تفليس
ورضوا الترسم وهو غير مفيدهم ... إن الأماني حظ ذي التفليس
يا رب واغرس خير غرس يرتجى ... منهم إغاظة ذي الخنا إبليس
يا رب واجعلنا من الغرس الذي ... تختار للتنزيه والتقديس
وإبانة التوحيد محضاً صافياً ... وإزاحة التشبيه والتلبيس

ثم قال الشيخ علي، وقد فقدت منها بيتين لا أتذكرهما الآن.

وقد كتب له بعض المحبين أبياتاً رقيقة، فأجابه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

عليك مثل الذي أهديت يشفعه ... تحية ما شدا بالبان صادحه
في روضة من رياض الخرج باكرها الـ ... ـوسمي والصيف تسقيها روائحه
ورحمة اللّه ما أبدى أخو مقت ... من الوداد الذي تخفى جوانحه[1]

فالشيخ محمد مع قدرته الشعرية، وفهمه للعروض جيداً، فإنه ينظم الشعر على طريقة العلماء في الرثاء، والتوجيه والنصح، ولم يشغل نفسه به؛ لئلا يلهيه عن المقصد الحقيقي لطالب العلم، خاصة وأن للقرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ رأياً في الشعر منفّراً. ومن هنا كانت نظرة علماء الإسلام للشعر بأنه يزري بالعلماء، كما روي للشافعي قوله - وقيل لغيره - هذا البيت:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

---

(١) المصدر: الشيخ صالح ابن معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.

نماذج من فتاواه:

بلغ ما دوِّن من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاثة عشر مجلداً، طبعت في عام (١٣٩٩هـ) بمطابع الحكومة. والمستعرض لهذه الفتاوى يلاحظ أن سماحته قد أفتى في كثير من الأمور التي جدت في هذا العصر، مما يتضح معه سعة أفقه، ووفرة علمه، وأن الفقه الإسلامي، وعلماء الإسلام ليسوا بمعزل عن واقع حياة الناس، وما يطرأ عليهم في التنظيم، وما تسير به حياتهم.

وما نورد هنا من نماذج، ما هي إلا نبراس لمنهجه رَحِمَهُ اللَّهُ في الإفتاء، وطالب التوسع والراغب في الاستزادة، يجد بغيته في مجموع فتاوى ورسائل سماحته، التي بلغت (٤٥٧٥) فتوى ومسألة.

- فتحت رقم (١٥٧٧) حول الجزارين الذين يبيعون اللحم بسعر زائد عما يبيعه غيرهم يقول: إنه يتعين إلزامهم بالبيع مثل ما يبيع غيرهم[١].

- وبرقم (١٥٨٠) حول ما يعمله بعض التجار والشركات، من تقديم هدايا للجمهور على ما يشتريه من محلهم من بضاعة، وطلب الإعلان عن ذلك في الصحف، يقول: لا يجوز السماح لمثل هذه الأشياء، ولا يباح استعمالها، إذ إنها من أكل أموال الناس بالباطل، فينبغي سد الباب إلى الحرام، فمن الحزم قطع الطريق على كل مموه نهاب، يحتال على أموال الناس بشتى الحيل[٢].

- وبرقم (١٦٥٦) أجاب على رسالة وجهت إليه باستفتاء عن حكم بيع أوراق العملة بعضها بعض إلى أجل متفاضلاً، فمثلاً: الدينار العراقي يساوي (١١) ريالاً، هل يجوز بيعه إلى أجل باثني عشر ريالاً؟... إلخ فأجاب بما نصه: الذي يظهر لنا عدم جواز بيع بعضه ببعض إلى أجل

---

(١) مجموع فتاوى سماحته: ٧/ ٧٥.

(٢) مجموع فتاواه: ٧/ ٧٧.

بأكثر من ثمنه الحاضر؛ لأنه وسيلة إلى الربا، بل هو باب من أبواب الربا، إذ أنزل البدل منزلة المبدل، فلو لم يكن فيه إلا سدّ الذرائع لكفى، و: «**من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**» أخرجه البخاري ومسلم. والله أعلم[1].

- وبرقم (١٦٩٨) أجاب على رسالة استفتى صاحبها عمن أقرض رجلاً دراهم - أوراقاً نقدية - ثم أرادت الحكومة تغيير تلك السكة بسكة أخرى فما الواجب دفعه لوفاء هذا القرض؟ فكان جوابه رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر الفقهاء - رحمهم الله - أن السلطان إذا منع التعامل بالسكة فلا يلزم المقرض قبولها إذا ردها عليه المقترض؛ لأنها أصبحت كالمعيبة، وحينئذٍ يكون للمقرض قيمتها وقت القرض، بالنسبة إلى النقود الأخرى، التي لم تغير، فيدفع له المقترض قيمة ما كانت تساويه وقت القرض، بالنسبة إلى الذهب مثلاً[2].

- وبرقم (٦٤٦) يجيب على سؤال من قال: إنه مسلم في إيطاليا مع زميله، ولا يوجد هناك مساجد ولا أذان ولا جماعة، والبلد ما فيه إلا كنائس، ويذكر أنه محتار. فكان الجواب: لا حيرة في ذلك يصلي هو ورفيقه الصلوات الخمس في مكان سكناهم بأذان وإقامة لكلِّ صلاة[3].

- وبرقم (٦٨٧) جاء الجواب التالي لمن لا يستطيع السجود على رجله: للمكرم ثاني المنصور: فقد بلغنا ما حصل لك من مشقة الإمامة، وعلمنا أنه يحصل في إمامتكم نقص، حيث إنك لا تستطيع السجود على رجلك المصابة، بل تمدها أمامك وهذا فيه نقص في الإمامة كبير، وأنت لا يخفى عليك مثل هذا، قال في حاشية الروض المربع (١/ ٢٥٠) قوله: ولا عاجز عن ركوع أو سجود.

---

(١) مجموع فتاواه: ٧/ ١٨٢.
(٢) مجموع فتاواه: ٧/ ٢٠٤.
(٣) مجموع فتاواه: ٢/ ٢٧١.

والظاهر أن الذي يمد رجله عند سجوده، أو لا يقدر على السجود على شيء من الأعضاء السبعة، لا تصح إمامته إلا بمثله، إلا إمام الحي المرجو زوال علته. وحيث لا ضرورة هناك تدعو لبقائك إماماً فقد رأينا إعفاءك من إمامة المسجد، فاعتمدوا ذلك والسلام[1].

- وعن أهمية الإمام للأمة قال تحت الرقم (٣٨٧٤): نصب الإمام واجب ضروري، يسمع له ويطاع.. ثم نعلم أن الولاية تثبت بأمور: منها: نصب أهل الحل والعقد، وهو الذي نص هنا. ومنها: أن يأخذها قهراً بسيفه ومن معه، ويكون فيه الأمر الكافي ويقهر غيره، لا يرجع إلى أحد فإنه يثبت له حكم الولاية. الثالث: أن يعهد إليه ممن قبله. والكل والمدار هو إقامة الشرع، وحفظ كيان الأمة، والقيام بحقوقهم[2].

- وتحت رقم (٣٩٥١) كتب سماحته لرئيس محكمة الدمام قائلاً: أما بعد فقد اطلعت على الأوراق الواردة إلينا منكم برقم (٦٣١) وتاريخ (١٣/ ٢/ ١٣٨٤هـ) المحالة إليكم من إمارة المنطقة الشرقية حول طلب خليفة القصيبي السماح له بتوريد لحوم الضأن الطازجة، المجمدة من أستراليا ومعها شهادات رسمية تثبت أنها مذبوحة بأيدي مسلمين حسب الشريعة الإسلامية.

وعليه ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وخشية تساهل الموردين، ولأن الذكاة لها شروط أربعة معروفة، إذا اختل منها شرط لم تحل الذبيحة؛ لأنها تكون في حكم الميتة، وهذه الشروط منها: ما يتعلق بالمذكي - وهو أهلية المذكي - بأن يكون عاقلاً سواء كان كتابيّاً، أو مسلماً موحداً، ولم يقم به شيء من موجبات الردة عن الإسلام؛ كالتعلق على القبور ونحوها، والخرافات الشركية، وأمور الوثنية. ومنها: ما يتعلق بصفة التذكية، وهو أن تذكى الذبيحة ذكاة شرعية، بقطع الحلقوم

---

(١) مجموع فتاواه: ٢/ ٢٩٩.

(٢) مجموع فتاواه: ١٢/ ١٧٣.

والمريء، كما ذكره الفقهاء، والاحتياط قطع أحد الودجين. ومنها: ما يتعلق بآلة التذكية، وهو أن تذكي الذبيحة بمحدد ينهر الدم ليس بسن ولا ظفر. ومنها: أن تذكر اسم الله عليها عند الذبح، وأما استقبال القبلة فليس بشرط ولا واجب، وإنما هو سنّة.

وإذا تقرر هذا فما دام خليفة قد التزم بأن لا يورد من اللحوم إلا ما توفرت فيه الشروط المطلوبة، فينبغي إفهامه بذلك، وأخذ التعهد اللازم عليه بما ذكر على صور ليتأملها بنفسه ويعطي منها وكلاءه، ومن سيتولى هذه المهمة في تلك البلدان، وعليه أن يبرهن على تطبيق ما ذكر بالإثباتات الكافية من طريق المفتي الشرعي في تلك البلاد إن وجد، وإلا فبواسطة السفارة السعودية، فإذا تحقق ما ذكر فلا بأس بالسماح له بتوريد اللحوم المذكورة، وإلا فلا نسمح لأحد يتخذ فتوانا وسيلة لمقاصده، ثم يتهاون بشيء مما ذكر، وهذا من باب الأمانة، يتعين عليه مراعاتها، وتقوى الله في ذلك، وعلى الجميع مراقبة ما ذكر بصورة مستمرة، والله الموفق والسلام[1].

وهكذا يجد المتابع لفتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ حرصه على الإحكام والجدية والحيطة حتى لا تتخذ فتاواه ذريعة لفتح باب ينفذ منه المتساهل وصاحب الغرض والهوى، ولقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ جبلاً أشم، بهيبته وعلمه وشجاعته.

وفاته:

اتفقت أقوال من كتب عن وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم، أنه رَحِمَهُ اللَّهُ توفي عام (١٣٨٩هـ) ولكن الاختلاف في تحديد العمر، فالشيخ عبد الله بن منيع في مجلة البحوث[2] لم يحدد العمر ولا اليوم، والشيخ محمد بن

---

(١) مجموع فتاوى سماحته: ١٢/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) العدد ١٨، ص(٢٣٨).

عثمان القاضي اعتبر عمره (٧٨) عاماً وثمانية أشهر، والوفاة في ظهر يوم الأربعاء (٢٤) رمضان[١]، والشيخ إسماعيل بن عتيق[٢] هو وعمر رضا كحالة[٣] قالا: توفي عام (١٣٨٩هـ) ولم يذكرا اليوم والشهر ولا العمر.

وعبد الله بن سعد بن رويشد قال: توفي في يوم (٢٤) رمضان سنة (١٣٨٩هـ) ولم يذكر عمره، لكنه قارنها بالميلادي عام (١٩٦٩م) شهر ديسمبر، ومرة أخرى يناير (١٩٧٠م)[٤].

أما الشيخ عبد الرحمٰن آل الشيخ، فكان أكثر تحديداً عندما قال: توفي يوم الأربعاء، (٢٤) رمضان (١٣٨٩هـ) عن عمر بلغ (٧٨) عاماً، وثمانية شهور، وثمانية أيام[٥].

إلا أن الشيخ عبد الله بن بسام قال في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»: إنه ناهز الثمانين من عمره، وهو في نشاطه وفي أعماله ومهام منصبه، ثم أصيب بمرضٍ عُضال. فسافر من أجل علاجه إلى لندن مرتين، وعاد في المرة الثانية وقد أثقله المرض.

وفي يوم الأربعاء بعد الظهر من يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام (١٣٨٩هـ) انتقل إلى رحمة الله تعالى، فصلّي عليه بعد صلاة العصر في جامع الرياض الكبير، وكان الجمع حاشداً والزحام شديداً، حيث خرجت الأمة كلها لتشييع الفقيد، وكان على رأس المشيّعين جلالة الملك فيصل، وفيهم الأمراء والعلماء والوزراء والأعيان، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وحضر العزاء في بيت الفقيد الملك فيصل، وأبدى أسفه

---

(١) انظر: روضة الناظرين: ٢/ ٣٢١.

(٢) انظر: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٤٩).

(٣) انظر: المستدرك على معجم المؤلفين، ص(٥٨٢)، وقارنها بالميلادي عام (١٩٦٩م).

(٤) انظر: قادة الفكر، ص٤٠٦.

(٥) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص١٧٩.

الشديد على الفقيد، وظهر أثر ذلك على جلالته، وترحم عليه وأثنى عليه وذكر خسارة البلاد بوفاته، وواسى أفراد أسرته والحاضرين من العلماء على عادته في تقدير المواقف ومعرفة الرجال.

والحقيقة أن الشعب هزته وفاته، وأصيب أفراده جميعاً بالفزع لفقده، ورأوا أنهم فقدوا شخصية كبيرة غالية، من أعز أبناء البلاد عليه، لا سيما أهل العلم الذين يرون فيه الوالد والشيخ والرئيس والمرجع.

ولا شك أن البلاد فقدت بموته شخصية كبيرة في علمها وعملها ومركزها ومقامها[1].

وقال عبد الرحمن آل الشيخ: إن الذي أمَّ الناس بالصلاة عليه الشيخ عبد العزيز بن باز، وأن الشيخ خلَّف أربعة أبناء هم الشيخ عبد العزيز، والشيخ إبراهيم، وأحمد وعبد الله ـ الذي أصبح فيما بعد وزيراً للعدل ـ[2].

وقد رثاه جمع من العلماء والأدباء شعراً ونثراً، وخصصت مجلة الدعوة عددها (٢٣١) الصادر يوم (١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ) للشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق أسماء الذين رثوه شعراً فبلغ عددهم عشرين اسماً، وعدد أبيات كل واحد منهم، فبلغ مجموعها (٤٨٢) بيتاً، وقد أفردها في كتاب واحد ووعد بإخراجه[3]، فرحم الله الشيخ محمداً، فإنه بحر في علمه، جبل في تصديه للملمات، بعيد الغور في حلمه ونظره البعيد للأمر، ورعاً في أعماله وفتاواه، حريصاً على سد الذرائع؛ خوفاً من انفتاح باب الفتن، وولوج أصحاب الأهواء، ذا صفات عديدة.

---

(١) انظر كتابه: علماء نجد: ١/ ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٩ ـ ١٨٠).

(٣) انظر: تاريخ من لا ينساه التاريخ، ص(٥١ ـ ٥٢).

ينطبق عليه قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا ولد يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شخص ... يموت بموته خلق كثير

ويذكر محمد القاضي: أنه صُلّي عليه صلاة الغائب في عموم المملكة، ومنها الحرم المكي، والمدني، وخلَّف مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات[1].

وعندي أنّ أصحّ من حدد عمره بالعام والشهر واليوم هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ؛ لأن ولادته رَحِمَهُ اللَّهُ تعينت في (١٧) محرّم (١٣١١هـ)، ووفاته في (٢٤) رمضان (١٣٨٩هـ).

الخاتمة:

في هذه العجالة من سيرة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، لا أدعي أنني وفيته حقه، وإنما ألممت بيسير من أخبار حياته، اقتفيتها من المصادر التي وقع عليها نظري.. وقد تراءى لي من الخطوات التي مرَّ بها كل من درس حياة هذا العالم الفذ، أنهم جمعوا بعض أخباره ولم يستقصوها؛ لأن في أذهان من عاصره وعايشه من قضاة وعلماء، وطلاب علم وأصحاب قضايا الشيء الكثير والكثير جدّاً مما يعطي جوانب عديدة في حياة هذا الرجل.. ولذا فإنه في حاجة إلى الاهتمام والدراسة، والتحليل لمكانته وما تنطوي عليه نفسه المحبة للخير.

فمحمد بن إبراهيم، العالم والأصولي.

ومحمد بن إبراهيم، المفتي وكبير القضاة.

ومحمد بن إبراهيم، المعلم، ومنهجه في الترغيب في العلم، وفي التعليم.

---

(١) انظر: روضة الناظرين: ٢/ ٣٢١.

ومحمد بن إبراهيم، الأب العطوف على طلاب العلم وعلى القضاة.

ومحمد بن إبراهيم، الداعية الحريص على سد الذرائع.

كل هذه الجوانب وغيرها مما يتعلق بشخصية الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ العلمية، وشجاعته في الحق، وتصديه للبدع؛ خوفاً من انفتاح باب الفتن، يستحق من الباحثين، وخاصة في الدراسات العليا التخصصية، من يهتم به، دراسة وتحليلاً.

فهو واحد من العلماء النابهين، الذين منحهم الله علماً وجاهاً، وذكاء وقوة ذاكرة وإدراكاً لكلِّ جديد في حياة الدولة، التي عاصر مسيرتها في طور البناء والتأسيس حتى رست الدعائم، واستوت قائمة تماشي غيرها، فكان عضداً قوياً لولاة أمرها منذ عهد مؤسسها الأول الملك عبد العزيز، ثم مع أبنائه من بعده مشاركاً بالرأي الحصيف، ومدافعاً عن دين الله بكل مقدرة، ووفياً في العمل والنصح مع ولاة الأمر.

وجدير بعالم كالشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن يحظى بدراسات عنه وعن زهده، وحسن إدارته للأعمال، وقدرته على الوسطية في كل أمر.. وما ذلك على أبناء هذه البلاد بعسير، وهم الذين يدركون الظروف البيئية والمعاشية، والنظرة الاجتماعية للعصر الذي عايشه الشيخ محمد، لتبرز أمامهم بالحجة والبرهان مكانة هذا العالم وبعد نظره للأمور.. خاصة وأن الدارس لأي جانب من الجوانب العلمية والإدارية في حياة الشيخ، يجد آثاراً حية في أذهان تلاميذه، ومن عمل معه من الموظفين والقضاة.. وهذا مما يعين في تجميع المعلومات المعينة على الدراسة، قبل أن تتصرم الآجال ببعضهم، فتذهب معهم المعلومات المطوية في الصدور.

وكان ممن رثاه تلميذه صاحب المعالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين بقصيدة جاء في مقدمتها:

حادث جلل

نعم إنه والله لحادث جلل وخطب عظيم أصيبت به الأمة الإسلامية، في عالمها الفذ وشيخها الوقور، علَّامة الجزيرة العربية ومفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها، المعظم لشعائر الله، والذاب عن شريعته، شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، وكل نفس ذائقة الموت، وسبحان من تفرد بالبقاء والدوام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإني إذ أكتب هذه الكلمة لا أقصد بها المدح والثناء ففقيدنا في غنى عن مثل هذا، ولن أقدر على إيفائه حقه في مثل هذه العجالة، ولكن أريد ذكر بعض خصاله وشمائله الحميدة من أجل القدوة والأسوة، لأنه أحد أولئك الرجال الأفذاذ، والعباقرة الموهوبين والعلماء العاملين، والدعاة المصلحين، وقد عرفته منذ نحو ثلاثين سنة، أستاذاً مربياً ثم رئيساً موجهاً من الرعيل الأول، لطيفاً في موضع اللطف، قوياً في موضع القوة، يضع الأمور في مواضعها ببصيرة وأناة، ومن الصفات البارزة فيه قوة الصبر ومزيد التحمل، والثبات في الأمر، والصرامة بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، تشع من أقواله الحكمة وفصل الخطاب، قضى عمره في تعلم العلم النافع ثم تعليمه والدعوة إليه والحكم به، وقد تخرج من حلقات دروسه أفاضل وعلماء مصلحون ومنهم شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الله بن حميد. . . وعندما انصرف الناس عن التعليم في المساجد سعى في فتح المعاهد والكليات التي جنت البلاد من ثمراتها الخير الكثير، ولقد ذكرني ذلك الحشد الكبير الذي غصت به الأسواق حول جنازته بقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز.

وبفقدنا لهذا الشيخ حصل فراغ لن يملأ بمثله إلا أن يشاء الله، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرحم تلك الروح الطيبة ويجبر مصيبة المسلمين، وأن يصلح عقب الفقيد، ويجعل فيهم الخلف

الصالح، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولقد ذهلت لهول المصيبة، واضطرب مني الفكر، فلم أقل إلا هذه الأبيات، التي لا تفي بالغرض المقصود في رثاء فقيد الأمة والإسلام، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله:

أشمس الكون قد منيت بخسف ... أم البدر المنير علاه غيم
أم الشيخ الجليل قضى لنحْبٍ ... فغيب في الثرى علم وحلم
وليس فراقنا للشيخ سهل ... ولكن الفنا للخلق حتم
فموت الشيخ نقصان ورزء ... يحل بنا وللإسلام ثلم
هو السد المنيع بلا مراءٍ ... شديد الحزم دون الشر ردم
سديد الرأي مقدام رزين ... عميد الدين والطود الأشم
يناضل في سبيل الله دوماً ... وليس يصده عن ذاك لوم
قضى العمر المبارك في دروسٍ ... وحل للمشاكل إذ تهم
هو الشيخ المعلم والمربي ... عزيز النفس صمصام وشهم
يناقش للمشاكل في هدوء ... ويحلم إذ يسيء القول خصم
هو المفتي الموفق لا يجارى ... بصير نابه بحر خضم
تلقاه الرحيم بفيض عفو ... وجنات بها النعمى تتم

راشد بن صالح بن خنين
(١٣٨٩/٩/٢٥هـ)

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[1]

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عثمان القاضي العنيزي

هو العالم الجليل مفتي المملكة السعودية المحقق المدقق الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب من تميم من المشارفة، ولد هذا العالم الجليل بمدينة الرياض في (١٧) من شهر محرّم من سنة (١٣١١هـ) في بيت علم وشرف ودين، ورباه والده العلّامة إبراهيم أحسن تربية، ونشأ نشأة حسنة وقرأ القرآن على مقرئ في الرياض يسمى عبد الرحمٰن بن مفيريج، فحفظ القرآن نظراً وهو في العاشرة، وحفظ مبادئ العلوم وهو يافع، وفقد بصره وهو في السادسة عشرة، فأخذ يحفظه غيباً شيئاً فشيئاً حتى أكمله، وصار يدارس والده القرآن ويحفظ المتون العلمية من فقه وفرائض وحديث وتوحيد على أبيه وعمه وكان أبوه قاضياً لمدينة الرياض ولازم علماء الرياض ليله ونهاره، ومن أبرز من لازمه الفقيه المحدّث الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس والشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود، لازم سعد بالفقه وأصوله والحديث ومصطلحه والفرائض، ولازم حمد في علوم العربية كلها، وابن جلعود في الفقه والفرائض وحسابها، ولازم أباه وعمه عبد الله بن عبد اللطيف بأصول الدين وفروعه وبالحديث والتفسير، وأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى نبغ في فنون عديدة، وكان لا يحس بالملل في المطالعة والقراءة، ولا يسأم، وكان مفرط الذكاء قوي الحفظ سريع الفهم وكان المشائخ معجبين بفرط ذكائه ونبله ويقولون: سيكون لهذا الفتى شأن.

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين: ٢/٣١٦ ـ ٣٢٢.

ولما توفي أبوه عام (١٣٢٩هـ) وصَّى به عمه عبد الله وكان يحثه على المثابرة في طلب العلم، ولما مرض عمه عبد الله وزاره الملك عام (١٣٣٩هـ) قال: إن ابن أخي قد تضلع في العلم وأخذ نصيباً وافراً منه ولديه مؤهلات تؤهله لما يوكل إليه فاستمسك بغرزه. وتوفي عمه، فعينه الملك خلفاً له في الفتيا والتدريس والإمامة والخطابة في الجامع الكبير، وفي مسجد عمه في حي دخنة الصلوات الخمس، ويجلس للطلبة فيه في مختلف الفنون.

وفي سنة (١٣٤٥هـ) انتدبه الملك ناصحاً ومرشداً لأهل (الغطْغط) لما رأى تشديداً منهم بالدين وتكفيراً وغلوّاً ينافي الشرع، فأخذ يناصح الإخوان المشددين ويسايسهم بحكمة ويبين لهم أحكام الشرع وما يجب عليهم من طاعة ولاة الأمور فنفع الله به وأقام عندهم ستة شهور، ورجع إلى الرياض فوالى نشاطه التعليمي، فبعد صلاة الفجر إلى الضحى، وبعد الظهر ساعة وبعد العصر وبعد المغرب مثلها، والتف إلى حلقته طلبة لا حصر لعددهم ووفد الطلبة إليه من كل صوب، وظل في تدريسه حوالي نصف قرن ولم تصدَّه الأعمالُ الموكولة إليه عن نفع الخلق في التعليم وتخرج عليه علماء عاملون نفع الله بهم ما بين أساتذة ومدرسين وقضاة عادلين في الأصول والفروع والحديث والتوحيد والتفسير، وصار مسجده نادياً من أندية العلم. وكان حسن التعليم يرتب الطلبة كل طبقة لما يشاكلها: فالمبتدئون يجمعهم على المختصرات، والمتوسطون والمنتهون على المطولات، وكان واسع الاطلاع في الأصول والفروع والحديث وعلوم العربية وصار له نشاط في الإفتاء والإرشاد والنصائح والتعليم منقطع النظير.

وله مقالات في الصحف وتنشر في الإذاعة مفيدة، وقد أملى رسائل عديدة وفتاوى تبلغ مجلدات ضخمة، وها هو ابن القاسم الآن يجمعها ويرتبها وسوف تطبع إن شاء الله وهي محفوظة بملفات دار الإفتاء فيما بلغني، ويقرض الشعر فقد رثى عمه عبد الله لما مات بقصيدة طويلة مطلعها:

على الشيخ عبد الله بدر المحافل نريق كصوب الغاديات الهواطل

أما أعماله ففي عام (١٣٣٩هـ) لما توفي عمه عبد الله خلفه عَلَى أعماله ومنها إمامة مسجده بدِخنة والخطابة في الجامع الكبير وصلاة الجمعة والتدريس مكان عمه إلى قُبيل وفاته.

وفي عام (١٣٧٤هـ) أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية ورئاسة المعاهد فتعين رئيساً لها.

وفي عام (١٣٧٦هـ) أنشئت رئاسة القضاء فصار رئيساً للمناطق كلها إلا الحجاز، وفي عام (١٣٧٨هـ) ضُمت إليه الحجاز وذلك بعد وفاة ابن عمه الشيخ عبد الله بن حسن فصار رئيس القضاة في المملكة ومفتيها وله مآثر حسنة.

فمنها في عام (١٣٧٠هـ) أشار على الملك، لما رأى عدم إقبال الشباب على العلم وانشغالهم في ما يؤمّن معايشهم لغلاء المعيشة. أشار بافتتاح معهد علمي في الرياض وتخصيص مكافأة سخية للطلبة، ثم افتُتِح فروع له كثيرة تحت إشرافه.

وفي عام (١٣٧٤هـ) افتتحت كلية اللغة العربية بالرياض، ثم كلية الشريعة وصار رئيساً لهما وللجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي تأسست عام (١٣٨١هـ). ورئيساً لدور الأيتام، ومشرفاً على رئاسة تعليم البنات، والمعهد العالي للقضاء، وللمجلس الأعلى للرابطة، وللمكتبة السعودية المجاورة لمسجده، ومشرفاً على ترشيح الأئمة والمؤذنين والوعاظ والمرشدين.

وبالجملة فهو كهفٌ مَنيع، قد سدَّ في حياته ثغراً واسعاً، ولم ينفتح ذلك الثغر حتى فقدته المملكة، أحوج ما كانت لمثله، نفوذاً وصراحة وأمراً ونهياً وتحسيناً للحسنى وتقبيحاً للقبيح، ولكن يا للأسف الشديد في واقعنا اليوم فقد عُلق الحبل على الغارب ولن يُصلح هذه الأمة إلا ما صلح عليه سلفها الماضون المهتدون.

وفي الصحيح «**ما يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم**». والعبد لا ييئس، فرُبَّ فرج بعد اليأس.

وأما تلامذته فلا يحصرهم العَد، ومن أبرز مَن تخرَّج عليه، العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، وعبد الملك بن إبراهيم، وسليمان بن عبيد آل سلمى، وعبد الله اليوسف الوابل، وعبد الله السليمان المسعري، وعبد العزيز بن رشيد، وشيخنا عبد الله بن عقيل العضو بمجلس القضاء الأعلى، وعبد العزيز بن عبد الله بن حسن وزير المعارف سابقاً وإمام وخطيب الحرم المكي في المواسم، وعُيّن رئيساً للهيئات للحسبة برتبة وزير بموجب مرسوم بتاريخ (٥) رجب عام (١٣٩٦هـ) بعد وفاة عمه عمر بن حسن وإعفاء الشيخ عبد الملك من رئاسة الهيئة بالحجاز ثم أُعفي عبد العزيز.

وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ إمام جامع ابن شلوان، وعبد الرحمٰن بن فارس أحد قضاة الرياض، وإبراهيم بن سليمان آل مبارك قاضي حريملاء والرياض، وعبد الله بن عمر بن دهيش رئيس محكمة مكة سابقاً، وعبد الرحمن بن سعد صهر الشيخ وأحد قضاة الرياض ومحمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق، وعبد العزيز بن عجلان، ومحمد بن مهيزع قاضي الرياض، ومحمد بن مسلم بن عثيمين، وعبد الرحمٰن بن فريّان، وراشد بن خنين الرئيس العام لتعليم البنات، وسعود بن رشود قاضي الرياض، وعبد الله المطلق الفهيد، ومحمد بن هليل، وابناه: إبراهيم بن محمد، وعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، وناصر الحناكي قاضي الخاصرة، وسعد بن غرير، وسعد بن محمد بن فيصل المبارك، وعبد الله بن بكر، ومحمد الصالح السحيباني قاضي البدائع، وزيد بن فيَّاض، ومحمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم القحطاني، وفالح بن مهدي، وعبد العزيز بن شلهوب.

وصالح الجارد من الرس، وعبد الرحمٰن بن عتيق، وعبد الله بن

عبد العزيز الراجحي، وعبد العزيز السحيباني، وأحمد بن حميد من أهالي الزلفي، وعلي بن فايز الدغيري، وعبد الله العبد العزيز الخضيري في آخرين لا يحصرهم العد، وكان ابتداء تدريسه من عام سبع وثلاثين، وكان واسع الاطلاع في فنون عديدة مقلداً لمذهب الإمام أحمد لا يخرج عنه.

وأما أوصافه فهو: ربعة من الرجال، متوسط الشعر، حنطي اللون، قليل الكلام، ذو هيبة ووقار، أعمى البصر، فاتح القلب، ذو مكانة مرموقة عند الملك وعند الناس، قام برحلة إلى مصر والشام، واتصل بعلمائها وكانت رحلته ممثلاً للعلماء في المملكة، ومرض فأشار عليه الأطباء بالسفر للعلاج فسافر إلى مصر فلم يتماثل للشفاء، فواصل سفره إلى لندن، وتعالج فيها ولم يقدر له الشفاء، فعاد إلى الرياض بدون فائدة تذكر، فاستمر به المرض مدة طويلة فتارة تتحسن صحته وتارة تنحرف وصار الطبيب دائماً يلازمه، واشتدت عليه وطأة المرض في دخول شهر رمضان، وانحرفت صحته ووافاه أجله المحتوم مأسوفاً على فقده في ظهر يوم الأربعاء (٢٤) رمضان عام (١٣٨٩هـ)، وله من العمر (٧٨) سنة وثمانية شهور، وانصدع الناس لفقده وخرج أهل الرياض في جنازته وعلى رأسهم جلالة الملك وأصحاب السمو والأمراء ومعالي الوزراء وأهل العلم، وصلّى عليه الشيخ ابن باز في الجامع الكبير وصلاة الغائب في عموم المملكة ومنها الحرم المكي والمدني. وخلف مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات كما خلف أبناءه الأربعة عبد العزيز وإبراهيم وأحمد وعبد الله، وكلهم من فحول العلماء والأدباء.

ورثاه ثلة من العلماء والأدباء والشعراء، ومن بينهم عبد الله بن إدريس بقصيدة رنانة مطلعها:

ما عاش إلا للعلوم وشرعة الإنصاف وقضى الحياة مكرم الأوصاف

كما رثاه الدكتور محمد كامل الفقي المدرس بكلية اللغة العربية:

دَهى الجزيرة خَطْبٌ ليس يحتمل فلَتنْفَطرْ مُهَجٌ ولتنهَمر مُقَلُ

كما رثاه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ومطلعها:

أمات الشيخ هل ذهب الإمام وطار به إلى الخلد الغمام

كما رثاه ابن هليل بقصيدة دالية قوية، ورثاه ابنه عبد العزيز بقصيدة عصماء مطلعها:

خَطْبٌ دَهَى فبكى له العلماء وبكت لهول مُصابِه العقلاء

ورثاه نجله الثاني إبراهيم بقصيدة مطلعها:

مصاب كبير وجُرحٌ أليم وَرُزْءٌ عظيم وخطب جسيم

كما رثاه معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله نثراً قوياً نشرته مجلة الدعوة بالرياض.

وبالجملة فهو فقيد كبير خسرته المملكة أحوج ما كانت إليه، فلقد كان من الهداة المهتدين بمميزات ليست موجودة في غيره، فلقد أوتي حنكة وحكمة وفراسة لا تخطئ، مع رجاحة في العقل وحزم في كلِّ شؤونه.

فرحمه الله برحمته الواسعة.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[1]

بقلم الأستاذ الأديب محمد المجذوب ـ رحمه الله ـ

شاء الله لحكمة يعلمها أن يقترن اسم الدولة السعودية منذ نشأتها الأولى باسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فعلى التعاون التام بين مؤسسها الأول الإمام محمد بن سعود، وبين إمام الدعوة المجددة لمسيرة الإسلام المصفَّى نهضت، وقد استمر هذا التعاون على أتمه بين أبناء المؤسسيْنِ وأحفادهما حتى أيامنا هذه، وسيظل هو المرتكز الذي يقوم عليه بناء هذه المملكة إن شاء الله، ما استمرت الغاية الواحدة هي الجامعة بين آل سعود وآل الشيخ، تلك الغاية المتمثلة في الهدف الواحد الذي هو إعلاء كلمة الله، وترسيخ قواعد التوحيد على الأسس التي أنزلها الله على قلب محمد رسوله المبعوث رحمة للعالمين ـ ﷺ ـ.

ولقد ظل آل الشيخ المجدد يتوارثون مهمته في تحقيق هذا التعاون البار وراء الهدف نفسه، إذ كان منهم حملة علمه ينشرونه على نطاق المملكة وفي أنحاء العالم الإسلامي، عن طريق مؤلفاتهم وتلاميذهم الذين لا يفتئون ينتشرون في كل مكان، ولئن وقف تنامي المشتغلين بعلوم الشريعة من هذه الذرية المباركة في هذه الأيام، بسبب انصراف الكثيرين من شبابها إلى العلوم العصرية، فإن في أولئك التلاميذ الحاملين علوم ذلك البيت لضماناً أكيداً ـ بفضل الله ـ لاستمرار مهمته في خدمة الإسلام، وفي إعلان حقائقه المجردة عن كل ما لصق بها خلال القرون،

(١) علماء ومفكرون عرفتهم: ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٥٤.

من تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ولا خلاف على أن مترجمنا الكريم هو الذي انتهت إليه راية هذه الدعوة أمانةً عن أسلافه المتلاحقين على حملها من أبناء الشيخ في عهدها المعاصر، وأنه لم يفارق هذه الدنيا إلا بعد أن أدى مهمته كاملة في نشر النور الذي أضاء بصيرته، فهيأ به جيلاً من كبار علماء الإسلام في هذه المملكة وما وراءها من الربوع، التي تتلقى أمانة العلم عن طريق هذه المملكة.

إنه الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الإمام مجدد القرن الثاني عشر الهجري محمد بن عبد الوهاب، فهو رابع أحفاد ذلك الشيخ الذي كان ظهوره في عالم الدعوة صدمة مزلزلة للجاحدين والخرافيين، ونعمة أبهجت قلوب المعتصمين بحبل الله المتمسكين بكتابه المبين وسنّة رسوله الأمين..

ولد في مدينة الرياض في اليوم السابع عشر من شهر المحرم عام أحد عشر وثلاثمئة وألف من الهجرة، وكان منشؤه في تلك الأسرة باعثاً على سلوكه منهجها في التربية والأخلاق ومحبة العلم، وقد بدأ تعلمه بكتاب الله؛ فبعد أن أتم قراءته وأتقن تلاوته، شرع في استظهاره، فما أن استتم الحادية عشرة من عمره حتى كان قد أتم حفظه.

ومن ثم أخذ سبيله في طلب العلم على والده قاضي العاصمة، وعلى عمه علامة نجد في زمنه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، فدرس التوحيد وأصول العقيدة، ثم أقبل على مختصرات كتب جده المجدد وأضاف إليها دراسة مختصرات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وتبحر في النحو والفرائض.

وقدر الله أن يصاب مترجمنا، كالكثيرين من فضلاء نجد، في بصره وهو في الرابعة عشرة، إذ ذهب الجدري ـ الذي كان على أشده في تلك

الأيام ـ بنور عينيه ولما يتجاوز الرابعة عشرة، فتحول النور إلى بصيرته وضاعف من نشاطه في الدرس والمثابرة على الطلب، فعلاوة على ما يحصله من شيوخ أسرته أقبل على الاغتراف من علماء بلده، فقرأ التفسير والحديث وأصولها، إلى علوم العربية والمطولات من كتب الفرائض. . . وهكذا أدرك من العلم في الزمن القصير ما لم يدركه الكبار في الزمن الطويل، وبذلك صار من أحب تلاميذ عمه العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأحقهم بتقديره، حتى إنه عندما أحس عمه ثقل المرض عليه لفت نظر جلالة الملك عبد العزيز إليه، وأثنى لديه على علمه وبُعد نظره وحسن إدراكه، فلما توفي عمه أُسندت إليه مهامه من التدريس والإفتاء والإمامة والخطابة، والتف حوله الطلاب يقرؤون عليه ويفيدون من علمه. .

وقدر الملك عبد العزيز مواهبه فاتخذه مستشاراً شرعياً في تولية القضاة وإبداء الرأي في الأمور الشرعية.

وعلى دأب الشيوخ من أسرة آل الشيخ، وعلى طريقة العلماء في نجد أنئذٍ كان على صاحب الترجمة أن يقف حياته على التوجيه والإصلاح إلى جانب الدروس العامة التي لم ينقطع عنها حتى آخر حياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويفهم من كلام مترجمه ـ الشيخ عبد الله البسّام ـ أنه قد كان للشيخ جولات وصولات في معالجة غلاة البادية، الذين طالما عرقلوا إصلاحات الملك عبد العزيز، فلم يزل بهم حتى دحض شبهاتهم وأبطل مدعياتهم، وأوضح لهم سبيل الحق والرشاد بإقامة الحجة القاطعة. . .

في ميدان التعليم:

وأما في ميدان التعليم فقد كان الشيخ تغمده الله برحماته مثالاً حيّاً لعلماء السلف الذين يقدرون أمانة العلم، فلا يدخرون وسعاً في بثه

لمختلف طبقات الناس على وفق حاجاتهم واستعدادهم ومستوياتهم.

كان يجلس للطلبة في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بحي دخنة عقيب صلاة الفجر من كل يوم، فيبدأ بصغارهم يعلمهم مبادئ النحو، فإذا ما فرغ من هؤلاء انصرفوا للمراجعة ليستقبل الفئة الوسطى، فإذا ما فرغ منهم أقبل عليه كبار الطلبة ليدرسوا عليه الألفية.

ثم ينتقل إلى الفقه فالحديث.. كشأنه في دروس النحو، حيث يتدرج مع كل فريق من الطلبة وفق مستواه، وهم ما بين صادر ووارد كلما انتهت حصة تلتها أخرى.

وبعد راحة قصيرة في منزله يعود إلى مجلسه ليستأنف عمله في تعليم كبار الطلاب في أمهات المراجع، ويعقب ذلك فترة استراحة أخرى في بيته إلى صلاة الظهر، فإذا ما قُضيت الصلاة عاد إلى مجلسه وقد تحلق حوله الطلبة من الكبار والصغار، ليشاركوا في درس عام بأحد كتب الحديث الستة، فإذا ما فرغ من هذه النوبة بدأ أخرى في كتب العقيدة، من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرها، حتى تحين صلاة العصر، فإذا ما قضيت عاد إلى جلسته ليستقبل أفواج الطلاب، فيحاورهم في مختلف العلوم إلى صلاة المغرب، وبعد الصلاة يأخذ في علم الفرائض لأهلها، ثم يعقب ذلك بدرس عام في التفسير يستمر حتى صلاة العشاء.

ولقد تعمدنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الصورة من عمل الشيخ العلامة الراحل خلال يوم واحد، هو النموذج لسائر أيامه في خدمة العلم لا يكاد ينقطع عنها إلا لعارض من مرض ونحوه، وقد نقلنا هذه الصورة من كتاب «علماء نجد» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسّام لنذكر القارئ بذلك الطراز الفريد من بقايا سلفنا الصالح، الذين ملؤوا الدنيا علماً وإخلاصاً للعلم، حتى كان الواحد منهم إحدى معجزات الإسلام

في نشر الخير والحق، لا يجد راحةً لنفسه إلا بالدأب في أداء الواجب.. ولا شك أن من المحزن كل الإحزان أن نشهد هذه البقية العزيزة تتوارى عن الأبصار في ديار الإسلام واحداً تلو الآخر، ثم لا نجد ما يعوضنا عنها في كلٍّ من تخرجهم المدارس والجامعات على كثرتها وتكاثرها!.

وقد ذكر الشيخ البسّام من تلاميذ الفقيد ثلاثة وثلاثين من كبار علماء المملكة، بينهم العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والفقيد الراحل الشيخ عبد الله بن حميد، وكلهم من مشهوري العلماء العاملين في هذه الديار ولكلٍّ منهم أثره الواسع في نشر العلم والدعوة إلى الله، وفيهم من سارت فتاواه مسير الشمس في عالم الإسلام.

مع التطور الكبير:

وقد شغل الفقيد العديد من أهم الأعمال إلى جانب خدمته للعلم على ذلك النحو المدهش.

فمن أبرز أعماله ـ إلى جانب التعليم والإرشاد ـ رئاسة القضاء في نجد كلها، ولما شكلت المحاكم الشرعية في نجد والمنطقة الشرقية كان المشرف عليها وعلى أعمالها، عندما وحدت المحاكم أُسندت إليه رئاسة القضاة على مستوى المملكة، فإليه يرجع الأمر في تنظيم المحاكم وتعيين القضاة.

وكان من أثر التطور العام في المملكة أن تغيرت طريقة التعليم المسجدية، إذ ناب عنها نظام المعاهد الذي اعتُمد لتخريج العلماء في الشريعة والعربية، فانتشرت المعاهد العلمية في كل مدينة وقرية، ثم تلا ذلك إنشاء كليتين للشريعة واللغة، وكان المترجم هو الرئيس العام لكل هذه المؤسسات، يشرف عليها وينظم أمورها الإدارية والدراسية. كذلك أنيطت به رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها

تأييداً للدعوة التي أطلقها المغفور له الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي.

ولم يكن بد من سريان النهضة التعليمية إلى أوساط الإناث، فكان على العلّامة الفقيد أن ينهض بعبء هذه المسؤولية في وجه التقاليد التي حاولت بكل طاقاتها عرقلة هذه المسيرة، ولكن منزلة الشيخ في نظر الجماهير، وثقتهم بحكمته ودينه، قد مهدت السبل لقبول هذا التطور، وكان ذلك خيراً للحركة الجديدة، إذ قامت منذ يومها الأول عى أساس الدين وفي كنف آدابه وفضائله.

ثم جاءت الخطوة الجبارة المباركة بإنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة لاستقبال طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فكان هو رئيسها المشرف على تأسيسها والمتولي رئاستها العليا، منيباً عنه تلميذه العالم الثقة الشيخ عبد العزيز بن باز في إدارتها المباشرة.

وأعقب ذلك دار الإفتاء التي لم يكن عنها مندوحة في دولة تحكمها شريعة الله، فتتطلب التعمق في فقه الكتاب والسنّة لمقابلة النوازل الطارئة بالحلول الصحيحة. وقد أحسن تنظيمها على أفضل الأسس وحشد لها جمهرة من خيرة أهل العلم، تدرس الوقائع وتستنبط لها الأحكام من مصادرها النقية البيضاء. وهكذا حقّقت وتحقق هذه الدار مهمة الاجتهاد الجماعي الذي يدعو إليه مفكرو العصر، وكان لها الفضل الكبير في ترسيخ النظم الإسلامية في نطاق التعامل والتعليم وسائر جوانب الحياة الاجتماعية، ودعمت ذلك كله بإشاعة العلوم الدينية على مستوى الجماهير، وذلك بنشر المؤلفات النافعة وتوزيعها بالمجان على الخاص والعام داخل المملكة وخارجها.

ولا جرم أنّ لهذه الجهود المبرورة أثرها المحسوس في امتياز المملكة السعودية على سائر بلاد العالم من حيث انتظام الحياة واستتاب

الأمن الذي أصبحت بهما مضرب الأمثال في كل مكان.

آثاره المكتوبة:

وطبيعي أنّ ضخامة هذه الأعباء التي شغلت معظم حياة الشيخ على امتداد سنيه الثماني والسبعين ليس من شأنها أن تدع له متسعاً للتأليف، فقل إنتاجه في هذا الميدان، ولكنه غرس في صدور تلاميذه ثم تلاميذهم ما يجعل من كل منهم كتاباً ناطقاً بفضله وآثاره.. على أنّ في فتاواه الكثيرة ما يملأ المجلدات ولا يزال أهل العلم ينتظرون جمعها ونشرها منذ صدر التوجيه بذلك من قبل الملك فيصل بن عبد العزيز غفر الله له وطيب الله ثراه.

وإني لأكتب هذه الصفحات وقد انطوى على فراقه الدنيا خمسة عشر عاماً ولا يزال ذكره حيّاً على ألسنة عارفيه والقابسين من علمه وفضله، وكذلك شأن المخلصين من عباد الله الناشرين لنوره، يهيِّئ لهم ألسنة صدق تدعو لهم وتجدد ذكراهم وتخلد مآثرهم.

ولا أدلّ على منزلة هذا الإمام في قلوب السواد الأعظم، وبخاصة في هذه البلاد، من تلك الحشود الضخمة التي زحفت لتشييعه إلى مثواه الأخير، وقد جمعت أصناف الخلق من قادة المملكة وعلمائها وجماهيرها، الذين أجمعوا على تقديره والحزن العميق لفراقه.

ولقد شاء الله أن يحال بيني وبين تلك المناسبة، فلم يقدر لي المشاركة في حضور تلك الجنازة، ولكن ذلك لم يمنعني من الإعراب عن شعوري بإزاء هذه النازلة فأبرقت يومئذ إلى أعضاء أسرة الفقيد بالأبيات التالية:

لله عمرُ إمام قد تصرَّم في ... نصر الحقيقة وفق المنهج السلفي
مضى حميداً وقد وفَّى أمانته ... وحسب ذي العلم فضلاً أن يقال وفي
فليكرم الله مثواه، ونسأله ... خير العزاء لمن أبقى من الخلف

ولقد حفلت صحف المملكة ومجلاتها بخبر وفاته، وخصصت بعضها أعداداً للتنويه بأعماله ومناقبه ولعلّ أجمع ما كتب عنه حتى اليوم تلك الصفحات العشر التي وقفها على أخباره صاحب كتاب «علماء نجد» في جزئه الأول، ومنها اقتبسنا أكثر المعلومات عن حياة الفقيد مع بعض التصرف.

ذكريات لا تنسى:

وأقف الآن قليلاً لأستعيد ذكرى معرفتي بتلك الشخصية الجليلة.

لقد لبثت طويلاً أتشوف للاجتماع بوارث علوم آل الشيخ مجدد القرن الثاني عشر، الذي أول ما عرفته عن طريق مجلة المنار، تلك التي كانت المعرض الجامع لحركة الإصلاح، التي أحدثها في عالم الإسلام الثلاثة السابقون إلى بعث النهضة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغاني وتلميذه الأول محمد عبده، ورفيق جهاده السيد رشيد رضا ـ رحمهم الله أجمعين وأجزل أجرهم كفاء ما أيقظوا من النيام ـ، وأثاروا من الهمم لاستعادة الوعي الذي فقده سواد المسلمين، وإن أنكر المنكرون وتجاهل المتجاهلون وتقوَّل المتقولون.

ولما أسعدني الله بالهجرة إلى جوار نبيّه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ والتحقت بالجامعة الإسلامية متعاقداً للتدريس فيها انتهزت أول فرصة للقاء المترجم، وكان ذلك في مكة المكرمة، وكنا إذ ذاك عدداً من مدرسي الجامعة السوريين، فقدمنا أنفسنا إليه وأحاطنا برعايته واهتمامه، إذ جعل يسألنا عن شؤون الجامعة ومسيرة التدريس فيها وأحوال طلابها الوافدين إليها من أنحاء العالم الإسلامي.

وكان الحديث ممتعاً تناولنا خلاله مختلف القضايا من علمية واجتماعية، واستمعنا إلى الشيخ يفيض بالعميق من الأفكار العالية والملاحظات السديدة، ولم نغادر ذلك المجلس إلّا وقد امتلأت جوانحنا إعجاباً وتقديراً وتوقيراً.

ثم جاءت الفرصة الثانية في الطائف، حيث حضرت مجلسه مع فضيلة الزميل - يومئذٍ - والقاضي - اليوم - الشيخ عطية محمد سالم.. وكان البحث آنئذٍ حول الأقاويل التي تطلقها الصحف عن حركات الفلك والتطلع إلى غزو القمر، وما يتعلق بذلك من الكلام عن الأرض وتكوينها وموضعها من الحركة والسكون.

وقد بدا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على وعي كبير لما يثور في العالم المعاصر من أفكار وآراء، وكشأن علمائنا الملتزمين بآراء المتقدمين من علماء السلف، جعل يفصل ما يعلم عن شأن الأرض ويقدم أدلتهم على سكونها.

وقد سرّني ما وجدته يوم ذاك من اتساع صدر الشيخ للآراء المخالفة، فعرضت موقف أصحابها من أدلة الأقدمين والأدلة المضادة لها وأهم مستنداتهم في هذا الخلاف.. ثم افترقنا وقد ازددت حباً للشيخ وتقديراً لعلمه وبلغت انطباعاتي أشدّها عن ذلك الوقار المهيب الذي يغمر مجلسه وحديثه حتى الذي تخالفه فيه.

وهكذا تكررت زياراتي لفضيلته في الرياض بعد ذلك، إذ كنت أجد في زيارته متعة روحية تشدّني بقوّة إلى رؤيته وإلى حديثه.

فرحمة الله على ذلك الفقيد الذي كان نعم المعلم والواعظ والمرشد والمصلح، ونعم القدوة في الفضل، والوارث لمناقب السلف، الذين وقفوا حياتهم على الالتزام بالحق، الذين يؤمنون به فلا يحيدون عنه ولا تأخذهم فيه لومة لائم.

فقهاء معاصرون

الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

بقلم العلّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحلبي
ـ رحمه الله ـ

لما تلقيت الرغبة في أن أكتب كلمات تحت هذا العنوان، لتنشر في العدد الخاص من مجلة «دارة الملك عبد العزيز» عن «مؤتمر الفقه الإسلامي»، فكّرت في اختيار من يَحسُنُ بي أن أكتب عنهم بهذه المناسبة، التي نشأت من انعقاد «مؤتمر الفقه الإسلامي العالمي» في مدينة الرياض في أول ذي القعدة من عام (١٣٩٦هـ)، الذي دُعي إليه الفقهاء والعلماء من مختلف الأصقاع، واشترك فيه العالِمُ المغربي والمشرقي... جنباً إلى جنب، وتبارت فيه هِمَمُ المؤتمرين لإبداء مزايا هذا الفقه الإسلامي العظيم، المستخرج من نصوص الشريعة الإسلامية الغراء.

فرأيت أن يكون الحديث عن خمسة من فقهاء هذا القرن، من أقطار مختلفة، أحدهم من الشام، والثاني من مصر، والثالث من المَغْرِب الأقصى، والرابع من الهند، والخامس من جزيرة العرب، لتكون مشابهة بين المناسبة وسببها.

وهم بحسب تقدُّم سِنِيْ وفَيَاتهم: العلامة محمد أنور شاه الكشميري الهندي الحنفي، المولود سنة (١٢٩٢هـ)، والمتوفى سنة (١٣٥٢هـ)،

---

(١) نشرت في مجلة دارة الملك عبد العزيز سنة (١٣٩٦هـ). ثم أدرج المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ هذه الترجمة في كتابه «ست من كبار فقهاء العالم الإسلامي». وأضاف إلى الترجمة بعض الزيادات.

والعلامة أحمد بن محمد الزرقا الحلبي الحنفي، المولود سنة (١٢٨٥هـ)، والمتوفى سنة (١٣٥٧هـ)، والعلامة أحمد إبراهيم المصري الحنفي، المولود سنة (١٢٩١هـ)، والمتوفى سنة (١٣٦٤هـ)، والعلامة محمد بن الحسن الحجوي المغربي المالكي، المولود سنة (١٢٩١هـ)، والمتوفى سنة (١٣٧٦هـ)، والعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ النجدي الحنبلي، المولود سنة (١٣١١هـ)، والمتوفى سنة (١٣٨٩هـ) ـ رحمهم الله تعالى وأجزل لهم المثوبة والرضوان ـ.

تقدمة:

لقد حظي القرن الرابع عشر الذي نحن فيه، بطبقات غير قليلة من الفقهاء اللامعين، ذوي العلم والبصارة، والمعرفة المستنيرة، والذهن المتقد الواسع اللمّاح، وكانوا بحكمة الله تعالى موزَّعين في أرجاء المعمورة كالنجوم المنثورة، يُشعُّون بفقههم وبارق أذهانهم على ربوع الإسلام، وينشرون فيها العلم والدين والهدى والرشاد.

وبحمدِ الله تعالى ما كان يخلو قطر من الأقطار الإسلامية من فقيه أو فقهاء من هؤلاء العلماء البارزين، تتعاقب طبقاتهم، وتتلاحق أفواجُهم، ويتلو الخالِفُ منهم السالف، متناوبين في حمل هذا الدين، أُمناءَ عليه، حريصين على إقامته في الأرض، محافظين على سلامته من عَبَث العابثين وكيد الكائدين، يُظهرون محاسنه، وينشرون حقائقه، ويقدمونه ميسّراً لكل متفقه ومسترشد بهذا الإسلام العظيم.

وهؤلاء الفقهاء المنثورون في أقطار الإسلام، يَبْدُون لمن يُحصيهم كثرةً، ولكنهم يعتبرون قلةً بالنظر إلى اتساع العالم الإسلامي عدداً وبِقاعاً وحاجةً إلى العلماء والفقهاء، في هذا العصر الذي تلاحقت فيه الوقائع الجديدة، وتنوعت فيه جوانب الحياة، وتلوَّنت فيه التصرفات والأعمال، واتصل فيه الشرق بالغرب، وتشابكت فيه المصالح والمفاسد، واشتدت الحاجة إلى معرفة المشروع من المحظور، ليكون الناس على بصيرة من دينهم في شؤون دنياهم.

وقد كان لكثير من هؤلاء الفقهاء اجتهادات وبحوث فيما جَدَّ من الوقائع، أحرزوا في بعضها أجرين، وفي بعضها أجراً واحداً، شأنَ كل مجتهد في حكم شرعي لم يُنَصَّ عليه من صاحب الشرع.

والفقهاء الذين خصصتهم بالحديث عنهم في هذه المقالة، سأتحدث عنهم من جوانب نشأتهم التعليمية، وحياتهم الفقهية، وآثارهم العلمية، ومآثرهم في المجتمع الإسلامي، وقد يكون لبعضهم آراء في غير الفقه تبعد عن الجادَّة، لا أتعرض لها هنا نقداً أو بياناً، حِفاظاً على وحدة الموضوع وقَصْرِه على الجانب الفقهي من حياة ذلك العالم الفقيه، وأستلهم الله تعالى السدادَ والرشادَ في القول والعمل.

هذا، وكان من المقرر أن تُنشَر تراجم هؤلاء الفقهاء الخمسة، في العدد الخاص عن «مؤتمر الفقه الإسلامي» المشار إليه، ولكن لطول تراجمهم عندي، وضيق الصفحات المخصصة لهذا الموضوع في العدد المذكور، اقتضى الأمرُ نَشْر تراجمهم تِباعاً في أعداد مجلة (الدارة) الزاهرة، فرأيتُ أن يُبدأ بأحدثهم عهداً، وأقربهم بلداً، فيكون الأوَّل منهم من جزيرة العرب، وهو:

١ ـ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ
علّامة الديار السعودية ومفتيها

لمحة عن نشأته وحياته[1]:

هو سَلِيلُ العلماء الأكابر، ومن بيت العلم المعروف، العلامة

---

(١) استقيت هذه الترجمة مما كتبه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه: مشاهير علماء نجد، وما كتبه الشيخ إبراهيم بن عبد الله آل الشيخ، وما كتبه غيره في العدد الخاص من جريدة «الدعوة» ذي الرقم (٢٣١) في (١٣/ ١٠/ ١٣٨٩هـ)، ومما سمعته من سماحة الشيخ عبد العزيز نجل الشيخ محمد بن إبراهيم، ومن معرفتي بالشيخ رحمه الله تعالى.

الحجة، والفقيه المحقق الحنبلي الضليع، الأصولي المتمكن، المحدِّث المفسِّر، المطلع البحاثة، مفيد الطالبين، ومرجع القضاة والمفتين، وشيخ كبار العلماء في الديار السعودية غير منازع، الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولد في مدينة الرياض مهد والده قبله، في (١٧) من المحرم سنة (١٣١١هـ)، ونشأ في بيت عريق بالعلم والفضل، تحت كنف والده العلامة الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف علامة المعقول والمنقول.

وكان والده الشيخ إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ من العلماء المذكورين في هذه الديار، معروفاً بالذكاء والورع والتقوى، عالماً مستفيداً ومعلِّماً مفيداً، وقاضياً مشهوداً له في مدينة الرياض، استقضاه عليها الملك عبد العزيز في سنة (١٣٢١هـ)، واستمر في القضاء إلى آخر حياته، مع القيام بالتدريس ونشر العلم والدعوة إلى الله تعالى.

فنشأ الشيخ محمد في بيئة علمية واعية، وارفة ظلال المعرفة، ولما بلغ الثامنة من العمر، أدخله والده مدرسة تحفيظ القرآن، فتلقى القرآن الكريم نظراً وسماعاً من الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج تلقِّيَ ضبط وإتقان، وأتمه تلاوة وحفظاً وهو في التاسعة من عمره. ولما أصيب بفقد بصره من رمد نزل به وهو في السادسة عشرة من عمره، أعاد قراءة القرآن وتلقيه عن ظهر قلب، حتى أتقنه غيباً وحفظه حفظاً جيداً.

وشرع في قراءة العلم على والده، فقرأ عليه مختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومبادئ النحو، وعلم الفرائض، وكان والده يُتقن هذا العلم إتقاناً تاماً، لمزاولته منصب القضاء في مدينة الرياض، وقرأ على غيره من شيوخ العلم في مدينة الرياض وغيرها، فقرأ النحو على الشيخ حَمَد بن فارس الفقيه النحوي المعروف، وقرأ الفرائض على

الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي الفرضي المشهور، وقرأ الفقه والحديث على العالم العلامة الجليل، والفقيه المحدّث النبيل الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ، وقرأ الفقه أيضاً على العلامة القاضي الشيخ محمد بن محمود، وغيرهم.

كما قرأ على عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، وكان هذان الشيخان من كبار شيوخه، وقد تأثر بهما في العلم والفضل والورع والتقوى والخدمة العامة للمسلمين والدعوة إلى الله تعالى، فلذا رأيت من المناسب الإفاضة في الحديث عنهما من بين شيوخه، لأن الوقوف على شيء من سيرتهما، يكشف جانباً هاماً في اكتمال شخصية الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ فأقول:

قرأ على عمه الشيخ الجليل عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف: «كتاب التوحيد» للشيخ الجد محمد بن عبد الوهاب، ثم كتاب «العقيدة الواسطية» و«الحموية» للشيخ ابن تيمية، كما قرأ عليه الفقه والحديث وعلومه، والتفسير وأصول التفسير وغيرها من العلوم التي كان الشيخ مجلياً فيها.

وكان عمه الشيخ عبد الله إماماً ماهراً في العلم، حلّال مشكلات وكشّاف معضلات، علامة الديار النجدية ومفتيها وفقيهها، مشهوراً برجاحة العقل، وسعة الكرم والفضل، مهيباً وقوراً، مسموع الكلمة، نافذ الأمر والنهي عند الخاصة والعامة وولاة الأمر، حميد السجايا جمَّ المناقب، مقصوداً من الآفاق، يتوافد عليه العلماء وطلاب العلم ووجوه الناس من كل جانب، ينهلون من علمه، ويقتبسون من حصافة عقله، ويتعلمون منه تحقيق المسائل، ويستجلون منه غوامض العويصات.

وكانت داره الواسعة في حي دُخْنَة عامرةً بقراءات كتب الحديث والتفسير والتوحيد والفقه، تزخر بالطلبة والعلماء والمحصِّلين النبهاء،

فتخرج به أفواج كثيرة لا تحصى من كبار ذوي العلم المرموقين، والقضاة النابهين المشهورين، نشروا العلم في ربوع البلاد، ونهضوا بالدعوة إلى الله تعالى بعلم وبصيرة، مستنيرين بهدي هذا الشيخ الجليل وحُنكته، وعلمه وحكمته، فتمكنوا من إزالة الجهالة والانحراف في كل بقعة دخلوها، وفي كل قرية نزلوها، فاستنارت بهم الديار والقلوب، ونفع الله بهم النفع الكثير.

وكان هذا الشيخ إلى جانب ضلاعته في العلم، ومتانته في التحصيل والمعرفة[1]، على سيرة السلف الصالح وسمتهم، صادق اللهجة، غزير الإخلاص، حسن الخلق، كريم التواضع، وفير السخاء والعطف على الفقراء.

وكان هذا الشيخ الجليل فصيحاً بليغاً خطيباً مفوَّهاً، يقوم بخطبة الجمعة في المسجد الجامع بالرياض، وقد آتاه الله القبول في الناس، وأكرمه بحُسن الصوت والقراءة، فكانت خطبه تُبكي السامعين، وتوقظ الغافلين، وتحيي القلوب من مَوَاتها، فانتفع الناس به أيّما نفع، وحاز على محبتهم له وحبات قلوبهم.

وكان الملك عبد العزيز - وهو من هو رجاحة عقل، وبصارة ذهن، ومضاء رأي، وغزارة فهم - يأتي إلى هذا الشيخ المبجّل في داره، ويحضر دروسه، ولا يخرج عن رأيه ومشورته، فكان الشيخ مرجع الخاص والعام في البلاد، وتأثرت بهديه وإرشاده بوادي الأعراب، فأقبلوا على الدين والعبادة وقراءة القرآن، وتعلموا واجبات الإسلام،

---

(١) شُغِلَ هذا الشيخ بنشر الدعوة والإمامة في الأمة وواجباتها عن التأليف في العلم، فما كان له إلا جملة رسائل كتبها في أغراض متعددة، لو جمعت على حدة لبلغت مجلداً، ومنها رسالته النافعة: «الاتباع وحظر الغلو في الدين والابتداع»، وهي منشورة ضمن «الرسائل والمسائل النجدية».

وتخلّوا عما كان متمكناً فيهم من الجهل والبعد عن الدين.

فنشأ الشيخ محمد بن إبراهيم في ساحة هذه الفضائل وعبير هذه الشمائل في بيت عمه، وعَبَّ منها ونهل وتضلّع، مع ما آتاه الله من الاستعداد الفطري والنبوغ الذاتي، وتعلّم من عمه الإمام الكبير بالصحبة والمجالسة، والتدريس والمحادثة في الحضر والسفر: كيف تُبنَى المكارم، وتُنشّأ الأجيال على الخير والعلم والدين.

وأثمرت صحبته لعمه الصحبة الطويلة اثني عشر عاماً: أفضلَ الثمرات في مستقبل حياته، ورفيع مقاصده، في العزم على نشر الدين والعلم والدعوة إلى الله تعالى، وكان عمه يُوليه أتمَّ العناية والرعاية والمَعَزَّة، لما يتفرس فيه من بوارق الإمامة والرجولة والنبوغ، وكان الشيخ العم يحتل من نفس تلميذه وابن أخيه: السويداءَ وحصاة القلب، وَيَلْقَى منه تبادل التقدير والتعظيم والحب، فانطبع التلميذ بالشيخ خير انطباع.

ولما مات الشيخ العم في سنة (١٣٣٩هـ)، عن أربع وسبعين عاماً من العمر، انصدع قلبُ التلميذ البار عليه، وفاضت نفسه بالأسى والألم على فقد هذا الركن الركين الذي كان يأوي إليه، فرثاه بقصيدة لامية باكية طويلة، بلغت خمساً وخمسين بيتاً، عدَّد مناقبه ومآثره، ومحامده ومفاخره، وخلَفَه في إمامة المسجد في حي دُخْنَة، وفي التدريس والفتيا وحل المشكلات وغيرها من المهام الجلى التي كان العم الراحل يملؤها وينهض بها بمواهبه وعلومه وكريم سجاياه.

أما الشيخ الثاني الذي تأثر به الشيخ محمد بن إبراهيم، وتأسّى بسيرته وأخلاقه، ولازمه كل الملازمة، وانتفع به أيضاً علماً وعملاً، وورعاً وزهداً، وغوصاً وتحقيقاً، فهو العلامة المحقق اللامع، المفسّر المحدث المتقن، الفقيه الضليع، النحوي البارع، الشيخ سعد بن عتيق،

المتوفى سنة (١٣٤٩هـ)، فقد كان هذا الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فحلاً من فحول العلم الكبار، متمكناً من جملة علوم من علوم الشريعة، كعلم التوحيد والتفسير والحديث والرجال والمصطلح والفقه والأصول والنحو.

وكان في الحديث الشريف وعلومه من كبار أهله، ولشدة شغفه بالسنّة المطهرة وعلومها، شَدَّ الرحل في طلبها وتحصيلها، بعد اكتمال تحصيله على علماء بلاده، فسافر من بلده مدينة العمار في نجد، إلى ديار الحديث والمحدّثين في الهند، ودخل مدينة بهوبَّال وغيرها من البلاد التي فيها أكابر المحدّثين، وأخذ عنهم الحديث رواية ودراية، وأطال المقام هناك زمناً طويلاً، فجلس تسع سنين كوامل، حتى ملأ وفاض وارتوى عطشه بعض الشيء.

وتلقى هناك من المحدِّث الكبير الشهير المحقق الناقد، الضابط المتقن الشيخ نذير حسين، والشيخ محمد بشير السندي، والشيخ سلامة الهندي، وحسن صديق خان، وغيرهم من المشتغلين بعلوم الإسناد والرواية، وبقي يقرأ كتب الحديث على علمائه في الديار الهندية تسع سنوات كما أسلفت، حتى تمكن من زمام هذا العلم الشريف وغدا من أهله العارفين به، والواهبين له وجودهم وحياتهم.

وفي طريق عودته من الهند، مكث بمكة المكرمة مدة طويلة، فأخذ عن جملة من أفاضل شيوخ الحرم، كالشيخ الفقيه أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، والشيخ حسب الله الهندي، والشيخ عبد الله الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخير، ثم عاد إلى وطنه نجد ينشر السنّة وعلومها: عِطراً فوَّاحاً وشَذَىً نفّاحاً، ويتجمل بها في سيرته وسلوكه، ويعلمها بحاله ومقاله لطلابه ومريديه رواية ودراية وضبطاً وإتقاناً، فكثر الانتفاع به، وتعشقته القلوب والأرواح، والتفت عليه الطلبة من كل جانب.

وكان هذا الشيخ (سعد بن عتيق) ـ رحمه الله تعالى ـ: عالي الهمة

في الإفادة، شديد الاهتمام بالعلم والتحقيق، مشغوفاً بحب السنّة المشرَّفة وعلومها، غيوراً على اللغة العربية وما يتصل بها، يحافظ عليها في نطقه وتدريسه وتعليمه وتقريره وبيانه كله، ويكره اللحن فيها أشد الكراهة، ويستهويه التحقيق العلمي دائماً فيما يتعلمه وفيما يُعلِّمه، وكان متحلياً بصفات عليا من صفات علماء السلف الصالح: الورع، والزهد، وقلة الكلام، وشدة التثبت والضبط مع الذكاء المتقد، والفهم العميق، وسعة العلم الراسخ، والغوص والإتقان فيه.

وقد وصَفَه من تحدَّث عنه وعَرَفه بأنه «شديد التحري والضبط في دروسه، يضبط الألفاظ، ويحترز من اللحن وإن قلّ، لا يُقرأ عليه كتاب إلا إذا كان قد راجع جميع ما عليه من شروح وحواش، واستوفاها مطالعة. وكان لا يترك الطالب يقرأ عليه من عبارات الفقهاء أكثر من أربع مسائل أو خمس، ثم يُشبع الكلام عليها منطوقاً ومفهوماً، ويقرر عليها تقريراً واضحاً مفيداً، يفهمه الطالب ويرسخ في ذهنه[1].

وقد وجد الشيخ محمد بن إبراهيم بُغْيَته وطلبته عند هذا العالم الثّبْت، والمحقق الأفِيق، الفقيه الأصولي، المفسِّر المحدِّث، المتفنن النحوي، وكان هذا الشيخ الضالة المنشودة للشيخ محمد بن إبراهيم، والشخصية التي تُروي نَهمَه العلمي وزاده الروحي، خاصة بعد ارتحال عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف إلى جوار ربه، فلازم الشيخ ابن عتيق أتم الملازمة كما أسلفت، وله منه إجازة في الحديث الشريف وما تلقاه عنه من العلوم، كما له إجازة أيضاً من بعض محدِّثي الهند كالشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ عبد الستار الدهلوي.

ومن أجل هذه المزايا الرفيعة التي كان عليها الشيخ سعد بن عتيق، في سلوك ذاته، وسعة علمه، وسمو سمته وأخلاقه، اختاره الملك

---

(١) من ترجمته في كتاب: مشاهير علماء نجد، ص(٣٢٤).

عبد العزيز أن يكون بجانبه، وكان يتولى قضاء الأفلاج، فاستدعاه منها إلى الرياض، وولّاه قضاء الدماء فيها، والنظر في جميع القضايا التي تتعلق بالبوادي، وأسند إليه إمامة الفروض الخمسة في المسجد الجامع الكبير، فكان يقوم بالتدريس ونشر العلم لأفواج الطلبة النابهين في الجامع الكبير، في الغدو وبعد الزوال من كل يوم.

في هذا الخضم العلمي، والبيئة الحافلة بالزاد الروحي والعقلي والسلوكي عند هذين الهُمَامين (عبد الله بن عبد اللطيف) و(سعد بن عتيق) وغيرهما من الشيوخ الأجلَّة: نشأ العالم الحصيف محمد بن إبراهيم، وتكاملت شخصيته العلمية، وتوازنت مسالكه، وانقدحَتْ عَزَماتُه ومقاصده الرفيعة، فلا عجب إذا رأيناه من بعد غَدَا شيخَ الديار على الإطلاق، والمذكورَ بالعلم والفضل في الآفاق، فقد رُزق منشأ كريماً، وبيئة طيبة صالحة عالمة، ومواهب ذاتية لامعة فذة، جعلته فريداً في علمه وحصافته بين الشيوخ، واسع الخِبرة في بني قومه وغيرهم من الناس.

جهوده في نشر العلم وإنشاء العلماء:

لقد كان عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف يملأ في حياته وصحته: جَنَبَات البلاد علماً وفضلاً وزعامة دينية صادقة، كما سبقت الإشارة إليه، ولما كان في مرض موته، وشعر بالفراغ الكبير الذي سيكون بعد وفاته، رأى أن العالمَ الذي يملأ هذا الفراغ بعده، وينهض بتلك الأعباء الجسام، ويمكنه إمامةُ الأمة في دينها وتوجيهها إلى السداد والرشاد، هو ابن أخيه الشيخ محمد بن إبراهيم، فأوصى الشيخُ الملكَ عبد العزيز به خيراً، وأعلمه بكفاءته العلمية والشخصية، وأنه يصلح أن يكون خليفةً عنه بعد مماته، في كل ما كان يقوم به من نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى والإفتاء وحل المشكلات العامة وتذليل الصعاب.

ولما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ـ رحمه الله تعالى ـ،

عيّن الملك عبد العزيز: الشيخ محمد بن إبراهيم خَلفاً له في الإفتاء والتدريس وإمامة المسجد مسجد عمه في حي دُخْنَة، وأنزله في نفسه ومَشُورته منزلة عمه الراحل، وكان الشيخ محمد في ذروة شبابه واكتمال نشاطه وحيويته، يبلغ من العمر (٢٨) عاماً.

فنهض خيرَ خلف لخير سلف في كل ما كان يقوم به عمه، وصار مرجع الناس في الإفتاء، وإماماً للناس في الفروض الخمسة في مسجد الشيخ، وشيخ العلم والتعليم فيه أيضاً، فكان يجلس فيه لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، تقرأ عليه الأفواج في جملة من العلوم الشريعة والعربية، وهو بين ظهرانيهم مَعِين لا يَنْضُب، ونشاط لا ينقطع، وعلم لا ينحسر، ودأب عجيب دائم، لا يغني هذا الكلامُ عن تصوره حقيقةً، ولذا سأدع الحديث هنا لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، إذ يقول في ترجمته في كتابه «مشاهير علماء نجد» ص١٧٠ ـ وهو يتحدث عن طريقة تدريس الشيخ وأوقات جلوسه للتعليم والمستفيدين:

«كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إذا صلّى الفجر، جلس في المسجد يَقرأ عليه صغار الطلبة في كتاب «الآجرومية» في النحو، وبعدَهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في كتاب «القطر» لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في «ألفية ابن مالك» وشرح ابن عقيل عليها في النحو أيضاً.

فإذا انتهوا من قراءة النحو في «الألفية» وشرحها، قرؤوا عليه في الفقه في متن «زاد المستقنع» غَيْباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت، أخذ الشيخ في إعادة ما قرؤوه من المتن من حِفظِه، وشَرَع يتكلم على العبارات، ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح «الزاد» المسمى: «الروض المُربع شرح زاد المستقنِع»، قراءةَ ترتيل، يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يُعلّق على عبارات الشارح وجُمَله،

بكلام يوضح المعنى ويزيل الإشكال، ويُصوِّر المسائل تصويراً ملموساً، يقرب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم.

فإذا انتهى من تقريره على الفقه، شرعوا في القراءة عليه في «بلوغ المرام»، فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهاراً ـ بالتوقيت الغروبي وذلك وقت الضحى ـ انصرف إلى داره وجلس فيها.

فإذا حانت الساعة الثالثة، جاءه كبار الطلبة وخواصهم، وقرؤوا عليه إلى الساعة الخامسة قبيل الظهر، ثم انصرفوا، فإذا أُذِّن بالظهر خرج وصلّى بالناس في المسجد، وجاءه أهل المطوَّلات وقرؤوا عليه في مختلِفِ الكتب، كجامع الترمذي، وصحيح البخاري، وزاد المعاد، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في المتون العلمية غيباً، مثل كتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية.

فإذا أُذِّن بالعصر خرج إلى داره وجدَّد الوضوء، ثم رجع وصلّى بالناس العصر، وجلس في المسجد يَقرأ عليه أحد أعيان الطلبة في بعض الرُّدُود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرؤوا عليه في «العقيدة الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي إلى أذان المغرب مقدار نصف ساعة خرج إلى داره.

فإذا أُذِّن بالمغرب جاء وصلّى بالناس، ثم جلس في المسجد للطلبة، يقرؤون عليه علم الفرائض والمواريث، فإذا حان أذانُ العشاء، قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول في المسجد، وتنفّل بركعات، ثم أمر القارئ فشرع يقرأ عليه في «تفسير ابن كثير» إلى الساعة الثانية والنصف، فيأمر بإقامة صلاة العشاء، فإذا أُقيمت وصلّى بالناس تنفّل وأوتَر، وخرج إلى داره وهي قريبة من مسجده.

وكان يرحمه الله تعالى لا يدع طالب العلم المبتدئ يَقرأ عليه في الفقه والمطوَّلات، حتى يَقرأ عليه في مختصرات شيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب فإذا قرأها عليه عن ظهر قلبه، سَمَح له في القراءة عليه في مختصر «المقنع» وغيره من كتب الفقه، وفي القراءة في «بلوغ المرام» وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، و«الروض المُربع» فكان يُربِّي الطلبة بصغار العلوم قبل كبارها.

وقد استمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة، إحدى وأربعين سنة، من عام (١٣٣٩هـ) إلى عام (١٣٨٠هـ)، حيث تَرَك جميع الدروس ما عدا درس الفقه و«بلوغ المرام»، فإنه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر، إلى أن حَبَسه المرض. فاقتصر على درس التفسير قبيل القيام إلى صلاة العشاء يقرأ عليه في تفسير ابن جرير الطبري.

وهذه حقبة كبيرة من الزمن في عمر الرجل العالم (٤١) عاماً: تعليماً وتدريساً وتفقيهاً وتحديثاً، فلقد كان الشيخ (أُمّةً) في جسد رجل، وكان مسجدُه (جامعةً) في قلب نجد، ملأتْ بلادَ نجد وغيرَها علماً، وأنارتها بعلوم الشريعة، قبلَ أن تُبنَى مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية ـ رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيراً ـ.

وكانت علوم الشيخ عيوناً صافية متدفقة، أروت الظماء، وأنشأت العلماء، وأسّس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى، فقد تخرج به أعداد كبيرة لا تُحصَى من العلماء والمحصِّلين، وحسبك أن تعلم أن جُلَّ أكابر علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية، ويملؤون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى.

ولم تكن جهود الشيخ قاصرة على التعليم، بل كان ينهض بمسؤوليات كبيرة وكثيرة، وينتدبه الملك عبد العزيز للمهمات والملمات، فيُذلِّلُها ويعيد الأمور إلى نصابها، بحُنكته وحكمته وبالغ حصافته، ففي

سنة (١٣٤٥هـ) بلَغَ التشدُّد والتنطُّعُ في الدين، من سُكّان (الغُطْغُط) أشُدَّه[١]، وغَلَوْا غلواً فاحشاً ينافي الشرع الحكيم والهَدْي النبوي، ويؤدي إلى الفتنة والقَلَق في الناس!.

فرأى الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ، أنه لا يُصلحُ هؤلاء ويَرُدُّهم إلى التفهم الصحيح والاعتدال، إلا الشيخ محمد بن إبراهيم، فأرسله إليهم، ليردهم إلى الصواب والرشاد، فمكث عندهم ستة أشهر، يُبَيِّن لهم معاني الكتاب والسنّة، ويشرح لهم أقوال العلماء التي لم يفهموها على وجهها الصحيح، ويُحذِّرهم من الغلو والإفراط في الحكم على الناس، حتى ثابوا إلى الجادة المستقيمة، وسلكوا المسلك الصحيح، فرجع الشيخ إلى الرياض يتابع نشر العلم في (جامعة نجد الأولى): مسجد الشيخ.

آثاره الباقية في إقامة مناهل العلم والدِّين:

لم يكن يُقنع الشيخَ ـ رحمه الله تعالى ـ ما رآه من كثرة الطلبة والعلماء حوله، فقد رغب أن يعم هذا الازدهار العلمي الأطراف البعيدة والقريبة في المملكة، على وجه نظامي موسّع، ليدخل العلمُ إلى كل قرية وبلد، فرأى في عام (١٣٦٩هـ) قبل نحو ثلاثين سنة: أن يُنشأ في مدينة الرياض (العاصمة) معهد علمي نظامي، يكون تحت نظره وإشرافه، حتى يُحتذَى به إنشاء أمثاله في بقية البلاد السعودية، وأبدى هذه الفكرة لجلالة الملك عبد العزيز، فرحّب بها جداً، وأمَرَ بإنشاء المعهد، وجَعَلَ لطلابه مكافآت سخية.

وتم افتتاح المعهد العلمي بالرياض في سنة (١٣٧٠هـ)، تحت نظر الشيخ وإشرافه، وأسند الشيخُ إدارته إلى شقيقه فضيلة الشيخ

---

(١) الغطغط: بلدة في الجنوب الغربي من الرياض على بعد نحو ٨٠ كيلو متراً.

عبد اللطيف بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -، واختار للتدريس فيه أساتذة من أفاضل علماء هذه الديار ومن الأقطار العربية الأخرى، واختار من طلبته في المسجد آنذاك عدداً وفيراً، ألحقهم بالسنة الثالثة من المعهد، نظراً لقراءتهم وتحصيلهم السابق عليه.

وقبل أن يتم تخرج الفوج الأول من طلاب هذا المعهد العتيد، توجه نظرُ الشيخ إلى إنشاء كلية للشريعة في الرياض، ليَستكمل فيها الطلبة تحصيلَهم العالي، فأُنشئت كلية الشريعة في عام (١٣٧٣هـ) تحت إشرافه أيضاً، واستقبلت خريجي المعهد العلمي، وكانوا طلائع الخير للأفواج المتلاحقة المتزايدة بعدهم.

ولما ظهرت النتائج الحسنة التي أثمرها افتتاح معهد الرياض، رأى الشيخ أن تعم هذه الثمرة العظيمة أنحاء المملكة، فتحصل في عام (١٣٧٤هـ) على أمر ملكي، يخوله افتتاح فروع لهذا المعهد في سائر جنبات المملكة كما يريد، فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد في كل من بُرَيْدَة، وشقراء، والأحساء، والمَجْمَعة، ومكة المكرمة، وسامِطة من أعمال جازان.

ثم بدأت فروع هذا المعهد العلمي تزداد عاماً بعد عام، انتشاراً واتساعاً وكثرة في الطلاب الواردين إليها، وبالتالي المتخرجين بها، فرأى سماحته أن يكون للغة العربية لغة القرآن الكريم كلية مستقلة، تستقبل أفواجاً من الطلاب أيضاً إلى جانب كلية الشريعة، فأُنشئت كلية اللغة العربية بالرياض في عام (١٣٧٤هـ)، وكانت تحت إشرافه أيضاً.

ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية في أنحاء المملكة، فكان معهد علمي في كل من المدينة المنورة، وحائل، وأبها، والزلفي، وحوطة بني تميم، وبالْجُرَشي، وجُدَّة، والدمّام، وتبوك، والدلم، والأفلاج، والطائف، والرس، وجازان، وعَرْعَر، والحَفْر، ووادي الدواسِر،

ونجران، والجوف، وبيشة، والبُكيرية، والباحة، وحوطة سدير، والقويعيّة، والبدائع، وحريملاء، و...

ورأى - رحمه الله تعالى - أن مما ينبغي أن يواكب تأسيس هذه المعاهد والكليات بالرياض، إنشاء مكتبة عامة، تتوافر فيها الكتب الكبيرة والنادرة للطلبة والعلماء، مما لا يقدر على شرائه واحتوائه الأفراد، فأنشئت المكتبة السعودية في حي دخنة في سنة (١٣٧٠هـ)، من أول يوم رفع فيه صرح المعهد العلمي، وكانت في تأسيسها وتكوينها وإدارتها تحت إشرافه ونظره.

وقد جلب إليها الشيخ نوادر الكتب والمصادر العلمية، من شتى البلدان العربية وغير العربية، وحرص على تزويدها بأمهات كتب التفسير والحديث والرجال والمصطلح والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر واللغة وغيرها من العلوم الإسلامية، واقتنى لها المطبوعات، وصوَّر لها كثيراً من المخطوطات المهمة مما قدَّر أن الحاجة إليه سريعة، فَغَدَتْ من أغنى المكتبات العامة في الرياض إن لم تكن هي أولها إنشاءً وتأسيساً، وفيها طائفة من المخطوطات النادرة.

ثم اتجه نظر الشيخ - رحمة الله عليه - إلى أن هذا الخير في نشر العلم لا ينبغي أن يكون قاصراً على أبناء المملكة، بل ينبغي أن يشمل أبناء المسلمين في آفاق الإسلام كلها، فأُنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ) تحت إشرافه وبرئاسته، واستقبلت طلاب العلوم الشرعية من شتى بقاع الإسلام، يلقنون العلم مجاناً، ويكرمون بالمكافأة السخية والرعاية الوارفة، ويسكنون في مدينة الرسول ﷺ مهوى قلوب المسلمين.

ولما اتسع نطاق القضاء في المملكة، وأخذت الحاجة إلى قضاة الشرع الحنيف تزداد يوماً بعد يوم، نظراً لاتساع العمران في البلاد السعودية، رأى سماحته أن يُنشأ معهدٌ عال لتخريج القضاة فيه، فأُنشئ

المعهد العالي للقضاء بالرياض في عام (١٣٨٥هـ) تحت إشرافه وبرئاسته أيضاً، واختار للتدريس فيه كبار أهل العلم من علماء المملكة ومن غيرها.

آثاره في مستوى المسؤوليات الإدارية والشرعية:

هذا الذي تقدم عنه هو بعض جهود الشيخ وجهادِه في إقامة مناهل العلم والدين، وأما جهوده على مستوى المسؤوليات الإدارية والشرعية فهي لا تقل شأناً وعظمة وجهاداً، عن هذه الجهود الطيبة المثمرة.

ففي سنة (١٣٧٣هـ) أُنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية تحت رئاسته. وكان الشيخ يُستَفْتَى في كبار المسائل وصعابها من داخل المملكة وخارجها، فيجيب السائلين ويفيد المستفيدين، حتى تكوَّن من فتاواه مجلدات كثيرة.

وفي سنة (١٣٧٦هـ) أُنشئت رئاسة القضاة في نجد وملحقاتها والمنطقة الشرقية والشمالية، وأسندت رئاستها إليه، ولما توفي سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز سنة (١٣٧٨هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ، ضُمّت رئاسة القضاة في الحجاز إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وتوحّدت رئاسة القضاة فيه. وأنشأ في عهد رئاسته كثيراً من المحاكم الشرعية في بلدان المملكة، وأقام فيها قضاةً أفاضل من خيار تلامذته وطلابه.

وكان له مسؤوليات أخرى غيرُ هذه التي سلف الحديث عنها، وهذا بيان تقريبي بأهم ما كان يقوم به ذاك الرجل الفذ من المسؤوليات في مجال التعليم والإفتاء والقضاء وغيرها:

في مجال التعليم:

١ ـ رئاسة الكليات والمعاهد العلمية.

٢ ـ رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣ ـ رئاسة المعهد العالي للقضاء.

٤ ـ رئاسة معهد إمام الدعوة.

٥ ـ الإشراف على رئاسة تعليم البنات.

٦ ـ رئاسة المكتبة السعودية.

٧ ـ رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا.

في المجالات الإدارية والشرعية:

٨ ـ دار الإفتاء.

٩ ـ رئاسة القضاة.

١٠ ـ رئاسة المجلس العالي للقضاء.

١١ ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.

١٢ ـ رئاسة دور الأيتام.

١٣ ـ رئاسة مؤسسة الدعوة الصحفية.

١٤ ـ الإشراف على نشر الدعوة في إفريقية.

وكان إلى جانب هذه المهام التي تنوء بها العصبة أولو القوة: خطيب الجامع الكبير، وإمام الفروض الخمسة في مسجده، والمشرف على ترشيح الأئمة والموظفين الدينيين، وعلى تعيين الوعاظ والمرشدين.

وكان قد بدأ في إنشاء (مجلس هيئة كبار العلماء)، واعتُمدت له ميزانية مالية لعام (١٣٨٩هـ)، غير أن الأجل وافاه قبل أن يباشر المجلسُ أعمالَه.

هذا موجز تقريبي للأعمال التي كان ينهض بها ذاك العَلَمُ الفرد، ويملؤها بعلمه وحلمِه وحكمته وحصافته وصبره وجَلَده، وما أصدق قول الشاعر البحتري فيه:

قلبٌ يُطِلُّ على أفكاره ويَدٌ تُمْضِي الأمورَ ونَفْسٌ لَهْوُها التّعَبُ

وإن الدارس لحياته ليُدهَشُ من هذا الدأب العجيب، والجَلَد المتواصل، والتوازن العظيم الذي كان يتحلّى به هذا الإمام الجليل، والتوازنُ في الرجال، عند إدارة الأعمال، من أغلى الصفات وأندرها، فكان يُصرِّف أمور التعليم والقضاء والإفتاء والإدارة في كل تلك المرافق الهامّة الواسعة، بصمتٍ كامل، وحكمة وروية، دون دعاية ولا ضوضاء ولا إعلان، ويقوم مع هذا كله بالتعليم بنفسه، وبالتأليف، وبإجابة المستفتين والقضاة عما يَعْسُرُ عليهم حَلُّه، دون أن يَطغى منه جانب على جانب، فللّه درُّه ما كان أقواه عزماً وحزماً وجلَداً ودأباً في ميادين الخدمة للإسلام والمسلمين.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

تآليفه وآثاره المدوَّنة:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من أشد العلماء غراماً بالعلم وتحقيقه ونشره والتأليف فيه، وكان يقع العلمُ منه تحصيلاً وعطاءً موقعَ الغِذاءِ من البدن، ولكن هذه المسؤوليات الجسام العديدة، وهذه المهام الكبيرة المنوطة به: كافية أن تجعله لا يفرغ لتدوين رسالة إلى أحد أولاده إذا سافر وبَعُدَ عنه، فضلاً عن تأليف رسالة علم أو تصنيف كتاب، غير أن عَزَمات الشيخ المَضَّاءة، وقوة توازنه العظيم، وشدة محافظتِهِ على الوقت: مكّنته من التأليف والتحقيق والنشر، وأعطَتْ منه مثلاً لما يُقرَأ في تراجم العلماء قصيري الأعمار، كثيري المؤلفات والآثار، كيف تم لهم ذلك؟ وعَجَز غيرُهم عن القيام بمثله مع العمر الطويل؟! والجوابُ: هو ذاك العَزْمُ الصلْب، والتوازُنُ الكامل، والدَّأَبُ الدائم، والحِفظُ التامُّ للوقت، يأتي بالعجائب من الإنتاج والإبداع.

فقد ألّف الشيخ رسائل وكتباً كثيرة، لم يُتِحْ لي الوقتُ الضيِّقُ الذي أكتُبُ فيه هذه الترجمة باستيفاء أسمائها وإحصائها، وأعلَمُ من سابق

اطلاعي على ما اطلعتُ عليه منها: أنها تتميز بالعمق والدقة والشمول والاستدلال وجُلُّها في المشكلات العلمية العويصة، وبعضها في الردود على من شَطَّ عن الجادَّة، وله فتاوى جامعة، في العبادات والمعاملات والعقائد، وهي قيد الإعداد للطبع والصدور، وتقوم إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإخراجها وطبعها، وستكون في خمسة مجلدات كبار.

وله كتاب جَمَع فيه (ألف حديث شريف)، واختار تلك الأحاديث من دواوين كتب السنّة المعتمدة: الكتب الستة وغيرها، وراعى في الاختيار أن يكون الحديث أصلاً في موضوعه ومعناه، أو يتضمن أصلاً. وهذا الكتاب قيد الإخراج أيضاً، يقوم بنشره سماحة الشيخ عبد العزيز بن محمد نجل المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ. ولا يَبعُدُ أن يكون لدى بعض طلابه المجدِّين استيفاء لأسماء مؤلفاته ورسائله وأجوبته، فإن ذلك من تمام الخدمة للعلم وأهله.

مسلكه الفقهي:

نشأ الشيخ في قلب بلاد نجد التي شاع فيها مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وجُلُّ أهلها حنبليون، وقد تفقّه الشيخ على علماء أسرته وشيوخ بلده، وهم من كبار فقهاء السادة الحنابلة، فهو حنبلي المذهب، ولكنه لم يكن متعصباً للمذهب، بل لم يكن يلتزمه دائماً في آرائه الفقهية وفتاواه، وإنما كان يعتمد المذهب ما قام الدليل، فإذا رأى الدليل في غيره أرجَحَ قال به دون حرج أو تردد، وهذا المسلك شائع في كتبه ورسائله وفتاواه.

ولم يكن الشيخ محمد يرى الخروج عن المذاهب الأربعة المعتمدة، ولا كان يميل إلى الاجتهاد الانفرادي، الذي يقع من بعض العلماء في هذه الأيام، وما كان اهتمامه وسعيه بإنشاء «مجلس هيئة كبار

العلماء» إلا ليُتجنّبَ هذا المسلك الشديد العِثار، بنظرٍ جماعي يُسلَمُ فيه من غائلة الانفراد بالآراء القاصِيَة!.

وكان يكره الأقوال الشاذَّة، ويَنْفرُ من أصحابها ودُعاتها ومروِّجيها جدّاً، ولا يرى مسلكهم يؤدي إلى خير أو رشاد، ويَرى الخيرَ مع الجماعة. ويحتاط في فتاواه كل الحيطة في الحفاظ على الدين، ولا يلتزم العمل بالصُّورة الفقهية إذا أدت إلى نتيجة لا تتفق مع مقاصد الشريعة، وذلك من فَقَاهة نفسه، وسَعَة أفقه، وبصارته بمصالح الأحكام.

ولقد حضرتُ مجلسه الخاصَّ يوماً في دار الإفتاء، وكانت الأسئلة والاستفتاءات تُقرأ عليه، فيُملي الإجابة عنها بإيجاز ووضوح، وكان من جملة الأسئلة سؤال مضمونُه أن رجلاً سائلاً يقول ما معناه:

إن امرأتي كانت مستقرة العيش عندي، ولم يكن بيني وبينها جفاء أو كراهية، فتعلّق بها قلب رجل آخر، واستهواها أن تتزوجه بعد أن تتركني، واستمالها إلى نفسه فمالَتْ إليه، وجعلَتْ تكدِّرُ عَيْشَها معي حتى طلّقتُها دون أن أعلم بإفساد الرجل لها عليَّ إلا بعد طلاقها، والآن يريد أن يتزوجها، وقد استَفْتى بعض كبار العلماء، فأفتاه بجواز زواجه منها، فما قولكم أبقاكم الله ذخراً للإسلام والمسلمين.

فأملى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ الكلمات التالية: إذا ثَبَتَ أن الراغب في زواجها هو الذي أفسدها على زوجها حتى طلّقها، فلا يجوز زواجها منه، ويُعامَلُ بنقيض قصده.

وهذا جواب غايةٌ في الفقه السديد، والرعاية لمقاصد الشريعة، ومصالح العباد، وحفظ البيوت والاستقرار فيها، ورحم الله الشيخ ما كان أهداه إلى الفقه الصحيح، ولم تغره الصورة الفقهية.

الشيخ والشعر والأدب:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مع انصرافه التام، إلى جلائل

الأعمال وكبرى المهامّ، وتبحُّره في العلم والفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية تحصيلاً وتعليماً: متذوِّقاً للأدب الرفيع، محباً للشعر الجميل الرصين، يَهَشُّ لسماعه، ويطرب لوقعه، ويميز متينَه من ضعيفه، ولا يستغرب هذا من هذا الإمام الفقيه، فإنه من صميم جزيرة العرب، ومن قلب نجد مَهْد الشعر والشعراء.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يقول الشعر في المناسبات الباسطة أو القابضة، وقد تقدم أنه رَثَى عمه العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ـ رحمه الله تعالى ـ، بقصيدة لامية تبلغ (٥٥) بيتاً، وله قصائد غيرها في الرثاء ومناسبات الغزوات والفتوحات والإخوانيات، وله شعر لطيف يؤرِّخ به ميلاد أبنائه وأحفاده بحساب الجُمل، كما له شعر على طريقة اللغز في بعض المسائل العلمية، يحاجي به الأذكياء من الطلبة وشُداة العلم، يحرك به عزائمهم للبحث والاستفادة.

حليته وأخلاقه وتاريخ وفاته:

كان الشيخ رجلاً موفور القامة، ممتلئ الإهاب، متماسك البنية صحة وقوة ونشاطاً، أسمر اللون، عظيم الهامة، سليم القلب، صادق اللهجة، رحيماً، بعيداً عن التكلف والتصنع، متواضعاً لا يحب المدح والثناء عليه، عَفَّ اللسان جداً، صامتاً، قليل الكلام، حتى إذا رآه من لا يعرفه يحسبه عَيِيّاً لطول سكوته، وحكمتُه أسكتته، كان لا يتكلم إلا فيما ينفع، من أمر أو نهي أو إرشاد، أو حاجة، ويوجز، صبوراً حَمُولاً تَغلي همومُه وغُمومُه في صدره ولا يَشعُرُ بها جليسُه، لا ينتقم لنفسه مع قدرته على ذلك، ويَدَعُ الانتقام احتساباً.

وكان شديدَ الثبات على رأيه، شديدَ التحري جدّاً قبل أن يُصدِرَ حكمه على إنسان أو في قضية، يتحرى العدل والإنصاف، مَهِيباً، وقوراً، له هيبة في الصدور كهيبة الملوك، دَفَعَتْ عن مجالسه فضولَ الفضوليين،

وأحاديثَ المستثمرين، ولم يكن يعطي أُذناً منه لأحد في مجلسه، ليَنال من أحد فيه، وكان مجلسُه مجلسَ حِلْم وعلم، لا تُؤبَن فيه الحُرَم، ولا تُرفَعُ فيه الأصوات، ولا تُذكَرُ فيه فَلتَاتُ الناس.

إذا وَعَدَ وَفَى كما وعد، ولا يَعِدُ صراحةً إلا قليلاً؛ يحتاط لنفسه وذمته، يُصغي لمحدثه وهيبتُهُ تَفرِضُ على محدثه أن لا يطيل، يحب أهلَ العلم والصلاح والتقوى وينبسط إليهم، ويكرم ذوي الفضل والدين والخير، ويهتم بشؤون المسلمين ويتألم لألمهم أينما كانوا، وإذا حَزَبه أمر فَزِع إلى الله في دفعه، وأدار الرأي بأخذ الأسباب فيه، دائم الرجوع إلى الكتاب والسنّة في استلهام الصواب والرشاد فيما يلتبس عليه، وما هو بالمعصوم ولكنه المتحفِّظُ بالله والدين والعقل والعلم، لا يتوانى عن النهوض بواجباته وأعماله على تنوعها وكثرتها ما لم تَقعُد به صحتُه، لا ينفك عن العلم سامعاً أو مُسمِعاً إذا فَرَغ له الوقت.

وما كلُّ ما فيه من الخير قلتُه ولا كلُّ ما فيه يقولُ الذي بعدي

وما زال محافظاً على الإفادة والاستفادة منه إلى أواخر أيامه، يفيد الناس في كل ما يرجعون به إليه، ويُقرأ عليه درسُ التفسير من كتاب الإمام ابن جرير بعد أذان العشاء من كل ليلة في المسجد، ويصلي بالناس، حتى نَزَل به المرض واشتد، فأقعده عن جاري عادته، وكان يخف عليه حيناً ويقسو حيناً، حتى وافاه الأجل المقدور في رابع العَشْر الأواخر من رمضان سنة (١٣٨٩هـ) في مدينة الرياض، فبكته العيون، وشيّعته القلوب، وحَمَلَتْهُ أيدي كبار العلماء أبنائه والصالحين والمحبين إلى مرقده.

وكانت الفجيعة به فادحة جدّاً، والأسف عليه عظيماً، والمُصاب به جَلَلاً عاماً، والثناءُ عليه وعلى جهوده وجهاده طيباً عَطِراً، أثنَتْ عليه الألسنة البعيدة والقريبة خيراً، وتَرَكَ فراغاً كبيراً لم يُملأ بعده، فقد كان صَرْحاً رفيعاً للعلم وأهله، وسِيَاجاً منيعاً للدين وذويه، ونصيراً للإسلام

والمسلمين في بلده وخارج بلده، ولما مات انثلم السِّيَاج، وانقَضَّ الصَّرْح، وانطوى رَجُلُ الجهادِ والعلم والحزم والدين.

وكلُّ ثَلْمٍ فإنَّ الدهر يَجبُرُهُ ... وما لثَلْمِ مَهِيضِ الدينِ جُبرانُ
وما كان قَيسٌ هُلكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّما!

تلامذته وأبناؤه في العلم:

أمضى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كلَّ عمره الشريف في التعليم ونشر العلم والدعوة إلى الله تعالى.. وقد عاش نحو ثمانين عاماً، عاش منها فوق خمسين عاماً ينشر تلك الفضائل، ويبث ذلك الخير في أبناء الأمة، فما من عالم كبير في هذه الديار إلا وهو من تلامذته، أو من الطبقة التي أخَذَت عن تلامذته، وهم جميعاً مستقون من مَعِينه، ومتعلمون بين يديه، ومتتلمذون عليه، فحَصْرُ تلاميذه عَدَداً وتسميةً أمرٌ عسير، لا يمكن انضباطه.

فشيوخُ العلم الكبار والجامعات الإسلامية والكليات والمعاهد العليا، وشيوخُ القضاء والإفتاء، وشيوخُ المعاهد المتقدمين في العلم هم من طلابه، وهذا أمر معروف، ونَسبٌ شريف يَتفاخَرُ به المنتسبون إلى حلقة الشيخ في هذه الديار النجدية، ويعتزون به. وما كان بي من حاجة إلى تسمية أحد منهم، لولا أن البعيد عن هذه الديار، إذا سمعوا أسماء بعض تلامذة الشيخ الذين هم من كبار أهل العلم اليوم، زادت معرفتهم بمقام الشيخ العلمي وزعامته الدينية الوارفة، فمن أجلِ هؤلاء أسوق بعض الأسماء، معتذراً عن عدم الاستيفاء[1]:

١ ـ سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، الرئيس الأعلى لمجلس القضاء.

---

(١) الأسماء المذكورة جلها منقول من ترجمة الشيخ في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ، وهناك أسماء كثيرة أخرى.

٢ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، الرئيس العام لإدارة الإفتاء والبحوث والدعوة.

٣ ـ سماحة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم، شقيق الشيخ، والرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية.

٤ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود قبل تقاعده.

٥ ـ سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ووزير العدل.

٦ ـ الشيخ سليمان بن عبيد آل سُلَمى، رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

٧ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان المِسعَري، رئيس ديوان المظالم في المملكة سابقاً.

٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الوسطى والشرقية.

٩ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، رئيس هيئة الأمر بالمعروف في المملكة ووزير المعارف سابقاً.

١٠ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل، نزيل مدينة أبها.

١١ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، أحد قضاة مدينة الرياض.

١٢ ـ الشيخ عبد الرحمن بن فارس، أحد قضاة مدينة الرياض أيضاً.

١٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعد القاضي، من بلدة ملهم.

١٤ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان من آل مبارك، قاضي بلدة الخرج والأفلاج.

١٥ ـ الشيخ سعد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن رويشد.

١٦ ـ الشيخ إبراهيم بن عبد الله آل الشيخ، ابن أخي الشيخ.
١٧ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن الشيخ حمد بن عتيق.
١٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن عجلان، من بلدة نعام المعروفة.
١٩ ـ الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين، قاضي مدينة تبوك والبِدَع.
٢٠ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فَرَيّان.
٢١ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خُنَيْن، وكيل وزارة العدل.
٢٢ ـ الشيخ سعود بن رشود، رئيس محكمة الرياض.
٢٣ ـ الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك، قاضي مدينة شقراء.
٢٤ ـ الشيخ محمد بن مُهَيزع، أحد القضاة في مدينة الرياض.
٢٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، جامع «مجموع فتاوى ابن تيمية».
٢٦ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، نجل المذكور قبله ومعينه في جمع «الفتاوى».
٢٧ ـ الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، أمين مكتبة كلية الشريعة بالرياض.
٢٨ ـ الشيخ محمد بن الأمير، أحد قضاة المحكمة الكبرى في الرياض.
٢٩ ـ الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان، رئيس الهيئة القضائية العليا.
٣٠ ـ الشيخ محمد بن جبير، رئيس ديوان المظالم في المملكة.
٣١ ـ الشيخ زيد بن فياض الوهبي التميمي، مؤلف الروضة الندية وغيرها.
٣٢ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عتيق، القاضي.
٣٣ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري، القاضي.
٣٤ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الراجحي، أحد المدرسين.

٣٥ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الراشد، أحد المدرسين.

٣٦ ـ الشيخ محمد بن فُوزان بن مُشرف، أحد المدرسين.

٣٧ ـ الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، المحدّث الفقيه الباحث في دار الإفتاء.

٣٨ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جابر، القاضي.

٣٩ ـ الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، أحد المدرسين.

هذه شَذْرَة من أسماء تلامذة الشيخ، لا تُعبِّر عن عددهم إطلاقاً، فهم لا يُحصَون كثرةً كما أسلفت، وإنما تُعبِّرُ عن نموذج للمستوى العلمي الرفيع الذي نهض به الشيخ، وخلّفَه في أبنائه أكابر العلماء في هذه الديار، فرحمه الله تعالى، وأسبغ عليه شآبيب رحمته ورضوانه العظيم.

● ● ●

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخ[1]

١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ

بقلم الشيخ الجليل إبراهيم بن سيف[2]
ـ حفظه الله وشفاه ـ

نسبهُ ودراستُهُ:

مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُودِيَّةِ ورَئِيْسُ قضاتِها العَلَّامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ ابنِ الشَّيْخِ عبدِ اللَّطِيْف ابنِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ حسنِ ابنِ شيخِ الإِسْلامِ مجددِ القرنِ الثاني عشرَ مُحَمَّد بن عَبْد الوَهَّابِ ـ عَلَيْهم رحمةُ اللهِ ـ.

وُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدِيْنَةِ الرِّيَاض فِي (١٧) من محرم عامَ (١٣١١هـ) في بيتِ علم وأدبٍ، وقرأ القُرْآنَ على مُقرئ وقتهِ عبدِ الرَّحْمَنِ بن مفيريج فحفظَهُ عَن ظهرِ قلبٍ، وكُفَّ بصرهُ وهو فِي السادسة عشرةَ من عمرهِ ثمَّ أكبَ على الطلبِ فِي مختلفِ العُلُومِ الشَّرْعِيةِ والعَرَبِيَّةِ على أيدي فطاحلِ العُلَمَاءِ مِنْهُم: والدهُ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عبدِ اللَّطِيْف آلُ الشَّيْخِ الَّذِي تَوَلَّى قَضَاءَ الرِّيَاض، ومِنْهُم العَلَّامَةُ الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللَّطِيْف عمهُ، والعَلَّامَةُ اللغوي الشَّيْخُ حمدُ بنُ فَارِسٍ، والعَلَّامَةُ الشَّيْخُ سعدُ ابنُ الشَّيْخِ

---

(١) ٢١٨ ـ «مشاهير عُلَمَاء نجد»، ص(١٦٩)، و«النعت الأكمل»، ص(٤٤٠)، و«عُلَمَاء نَجْدٍ خِلالَ ثَمَانِيَةِ قُرُوْنٍ» (١/ ٢٤٢)، و«الأعلام» خير الدين الزركلي (٥/ ٣٠٦).

(٢) من كتاب المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، ص(٧٤ ـ ١٠٢).

حمدِ بنِ عتيقٍ، والعَلَّامَةُ الفرضي الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بنُ راشدٍ، وسمعَ شيئاً من الفِقْهِ وغيرِه على علامةِ زمانهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ محمودٍ، وأجازهُ شَيْخهُ سعدُ بنُ عتيقٍ بإِجَازَةِ الشَّيْخِ حُسَيْنِ بنِ محسنِ الأنصاري، والعَلَّامَةِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ العنقري بما أجازَهُ بهِ مَشَائِخهُ، كما أجازَهُ الشَّيْخُ عبدُ الستارِ الهندي وغيرُهم من عُلَمَاءِ الحِجَازِ حَتَّى بَرَزَ وتأَهَّلَ.

مكَانَته العلمية:

كَانَ عمُّ المُتَرجَم لَهُ زعيم أُسرةِ آل الشَّيْخ فِي وقتهِ الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بن عبدِ اللَّطِيْف يتوسمُ فِيْهِ الخيرَ وكَثِيْراً ما يُثني عَلَيْهِ هوَ فِي مجالسهِ الخاصةِ والعامةِ حَتَّى إنهُ لمّا حضرتهُ الوفاةُ عامَ (١٣٣٩هـ) زارهُ الملكُ عبدُ العَزِيْزِ رحمَ اللهُ الجميعَ وَقَالَ لَهُ الملكُ عبدُ العَزِيْز: أوصني.

فَقَالَ: أوصيكَ بتقوى اللهِ فِي السِّرِّ والعَلَنِ، ثمَّ أوصيكَ بهذا الشاب ـ يعني الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بنَ إِبْرَاهِيْمَ ـ فإني أتوسمُ فِيْهِ ذكاءً وتقوى وإخلاصاً وزهداً.

فاستجاب الملكُ لذَلِكَ.

وحدثني الشَّيْخُ عبدُ اللهِ الصانعُ الَّذِي كانَ سكرتيراً لِلشَّيْخِ عبدِ اللهِ العنقري العَلَّامَةُ المشهورُ، وكانَ الشَّيْخُ الصانعُ من تلامِيْذهِ أيضاً قال: إنهُ سمعَ الشَّيْخَ عبدَ اللهِ عدةَ مراتٍ يدعو لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بعدَ صلاتهِ آخرَ الليلِ. ويَقُولُ: إنني أرجو اللهَ أن يبقيهِ لنصرةِ هذا الدِّين وحمايةِ هذهِ الدَّعْوَةِ السلفية الَّتِي قامَ بها مجددُ القرنِ الثاني عشرَ شيخُ الإِسْلامِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ـ رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ.

وَقَالَ: كنتُ جالساً عندَ شيخنا قَبْلَ وفاتهِ بأحدَ عَشَرَ يوماً وعلى وجهِ التحديدِ فِي الساعةِ الرابعةِ من يومِ (٢٣) من محرم (١٣٧٣هـ) وقد اشتدَّ بهِ

المرضُ رَحِمَهُ اللَّهُ فتأوهَ وَقَالَ: إن دَعْوَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ كادتْ أن تنمحي، ولكنْ نسألُ اللهَ أنْ يقي لها هذا الكهفَ الظليلَ وهوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ لحمايتها والذودِ عَن حياضها ويجبُ على المُسْلِمِيْنَ عَامَّاً وخاصةً عُلَمَاءَهم أنْ يدعوا لَهُ بالتثبيتِ والقوةِ.

نشاطهُ العلميُّ:

لقد تحققت أمنيةُ شَيْخهِ العَلَّامَةِ العنقري فِيْهِ إذ اجتهدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أداءِ رسالةِ العلمِ الَّذِي حواهُ صدرهُ فكان بعدَ وفاةِ عمهِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ واللهُ حسيبهُ ولا أزكي على اللهِ أحداً فأمَّ النَّاسَ فِي جامعِ دُخْنَة بالرِّيَاض وهو مَسْجِدُ العَلَّامَةِ عبد اللهِ بنِ شيخِ الإسْلامِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ رحمَ اللهُ الجميعَ، وكَرَّسَ حياتهُ للتَّعْلِيْمِ فكانَ المَسجِدُ وبيتُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مدارسَ حافلةً بالطلابِ يَؤُمُّها النَّاسُ منَ الرِّيَاض والبلدانِ المجاورة لها وغيرها من أقطارِ المَمْلَكَةِ بلْ من خارجها، ولمّا كانَ هذا العالمُ الجليلُ قد أوتيَ من الذكاءِ والفطنةِ والبصيرةِ قدراً كَبِيْراً فقدْ كَانَتْ لَهُ طريقةٌ عجيبةٌ فِي التَّدْرِيْسِ وإفهامِ الطلبةِ حيثُ كانَ ينتقي من الكلامِ أتمهُ وأجمعهُ وأقربهُ لفهمِ الطالبِ، وكانَ هذا المَسْجِدُ بحقٍّ جامعةَ علمٍ، فعندما يدخلهُ الإنسانُ يتذكرُ عصرَ السلفِ الصَّالِحِ، فلَا يفقدُ فِيْهِ الذاكرينَ والمُذاكرينَ والمُكبينَ على تلاوةِ القُرْآنِ ساعةَ دخولهِ من ليلٍ أو نهارٍ، وهوَ كما قالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ سحمانَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَتَّى تنيخَ من الرِّيَاضِ بمَسْجِدِ ... يأوي إِلَيْهِ من الورى أعلامُها[1]

من قارئ وكاتب قد هاجروا ... من كلِّ فجٍّ للرشادِ مرامُها

ولكن بعدَ وفاةِ الشَّيْخِ تَغَيَّرَ وضعُ المَسْجِدِ وفُقِدَ ما ذكرنا، وكانَ

---

(١) هذان البيتان على البحر الكامل، والبيت الثاني في وزنه كسر.

رَحِمَهُ اللهُ يُدَرِّسُ كتابَ التَّوْحِيد لشيخِ الإسلامِ مُحَمَّدِ بن عبدِ الوَهَّابِ فيقرأُ الطالبُ الآيةَ أو الحَدِيْثَ من الكتابِ فيتناولها الشَّيْخُ بالشرحِ بالآياتِ والأحاديثِ ويُدَرِّسُ في الحَدِيْثِ بلوغَ المرامِ حيثُ يَحْفظُهُ الطلابُ ويشرحهُ شرحاً دقيقاً كما ويدرسُ الفِقْهَ على مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بتوسعٍ واستعراضٍ لمذاهبِ الأئمةِ الأربعةِ والمحققينَ من أهلِ العلمِ، ويُدَرِّسُ الفَرَائِضَ والمناسخاتِ، ويُدَرِّسُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ «ألفيةَ ابن مالك» وشرحها و«قطر الندى» فِي النَّحْو، كما جلس رَحِمَهُ اللهُ للتدريس في المَسْجِد الحَرَام، وكَانَ فِي تدريسهِ ذا أسلوبٍ مع طلّابِهِ واسعٍ قريبٍ من مداركِهم وفهمهم، لما يدرسونَ وخصوصاً دروسَ التَّوْحِيْد الَّذِي يصلُ العبدَ بربهِ من غيرِ واسطةٍ ولا وسيلةٍ ولا شريكٍ فلا إلٰهَ إلا اللهُ، ولا التجاءَ إلا إلَيْهِ، ولا اعتمادَ في الدنيا والآخرةِ إلا عَلَيْهِ سبحانهُ وتَعَالَى.

لقد كرَّسَ حياتهُ رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّدْرِيْسِ سنينَ طَوِيْلَةً حَتَّى آتت جهودهُ ثمارَها، وتَخَرَّجَ على يديهِ عَدَدٌ كَثِيْرٌ من العُلَمَاءِ الَّذِيْنَ شَغَلوا ولا زالوا يَشْغَلَون كَثِيْراً من مناصبِ الدولةِ القضائيةِ والإداريةِ والتثقيفيةِ وفي الكلياتِ والمعاهدِ والمدارسِ حَتَّى إنكَ لواجدٌ كَثِيْراً ممن تَرْجَمتُ لهم فِي هذا الكتابِ قد أخذوا عَنْهُ رَحِمَهُ اللهُ من العلمِ.

تلاميذُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

أشهر تَلامِيْذ سماحة الشَّيْخ مُحَمَّد رَحِمَهُ اللهُ:

١ ـ سماحةُ الشَّيْخ عبد العَزِيْزِ بن عبدِ الله بنِ بازٍ، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاءَ بالخَرْج والتَّدْرِيْسِ بكُلِّيَّةِ الشَّرِيْعَةِ بالرِّيَاضِ والجَامِعةِ الإِسْلامِيَّةِ ورِئَاسَةِ الجَامِعةِ الإِسْلامِيَّةِ بالمَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ والمُفْتِي العام للمَمْلَكَةِ ورَئِيْسِ رابطةِ العالمِ الإِسْلامي ورَئِيْسَ المجمعِ الفِقْهيِّ الإِسْلاميِّ ورَئِيْسِ هيئةِ كبارِ العُلَمَاءِ.

٢ ـ والشَّيْخ عَبْد الله بن مُحَمَّد بن حميد، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء بسُدَيْر والقَصِيْم والتَّدْرِيس بالمَسْجِد الحَرَام ورِئَاسَة الشؤون الدينية بالمَسْجِد الحَرَام ورِئَاسَة مجلس القَضَاء الأعلى.

٣ ـ والشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن نَاصِر بن رَشِيْد، الَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَةِ تَعْلِيْم البَنَاتِ ورِئَاسَة مَحْكَمَة التَّمْيِيْز بالرِّيَاض والتَّدْرِيْس بكُلِّيَّة الشَّرِيْعَة بالرِّيَاض.

٤ ـ والشَّيْخ عَبْد الله بن عمر بن دهِيْش، الَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَة المَحْكَمَة الكُبْرَى بمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ.

٥ ـ والشَّيْخ سُلَيْمَان بن عبيد آل سلمى، الَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَة مَحْكَمَة مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ ورِئَاسَة مَحْكَمَة الرِّيَاض ورِئَاسَة الإِشراف الديني بالمَسْجِد الحَرَام.

٦ ـ والشَّيْخ عَبْد الله الوابل، الَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَة مَحْكَمَة أبها.

٧ ـ والشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن فَارِس، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء بمَحْكَمَة الرِّيَاض ثمَّ قَاضِي التَّمْيِيْز بالرِّيَاض.

٨ ـ والشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن هويمل، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء بمَحْكَمَة الرِّيَاض.

٩ ـ والشَّيْخ سعد بن فَيْصَل الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء فِي مَحْكَمَة شَقْرَاء.

١٠ ـ والشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن قاسم، صَاحِب عَدَد من المُؤَلَّفَاتِ وجامع فَتَاوَى شَيْخ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ البالغة (٣٧) جزءاً.

١١ ـ والشَّيْخ مُحَمَّد بن مهيزع، القَاضِي بمَحْكَمَة الرِّيَاض سابقاً.

١٢ ـ والشَّيْخ سلطان بن مُحَمَّد، قَاضِي سُدَيْر.

١٣ ـ والشَّيْخ مُحَمَّد السحيباني، قَاضِي البدائع.

١٤ ـ والشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن سعد، قَاضِي مَحْكَمَة الرِّيَاض.

١٥ ـ والشَّيْخ عَبْد الله المسعري، الَّذِي تَوَلَّى رِئَاسَة ديوان المظالم.

١٦ ـ والشَّيْخ مُحَمَّد بن هليل، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء فِي الدوادمي والمحقق بديوان المظالم سابقاً.

١٧ ـ والشَّيْخ عَبْد الله بن مُحَمَّد القرعاوي، الداعية الإِسْلامي ومؤسس مدارس الجنوب.

١٨ ـ أخوه الشَّيْخ عَبْد اللَّطِيْف بن إِبْرَاهِيْم.

١٩ ـ أخوه الشَّيْخ عَبْد الملك.

٢٠ ـ الشَّيْخ صَالِح بن عَبْد العَزِيْز آل الشَّيْخ.

٢١ ـ الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم بن سُلَيْمَان آل مبارك.

٢٢ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبْد العَزِيْز بن عتيق.

٢٣ ـ الشَّيْخ سعود بن رشود، قَاضِي الرِّيَاض سابقاً.

٢٤ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن بكرة.

٢٥ ـ الشَّيْخ فالح بن مهدي، الَّذِي كَانَ مدرساً بكُلِّيَّة الشَّرِيْعَة بالرِّيَاض وصَاحِب كتاب التحفة المهدية شرح التدمرية لشَيْخ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ.

٢٦ ـ ابنه الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن مُحَمَّد، الَّذِي كَانَ مديراً لجامعة الإِمَام مُحَمَّد بن سعود الإِسْلامِيَّة ونائب رَئِيْس القُضَاة ورَئِيْس هَيْئَات الأمر بالمَعْرُوْف والمستشار الآن بالديوان الملكي.

٢٧ ـ وابنه الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم بن مُحَمَّد، الَّذِي كَانَ نائباً لوالده المُفْتِي ثمَّ رَئِيْساً لإدارات البحوث العلمية والإِفْتَاء والدَّعْوَة والإرشاد ثمَّ وَزِيْراً للعدل ثمَّ تقاعد.

٢٨ ـ الشَّيْخ راشد بن خنين، الَّذِي كَانَ قَاضِياً فِي مَحْكَمَة الرِّيَاض ثمَّ عضواً فِي رِئَاسَة القُضَاة والآن بوظيفة مستشار بالديوان الملكي.

٢٩ ـ الشَّيْخ صَالِح بن غصون، رَئِيْس مَحَاكِم الأَحْسَاء سابقاً ثمَّ قَاضِي التَّمْيِيز بالرِّيَاض ثمَّ عضو مجلسِ القَضَاءِ الأعلى ثمَّ تقاعدَ.

٣٠ ـ الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن زاحم، الَّذِي تَوَلَّى القَضَاء بمَحْكَمَة الرِّيَاض ثمَّ قَاضِي التَّمْيِيْزِ بالرِّيَاضِ.

٣١ ـ الشَّيْخ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن سحمان، تَوَلَّى القَضَاء فِي إحدى البلدان ثمَّ عملَ قَاضِياً للتمييزِ بالرِّيَاضِ ثمَّ تقاعدَ.

٣٢ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن عقيل، الَّذِي تَوَلَّى عدة مناصب فِي الإِفْتَاء والقَضَاء ورِئَاسَةَ القَضَاءِ والتَّمْيِيْزِ ثمَّ عضواً فِي مجلسِ القَضَاءِ الأعلى ثمَّ تقاعدَ.

٣٣ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن غديان، عضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

٣٤ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن جبرين، عضو الإفتاء.

٣٥ ـ الشَّيخ فهد بن حمين، المدرس بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسْلامِيَّة.

٣٦ ـ الشَّيْخ حمود بن عقلا، المدرس بجامعة الإمام.

٣٧ ـ الشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن فريان، الداعية الإسلامي ورَئِيْس الجَمَاعَة الخيرية لتحفيظ القُرْآن.

٣٨ ـ الشَّيْخُ زيد بنُ عَبْد العَزِيْز بن فياض، الكاتبُ الإسْلامي الشهير وصَاحِب مَجَلَّة اليمامة سابقاً، وصَاحِبُ المُؤَلَّفَاتِ الَّتِي مِنْها كتاب شرح العقيدة الواسطية لشَيْخ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ والمدرسُ بكُلِّيَّةِ الشَّرِيْعَةِ بجامعةِ الإمامِ مُحَمَّدِ بنِ سعودِ الإسْلامِيَّةِ.

٣٩ ـ الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن الشَّيْخ عَبْد الله بن حسن وَزِيْرُ المعارف سابقاً ورَئِيْسُ هَيْئَاتِ الأمرِ بالمَعْرُوْفِ سابقاً.

٤٠ ـ الأُستَاذ حَمَد الجاسر، صَاحِب مَجَلَّة العَرَب.

٤١ ـ الأُستَاذ سعد بن عَبْد العَزِيْز بن رويشد.

٤٢ ـ الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن عجلان، قَاضِي حوطة بني تميم سابقاً.

٤٣ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن مسلم آل عثيمين، قَاضِي الهدار سابقاً.

٤٤ ـ القَاضِي الشَّيْخ نَاصِر الحناكي.

٤٥ ـ الشَّيْخ سعد بن غرير العنزي، قَاضِي الحلوة سابقاً.

٤٦ ـ الشَّيْخ علي السحيباني، رَئِيْس مَحْكَمَة الحفر سابقاً.

٤٧ ـ الشَّيْخ فهد بن عَبْد العَزِيْز بن سعيد.

٤٨ ـ الشَّيْخ حسن بن مانع، أحد المدرسين.

٤٩ ـ الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم بن نغيمش، أحد قضاتنا.

٥٠ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَنِ بن قاسم، المدرس بالمعهد العلمي بالرِّيَاض ومساعد والده في جمع فتاوى شَيْخ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ.

٥١ ـ الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن مُحَمَّد بن شلهوب، مدير معهد إمام الدَّعْوَة بالرِّيَاض.

٥٢ ـ الشَّيْخ أَحْمَد بن عَبْد الرَّحْمَنِ بن قاسم، المدرس بالمعهد العلمي بالرِّيَاض.

٥٣ ـ الشَّيْخ مقبل العصيمي، أحد قضاتنا.

٥٤ ـ الشَّيْخ علي الرومي، تَوَلَّى القَضَاء بمَحْكَمَة الرِّيَاض وقَاضِي التَّمْيِيْز بالرِّيَاض.

٥٥ ـ الشَّيْخ حمود بن سَبِيْل، قَاضِي القويعية سابقاً تقاعد.

٥٦ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن صعب الراجحي.

٥٧ ـ الشَّيْخ نَاصِر بن صعب الراجحي.

٥٨ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن الأمِيْر، كَانَ أحد قُضَاة مَحْكَمَة الرِّيَاض ومَحْكَمَة التَّمْيِيْز بالرِّيَاض وعضو مجلس القَضَاء الأعلى.

٥٩ ـ الشَّيْخ صَالِح بن مُحَمَّد اللحيدان، كَانَ رَئِيْس مَحْكَمَة الرِّيَاض ثمَّ رَئِيْس مجلس القَضَاء الأعلى.

٦٠ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن سُلَيْمَان البليهي، أحد قضاتنا.

٦١ ـ الشَّيْخ صَالِح بن جارد، قَاضِي البكيرية سابقاً.

٦٢ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن حَمَد الراجحي.

٦٣ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَنِ بن جابر، أحد القُضَاة.

٦٤ ـ الشَّيْخ صَالِح بن سُلَيْمَان بن سحمان، الأديب والشاعر المجيد.

٦٥ ـ الشَّيْخ عَبْد الملك بن عمر آل الشَّيْخ، عضو دار الإِفْتَاء.

٦٦ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن عمر آل الشَّيْخ، المفتش القضائي بوَزَارَة العدل سابقاً.

٦٧ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن حماد.

٦٨ ـ الشَّيْخ عَبْد العَزِيْز بن نَاصِر الشعيبي، قَاضِي مَحْكَمَة الخرج سابقاً.

٦٩ ـ الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم السويح.

٧٠ ـ الشَّيْخ عَبْد الرحيم صديق، كاتب العدل بمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ سابقاً.

٧١ ـ الدّكْتُوْر تقي الدين الهلالي.

٧٢ ـ الشَّيْخ عمر عَبْد الجبار، صَاحِب المُؤَلَّفَاتِ المدرسية وكتب التراجم.

٧٣ ـ الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم بن عَبْد الله الهويش، قَاضِي مراة سابقاً.

٧٤ ـ الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم الهلالي.

٧٥ ـ الشَّيْخ غيهب بن مُحَمَّد بن غيهب، القَاضِي بمَحْكَمَة التَّمْيِيْز بالرِّيَاض.

٧٦ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن صَالِح بن فريان، أحد القُضَاة.

٧٧ ـ الشَّيْخ سعد بن إسحاق بن عتيق، أحد القُضَاة.

٧٨ ـ الشَّيْخ عَبْد الرَّحْمَنِ بن عتيق، القَاضِي بمَحْكَمَة الرِّيَاض سابقاً.

٧٩ ـ الشَّيْخ عَبْد الله بن عَبْد العَزِيْز الخضيري، أحد القُضَاة.

٨٠ ـ مُحَمَّد بن عَبْد العَزِيْز آل سعود.

٨١ ـ مساعد بن عَبْد الرَّحْمَنِ الفَيْصَل، وَزِيْر المالية سابقاً.

٨٢ ـ الشَّيْخ مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيْم البواردي، قَاضِي التَّمْيِيْز بالرِّيَاض سابقاً.

طريقتُهُ فِي التَّدْرِيْسِ:

أما طريقةُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّدْرِيْسِ فقد نقلناها من كتابِ: الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخِ وأثرُ مدرستِهِ فِي النهضةِ العلميةِ والأدَبيةِ فِي البلادِ السُّعُوْدِيَّةِ، تأليفُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ آل إسماعيلَ، المطبوع عامَ (١٤٠٦هـ) على نفقةِ الشَّيْخِ عبدِ العَزِيْزِ ابنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ.

كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا صلّى الفجرَ جلسَ فِي المَسْجِدِ يقرأُ عَلَيْهِ صغارُ الطلبةِ في «الآجرومية» فِي النَّحْوِ، وبعدهُم يقرأُ عَلَيْهِ متوسطو الطلبةِ فِي «القَطْرِ» لابنِ هشامٍ فِي النَّحْوِ، وبعدهُم يقرأُ عَلَيْهِ كبارُ الطلبةِ فِي «ألفيةِ ابنِ مالكٍ» وشرحِ ابنِ عقيلٍ، فإذا انتهوا من قِرَاءَةِ النَّحْوِ فِي الألفيةِ والشرحِ قرؤوا عَلَيْهِ فِي الفِقْهِ فِي متنِ الزادِ «زادِ المُسْتَقْنع» فِي اختصارِ المُقْنِع غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت أخَذ الشَّيْخ فِي إعادة ما قرؤوه من المتن من حفظه، وشرع يتكلّم على العبارات ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب فِي قِرَاءَة شرح الزاد «الروض المربع» قِرَاءَة ترتيل يقف عند كل جملة وفقرة.

والشَّيْخ يُعَلِّقُ على عبارات الشارح وجُمَلِه، بكلام يُوضِّحُ المعنى ويزيل الإشكال، ويصور المسائل تصويراً ملموساً، يقرب المعاني الفِقْهيةَ إلى أذهانِ الطلابِ ويقررُ قواعدَها فِي نفوسِهم، لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ آخذٌ بناصيةِ علمِ الفِقْهِ، ومتبحرٌ فِيْهِ تبحراً عظيماً؛ فإذا انتهى من تقريرِهِ على الفِقْهِ شرعوا فِي القِرَاءَةِ عَلَيْهِ فِي بلوغِ المرامِ فإذا أشارت الساعةُ إلى الواحدةِ نهاراً انصرفَ إلى دارِهِ وجلسَ فِيْهَا، فإذا حانت الساعةُ الثالثةُ: جاءهُ كبارُ الطلبةِ وخواصهم وقرؤوا عَلَيْهِ إلى الساعةِ الخامسةِ نهاراً ثمَّ انصرفوا، فإذا أذنَ الظهرُ خرجَ وصلّى بالنَّاسِ فِي المَسْجِدِ جاءَ أهلُ المُطوَّلاتِ وقرؤوا عَلَيْهِ فِي مختلفِ الكتبِ كـ«جامعِ الترمذي» و«صحيح البخاري» و«زاد المعادِ فِي هدي خيرِ العبادِ» فإذا انتهوا قرأ عَلَيْهِ بعضُ الطلبةِ فِي بعضِ المتونِ العلميةِ غيباً مثلَ كتابِ التَّوْحِيْد والعقيدةِ الواسطيةِ، ثمَّ يعودُ إلى دارِهِ، وبعدَ صلاةِ العصرِ يجلسُ فِي المَسْجِدِ يقرأُ عَلَيْهِ أحدُ أعيانِ الطلبةِ فِي بعضِ الردودِ؛ فإذا انتهى قرأَ عَلَيْهِ جملةً من الطلبةِ فِي مصطلحِ الحَدِيْثِ؛ فإذا انتهوا قرؤوا عَلَيْهِ فِي العقيدةِ الحمويةِ لشيخِ الإسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فإذا بقيَ على أذانِ المغربِ نصفُ ساعةٍ خرجَ إلى دارِهِ، فإذا أذنَ المغربُ جاءَ وصلَّى بالنَّاسِ ثمَّ جلسَ فِي المَسْجِدِ للطلبةِ يقرؤونَ عَلَيْهِ علمَ الفَرَائِضِ والمَوَارِيْثِ فإذا خُتِمَ أذانُ العشاءِ قامَ من حَلَقَةِ درسِ الفَرَائِضِ إلى الصفِّ الأولِ وتَنَفَّل ثمَّ أمرَ القارئَ فشرعَ يقرأُ عَلَيْهِ فِي تفسيرِ ابنِ كَثِيرٍ إلى الساعةِ الثانيةِ والنصفِ فيأمرُ بإقامةِ الصَّلاةِ فإذا أقيمتْ وصلّى النَّاسُ تنفل وأوترَ.

قلتُ: لكن يَقُوْلُ ناشرُ الكتابِ المذكورِ وهوَ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ الَّذِي أدْرَكتُهُ وشاهدْتُه أنهُ يتهجدُ آخرَ الليلِ ثمَّ يوترُ. اهـ.

واستمرَ على هذا الترتيبِ في الدروسِ بهذهِ الصفةِ من عامِ (١٣٣٩هـ)

إلى عام (١٣٨٠هـ) حيثُ تركَ تتبعَ الدروسِ ما عدا درسَ الفِقْهِ وبلوغِ المرامِ فإنهُ لم يتركْ الجلوسَ لهما بعدَ صلاةِ الفجرِ إلى أن حبسَهُ المرضُ.

حياتُهُ اليوميةُ:

وعن حياةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ اليوميةِ كتبَ الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بن خميس فِي جَرِيْدَةِ الرِّيَاضِ تَارِيْخَ (٨/ ١٠/ ١٣٨٩هـ) قالَ: يبدأُ رَحِمَهُ اللَّهُ يومَهُ بعدَ أنْ يؤمَّ جَمَاعَةَ مَسْجِده فجراً بالجلوسِ لحلقتهِ الحافلةِ بالمتعلمينَ والمستمعينَ فيدرسُ التَّوْحِيْد والفِقْهَ والحَدِيْثَ وعُلُومَ اللُّغَةِ والفَرَائِضَ وغيرَها من العُلُومِ حَتَّى ترتفعَ الشمسُ ثمَّ يعودَ إلى بيتهِ فيتناولَ القهوةَ وما يُقَدَّرُ لَهُ من طعامِ الإفطارِ ثمَّ يجلسُ بمجلسهِ العامِّ بدارهِ ويأتيهِ كبارُ طلبتِهِ ويمرونَ عَلَيْهِ فِي المطوَّلاتِ ويراجعونهُ فِي المسائلِ العلميةِ الهامةِ وعندما يبدأُ العملُ العامُّ فِي الجهاتِ المرتبطةِ بهِ، وأحياناً قبلَ ذَلِكَ يكونُ قدْ أَخَذ مجلسَهُ من الدائرةِ الَّتِي سوف يجلسُ بها يومَهُ ذَلِكَ وقد خصَّصَ يوماً لرِئَاسَةِ القُضَاةِ ويوماً لدارِ الإِفْتَاءِ أثناءَ الدَّوَامِ الرَّسْمِيِّ، وما عداهما يصرفُ شؤونَهُ فِي البيتِ، ويواصلُ جِلْسَته حَتَّى أذانِ الظهرِ ثمَّ يخرجُ فيؤمُّ الجَمَاعَةَ، وبعدَها يعودُ إلى دارهِ، ويمكثُ هنيهةً ثمَّ يجلسُ جلسةً عامةً تلتقي فِيْهَا شتى طبقاتِ النَّاس هذا يستفتي فتوى شفهية وهذا يعرضُ عَلَيْه مشكلتَهُ يستنيرُ برأيهِ ويحظى بوساطتِهِ، وهذا يشكو إِلَيْهِ، وهذا يستجديهِ، وهذا كَبِيْرٌ أو عالمٌ أو أَمِيْرٌ قادمٌ من سفرٍ يسلمُ عَلَيْهِ إلخ...

تلتقي هنالكَ بأجناسِ النَّاسِ وطبقاتِهم وتستمرُ الجلسةُ حَتَّى الساعةَ الثانية ومن ثمَّ ينهضُ لتناولِ طعامِ الغذاءِ ويَنْدُرُ ألَّا يكونَ قد أُعِدَّ لضيفٍ أو ضيوفٍ.

وبعدهُ يَأْخُذُ راحتهُ حَتَّى أذانِ العصرِ حيثُ ينهضُ فيؤمُّ جَمَاعَةَ

مَسْجِدِهِ ويجلسُ لطلبتِهِ كجاري العادةِ حَتَّى منتصفِ ما بعدَ العصرِ، ثمَّ يعودُ إلى دارِهِ ومعهُ صَاحِبُ حاجةٍ أو سؤالٍ أو يجدُ كاتبهُ الخاصَّ فِي الدارِ قد أَعَدَّ الخفيفَ والمسْتَعْجَلَ من معروضاتهِ فيُنْهيه وقدْ يستمرُّ فِيْهِ إلى المغربِ، وقد يسمحُ زمنهُ بفرصةٍ يزورُ فِيْهَا بُستانهُ، وكَثِيْراً ما تصحبهُ المعاملاتُ والمطالعاتُ فِي السيارةِ والبستان ثمَّ يعودُ ليؤمَّ مَسْجِدهُ المغربَ وبعدَها يجلسُ أيضاً جلسةً عامةً مماثلةً لجلسةِ بعدَ الظهرِ وهكذا حَتَّى يؤذنَ للعشاء فينهض للمَسْجِدِ ليقرأَ عَلَيْهِ القارئُ ما بينَ الأذانِ والإقامةِ فِي تفسيرِ القُرْآنِ لأئمةِ المفسِّرينَ ابنِ جريرٍ وابنِ كَثِيْرٍ وأضرابِهما ليستمعَ منتظروا الصَّلاةِ وهو يُعَلِّق ويُبَيِّن ما قدْ يخفى على بعضِ المستمعينَ، وبعدَ الصَّلاةِ يعودُ إلى الدارِ ويجدُ أهلَ الحاجاتِ الخاصةِ والأُمُوْرِ السريةِ ينتظرونَهُ، وبعدَ أن يخْلُصَ من هؤلاءِ يجدُ مكتبهُ الخاصَّ بالبيتِ حافلاً بشتى الشؤون والأحوالِ، وقد يمضي فِي أعمالهِ هذهِ حَتَّى الساعةِ السادسةِ ليلاً ثمَّ يَأْخُذُ قِسْطَهُ القليلَ منَ النومِ وينهضُ لأداءِ تهجدهِ وحزبهِ منَ القُرْآنِ حَتَّى مطلعِ الفجرِ.

فأنتَ ترى أنها حياةٌ يوميةٌ حافلةٌ بجلائلِ الأعمالِ دائبةٌ[1] فِي الانتاجِ والإفادةِ. وجديرٌ بالذكرِ أن تعرفَ أنَّ معظمَ القُضَاةِ وعُلَمَاء هذا الجيلِ قد أخرجتهم حَلَقَةُ تدريسهِ الَّتِي نصَّ عَلَيْها، وهيَ عامرةٌ بالعلمِ والعرفانِ ما يقربُ من أربعينَ سنةً.

هذا ولا يفوتُنا أنْ نشيرَ إلى أنَّ هذا البيتَ الكَرِيْمَ بيتَ والدهِ إِبْرَاهِيْمُ قدْ أنجبَ غيرهُ ثلاثةً منَ العُلَمَاءِ والأجلاءِ أُخوةِ المترجَمِ لَهُ وهم: الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بنُ إِبْرَاهِيْمَ عالمٌ فاضلٌ لَهُ ضلعٌ فِي التَّارِيْخ

---

(١) دائبة: مستمرة.

والأنسابِ إلى جانبِ عُلُومِ الشَّرِيْعَةِ واللُّغَةِ وهوَ أكبرُهم سناً، توفيَ رَحِمَهُ اللَّهُ عامَ (١٣٨٦هـ).

والشَّيْخ عبدُ اللَّطِيْف بنُ إِبْرَاهِيْمَ عالمٌ جليلٌ لَهُ اليدُ الطولى فِي فنِّ الفَرَائِضِ، ولهُ مشاركةٌ فِي الأَدَبِ.

والشَّيْخُ عبدُ الملكِ بنُ إِبْرَاهِيْمَ عالمٌ جليلٌ ستجدُ تراجمَهم فِي هذا الكتابِ.

ولو ما نقرأهُ عَن ابْنِ تَيْمِيَّةَ وابنِ القيّمِ وابنِ الجوزيِّ وابن جريرٍ والسيوطيِّ وأضرابهم من بَركَةٍ فِي الأعمارِ ووفرةٍ في الإنتاجِ العلميِّ والعمليِّ ما كِدْنا نُصدّقُ أن مترجمنَا يقوى على أداءِ واجباتهِ اليوميةِ ولكنَّ اللهَ جعلَ هؤلاءِ رحمةً للمُسْلِمِيْنَ وأعطاهُم قدرةً على تَحَمُّلِ هذهِ الأعباءِ ـ رحمهم اللهُ رحمةً واسعةً ـ.

أعمالُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَوَلَّى الشَّيْخُ مُحَمَّدُ منصبَ مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُوْدِيَّةِ، وقد تحدثَ عَن ذَلِكَ ابنُهُ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ الَّذِي كانَ نائباً لوالدهِ برِئَاسَةِ القُضَاةِ ثمَّ مديرَ جامعةِ الإمامِ ثمَّ الآنَ يشغلُ وظيفةَ مستشارٍ بالديوانِ الملكي تحدثَ فِي جَرِيْدَةِ البلادِ الصَّادِرَةِ فِي (٢٩/ ٤/ ١٤٠٣هـ) بعَدَدها رقم (٧٢٦٤) بِقَوْلِهِ: بعدَ أن توسعتْ المَمْلَكَةُ وحصلَ بها شيءٌ من التطورِ فِي الحكمِ، ومشاكلِ النَّاسِ واتسعَ العمرانُ وتطورت الحياةُ بشكلٍ عامٍّ عُينَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُفْتِياً للديارِ السُّعُوْدِيَّةِ ثمَّ أنشئتْ دارُ الفتوى وعُيِّنَ لها أعضاء ولكنهُ مع ذَلِكَ لم يكنْ ليتركَ التَّدْرِيْسَ.

ويضيفُ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ قائلاً: ثمَّ إنهُ وباجتهادٍ منهُ ومشورتِهِ على جلالةِ الملكِ عبدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أُنْشِئَتْ المعاهدُ العلميةُ بالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ

السُّعُوْدِيَّةِ وأولها معهدُ الرِّيَاض العلمي، ثمَّ أخذتْ الحكومةُ على عاتقها زيادةَ المعاهدِ العلميةِ حَتَّى أنشئتْ عِدةَ كلياتٍ كانَ رَئِيْساً لها والَّتِي هيَ ممثلةٌ الآن بجامعةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بنِ سعودِ الإسلامِيَّةِ بالرِّيَاض حيثُ أنشأها رَحِمَهُ اللَّهُ برعايةِ جلالةِ الملكِ عبدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ تبنوا التَّعْلِيمَ بشكلٍ عامٍّ والمعاهدَ بشكلٍ خاصٍّ حَتَّى أصبحتْ من أكبرِ الجَامِعاتِ بالمَمْلَكَةِ، وهيَ جامعةٌ تعنى بالعُلُومِ الدينيةِ والعَرَبِيَّةِ، وقدْ آتت المعاهدُ ولله الحمدُ ثمارها وتخرَّج مِنْها أعدادٌ كَبِيْرةٌ أقلُّهم من يَحْمِل شهادةَ الليسانس حالياً.

ومِنْهُمْ من يحملُ شهادةَ الماجستير والدّكْتُوراه.اهـ.

وفي نفسِ العَدَدِ قالَ الشَّيْخُ عبدُ اللهِ ابنُ الشَّيْخِ عمرَ بنِ سليم: أنَّ المعهدَ العلمي افتتحهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بالرِّيَاضِ عامَ (١٣٧٠هـ).

وَقَالَ: وأذكرُ بهذهِ المناسبةِ موقفاً نبيلاً لصَاحِبِ الجلالةِ الملكِ فَيْصَلِ بنِ عبدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أخبرني عَنْهُ أحدُ العُلَمَاءِ حينما عرضَ على جلالتِه لتسميةِ الجامِعةِ المشارِ إِلَيْها باسمهِ وقد استؤذنَ فِي ذَلِكَ فرفضَ جلالتهُ وكتبَ: تُسمَّى باسمِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بنِ سعودٍ الإِسْلامِيَّةِ، وهذا يدلُّ على بعدِ الملكِ فَيْصَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَن المظاهرِ وإيمانِهِ بأنَّ هذهِ الجَامِعةَ امتدادٌ لدَعْوَةِ الإِمَامِ المجددِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.اهـ.

وقد خَصَّصَ مكافآتٍ لطلابِ المعاهدِ والكلياتِ كما هوَ ذَلِكَ فِي سائرِ كلياتِ المَمْلَكَةِ ومعاهدها.

وفي عامِ (١٣٧٠هـ) تمَّ إنشاءُ المكتبةِ السُّعُوْدِيَّةِ بالرِّيَاض الَّتِي هيَ من أضخمِ وأغنى مكتباتِ العالمِ.

وفي عامِ (١٣٨١هـ) تمَّ إنشاءُ الجَامِعةِ الإِسْلامِيَّةِ بالمَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ فكانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رَئِيْساً لها.

وفي عامِ (١٣٧٩هـ) أُنشئتْ رابطةُ العالمِ الإسْلامي فكانَ رَئِيساً لها.

وفي عامِ (١٣٧٦هـ) أنشئت رِئَاسَةُ القُضَاةِ بنجدٍ وملحقاتُها برِئَاسَةِ سماحةِ الشَّيْخِ وعُيِّنَ لها عَدَدٌ من المَشَائِخِ كأعضاءَ بالرِئَاسَةِ يدرسونَ المعاملاتِ الَّتِي تردُ لسماحتهِ من مختلفِ الجهاتِ ويعرضونَ نتيجةَ الدراسةِ على الشَّيْخِ.

وعوداً إلى بدء فإنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ قد جعلهُ الملكُ عبدُ العَزِيْزِ شبه قَاضِي تَمْيِيزٍ، فيرسلُ إِلَيْهِ الشكاوي الواردةَ إلى جلالتهِ من النَّاسِ متظلمينَ للنظرِ فِيْهَا وإعطاء جلالتهِ تقريراً بها، وكانَ يُرسِلُ لَهُ بعضَ الخصومِ للفصلِ بينهم حيثُ كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مصدراً لقناعةِ النَّاسِ، وكانَ بعضهم يطلبونَ أنْ تُحالَ قضاياهُم إلى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ لثقتهم أنهُ مَحَلٌ للإنصافِ والعدلِ حيثُ كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ موضعَ ثقتِهم وثقةِ العُلَمَاءِ والدولةِ والنَّاسِ جميعاً.

وفي عامِ (١٣٧٨هـ) ضُمَّ لرئاستِهِ جميعُ القُضَاةِ فِي المَمْلَكَةِ بعدَ وفاةِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ آل الشَّيْخِ الَّذِي كانَ رَئِيْسَ القُضَاةِ بالحِجَازِ، واختصاراً للموضوعِ فإن الشَّيْخ مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيْم ـ عَلَيْه رحمة الله ـ إلى جنب التَّدْرِيْس والإِفْتَاء قد قام بأعباء وظائفَ عظيمةٍ هي:

١ ـ رَئِيْسُ الإِفْتَاءِ من حين أُنشئتْ عامَ (١٣٧٤هـ) وهو مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُوْدِيَّةِ أو المُفْتِي الأكبرُ للمَمْلَكَةِ.

٢ ـ رَئِيْسُ القُضَاةِ من عامِ (١٣٧٦هـ).

٣ ـ رِئَاسَةُ المعاهدِ العلميةِ والكلياتِ من عامِ (١٣٧٠هـ).

٤ ـ رِئَاسَةُ الجَامِعةِ الإِسْلامِيَّةِ بالمَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ.

٥ ـ رِئَاسَةُ دورِ الأيتامِ.

٦ ـ رِئَاسَةُ تَعْلِيْمِ البناتِ عامَ (١٣٧٩هـ).

٧ - رِئَاسَةُ المعهدِ العالي للقَضَاءِ.

٨ - رِئَاسَةُ رابطةِ العالمِ الإِسْلَاميِّ.

٩ - رِئَاسَةُ الإشرافِ الديني على الحرمين.

١٠ - رِئَاسَةُ المكتبةِ السُّعُودِيَّةِ.

١١ - خطابةُ الجَامِعِ الكَبِيرِ فِي الرِّيَاضِ والعيدينِ.

١٢ - رِئَاسَةُ المجلسِ الأعلى للقَضَاءِ.

١٣ - إمامةُ مَسْجِدِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخِ المشهورِ فِي دَخْنَةَ خمسينَ عاماً وهو الَّذِي يقيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ حلقتَهُ التَّدْرِيْسيةَ فيهِ، ومن سَبَقَهُ من العُلَمَاءِ مثلَ عمهِ وشَيْخهِ عبدِ اللهِ ابنِ الشَّيْخِ عبدِ اللَّطِيْف آلِ الشَّيْخِ رَئِيْسِ العُلَمَاءِ فِي الرِّيَاضِ فِي وقتهِ.

١٤ - الإشرافُ على نشرِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي إفريقية.

١٥ - رَئِيْسُ مؤسسةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ وكَانَت تُصْدِرُ مَجَلَّةً باسمِ «راية الإِسْلامِ» ثمَّ تحولت إلى اسمِ «مَجَلَّةِ الدَّعْوَةِ» ولا تزالُ تصدرُ منذُ عامِ (١٣٨٥هـ) نرجو لها من اللهِ الاستمرارَ والثباتَ على الحقِ.

مؤلفاتُهُ:

نظراً لصرفِ جُلِّ اهتمامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّدْرِيْس كَما يظهر مما سبقَ من جهةٍ. ومن جهةٍ أخرى انشغالُهُ فِي الأعمالِ الأخرى الَّتِي أشَرنا إِلَيْها، فقد صرفَهُ ذَلِكَ عَن التأليفِ ولكن معَ ذَلِكَ فإنَّ لَهُ رَسَائِلَ فِي مواضيعَ مختلفةٍ وفَتَاوَى فِي الأُصُول والفُرُوعِ جمَعَها الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ قاسمٍ بلغتْ ثلاثةَ عشرَ مجلداً، وطُبِعَتْ فِي مطبعةِ الحكومةِ الطبعةَ الأولى عامَ (١٣٩٩هـ).

وطُبِعَ لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ بعضُ رَسَائِلَ مستقلةٍ مثلَ ثلاثِ رَسَائِلَ فِي المعاملاتِ الربويةِ والمولدِ النَّبَوِيّ ومهورِ النساءِ.

ولَهُ تحذيرُ النَّاسكِ عما ذكرَهُ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمودٍ في المناسك أَلَّفهُ رداً على ما ذهبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ ابنُ محمودٍ رَئِيْسُ مَحَاكِمِ قطرْ السابقُ بعنوانِ يُسرِ الإِسْلامِ، وطبعَ لَهُ عامَ (١٣٨٤هـ) رسالةً سمّاها: نصيحةُ الإخوانِ ببيانِ بعضِ ما فِي نقضِ المباني لابنِ حَمْدَانَ من الخبطِ والخلطِ والجهلِ والبهتانِ ومعها رسالةٌ أخرى باسمِ الجوابِ الواضحِ المستقيمِ فِي جوازِ نقلِ مقامِ إِبْرَاهِيْمَ.

أَلَّفَ رَحِمَهُ اللَّهُ الأولى رداً على كتابِ الشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بنِ حَمْدَانَ المدرسِ بالمَسْجِدِ الحَرَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تعقيباً على كتابِ الشَّيْخِ عبدِ الرَّحْمَنِ المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي موضوعِ نقلِ مقامِ إِبْرَاهِيْمَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسلامُ - من مكانِه لتوسيعِ المطافِ، وجواباً على ما جاءَ فِي كتابِ الشَّيْخِ ابنِ حَمْدَانَ الَّذِي ذكرَ فِيْهِ إن كلمةَ المُفْتِي الأكبرِ عندَ الإطلاقِ لَا تنصرفُ إلا إلى اللهِ ﷻ وإن فِي إطلاقِها على المخلوقِ منازعةَ الربِ فِي الأكبريةِ.

ولهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعةٌ فِي علمِ الحَدِيْثِ، ولَهُ مجموعةُ خطبٍ منبريةٍ. اهـ.

وذكرَ الشَّيْخُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مقدمةِ حاشيتِهِ على الروضِ المربعِ ذَكَرَ أنَّ غالبَ حاشيتِهِ من تقاريرِ الشَيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ رَحِمَهُ اللَّهُ وهذه الحاشيةُ تقعُ فِي سبعةِ مجلداتٍ كَبِيْرةٍ جاءَ ذَلِكَ فِي كتابِ الشَّيْخِ ابنِ إسماعيلَ الَّذِي أشرنا إِلَيْهِ سابقاً.

في مجال العروض:

كما تَحَدَّثَ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ ابنُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الجَرِيْدَةِ المذكورةِ أيضاً عَن والدِهِ بقولِه: وإذا كانَ لكلِّ عالمٍ جليلٍ مُؤَلَّفَاتُهُ الَّتِي تترجمُ

فكرَهُ، وتظلُ ذخيرةً للأجيالِ التاليةِ تنهلُ مِنْها إلا أنَّ القاعدةَ ليسَت دائمةَ السريانِ فقد تَحُولُ الظروفُ دونَ إتمامها، لكنَّ المنقولَ والمعمولَ من فكرِ هذا العالمِ يظلُ أبدَ الدهرِ فِي ذهنِ تَلامِيْذِهِ وأذهانِ تَلامِيْذِهم بالتالي، من هؤلاءِ كانَ سماحةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بنُ إبْرَاهِيْمَ آلُ الشَّيْخِ الَّذِي كانَ مشغولاً بالتَّدْرِيْسِ أولاً ثمَّ بأعمالِ الدولةِ أخيراً حيثُ لم يكنْ لديهِ الوقتُ الكافي للتأليفِ.

وقد حاولَ رَحِمَهُ اللَّهُ الكِتَابَة فَنَظَمَ قواعدَ ابنِ رجبٍ بالفِقْهِ. اهـ.

قلتُ: يضافُ ذَلِكَ وما سيذكرُهُ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ إلى ما ذكرنا عَن مُؤَلَّفَاتِ والدِهِ حيثُ قالَ الشَّيْخُ عبدُ العَزِيْزِ عَنْهَا: كما كَانَت لَهُ إملاءاتٌ قمتُ بها نقلاً عَن لسانِهِ ودونتُها آنذاكَ فِي عدةِ أبوابٍ مِنْها كتابُ العبادات المَعْرُوْفُ لدى الفِقْهاءِ بدءاً ببابِ الطهارةِ وانتهاءً بأسبابِ الجهادِ حسبَ الترتيبِ الحنبلي.

ولقد كانَ نظماً جيداً حيثُ أنهُ رَحِمَهُ اللَّهُ غزيرٌ فِي الفِقْهِ وفي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. اهـ.

وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذا قريحةٍ قويةٍ فكانَ الشعرُ سهلاً عَلَيْهِ يرتجلُهُ ارتجالاً، وقد نَظَمَ أبياتاً كَثِيْرةً فِي مختلفِ المناسباتِ مِنْها فِي المراثي ومِنْها فِي مسابقاتٍ لطلبةِ العلمِ فِي المعاهدِ والكلياتِ وغيرِها، ففي عام (١٣٦٢هـ) توفيَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ عمرُ ابنُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ سليمٍ فلمَّا بلغتهُ وفاتُهُ ارتجلَ الأبياتَ التاليةَ[1]:

إنَّ المصيبةَ حقاً فَقْدُنا عُمَراً ... أعظمْ بميتتهِ رزءاً[2] بنا كِبرا

قُطْبُ القَصِيْمِ وما دونَ القَصِيْمِ وما ... خلفَ القَصِيْمِ وما مجرى القَصِيْمِ جرى

---

(١) وهي على وزن البحر البسيط.

(٢) الرزء: المصيبة.

عَلَيْهِ دارَ الهدى والحقُ بينهم كانَ الحياةَ وكانَ السمعَ والبصرا
أنِلْهُ يا ربنَا عفواً ومغفرةً واجْبُر مُصيبتنا يا خيرَ مَنْ جبرا

ولَهُ رَحِمَهُ اللهُ مرثيةٌ فِي وفاةِ عمهِ العَلَّامَةِ الشَّيْخ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ اللَّطِيْف آلِ الشَّيْخ أثبتناها فِي ترجمةِ الشَّيْخ عبدِ اللهِ، والقَصِيْدَةُ التاليةُ قالَها رَحِمَهُ اللهُ بعدَ سفرِ أخيهِ الشَّيْخ عبدِ اللَّطِيْف إلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ وانقطاعِ أخبارِهِ ورسائِلِهِ قالَ رَحِمَهُ اللهُ:

ألا يا حُداةَ العيسِ مني تَحَمَّلوا[1] تحيةَ مشغوفِ الفؤادِ وسيروا
وحُثوا العِتاق[2] اليَعْمِلاتِ[3] وادلِجوا ولا يعتريكم غَفْلَة وفتور
فإما أنَخْتُم بالفنا ولقيتموا شقيقي حليف الودِ وهو صغير
فقولوا لَهُ: يهدي السلام مُضاعفاً إليك مُحب فِي هواك أسير
ويُهدي تحيات كأن أريجها لدى النشر يا عبد اللَّطِيْف عبير
ويُبدي عتاباً فِي النِظام أَهاجَه صَغيرٌ بلى إن المُهيجَ كَبِيْر
تركتم مُحبيكُم بغيرِ رَسَائِل ورُسُلُكم نحو البلادِ تسير
جفاءً فَعَلْتُم أم أتَيْتُ خطيئةً لذا أَوْجَبَتْ منكمُ فأنتَ عَذور
وربك عَلَّام الخَفيات شاهدٌ على أنَّ ذكراكم لديَّ سُرور
وأنشد أبياتاً لمن لمح القطا وقد ذرفت عيناهُ وهوَ حسير
أَسِرْبَ القطا هل من يُعير جَناحَهُ لَعَلِّي إلى من قد هَوَيتُ أَطير؟
وأما تفضلتم سؤالاً فإننا جميعاً بخيرٍ والسرورُ كَثِيْر
سوى أنكم بنتم[4] فشَط[5] مزاركم وحالت سهول دونكم ووعور

---

(١) هذه القصيدة على وزن البحر الطويل.
(٢) العتاق: المراد هنا إما الخيل السريعة أو النوق الَّتِي لا تفتر فِي السير للسبق.
(٣) اليعملات: الإبل الخيبة المعملة المطبوعة على العمل.
(٤) بنتم: بان متى المقطع والمفصل.
(٥) شط: ابتعد.

وإنا لنرجو اللهَ جمعاً لشملنا ولـمّـاً لـشَـعَـثٍ إنـهُ لـقـديـر

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ الأبياتَ الآتِيَةَ على شكلِ لغزٍ موجهٍ إلى طلبةِ الكلياتِ والمعاهدِ العلميةِ تشجيعاً منهُ لَهم على البحثِ والتحصيلِ ووضعَ جوائزَ قيّمةً لمن يَحُلُّ هذا اللغزَ، وهو كما يلي:

يا طالبَ العلمِ فِي المعاهدِ والـ كُلّيتينِ مؤملاً نيلَ قُدْسِه[1]

مَـنْ مُـجـيـبـي عَـن سـؤالٍ قد تَبَدَّى من الوضوحِ بطرسه

هل مهدي قد استوى مع مضلٍّ في التصاريفِ واللزومِ وعكسه

وبـودي أن الـجـوابَ بـنـظـمٍ وببحر هوَ بحرُ نظمي نفسِه

وسـؤالـي إلٰـهـنـا لـمـجـيـبـي أن يلقى النجاحَ في كلِّ درسِهِ

وقد أجابَهُ أحدُ الطلبةِ النابهينَ وهو مُحَمَّدُ بنُ حُسَيْنٍ رَئِيْسُ قسمِ الأَدَبِ بجامعةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بنِ سعودٍ سابقاً، ويحملَ درجةَ الدّكْتُوْراه أجابَ بأبياتٍ حلَّ بها اللغزَ فَسُرَّ الشَّيْخُ بذَلِكَ ودعا لَهُ.

وتفقدَ طلابَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخرِ الدرسِ فوجدَ بعضَهم قَدْ خرجَ فأملى على الحاضرينَ:

واسوأتاه لطالبِ العلمِ الَّذِي ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مجالسُ التَّدْرِيْسِ[2]

وإذا قـراءتُـه تـقـضـت قَـامَ لا يلوي على مَا بعدُ من تأسيس

هـذا وفـي حـالِ الـقِـراءةِ قَـلْـبُـهُ في الفَهمِ والإصغاءِ غيرُ أَنيس

ويـودُّ لـو أنَّ الـقِـرَاءَةَ تـنـقـضـي في لـحظَةٍ ماذا يَقُوْلُ جليسي

إنْ قلتُ: إنهمو لعمري ما لهم من رغبةٍ فِي نيلِ أيِّ نفيس

أو قلتُ: ما لهمو من الإقبالِ مِنْ إدلاجِهِ حظٌّ ولا الـتـغـلـيـس

يا ربِّ أشكو زهدَهم فِي العلم إذ رفضوهُ إيثاراً لنيلِ خسيس

ورضوا التَّرَسُّمَ وهو غيرُ مفيدِهِم إنَّ الأمانِيَ حظُّ ذي التفليس

---

(١) هذه الأبيات على وزن البحر الخفيف، وأكثرها وزنه غير مستقيم.

(٢) هذه الأبيات على وزن البحر الكامل.

يا ربِّ واجعلنا من الحزبِ الَّذِي تختارُهُ للتنزيهِ والتقديس
وإبانةِ التوحيدِ محضاً صافياً وإزالةِ التشبيهِ والتلبيس

كتبَ لَهُ بعضُ المحبينَ رسالةً وختمها بثلاثةِ أبياتٍ يحيِّي بها سماحتَهُ فأجابَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عليكَ مثلَ الَّذِي أهديتَ يَشْفَعُهُ تَحِيَّةَ ما شدا بالبانِ صارحُهُ
في روضةٍ من رياضِ الخرجِ باكرها الـ ـوسمي والصيفَ أسقتها روائِحُهُ
ورحمة الله ما أبدى مَنْ أخومِقَة[1] من الوِدادِ الذي تَخفى جَوانِحُه

لأن الشيءَ بالشيءِ يذكرُ فهذهِ أبياتٌ نشرَتْها الجَرِيْدَةُ المذكورةُ منسوبةً للعلامةِ سماحةِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حميدِ فِي الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ - رحمَ اللهُ الجميعَ -.

لقد أشرقت أرض الرِّيَاض وأنورت بطلعةِ حبر عالم ذي مناقب[2]
يَحِلُّ عويصَ المشكلاتِ بسرعةٍ ويكشفُ إشكالاً لدى كلِّ طالب
خبيرٌ بتفسيرٍ وفقهٍ وسنّةٍ ونحوٍ وصرفٍ مع عُلُومٍ غرائب
عَنيتُ أبا عبدَ العَزِيْزِ مُحَمَّداً سُلالةَ إِبْرَاهِيْمَ شمس المناقب
فيا أيّها الطالبُ عندي نصيحةٌ لكم من خليلٍ صادقٍ غيرِ كاذب
عليكم بتقوى اللهِ فِي الوقتِ دائماً عليكم بخوفٍ من حكيمٍ وواهب
وبالأخذِ عَنْهُ فِي العُلُومِ جميعِها ولا تألوا جُهداً فِي اغترافِ المشارب
رؤوفٌ عروفٌ للمسائلِ ناقدٌ يحل عويصَ القلبِ عَن كلِّ طالب
به يُقْتدى بالعلمِ والحلمِ والنُّهى وبالفضلِ يَسمو كلُّ أهلِ المناقب

ولا يفوتني وأنا بصددِ ختمِ الحَدِيْثِ عَن سيرتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ أُنوهَ أنَّ مِنْ أخلاقِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ - عليه رحمة الله - محبتَهُ لطلبةِ العلمِ الشَّرْعِيِّ، وإكرامَهُ لهم، وتقديمَهم على غيرهم من النَّاسِ، ومساعدتِهم فِي طلبِ

---

(١) المحبة.

(٢) هذه القصيدة على وزن البحر الطويل.

العلمِ وتوزيعِ الكتبِ على من يَأنسُ فِيْهِ الرغبةَ نشراً وطلَباً لمنْ يرى فِيْهِ الحرصَ على الإفادةِ والاستفادةِ، فكانَ يأمرُ بصرفِ الكتبِ من المستودعِ العامِّ للكتبِ التابعِ لدارِ الإفْتَاء.

ولقد صرفَ رَحِمَهُ اللَّهُ وقتَهُ وهمتَهُ فِي العلمِ الشَّرْعِي السلفِي تَعْلِيْماً ونشراً بالتَّدْرِيْسِ والوعظِ والإرشادِ والدَّعْوَةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ، وصارَ رَحِمَهُ اللَّهُ مرجعاً فِي جميعِ الأعمالِ الإِسْلامِيَّةِ محليّاً وفي كافةِ الأقطارِ الإِسْلامِيَّةِ لَهُ سُمْعتُهُ الَّتِي لا تنكرُ.

وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يوزعُ وقتَهُ الثمينَ بينَ عَدَدٍ من الأعمالِ العليا الهامةِ فِي القَضَاءِ والإِفْتاءِ ورابطةِ العالمِ الإِسْلامِي الَّتِي أسسها بتوجيهٍ من جلالةِ الملكِ فَيْصَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانَ هو المرجعَ العامَّ لها فِي زمنهُ تأييداً من سماحتِهِ للتضامُنِ الإِسْلامي الَّذِي تبناهُ جلالةُ الملكِ رَحِمَهُ اللَّهُ سيراً على نهجِ جلالةِ والدهِ الملكِ الإِمَامِ عبدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذِي قضى عمرَهُ فِي محاولةٍ لجمعِ شملِ الأمةِ الإِسْلامِيَّةِ تحتَ رايةِ: **لا إلٰهَ إلا الله**.

وفاتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصيبَ الشَّيْخُ مُحَمَّد بمرضٍ عضالٍ وسافرَ إلى لندنَ للعلاجِ مرتينِ ثُمَّ عادَ مثقلاً بالمرضِ وفي يومِ الأربعاء (٢٤) من رمضانَ عامَ (١٣٨٩هـ) توفيَ وصَلَّى عَلَيْهِ بعدَ صلاةِ العصرِ فِي الجَامِعِ الكَبِيْرِ بالرِّيَاضِ عَدَدٌ هائلٌ وحَشْدٌ زاخرٌ وعلى رأسِهم جلالةُ الملكُ فَيْصَلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وفي وسطهم العُلَمَاءُ والأمراءُ والمواطنونَ وحُمِلَ إلى مَقْبَرَةِ العودِ على الأعناقِ وكَانَ الحزنُ والأسى بادياً عَلَيْهم جميعاً لما يعلمونَهُ من قيمةِ الفقيدِ العلميةِ لأنَّ وفاتَهُ خسارةٌ على البلادِ الإِسْلامِيَّةِ عامةً والبلادِ السُّعُودِيَّةِ خاصةً.

والحقيقةُ أنَّ كلَّ مسلمٍ هَزَّتهُ وفاةُ الشَّيْخِ، فهوَ والدُ العُلَمَاء وعلّامةُ

الجَزِيْرَةِ، وقد رثاهُ عَدَدٌ كَبِيْرٌ من العُلَمَاءِ والأَدَباءِ شعراً ونثراً، فصدرت أعدادُ الصُّحُفِ غداةَ وفاتِه حافلةً بالمقالاتِ المشيدةِ بمكَانَتِهِ وفضلهِ فنشرتْ بنعيهِ صحفُ الرِّيَاض والبلاد والندوة وعكاظ وغيرُها.

كما أذاعتْ نعيَهُ الإذاعةُ السُّعُودِيَّةُ فِي كلٍّ من الرِّيَاضِ وجدةَ، وكذَلِكَ محطاتُ التلفاز فِي المدنِ، وأصدرتْ مَجَلَّةُ الدَّعْوَةِ عَدَداً خاصاً عَن الفقيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مدرسة الإمام الشيخ
محمد بن إبراهيم آل الشيخ[1]

بقلم الأستاذ الفاضل عبد الله بن سعد الرويشد

كنت أسير في أحد شوارع العليا الواسعة الجميلة، وبينما أنا أترجل في هذا الحيِّ الذي يعتبر من أرقى الأحياء الجديدة بالرياض العاصمة فإذا بي أرى مدرسة تحمل هذا الاسم: «مدرسة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» فوقفت أتأمل هذه المدرسة، فتذكرت والدنا وشيخنا وأستاذنا والذي تحمل هذه المدرسة اسمه الكريم، وحدثتني ذاكرتي عظمة هذا العالم الكبير والمكان الذي كان يملؤه سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل مثوبته وأقعده مجالس الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً جزاءَ ما قدّم من علم وتوجيه وإرشاد وحكم بين الناس بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وإفتاء على ضوء الكتاب والسنّة المطهرة. لذا أحببت أن أكتب عن هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة لأبنائنا الطلاب الذين قد لا يعرفون الكثير عن هذا الرجل، والرجال قليل، بل هذا العالم العامل والعلامة الجهبذ والتقي العابد الذي كان يمثل جده الإمام المصلح المجدد الأول للعقيدة السلفية في العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ إذ هو خليفته في حياته، فجدير بأجيالنا الصاعدة أمل الأمة وذخيرة المستقبل أن يدرسوا سير عظماء أسلافهم ليتأسوا بهم وينهجوا على منوالهم، فدراسة الشباب لمناقب هؤلاء الأعلام تملأ الأجيال المتأخرة روحاً وثّابة ونفساً طموحة إلى العلا.

---

(١) جريدة الجزيرة: الأحد ١٥ رجب ١٤٠٧هـ.

لذلك يسرني أن أقدم هذه السيرة العطرة لنابتة بلادنا العزيزة المملكة العربية السعودية، لتكون حافزاً لهم للاقتداء بسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد كان ملء العين والبصر ومالئ الدنيا وشاغل الناس، إذ هو حديث المجالس والمنتديات، ففضيلته أمة وحده لما يتمتع به من علمٍ غزيرٍ كالبحر وعقل كبير وبعد نظر وحكمة وتدبر وتؤدة وخوف من الله ومراقبته والغضب له ﷻ والغضب لرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ورجاحة عقل وقوة شخصية وقول كلمة الحق إذ لا يخاف في الله لومة لائم. وأشكر وزارة المعارف على تسمية هذه المدرسة باسم سماحته غفر الله له وهذا من الوزارة وفاء تشكر عليه إذ قلّ الوفاء في هذا الزمان مع الأسف، والوفاء من خلق الكرام فيجب أن نكون أوفياء وخاصة مع مثل هذا العالم الجليل والعلامة العظيم أستاذ زمانه وعلّامة عصره ومصره فأقول مترجماً لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

نسبه:

الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أستاذ الأجيال، شيخ العلماء ومفتي المملكة ورئيس قضاتها والرئيس والوالد والشيخ والمرجع لرجال العلم وطلابه، فهو علم من أعلام الإسلام وشيخ من شيوخه المحققين المجتهدين في العلوم والمعارف الإسلامية والراسخين فيها، فهو عالم في التفسير والحديث والفقه والتوحيد وعلم الأصول ومصطلح الحديث والفرائض وعلوم اللغة العربية من نحوٍ وصرف وفقه اللغة العربية فهو صاحب السماحة والفضيلة الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن المجدد الثاني للدعوة السلفية الإمام الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن الإمام المصلح شيخ الإسلام والمجدد الأول للعقيدة السلفية في العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله جميعاً ـ فقد كان علماً من أعلام الدعاة والمصلحين ومن كبار الفطاحل الذين قلّما يجود بهم الزمن.

مولده:

ولد في مدينة الرياض في اليوم السابع عشر من شهر محرم سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف من الهجرة. وكان مولده في بيت علم وفضل وتقى.

نشأته:

نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ نشأة دينية علمية كريمة، فحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة وضبط القرآن وجوّده، فقد أدخله والده العلامة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وعمره سبعة أعوام بكتّاب للمقرئ عبد الرحمن بن مفيريج. وكان والده قاضياً لمدينة الرياض ومن أكبر علماء نجد في زمنه وعرف الشيخ محمد بن إبراهيم بالذكاء والنبوغ والتدين العميق وحب المطالعة وسعة العلم، وكف بصره ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره كما فقد والده الشيخ إبراهيم أيضاً عام (١٣٢٩ هجرية) وكان لذلك أشد الوقع في نفسه.

أساتذته وشيوخه:

أخذ عن شيوخ العلماء في عصره. فقد شرع في قراءة العلم في مختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومبادئ النحو والفرائض وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومختصرات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم كالواسطية والحموية، وكذلك عنيَ بمختصرات النحو والفرائض كالآجرومية والرحبية على والده الشيخ إبراهيم وعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ـ رحمة الله عليهما ـ وقد شرع في طلب العلم والتحصيل على علماء الرياض زيادة على طلبه العلم على عمه وأبيه فدرس التفسير والحديث وأصولهما على الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق، فقد لازمه ملازمة طويلة وفي النحو، وعلوم اللغة العربية على الشيخ حمد بن فارس، وفي علم الفرائض والمواريث على الشيخ عبد الله بن راشد، وقد طلب من أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ـ رحمهم الله جميعاً ـ بتحضير المسائل والموضوعات العلمية وإعداد

الدروس، ولم يزل على حاله في الاشتغال بالعلم وصرف جميع أوقاته في تحصيله فأدرك في زمن قصير ما لم يدركه غيره من الزمن الطويل، وكان أبرز تلاميذ عمه العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ولما مرض عمه الشيخ عبد الله واشتد به المرض أشار على جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمهم الله ـ بابن أخيه الشيخ محمد بن إبراهيم لما يتمتع به من علم وعقل، وأخبره بكفاءته العلمية إذ يصلح أن يخلفه بعد مماته في إمامة المسجد والتدريس وحل المشكلات القضائية إلى غير ذلك من المهام الجسام.

فلما توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عام (١٣٣٩هـ) كان الشيخ محمد بن إبراهيم قد بلغ من العلم والتبحر فيه ما يؤهله للمكانة العلمية الكبيرة التي تنتظره، فعيّنه جلالة الملك عبد العزيز خلفاً لعمه في المكانة الدينية والرئاسة العلمية، وتولى ما كان يقوم به عمه من التدريس والإفتاء وإمامة الجامع الكبير والخطابة فيه والتصدر في مجالس العلم فالتف حوله الطلاب وشرعوا في القراءة عليه. والاستفادة منه وقد رأى منه وفيه جلالة الملك عبد العزيز الكفاءة والعلم والعقل لملء المكان الكبير الذي شغر بوفاة عمه، وقد استمر سماحته في هذه الأعمال العلمية الكبيرة الرائدة مدة خمسين عاماً من عام (١٣٣٩هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ)، وقد تخرج على يديه أفواج من العلماء كثيرون شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد، وتلاميذه يعدون بالمئات فلا يحصون عدّاً وحصراً ومنهم:

١ ـ سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٢ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣ ـ فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، جامع فتاوى شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية وصاحب المؤلفات المشهورة.

٤ ـ فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، الداعية الإسلامي في جنوب المملكة.

٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بنجد والمنطقة الشرقية... وغيرهم مئات.

مؤلفاته:

لسماحته عدة مؤلفات أهمها:

١ ـ مجموعة حديث في الأحكام مرتبة على أبواب الفقه.

٢ ـ مجموعة فتاوى تبلغ أربعة مجلدات، جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٣ ـ رسائل ونصائح ومواعظ كثيرة لا تعد ولا تحصى موجهة للأمة الإسلامية جمعاء داخل المملكة وخارجها، وكان سماحته يقرض الشعر؛ فمن شعره بعض من قصيدة في رثائه لعلّامة القصيم الشيخ عمر بن محمد بن سليم الذي توفي في السابع عشر من شهر ذي الحجة عام (١٣٦٢ هجرية) بقوله ـ رحمهما الله تعالى ـ:

إن المصيبة حقّاً فقدنا عمرا ... أعظم بميتة رزء بنا كبرا
قطب القصيم وما دون القصيم وما ... خلف القصيم وما مجرى القسيم جرى
عليه دار الهدى والحق بينه ... كان الحياة وكان السمع والبصرا
ارزقه يا ربنا عفواً ومغفرة ... واجبر مصيبتنا يا خير من جبرا

مناصبه:

ومن المناصب التي أسندت لسماحته:

١ ـ رئاسة القضاء لجميع أنحاء المملكة.

٢ ـ رئاسة إدارات الإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣ ـ رئاسة الكليات والمعاهد العلمية، فقد افتتح أكثر من سبعين معهداً علمياً وعدة كليات هي النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٤ ـ رئاسة الجامعة الإسلامية التي أسست بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ)، وبعد وفاة سماحته أسندت رئاستها إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥ ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.

٦ ـ رئاسة المعهد العالي للقضاء.

٧ ـ رئاسة المجلس الأعلى للقضاء.

٨ ـ الرئيس الأعلى والمشرف العام على رئاسة تعليم البنات.

٩ ـ رئاسة دور الأيتام بالمملكة.

١٠ ـ رئاسة معهد إمام الدعوة.

١١ ـ رئيس المعهد الإسلامي في نيجيريا.

١٢ ـ رئيس المكتبة السعودية بالرياض، والتي أنشئت بجوار مسجد الشيخ عبد الله بحي دخنة بالرياض عام (١٣٧٠ هجرية).

١٣ ـ الخطابة بجامع الإمام تركي بن عبد الله المعروف بالجامع الكبير لصلاة الجمعة وإمامة العيدين.

١٤ ـ الإمامة بمسجد دخنة الكبير المعروف بمسجد الشيخ عبد الله مدة (٥٠) عاماً من عام (١٣٣٩هـ) إلى أن توفي عام (١٣٨٩ هجرية).

١٥ ـ الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية بإفريقية.

١٦ ـ رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية التي تصدر عنها مجلة الدعوة.

١٧ ـ رئاسة هيئة كبار العلماء.

١٨ ـ الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين.

١٩ ـ تعيين الوعاظ والمرشدين.

٢٠ ـ توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين.

٢١ ـ رئاسة دار الحديث في المدينة المنورة.

وفاته:

هذا وقد ظل الفقيد الجليل هكذا يفتي ويقضي ويعلم ويعين ويوجه ويعظ ويرشد ويدير، منافحاً عن العقيدة الإسلامية السلفية، مناصراً دعاتها مؤيداً دعوة جده الأكبر إلى الدين القويم الإمام المصلح شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويفصل في المنازعات على أعلى مستويات المتنازعين، ويدعو إلى الله حتى ألم به المرض فانتقل إلى رحمته تعالى بعد الظهر من يوم الأربعاء في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام (١٣٨٩هـ) فصليَ عليه بعد صلاة العصر في جامع الرياض الكبير عن عمر يُناهز الثمانين عاماً، وكان الجمع حاشداً والزحام شديداً حيث خرجت الأمة كلها لتشيع الفقيد الغالي وكان على رأس المشيعين جلالة الملك فيصل ـ رحمهم الله جميعاً ـ وفيهم الأمراء والعلماء والوزراء والأعيان والمواطنون وقد سارت جنازته في موكب مهيب يتدافع فيها المعزون بالمناكب، يحملون جثمان الفقيد من المسجد الجامع الكبير بالرياض حتى المقبرة، وقد رفضوا أن يحمل بسيارة إذ يرون أن حمله على أكتافهم هو آخر حق لشيخهم عليهم. ووري في مقبرة الرياض الواقعة بالعود وحضر إلى بيت الفقيد بعد الدفن صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز وأبدى حزنه الشديد وألمه البالغ عليه، وظهر أثر ذلك على جلالته وترحم وأثنى عليه، وذكر خسارة البلاد بوفاته وواسى أفراد أسرته والحاضرين من العلماء والمواطنين على عادته وعادة أبناء الملك عبد العزيز من قادة هذه البلاد في تقدير المواقف

ومعرفة أقدار الرجال وحقاً لقد كان لوفاة الفقيد الكبير رنة حزن عميق وأسى بالغ في نفوس المواطنين جميعاً ولقد ودعه محبوه المفجوعون فيه خير وداع، إذ أخذ الناس يعزي بعضهم بعضاً لاشتراكهم في المصيبة وأخذوا يرددون (إنا لله وإنا إليه راجعون) يقولونها بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، فقد هزتهم وفاته إذ فقدوا شخصية كبيرة غالية عليهم. ولقد ذكرني هذا الحزن المشترك والتأثر العام بقول رسول الله ﷺ: **«أنتم شهداء الله في أرضه. موعدكم يوم الجنائز»**.

فاللهم اجزه عنا وعن عارفي فضله ومقدّري علمه وتلاميذه خير الجزاء، وتغمده اللهم بواسع مغفرتك وأسكنه فسيح جناتك.

كتاب «الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية»

تأليف فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الرحمن
آل إسماعيل ـ حفظه الله ورعاه ـ

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلَّى الله على مَن لا نبيَّ بعده محمَّد، وآله وصحبه.

وبعد، فإن التحدث عن أهل العلم وأهل الفضل شيّق وشجي، فكيف والمتحدَّثُ عنه العلَّامة المحقِّق، والفقيه المدقِّق، الفَرَضِيّ النحْويّ، المُحَدِّث الحجة الثبت، رئيس قضاة المملكة العربية السعودية في وقته ومفتيها، ومرجع علماء الجزيرة العربية: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ، والذي وافاه الأجل في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثمانين وثلاثمئة وألف هجرية، وقد فُجع العالم الإسلامي بوفاته، لأنه عَلَمٌ من أعلام الإسلام البارزين الذين يتميزون بعقليَّةٍ عَزَّ نظيرها في عصرنا هذا، ولعلّ عظمته في رجاحة عقله وثباته ورزانته.

هذا، وقد كنت جمعت بعض الشيء في ترجمته وجمعت ما قيل فيه من مراثٍ، وتولى طبع ذلك سماحة ابنه الشيخ عبد العزيز على نفقته، ثم عنَّ لي أن أعيد طباعته مع إضافة بعض الحواشي مبقياً على اسمه السابق **«الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية»**.

وأسأل الله تعالى أن يكون عملي خالصاً لوجه الله ﷻ.

هذا والله ولي التوفيق، ولا حول ولا قوَّة إلَّا به، والحمدُ للهِ ربّ العالمين.

**كتبه محمد بن عبد الرحمن بن حسين
آل إسماعيل**

الأحساء ١٤١٦/٩/٩هـ

تَقدِيم بقلم سَمَاحَة الشَّيْخِ
عَبْدِ العَزِيزِ بنِ مُحَمَّدِ بن إِبرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على رسوله النبي الأمين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد طلب مني فضيلة الشيخ الجليل محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل الاطلاع على ما كتبه عن شيخنا الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وعن أثر مدرسته العلمية المعنية بالعلوم الشرعية والأصولية والأدبية وبعلوم اللغة العربية وعلوم الحديث الشريف ورجاله والفقه وأصوله، تلك المدرسة التي أسهمت بقسط وافر في تخريج عدد كثير جدّاً من العلماء على اختلاف مداركهم وتخصصاتهم، أولئك العلماء الذي سدوا فراغاً كبيراً في ولاية القضاء والإفتاء والتدريس والتوجيه الإسلامي وكثير من أعمال الأمة في مجتمعنا على اختلاف طبائعها، سواء منها ما كان في جهاز الدولة وما كان على المستوى الفردي أو القطاع الخاص.

وبمتابعة ما كتبه الشيخ الفاضل وسجَّله وجدته قد بذل جهداً مشكوراً وعملاً خيراً مقبولاً إن شاء الله، فجزاه الله خير الجزاء.

وقد عالج جوانب من حياة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن أعماله وكفاحه في سبيل تلك العلوم والمعارف، وما قام به من جهود إسلامية في بناء المعاهد العلمية على أسس ثابتة ومناهج سليمة.

---

(١) وله تعليقات وجيزة على هذه الرسالة ختمها ـ حفظه الله تعالى ـ باسمه.

والفضل لله ثم للملك الصالح عبد العزيز الذي أرسى قواعدها وحرص على نموها وتشجيع منسوبيها؛ فقد أحاطها بعنايته وشرفها برعايته.

وعلى نهجه ومن بعده سار أبناؤه البررة؛ فتحولت تلك المعاهد وكلياتها التي كانت تحمل اسم «الرئاسة العامة للكليات والمعاهد الدينية» إلى جامعة كبرى هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والتي كنت أول مدير لها وممن عمل بحمد الله لدى المسؤولين على قيامها، فقامت وشمخ صرحها عالياً، والتي يرعاها ويدعمها في العهد الحاضر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رائد العلم والمعرفة والذي شمل برعايته الملكية سائر القطاعات الدينية والعلمية والصناعية والزراعية وبالأسلوب التقني الحديث، حتى واكبت الأمة في المملكة العربية السعودية ركب الأمم الراقية والمتقدمة في هذا المضمار مع فارق مهم وهو ما يميز هذه المملكة من الثبات على العقيدة الصافية والأخلاق الفاضلة الحميدة... والدولة المطبقة لشريعة الله.

نسأل اللهَ أن يحفظ لهذا البلد نعمة الأمن والإيمان وكافة أقطار المسلمين وأن ينصر دينه ويعلي كلمته. والحمد لله ربّ العالمين.

الرئيس العام
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً
والمستشار في الديوان الملكي
عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ[1]

---

(١) توفي معالي الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بعد حياة علمية حافلة بالعطاء والخير والفضل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَةُ المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله سيِّدنا ونبيّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإني أقدم كتابي وبحثي المتواضع إلى إخواني في المملكة وخارجها، إلى إخواني الشباب؛ لأعرفهم بعَلَم من أعلام المسلمين ومجاهد كبير قضى حياته في العلم والتعليم والدَّعوة إلى الله، لأعرفهم برائدٍ من رواد النهضة الحديثة بل مصلح كبير لا يعرفون عنه شيئاً سوى نتف من هنا أو هناك أو في حديث عارض، وأقدم رسالتي هذه إلى مشايخي وأخص منهم تلاميذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهم أعرف به مني ولكن قد يكون نسيه أحدهم فأكون ببحثي هذا له مذكِّراً.

إنه العلَّامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية ومفتيها رَحِمَهُ اللَّهُ، أُذكِّر به تلاميذه حتى لا نقع في العقوق للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد أدَّى الأمانة، وحمَّل المسؤولية تلاميذه بالأمس، وهم رجال اليوم؛ ففيهم القضاة والدُّعاة، والمدرِّسون، والمُفتون، والوزراء والكبراء.

الرجل الذي قدرته حكومتُنا الرشيدة وأجلَّته حيّاً وميتاً حيث أحلَّت تلاميذه محل الصدارة، ووضعتهم في مراكز قيادية حساسة.

وكفاه شرفاً رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ كُلّاً يدَّعي أنه تتلمذ عليه وكلّاً يدَّعي أنه أخذ عنه. إنَّ سيرته سيرة أمة. رجل قضى حياته في العلم والتعليم والإرشاد

والتفهيم والقضاء والإفتاء. كان إيجابيّاً في كل ما من شأنه عزة الإسلام والمسلمين، بل لم يكن متقوقعاً على نفسه، ولا منفرداً ولم يكن سلبيّاً، ولم يكن ضعيفاً.

عَرفتُهُ عن طريق تلاميذه، وأخص منهم أستاذي وشيخي الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش، فهو ابن عمتي، عرفني بالشيخ محمد فأعجبت به وأحببته، وكنت أزوره بصحبة الشيخ عبد الله بن دهيش، وسمعت بوفاته فحزنت وبكيت حتى بلَّت دموعي حجري؛ لأنه كما قال الشاعر:

والناس ألف منهم كواحدٍ ... وواحد كالألف إن أمر عنى

فهو وحيد عصره، ولما توفي رَحِمَهُ اللَّهُ كنت أتتبع ما قيل فيه من رثاء حتى جمعت حصيلة لا بأس بها، ومرت الأيام بعد الأيام فكانت تضمني بين الحين والآخر مجالس مع بعض الشباب فيدور حديث في موضوع ما فأقول: الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يرى كذا وكذا، فأجد استغراباً عندهم. فبعضهم يسكت كالمنكر وبعضهم يستفسر من هو الشيخ محمد[1]؟ فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون. الخطأ خطأ تلاميذه حيث لم يقم منهم واحد ليكتب نبذة عن هذا الرجل العظيم.

فقد يقول قائل: إنَّه كتب عنه المشايخ الفضلاء ـ الشيخ عبد الله آل بسام، والشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، ومحمد القاضي ـ في كتبهم التي ألفوها في تراجم علماء نجد.

فأرد قائلاً: جزاهم الله خيراً. لقد كتبوا واستفدت ممّا كتبوا، ولكنهم كتبوا له ترجمة عابرة في صفحتين أو ثلاث أسوة بغيره من العلماء المترجَم لهم، كتابة لا تشفي الأوام ولا تروي الغليل.

---

(١) الذي يسأل: ومن هو الشيخ محمد بن إبراهيم؟ ولا شك غُفل لا يعرف شيئاً عمّا حوله.

لهذا تتبعت كُلَّ ما كُتب عنه رَحِمَهُ اللَّهُ وما قيل فيه من رثاء، واستعرضت لمنهجه الفكري وتعدد مناحيه ومدى تأثيره في طلابه في شتى المعارف والتخصصات.

وأشهر تلاميذه وتخصُّصاتهم وريادتهم في تخصُّصاتهم واختلاف معارفهم. مشاركة منِّي على قدر جهدي وطاقتي فهو وحده تعالى العالم بالنيَّات والمطَّلع على الأسرار والخفيَّات.

وصلَّى الله على عبده ورسوله سيِّدنا ونبيّنا محمد، وآله وصحبه وسلَّم.

المؤلف

انتهيت من كتابته مساء يوم الثلاثاء

٢٤ ـ ١٤٠٦/١٠/٢٥هـ

في الرياض

ترجمة
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

نسبه ومولده:

هو العالم العلَّامة المحقق بل خاتمة محققي الحنابلة الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ عبد الوهاب ابن مفتي الديار النجدية الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرَّف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم... إلخ.

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في دخنة في الرياض في (١٧) محرم (١٣١١هـ)[1].

أبوه الشيخ إبراهيم: وُلد أبوه الشيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٢٨٠هـ) بمدينة الرياض ونشأ بها، وقرأ على أخيه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وعن الشيخ محمد بن محمود. وولي قضاء الرياض في أول عهد الملك عبد العزيز واستمر فيه طيلة حياته، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٢٩هـ).

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله: ١/ ٩، بقلم جامعها.

نشأته:

نشأ الشيخ محمد بن إبراهيم بمدينة الرياض نشأة صالحة في بيئة دينية في بيت علم وفضل وزعامة دينية، فنشأ على عادة أهله محبّاً للعلم طموحاً إلى الفضل، فرباه أبوه تربية حسنة[1].

قال ابن بسام: فمن حين بلغ السابعة من عمره شرع يتعلم القرآن الكريم في كتّاب للمقرئ عبد الرحمن بن مفيريج فأتم قراءته وإجادته، ثُمَّ شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما بلغ الحادية عشرة حتى أتمه حفظاً[2]، وطرأ عليه العمى وهو في السادسة

---

(١) فلا غرابة في ذلك أن ينشأ سماحته هذه النشأة المباركة؛ فجده الإمام الأكبر شيخ الإسلام المجدد، إمام الدعوة السلفية، الشيخ محمد ابن الشيخ العلَّامة عبد الوهاب ابن مفتي الديار النجدية الشيخ سليمان بن علي بن مشرف الذي أحيا الله به الدين بعد اندراسه؛ فنشر السنَّة وحارب البدعة؛ فقد انتشر الفساد في غالب الجزيرة العربية وفي غالب البلاد الإسلامية، فانتشر الذبح لغير الله وسؤال غير الله واللجوء إلى أهل القبور والاستغاثة بهم، فجدد الشيخ الدعوة، وساعده على إحياء السنَّة وإماتة البدعة الإمام محمد بن سعود رحمهم الله.
وما هذه الدولة الفتية إلَّا نتيجة اللقاء بين الإمامين المتقدمين، ونفع الله بدعوته غالب البلاد الإسلامية فخرج المجددون متأثرين بدعوته، وله التآليف الكثيرة التي أسدُّها وأعظمها كتاب «التوحيد» وشرحه النفيس «تيسير العزيز الحميد» للإمام الشهيد سليمان بن الإمام عبد الله بن الإمام المجدد، ومختصره مع تكملته «فتح المجيد» للمحقق الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الإمام المجدد، وقد وُلد المجدد عام (١١١٥هـ)، وتوفاه الله عام (١٢٠٦هـ)، وليس هذا مجال الحديث عنه، وقد ألّفت فيه المؤلّفات الكثيرة، وأثنى عليه المحقِّقون في مؤلفاتهم. هذا، وقد وفَّق الله الفقير جامع هذه الترجمة فشارك على قدر جهده حيث شرح رسالة الشيخ العلَّامة محمد بن عبد العزيز آل مانع الموسومة بـ«القول السديد فيما يجب لله على العبيد» بشرح سمَّاه «المنهج الرشيد على القول السديد» وهي الآن تحت الطبع.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون: ١/ ٨٨.

عشرة من عمره[1][2].

مشايخه:

١ ـ والده الشيخ إبراهيم.

٢ ـ عمه علَّامة نجد في زمنه الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف.

٣ ـ الشيخ الفقيه المُحَدِّث سعد بن حمد بن عتيق[3].

٤ ـ الشيخ حمد بن فارس، الفقيه النحوي[4].

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص١٦٩.

(٢) فمن محفوظات سماحته: «زاد المستقنع في اختصار المقنع»، و«المنتهى» وشرحه، و«الإقناع» وشرحه «كشاف القناع»، و«الكوكب المنير في أصول الحنابلة»، وغالب كتب المذهب، وإحاطة شاملة لما في «المغني»، واطلاع على مذاهب المخالفين، مع حفظ «عمدة الأحكام» في الحديث، و«بلوغ المرام»، و«منتقى الأخبار» وشرحه، واستحضار تام لشروح الأمهات مثل «فتح الباري»، و«النووي على مسلم»، مع استحضار لما في أهم التفاسير مع حفظ «تفسير ابن كثير». أمَّا في اللغة فإنه لا يجارى ولا يبارى، ومن محفوظاته «مقامات الحريري»، و«شروح المعلقات» مع استحضار لما في كتب النحو الكبيرة.

فقد أخبرني بذلك ثلاثة من مشايخي: ١ ـ الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش، ٢ ـ الشيخ الجليل سليمان بن عبد الله آل حماد، المحقق القضائي المتقاعد، ٣ ـ العلَّامة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.

وبالجملة فإنَّ الشيخ محمداً استحق مرتبة الاجتهاد حسبما يقرره محققو الحنابلة.

(٣) الشيخ العلَّامة الفقيه المحدِّث سعد ابن العلَّامة الشيخ حمد آل عتيق، بيت علم. وُلِد هذا المحقق عام (١٢٧٩هـ) بالأفلاج، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٤٩هـ) بالرياض. رحل لطلب العلم فحصل، وممن أجازه غير والده السيِّد صديق بن حسن خان. وله من التآليف: «نيل المراد بنظم متن الزاد» وهو نظم نفيس جدّاً، و«حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض»، و«عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية».

(٤) هو: العلَّامة الشيخ حمد بن فارس بن عبد الله بن فارس من آل رميح من عرينة سبيع، بيت علم، طبقت شهرته الآفاق. جدّه الأكبر مفتي نجد في عصره =

٥ ـ الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي.

٦ ـ وأجازه الشيخ عبد الستَّار الدهلوي الهندي ثم المكي؛ اتصل به في مكة المكرمة[١].

٧ ـ والشيخ حسين بن محسن الأنصاري، اتصل به في حج عام (١٣٤٨هـ).

٨ ـ الشيخ محمد بن محمود.

أخذ عن هؤلاء الفحول؛ كل حسب اختصاصه.

تلقى علم العقائد عن والده وعمه. وكذلك مختصرات العلوم الشرعية.

= العالم الكبير الفقيه الشيخ إسماعيل بن رميح، من أهالي الروضة بسدير المتوفى سنة (٩٧٠هـ)، صاحب المجموع الفقهي الذي يوجد منه نسخة بمكتبة العلَّامة عبد الله بن خلف آل دحيان الحربي السديري، قاضي الكويت ومفتيها، وهذا العالم يرجع إليه كثير من الأسر في نجد والأحساء، فممن يرجع إليه: ١ ـ آل فارس، ومنهم: شيخنا هذا الشيخ حمد، وابنه الشيخ محمد، وفضيلة معالي نائب وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ صالح ابن الشيخ عبد العزيز ابن العلَّامة المحقق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، يكون سبط الشيخ محمد بن الشيخ حمد بن فارس فهو ابن بنته، وهذا شرف لفضيلة الشيخ صالح، فكذلك أجداده من قبل أمه من بيت علم عريق في العلم من القرن العاشر. ٢ ـ وممن يرجع في النسب إلى الشيخ إسماعيل بن رميح آل جبر في نجد والأحساء، ومنهم: آل مديرس بالأحساء، وآل فريح وآل حماد وآل محمد وآل مطلق وآل إسماعيل في رُغبة ـ بضم الراء ـ وفي نجد والأحساء، وقد عمل الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل جبر شجرة لأسرتهم، ولأبناء عمومتي، في مكتبتي نسخة منها.

(١) الشيخ المحقق عبد الستَّار الدهلوي: انتهى إليه علم الإسناد في الحجاز، له إجازة مطولة أجاز فيها الشيخ العلَّامة عبد الله بن سليمان بن بليهد الخالد، رئيس القضاة بمكة المكرمة المتوفى سنة (١٣٥٩هـ)، وإجازة الشيخ عبد الستار موجودة في مقدمة «الأحكام السلطانية» للقاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي.

وأخذ علوم العربية عن أستاذ عصره في العربية الشيخ حمد بن فارس؛ فقرأ عليه «الملحة» و«الآجرومية» و«قطر الندى» و«الألفية» وسائر العلوم اللسانية.

وأخذ الفقه عن والده، وعمه، وعن الشيخ سعد بن عتيق، وعن الشيخ حمد بن فارس، وعن الشيخ محمد بن محمود، وأخذ عن هؤلاء المذكورين الأصول والفرائض، والكتب التي قرأها على هؤلاء: «زاد المستقنع» وشرحه «الروض»، و«المنتهى» وشرحه، و«كشاف القناع عن متن الإقناع»، و«شرح المفردات»، و«المغني»... إلخ[1].

وأخذ الحديث وعلومه عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وعن الشيخ عبد الستَّار الدهلوي المكي، والشيخ حسين بن محسن الأنصاري، وعن عمه الشيخ عبد الله.

فجدَّ واجتهد في التحصيل العلمي حتى أصبح عالم عصره، وبرَّز في جميع الفنون فأصبح المرجع في العلوم الشرعية واللغوية.

قال صاحب مشاهير علماء نجد: (ولمَّا توفي عمه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف سنة (١٣٣٩هـ) عيَّنه الملك عبد العزيز خلفاً لعمّه في الفتيا وإمامة المسجد والتدريس، فصار يؤمّ الناس الفروض الخمسة في مسجد عمّه المشهور بمسجد الشيخ في حي دخنة، ويجلس فيه لطلبة العلم يقرؤون عليه في مختلف العلوم. وفي سنة (١٣٤٥هـ) أرسله جلالة الملك عبد العزيز إلى أهل (الغطغط) لما غلوا في الدِّين وشددوا فيه تشديداً ينافي الشرع، فمكث عندهم ستة شهور يُبيِّن لهم معاني الكتاب والسُّنَّة، وعبارات رسائل علماء الدعوة ويحذرهم من الغلو ومجاوزة الأمور المحظورة. ثُمَّ رجع إلى الرياض واستمر في نشر العلم وتعليمه.

---

(١) مع مراجعة بحث واستقصاء لأمهات الكتب الكبرى، وكتب علماء المذاهب الأربعة. [عبد العزيز].

فملأ نجداً قبل نشر العلم بتأسيس المدارس وتعميم التعليم.

طريقة تدريسه وأوقات جلوسه:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا صلَّى الفجر جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في «الآجرومية» في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في «القطر» لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في «ألفية ابن مالك» و«شرح ابن عقيل». فإذا انتهوا من قراءة النحو في الألفية والشرح قرؤوا عليه في الفقه في متن الزاد «زاد المستقنع في اختصار المقنع» غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت أخذ الشيخ في إعادة ما قرؤوه من المتن من حفظه وشرع يتكلّم على العبارات، ويوضح معاني الكلمات فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح الزاد «الروض المربع» قراءة ترتيل يقف عند كل جملة وفقرة، والشيخ يعلّق على عبارات الشارح وجمله بكلام يوضح المعنى ويزيل الإشكال، ويصور المسائل تصويراً ملموساً يقرّب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة ويقرر قواعدها في نفوسهم؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ آخذ بناصية علم الفقه، ومتبحِّر فيه تبحُّراً عظيماً، فإذا انتهى من تقريره على الفقه شرعوا في القراءة عليه في «بلوغ المرام».

فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهاراً انصرف إلى داره وجلس فيها. فإذا حانت الساعة الثالثة جاءه كبار الطلبة وخواصهم وقرؤوا عليه إلى الساعة الخامسة نهاراً، ثم انصرفوا.

فإذا أذن الظهر خرج وصلَّى بالناس في المسجد، جاء أهل المطولات وقرؤوا عليه في مختلف الكتب كـ«جامع الترمذي»، و«صحيح البخاري»، و«زاد المعاد في هدي خير العباد». فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في بعض المتون العلمية غيباً مثل «كتاب التوحيد» و«العقيدة الواسطية»، ثُمَّ يعود إلى داره.

وبعد صلاة العصر يجلس في المسجد يقرأ عليه أحد أعيان الطلبة

في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرؤوا عليه في «العقيدة الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي على أذان المغرب نصف ساعة خرج إلى داره.

فإذا أذن المغرب جاء وصلَّى بالناس، ثُمَّ جلس في المسجد للطلبة يقرؤون عليه علم الفرائض والمواريث، فإذا ختم أذان العشاء قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول وتنفل ثُمَّ أمر القارئ فشرع يقرأ عليه في «تفسير ابن كثير» إلى الساعة الثانية والنصف فيأمر بإقامة الصلاة، فإذا أُقيمت وصلّى الناس تنفل وأوتر[1] وخرج إلى داره وهي قريبة من مسجده.

واستمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة من عام (١٣٣٩هـ) إلى عام (١٣٨٠هـ) حيث ترك تتبُّع الدروس ما عدا درس الفقه و«بلوغ المرام»، فإنه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض[2].

أخلاقه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ قوي الشخصية مرهوب الجانب، على وقارٍ تام، قليل الكلام إلَّا فيما ينفع، ذا فراسة لا تخطئ، كثير التأني لا يتعجل ولا يحب العجلة، مع قوة حافظته وقوة ذاكرته وسرعة بديهته وحضورها، إلا أنه لا يتعجل بالإجابة بل يتأنى ويتأمل إذا سئل، ويتثبت إذا نقل له، بل لا يرضى أن يُغتاب أحد في مجلسه. ويكره التملق والمتملقين ولا ينخدع بهم، ولذا لا ترى للوشاة ولا للنمامين مكاناً في مجلسه.

فتح الله بصيرته فسرعان ما كشف أهل المكر والتمويه فلا ينخدع بالمظاهر، وهذه خصلة امتاز بها، عرف بهذا هذا الشيخ الجليل، وهذا

---

(١) الذي أدركته وشاهدته أنه يتهجد آخر الليل ثم يوتر. [عبد العزيز].

(٢) «مشاهير علماء نجد»، ص١٧٢، الطبعة الثانية.

ما جعل له مكانة في نفوس الناس، فثقله ورزانته نعمة من الله وهبه إياها، حتى من ليسوا على صلة معه في حياته أسفوا عليه بعد وفاته، وعرفوا فضله بفقده، وفجع الناس عليه في الداخل والخارج، فهو شجاع في قول كلمة الحق لا ينثني، صادق فيما يدعو إليه؛ لا يقول الرأي إلَّا بعد رويّة. لا يحب السمعة ولا الظهور. امتاز بجلده وصبره وجده ومثابرته وقوَّة عزيمته في تحصيله العلمي ثُمَّ في تعليم تلاميذه وتعويدهم الجد والجلد والمثابرة والمجاهدة، فهو مربي قبل أن يكون معلماً؛ لذا فإنَّ شخصيته منطبعة في نفوس تلاميذه.

والشيء العجيب أنَّ تحصيل تلاميذه الحقيقي كان على يديه.

مؤلفاته:

اشتغال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالتعليم وتخريج الرجال، واشتغاله بالدعوة إلى الله، ثُمَّ اشتغاله بالوظائف التي يشرف عليها بنفسه، ومتابعته لأحداث العالم الإسلامي كل هذا صرفه عن التأليف. ولكن مع هذا فإنَّ له رسائل في مواضيع شتى وفتاوى في الأصول والفروع فرَّغ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ليجمعها، وفعلاً جمعها وبلغت ثلاثة عشر مجلداً[1].

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة حاشيته على «الروض المربع» أنَّ غالب حاشيته من تقارير الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذه الحاشية تقع في سبعة مجلدات كبيرة.

وقد طبع للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الرسائل مستقلة مثل «ثلاث رسائل في المعاملات الرِّبوية»، و«المولد النبوي»، و«مهور النساء»، و«الجواب

---

(١) وكان هذا بأمر من الملك فيصل، تلقَّيته وأنا مدير لجامعة الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد مدرس بأحد معاهدها. [عبد العزيز].

الواضح المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم»، و«نصيحة الإخوان في بيان نقض المباني» لابن حمدان، و«تحذير الناسك عمَّا أحدثه ابن محمود في المناسك»... إلخ وغيرها كثير.

أعماله ووظائفه:

بجانب اشتغاله بالتدريس كان يفتي الناس ويجيب على أسئلتهم حتى أُنشئت دار الإفتاء.

١ ـ عمل رئيساً لدار الإفتاء من حين أُنشئت عام (١٣٧٤هـ).

٢ ـ وإلى جانب الإفتاء عمل رئيساً للقضاة ومميزاً للأحكام الصادرة منهم من عام (١٣٧٦هـ) في المنطقة الوسطى والشرقية، ثمَّ ضمَّ إليه جميع القضاة في البلاد السعودية عام (١٣٧٨هـ) وذلك بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن، الذي كان رئيس القضاة بالحجاز.

٣ ـ وتولى رئاسة المعاهد العلمية والكليات من عام (١٣٧٠هـ).

٤ ـ ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ).

٥ ـ رئاسة دور الأيتام.

٦ ـ رئاسة تعليم البنات عام (١٣٧٩هـ).

٧ ـ رئاسة المعهد العالي للقضاء.

٨ ـ رئاسة رابطة العالم الإسلامي عام (١٣٧٩هـ).

٩ ـ رئاسة الإشراف الديني على الحرمين الشريفين.

١٠ ـ رئاسة المكتبة السعودية.

١١ ـ رئاسة مجلس القضاء الأعلى.

١٢ ـ خطابة الجامع الكبير في الرياض والعيدين.

١٣ ـ إماماً لمسجد دخنة الكبير خمسين عاماً.

١٤ ـ الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقية.

١٥ ـ رئيساً لمؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية بالرياض، وكانت تصدر مجلة (راية الإسلام) التي تحولت فيما بعد إلى مجلة الدعوة.

١٦ ـ الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين[١].

فقام بهذه المهام رَحِمَهُ اللَّهُ خير قيام حتى انطبق عليه قول الشاعر:

والناس ألف منهم كواحدٍ ... وواحد كالألف إنْ أمر عنى[٢]

وفاته:

توفي ظهر يوم الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة (١٣٨٩هـ) عن عمر بلغ (٧٨) سنة وثمانية شهور وثمانية أيام، وانزعج الناس لموته، وحزنوا عليه حزناً شديداً، وصلّوا عليه في الجامع الكبير، وأمَّهم بالصلاة عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. وبعد فراغهم من الصلاة خرجوا به إلى المقبرة محمولاً على الأعناق، وكان الجمع عظيماً، والزحام شديداً، وشيَّعه إمام المسلمين الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود والعلماء والأمراء والوزراء وجميع سكان مدينة الرياض. وقبر بمقبرة العود[٣] ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

مات عمّه الشيخ إسحاق عام (١٣١٩هـ)، ثم توفِّي بعده والده إبراهيم عام (١٣٢٩هـ)، ثُمَّ عمّه الشيخ عبد الله عام (١٣٣٩هـ)، ثُمَّ شيخه الشيخ سعد بن عتيق عام (١٣٤٩هـ)، وتوفي الفقيد العظيم رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٨٩هـ).

---

(١) جريدة الدعوة، الإثنين ١٣ شوال ١٣٨٩هـ.

(٢) ومع كل هذه المناصب لم يكن يتقاضى راتباً شهرياً، وإسنادها إليه راجع لما يتمتع به من قوة في الحق وشخصية نادرة.

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص١٨٠، الطبعة الثانية.

أولاده:

خَلَّف رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أبناء هم:

١ ـ معالي الشيخ عبد العزيز، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٢ ـ معالي الشيخ إبراهيم، وزير العدل[٢].

٣ ـ أحمد، الموظف بوزارة العدل.

٤ ـ الشيخ عبد الله[٣]، محاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

رحمه الله وبارك في عمر أولاده[٤].

---

(١) معالي الشيخ عبد العزيز، هو الآن: مستشار بالديوان الملكي.

(٢) معالي الشيخ إبراهيم، هو الآن متقاعد، عافاه الله وشفاه.

(٣) معالي الدكتور الشيخ عبد الله، هو الآن: وزير العدل.

(٤) ومن العلماء: حفيده فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد، وهو معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وشقيقه الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز، الذي أكمل دراسته الجامعية بجامعة الملك سعود وانتسب إلى كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعمل عضواً في الدعوة والتوجيه. والشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد الوكيل المساعد لهيئة الأمر بالمعروف، وقد تخرَّج من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود.

نماذج من شعره رَحِمَهُ اللَّهُ

كتب له بعض المحبِّين رسالة وختمها بثلاثة أبيات يحيِّي بها سماحته، فأجابه سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ:

عليك مثل الذي أهديت يشفعه ... تحية ما شدا بالبان صادحه
في روضة من رياض الخرج باكرها الـ ... ـوسميُّ والصيف أسقتها روائحه
ورحمة الله ما أبدى من أخو مقة ... من الوداد الذي تخفى جوانحه

* * *

تفقَّد طلَّابه رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر الدرس فوجد بعضهم قد خرج، فأملى على الحاضرين:

وا سوأتاه لطالب العلم الذي ... ثقلت عليه مجالس التدريس
وإذا قراءته تقضت قام لا ... يلوي على ما بعد من تأسيس
هذا وفي حال القراءة قلبه ... في الفهم والإصغاء غير أنيس
ويود لو أنَّ القراءة تنقضي ... في لحظة ماذا يقول جليسي
إن قلت: إنهموا لعمري ما لهم ... من رغبة في نيل أي نفيس
أو قلت: ما لهمو من الإقبال من ... إدلاجه حظ ولا التغليس
يا رب أشكو زهدهم في العلم إذ ... رفضوه إيثاراً لنيل خسيس
ورضوا الترسم وهو غير مفيدهم ... إن الأماني حظ ذي التفليس
يا رب واجعلنا من الحزب الذي ... تختاره للتنزيه والتقديس
وإبانة التوحيد محضاً صافياً ... وإزاحة التشبيه والتلبيس

* * *

وقال أبياتاً شعرية ملغزاً بها وألقاها على طلبة الكليتين ووضع جوائز لمن يعرف اللغز ويجيب بالنظم، فقال:

يا طالب العلم في المعاهد والكلِّ ... يتين مؤملاً نيل قدسه
مَنْ مجيبي عن سؤال ... قد تبدى من الوضح بطرسه
هل مهدي قد استوى مع مضل ... في التصاريف واللزوم وعكسه
وبودي أن الجواب بنظم ... وببحر هو بحر نظمي نفسه
وسؤالي إلٰهنا لمجيبي ... أن يُلقَّى النجاح في كل درسه[1]

* * *

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ معاتباً إيَّاه على عدم المراسلة حين كان الشيخ عبد اللطيف مع عمال الزكاة في بوادي المدينة المنورة:

ألا يا حداة العيس مني تحملوا ... تحية مشغوف الفؤاد وسيروا
وحثوا العتاق اليعملات وأدلجوا ... ولا يعتريكم غفلة وفتور
فإمَّا أنختم بالفنا ولقيتمو ... شقيقي حليف الود وهو صغير
فقولوا له: يهدي السلام مضاعفاً ... إليك محب في هواك أسير
ويهدي تحيات كأنَّ أريجها ... لدى النشر يا عبد اللطيف عبير
ويبدي عتاباً في النظام أهاجه ... صغير بلى إن المهيج كبير
تركتم محبيكم بغير رسائل ... ورسلكم نحو البلاد تسير
جفاء فعلتم أم أتيت خطيئة ... لذا أوجبت منكم فأنت عذور
وربك علَّام الخفيات شاهد ... على أن ذكراكم لدي سرور
وأنشد أبياتاً لمن لمح القطا ... وقد ذرفت عيناه وهو حسير
أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلّي إلى من قد هويت أطير؟

---

(١) وقد أجابه أحد الطلبة ـ وهو د. محمد بن حسين ـ بأبيات حل بها اللغز فسُرَّ بإجابة الطالب ودعا له. [عبد العزيز].

وإمَّا تفضلتم سؤالاً فإننا جميعاً بخير والسرور كثير
سوى أنكم بنتم فشط مزاركم وحالت سهول دونكم ووعور
وإنا لنرجو الله جمعاً لشملنا ولمّاً لشعثٍ إنه لقدير[1]

(١) هذه القصيدة وما قبلها نقلته عن معالي وزير العدل الشيخ إبراهيم ابن سماحة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فكر الشيخ ومنهجه الفقهي

نظرته للمذاهب الأربعة والتقليد

يعتبر الشيخ محمد بن إبراهيم من كبار علماء المسلمين، بل من أفذاذ العالم الإسلامي. ويعتبر بحقٍّ خاتمة محققي الحنابلة، بل أعجوبة الدهر؛ فهو مع كونه حنبلي المذهب إلَّا أنه ليس متعصباً، فهو غير متعصّب لأحد المذاهب الأربعة، وكذلك يكره الخروج على المذاهب الأربعة، ويحترمها، ويجل الأئمة، ويغضب عند التعرض لهم أو انتقادهم أو التقليل من شأنهم كما هي طريقة أسلافه من أئمة الدعوة ـ رحمهم الله ـ.

فالأئمة الأربعة هم الذين أجمع المسلمون على تقليدهم والاقتداء بهم. فهم علماء الحديث، وهم علماء السنَّة، وهم فقهاء الإسلام، فرحمة الله عليهم وعفى عنهم وجزاهم خير الجزاء. فالمسلم إذا قلَّد واحداً منهم فهو على هدى وعلى بصيرة، ولكن شريطة ألَّا يتعصب لواحدٍ منهم فالتعصب مذموم.

وإليك ما قاله في التمذهب والانتساب إلى أحد المذاهب الأربعة: «التمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة سائغ، بل هو بالإجماع ـ أو كالإجماع ـ ولا محذور فيه، كالانتساب إلى أحد الأربعة، فإنهم أئمة بالإجماع. والناس في هذا طرفان ووسط: قوم لا يرون التمذهب بمذهب مطلقاً، وهذا غلط. وقوم جمدوا على المذاهب ولا التفتوا إلى بحث. وقوم رأوا أن التمذهب سائغ لا محذور فيه، فما رجح الدليل مع أي أحدٍ من الأربعة أو غيرهم أخذوا به، فالذي فيه نص أو ظاهر لا

يلتفت فيه إلى مذهب، والذي لا من هذا ولا من هذا، وكان لهم فيه كلام ورأى الدليل مع مخالفهم أخذ به. وكلام الأئمة في التحذير من تقليدهم وذم المقلد معروفٌ مشهورٌ في كلامهم»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حكام الشرع المنتسبون إلى الأئمة الأربعة وغيرهم أحكامهم ما بين صواب يحصل لصاحبه أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وهو يتوخى إصابة الحكم الشرعي من ينبوعه الصافي وبذل كل الجهود في الحصول على معرفته، واستعمال كل الوسائل الموصلة إلى القول به، والدعوة إليه. وما بين خطأ من صاحبه بعد بذل الوسع في الحصول على الصواب إن فاته ذلك لم يفته أجر الاجتهاد والحرص على الصواب»[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن الاقتداء والتقليد: «الاقتداء غير التقليد وهو اتباع قول الغير الذي يراه أعلم منه بالدليل، وأمَّا التقليد فهو أخذ قول القائل من غير نظر إلى دليل.

فالاقتداء هو من طريق السلف وهو حق، فإنَّ العلماء وسائط بعضهم مع بعض إلى معرفة ما جاء به النبي ﷺ، ولهذا في الحديث: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، وفي الآية: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والتقليد قسمان: إذا كان لا يعرف الدليل فيسوغ له التقليد. فهو في حق العامي غالباً أو مطلقاً. ويكون في حق العالم في بعض الأشياء. وقسم لا يسوغ له التقليد. «تقرير الحموية»». انتهى[3].

---

(١) المجلد الثاني من فتاويه ورسائله، ص١٧.

(٢) المجلد الثاني من فتاويه ورسائله، ص٧.

(٣) فتاويه ورسائله ٢/١٦.

موقفه من الذين يتهجمون على المذاهب الأربعة

لـمَّـا بـلـغـه أنَّ بـعـض الـوعـاظ يـتـهـجـمـون عـلـى الـمـذاهـب الأربـعـة ويـتـنـقـصـونـهـم غـضـب رَحِمَهُ اللَّهُ لـهـذا الـعـمـل الأهـوج والاتـجـاه الـمـنـحـرف، فكتب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة رَحِمَهُ اللَّهُ ليخبره بذلك ليتأكد من صحة ما ذكر وإجراء اللازم وإليك نص ما كتبه:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن حفظه الله. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد وردنا من عمر فتحي كتاب يذكر فيه بعض ما يقوم به الوعاظ الهنود وغيرهم من التهجم على أئمة المذاهب الأربعة والحط من قيمتهم ومن أقوالهم وأتباعهم. وحيث إن هذا مما يتنافى مع ما يجب من احترام الأئمة وعلماء الملة، ومما يثير الفتنة والشقاق بين الناس أحببنا إلفات نظركم إلى ما ذكره، وبعثنا لكم نفس كتابه لتطلعوا عليه، ولا ريب أنكم بالاطلاع على ذلك وتحقيق ما ذكره صاحب الكتاب ستقومون بالواجب إن شاء الله. والله يحفظكم. ٢٨/ ٣/ ١٣٧٧هـ»[1].

فانظر أيها القارئ الكريم إلى عقلية هذا الرجل العظيم وإلى ورعه وغيرته ودفاعه عن سلف هذه الأمة وموقفه من الذين يعادون السلف ويُقللون من شأنهم.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يبتدع بل سلك مسلك علماء المسلمين قاطبة بما فيهم المحدِّثون والأصوليون والفقهاء. فالذين خدموا الحديث الشريف

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣/ ١٦٢.

وألّفوا في مصطلحه كلهم متمذهبون، بل وينتسبون إلى المذاهب الأربعة، ولم يعرف عن واحدٍ منهم أنه أنكر التمذهب أو رد على المنتسبين إلى الأئمة الأربعة.

فهذا شيخ المحدِّثين ـ وعلماءُ مصطلح الحديث عالةٌ عليه ـ ابن الصلاح، صاحب المقدّمة، شافعيّ المذهب.

وهذا الإمام المحدِّث ابن دقيق العيد صاحب كتاب الاقتراح في علم الاصطلاح شافعي المذهب، والإمام النووي شافعي المذهب، والحافظ ابن كثير شافعي المذهب، وابن حجر العسقلاني شافعي المذهب.

وهذا ابن عبد البر الحافظ مالكي المذهب، وعلماء الحنفية والحنابلة هم الذين ألّفوا كتب الأحكام وهم الذين شرحوها وهم الذين ألّفوا في مصطلح الحديث كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وتلميذه المحقق ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فلم يعرف عن هؤلاء أو واحدٍ منهم الطعن في المذاهب أو إنكارها.

وقد ابتلينا في هذه الأزمنة بأناس اتخذوا لهم شعارات ووضعُوا لهم مسميات هدفهم الطعن في الأئمة الأربعة وتنقصهم، ويدعون الشباب الناشئ ليجتهدوا. وخرج في هذا العصر من يطعن في مقلدي الأئمة الأربعة ولكنه في نفس الوقت يدعو الناس إلى تقليده، وينفرهم من تقليد أحمد أو مالك.

فانظر رحمك الله إلى موقف الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ من الأئمة الأربعة، ومن تقليدهم، فهو مع احترامه لهم وإجلاله لهم وغيرته في الدفاع عنهم وهو الحنبلي المذهب؛ ومع ذلك فهو لا يحب التعصب بل يكره التعصب للمذهب، يكره التعصب الأعمى بحيث يعتقد أن ما في مذهب

أحمد أو مالك كله يجب اعتباره والالتزام به، وأنَّ الحق مع صاحب هذا المذهب في جميع المسائل، وأنَّ مذاهب الآخرين باطلة لا يعتدّ بها؛ فإنه لا يعتقد هذا الاعتقاد إلا جاهل من جَهَلَةِ المتعصبين. وفضل الله واسع لمن فيه القدرة ولمن عنده الأهلية ولمن بلغ درجة تؤهله للبحث والمطالعة، ومقارنة الأقوال ومعرفة الراجح من المرجوح، والصحيح من الضعيف، وهذه مرتبة صعبة ليست لكل أحد فكون العالم المتضلع يبحث في مسألة من المسائل أو جزئية من الجزئيات، ويظهر له فيها ضعف ما أخذ علماء مذهبه ويرى أنَّ الصواب في هذه المسألة عند المذهب الآخر، فإنَّ هذا عمل طيب يثاب عليها إن شاء الله.

وهذا هو منهج الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ لا إفراط ولا تفريط، وممن سار على هذا المنهج ابن الهمام من الحنفية في كتابه فتح القدير شرح الهداية، والشيخ محمد بن إبراهيم آل مبارك الأحسائي المالكي في كتابه التعليق الحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

وأنت ترى أنَّ الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يكره الخروج على المذاهب الأربعة؛ لعدم ضبط مذاهب غيرهم وعدم حفظها وللاحتراز من التوسع أو تتبع الرخص بالتشهي وخوفاً من التلاعب في الدِّين.

ولهذا لما سئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصلاة في وقت النهي خصوصاً ما له سبب قال في معرض كلامه: «فالراجح في الدليل فعل ذوات الأسباب كما تقدَّم، لكن إذا كان بين أناس فَشَا فيهم ما عند الأصحاب فترك فعلها أكثر مصلحة، لأنَّ الناس إذا اجتمعوا على شيء وألفوه ـ وهو قول طائفة من أهل العلم ـ فلا يشوش عليهم، فوجود التغيرات تشوش على العوام. بعض الناس قصده خير ولكن قصير معرفة. «تقرير».

---

(١) بل إنه لم يخرج عن هذا النهج أحد من أهل العلم المعتبرين. [عبد العزيز].

س: أَوَجَمعهم الإمام وأخبرهم برجحان الدليل؟.

ج: الظاهر أنه يكون فيه مفسدة، ثم يلاحظ أنَّ الكف عنها ولو منفرداً أولى، وذلك تتميماً لحسم المادة كلها فإنه ولو استخفى قد يدري عنه واحد. والأمر كله سهل، وعند الإنسان من الخير شيء كثير لو فعله. وقد حصل بين بعض أهل المذاهب سابقاً فتن وحصل بعض القتل من أجل طائفة كذا وطائفة كذا. هذا ما يحصل باليد، وما يحصل في القلوب من النفرة والغيبة وكذا وكذا. «تقرير». انتهى[1].

فانظر أخي القارئ إلى بُعد نظر الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ وحرصه على تأليف الناس وجمعهم وحرصه على عدم التشويش عليهم وفتح باب الاختلاف بينهم وتشكيكهم في سلفهم وما درج عليه عمل الناس سدّاً للذريعة وخوفاً من الاختلاف المؤدي إلى التنافر والقطيعة.

ومع هذا ترى اليوم من يشكك الشباب في سلفهم ويفتح باب الطعن في الأئمة الأربعة وأتباعهم، أو الطعن في الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ والتشهير به وأنه زعيم أهل الرأي.

وليعلم الناظر أنَّ من يطعن في أبي حنيفة سوف يطعن في أحمد ومالك والشافعي ـ رحمهم الله ـ، فطريقهم واحد ومنهجهم واحد وإن كان عند أبي حنيفة شيء من الرأي فهو من الرأي المحمود إن شاء الله[2].

ولهذا نرى الشيخ محمداً رَحِمَهُ اللَّهُ يأمر بطرد مدرس يفتي بمذهب الظاهرية وهذا نص ما كتبه إلى وزير المعارف:

«من محمد بن إبراهيم إلى معالي وزير المعارف. سلَّمه الله:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: نبعث لكم في طيه

---

(١) فتاويه ورسائله: ٢/ ٢٦١.

(٢) وما علمنا علمائنا إلا احترام الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الحديث ومن في طبقتهم كالسفيانين والأوزاعي. وإن كلمة الفصل هي النص. [عبد العزيز].

الخطاب الوارد لنا من فضيلة قاضي محكمة القويعية برقم (٤٨٦) في (٣/ ٨/ ١٣٨٩هـ)، المتضمن إخباره عن وجود شخص يدعى... من أهل... يدرس في المدرسة المتوسطة ببلدة... وأنه المذكور ينتحل فتاوى مرجوحة ومخالفة لما درجت عليه الفتوى لدينا في المملكة، وأنه ينتمي إلى مذهب الظاهرية... إلخ، لاتخاذ ما ترونه كفيلاً بإبعاده، خصوصاً وأنه يقوم بمهمة خطيرة لها آثارها السيئة على عقائد الطلاب وسلامة فطرهم. وفقكم الله للخير، والسلام عليكم. مفتي الديار السعودية».

في ١٣٨٩/٩/١هـ

ومن كلام الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ حول منهج أهل نجد في الفتوى وتأييده البقاء على القول المرجوح لاشتهاره وعمل الناس عليه؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أئمة الدعوة، رحمة الله عليهم، منحهم الله في أصل الدِّين وفروعه من التحقيق ما يشهد به ما يرى من كتبهم وغير ذلك، ومن يعارضهم لا بد أن يكون عنده هوى شاء أم أبى. فإذا كان أشياء متفق عليها من أناس لهم نصيب من الأدلة والترجيح أعظم من الحظ الذي لمن بعدهم، فالمخالفات تورث شرّاً مع قرب الخروج عن الجادة نسبيّاً. «تقرير»[1].

بعض الجهلة قد أفتى بجواز مسِّ المُحدث للمصحف، يرى بعض كلام المخالفين في ذلك ولا يفهم، فهل ما أطبقت فتاوى أهل نجد عليه، وهم أئمة محققون وأهل دين يترك؟ هذا فيه مفسدة، يريد أن يزعزع فكرة الناس، ولو كان مرجوحاً مقدم على ما يسبب التزعزع في العقيدة، ولما قيل لابن مسعود: ولم لا تقول به؟ قال: الخلاف شر، وكان لا يرى الإتمام من منى. «تقرير»». انتهى[2].

● ● ●

(١) التقارير التي ألحقت بفتاوى الوالد لم تحدد ولم تعرض على سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ حتى يمكن اعتبارها فتاوى. [عبد العزيز].

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢/ ١٩.

الدعوة إلى الله في نظر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ

قضى حياته رَحِمَهُ اللَّهُ داعياً إلى الله ومصلحاً وموجهاً ومرشداً ناصحاً، تشربت الدعوة في لحمه ودمه، الدعوة إلى الله على بصيرة، يستعمل الحكمة واللين والرفق في الدعوة إلى الله، ويحض الدعاة على تأليف الناس والرفق بهم، وعدم التنفير، والحرص على التسكين، وعدم دخول الدعاة فيما لا يعنيهم، واللين في الدعوة إلى الله، ويحضّهم ليكونوا قدوة حسنة للناس، يدعون وهم مقتنعون بما يدعون إليه، وأن يظهروا بالمظهر اللائق الذي يدعو إلى الاحترام، وألَّا يحدثوا الناس بالغرائب أو بما لا تستوعبه عقولهم ولا تعيه أذهانهم، وأن يحدثوهم بما يعرفون، وأن لا يأتوا الناس بالأقوال الشاذَّة أو الضعيفة، وأن لا يدخلوا السامعين في قضايا لا تهمهم وليست من شأنهم.

وقد كتب رَحِمَهُ اللَّهُ لأحد المشايخ عن رجلين تقدما يطلبان إذناً في الدعوة إلى الله، فجاء في معرض خطابه ما نصّه: «فأنتم أفيدونا عن ديانة وتقوى المذكورين وتمسكهما بالقواعد الشرعية قولاً وعملاً، ومعرفتهما بالدعوة إلى الله سبحانه وطرقها وقواعدها الموضحة في كتاب الله وسنة رسوله الله، ومكانتهما من معرفة المصالح والمفاسد، ومراعاة التسكين والتعقل والرزانة...» إلخ[1][2].

---

(١) ولمَّا ترك هذا ظهر دعاة جهال يفتون بغير علم، لديهم إقدام على الفتوى، ولديهم سوء أدب مع سلف هذه الأمة، ولم ينظروا للمصالح والمفاسد، ولم يتفقهوا، فرحم الله سماحته ما أقوى فراسته!.

(٢) فتاويه ورسائله: ١٣/١٥٩.

وكتب في نفس الموضوع خطاباً رفعه إلى الملك جاء فيه:

حفظك الله، يلاحظ أنَّ فيه أشخاصاً يأتون إلى المسجد الحرام ويقومون بإلقاء محاضرات ودروس وعظ وإرشاد وقد يكون البعض منهم غير صالح أو غير مأمون، ونظراً لما للمسجد الحرام من الأهمية الكبرى وكثرة الوافدين إليه من أقطار الدنيا، وحرصاً على المصلحة ومنع الفوضى فقد رأينا من الضروري وضع تنظيم كفيل بأن لا يتولى التدريس والوعظ والإرشاد في المسجد الحرام إلَّا من كان كفواً وأهلاً لذلك، ونظمنا لذلك لائحة بالشروط المطلوب توافرها فيهم وأن يكون هيئة قوامها من كل من الأخ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم والشيخ عبد الله بن جاسر والشيخ علوي مالكي والشيخ عبد الله بن دهيش والشيخ محضار؛ للإشراف على تطبيق تلك الشروط... إلخ[1].

وعلينا أن نتأمل في رسالته الأولى رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فهو يستفسر عن ديانة الداعي وتقواه، ومدى تمسكه بالشريعة قولاً وعملاً، ومدى معرفة هذا الداعي إلى الله بالدعوة وبطرقها وقواعدها، ومدى معرفته بالمصالح والمفاسد؛ فلكل مقام مقال، ولكل إنسان طريقة في التحدث معه ودعوته، فدرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، وقوله: «مراعاة التسكين والتعقل والرزانة» يقصد حرصه على تأليف الناس، وعدم إثارة الفتن، وتحذير الداعية من تهييج الناس خصوصاً الشباب، وتحذيره من إلهاب حماسهم، فإذا عُدم التعقل والرزانة فقد الحكمة والسياسة، فلربما حدثت في البلد فتن، ولربما سالت دماء بسبب فقدان الداعية للتعقل والرزانة، فقد يثير الفتن من أجل خلاف في مسألة فرعية؛ ولهذا يجب أن يتوفر في الداعية مع المعرفة التعقل والرزانة والحكمة.

أما الخطاب الموجه إلى الملك بخصوص التدريس والإرشاد في

---

(١) فتاويه ورسائله: ١٣/ ١٦١.

المسجد الحرام لا شك فله أهميته العظمى، وفيه كذلك الدلالة على سعة أفق الشيخ محمد وبُعد نظره؛ فموسم الحج والعمرة موسم عظيم، والحرم قبلة المسلمين، يقصده أهل السنّة والجماعة من مالكية وحنفية وشافعية وحنابلة فيهم العلماء، وأكثرهم عامة، إنما استفتى كل منهم عالماً يثق به من هؤلاء العلماء المنتسبين إلى المذاهب الأربعة أهل السنّة والجماعة.

لهذا لزم أن يكون المدرس والمرشد في الحرم عنده من الإدراك والمعرفة بحيث لا يخطِّئ أو يغلط من خالفه في المذهب. فمن سؤال السائل والمستفيد يعرف أنه حنبلي أو مالكي أو حنفي أو شافعي، فيتركه على ما هو عليه في المسائل الفرعية فكلهم على هدى[1]. فإنَّ الذي لا يعرف المذاهب خصوصاً في المناسك قد يغلِّط مالكياً أو يشكك شافعيّاً وما ذاك إلَّا لجهل الداعية والمرشد، وإن كان المدرس أو المرشد ممن لا ينتسب إلى أحد المذاهب الأربعة قد يتعجل ويطعن في سلف هذه الأمة، قد يطعن في عمل حاجٍّ سار على مذهب أحد الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ فيترتب على ذلك من الفتن ما الله به عليم.

ثم على الفقيه المتمكن إذا استفتاه أحد الحجاج قبل أن يجيب على سؤاله، يسأله إن كان سأل أحداً قبله، فإن كان سأل أحداً قبله فيسأله ماذا قال له وبعدها يعرف أنَّ هذا المستفتي سأل حنفيّاً أو حنبليّاً أو مالكيّاً أو شافعيّاً، فعندها يقول له: اعمل بفتوى من أفتاك قبلي. فهذا هو المنهج السديد.

ويحج كذلك كثير من أهل القبلة من أهل البدع وغيرهم وعندهم

---

(١) ما لم يتضح للمفتي رجحان الدليل في مسألة ما من كتاب أو سنّة أو إجماع؛ فإنه لا يسوغ له مخالفة الدليل لقول إمامه، والأئمة الأربعة كلهم، قالوا: **إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي**. [عبد العزيز بن محمد].

عقائد ورواسب أفكار على خلاف منهج السلف الصالح، وبعضهم يثير بعض الشبه على شكل استفتاء لإعجاز المرشد أو المفتي في الحرم، لهذا يجب أن يكون المفتي متمكناً في علمه على مستوى من الإدراك يكشف الشبهة ويجيب السائل، ويكون لبقاً بحيث يستطيع التأثير، فلعلّ الله أن يهدي على يديه مبتدعاً فيكون خيراً له من حُمر النعم.

ولهذا اهتمَّ الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ بالحرم بحيث لا يدرِّس فيه إلَّا من عرف بالعلم والعمل والرزانة والصدق والإخلاص ومعرفة شيوخه الذين قرأ عليهم إن كانوا معروفين أو مجاهيل، حتى لا يتعدى الأغمار والمجاهيل من لم يتعلموا على علماء معروفين فيفتون بغير علم فيضلون ويُضلون كما ورد في الحديث.

ولهذا عمل لوائح وشروطاً لمن يتصدى للتدريس في الحرمين الشريفين، ورشح لجنة من العلماء حسبك بهم الشيخ عبد الملك بن إبراهيم أخو سماحة الشيخ محمد، والشيخ الفقيه عبد الله بن جاسر، والشيخ علوي مالكي، والشيخ عبد الله بن دهيش، والشيخ محضار عقيل؛ فهؤلاء علماء أعلام، وتتلمذوا على علماء أعلام، أنعم بهم وأكرم، رحم الله ميتهم وبارك في عمر حيِّهم، فلا شكَّ أنهم صيارفة الرجال، وهذا بلا شك هو النهج الموفق، إن دلَّ على شيء فإنما يدل على عقلية الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ ومدى إحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وإكباره وإعظامه للحرم، وأنه ليس مكاناً لداعية يتعلم، أو مرشدٍ يتخبط، أو مجهول يُظهر نفسه من خلال تعليمه في الحرم، أو متكسب يكسب لقمة العيش؛ فالحرم ليس مكاناً لهؤلاء.

ولهذا فإنَّ الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أيَّد الشيخ في هذه الفكرة التي طُبِّقت بعدُ وسار عليها ملوكنا الميامين. وسلك هذا المسلك العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ حينما كان المشرف على الحرم الشريف.

أثر مدرسة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في النهضة العلمية والأدبية

فمع كون الشيخ هو المفتي للبلاد السعودية، وعُرِفت فتاواه بالرزانة والتعقُّل. وتأليف الناس، وكراهيته التعجل في الفتوى، وترويه في الفتوى بحيث إنه ولله الحمد لم يُنْتَقَد في فتوى أفتى بها، فهو كذلك رئيس القضاة، وتطورت المحاكم على يديه، وأنشئت هيئة التمييز والتفتيش القضائي، وكل هذا تحت إشرافه رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث أسندت إليه حكومتنا الرشيدة هذه المسؤولية العظيمة لمعرفتها أنه أهل لتحمل هذه المسؤولية، وفعلاً قام بها خير قيام مع قلة الموظفين.

وأُسندت إليه رئاسة المعاهد العلمية والكليات عام (١٣٧٠هـ). وفعلاً قام على تأسيسها والإشراف عليها، واختار لها فحول العلماء من الداخل والخارج، وسارت على غرار المناهج في الأزهر مع بعض الاختلاف في بعض المواد، واهتمَّ رَحِمَهُ اللَّهُ باختيار المناهج، وأشرف على وضعها بنفسه في المعاهد وكلية الشريعة وكلية اللغة، ونفع الله بها نفعاً كبيراً حيث انهال عليها الطلاب من كلِّ حدب وصوبٍ، ولم تبخل حكومتنا الرشيدة؛ حيث صرفت مكافآت سخيَّة للطلاب في المعاهد وفي الكليات، وخرَّجت هذه الكليات الفقهاء والقضاة والمدرسين واللغويين والمؤرِّخين والأدباء والشعراء، ثم تطوَّرت هذه الكليات وتوسعت، وغُيِّر اسمها حيث أصبح: «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية».

وأوكل إليه الإشراف على تأسيس مدارس للبنات، وما كان منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا المبادرة في إنشاء رئاسة تعليم البنات، واختار لها مشرفين، واختيرت

لها المناهج المناسبة، والآن أصبحت تمنح هذه الرئاسة درجة الماجستير والدكتوراه في التخصصات وشتى المعارف والعلوم.

وكذلك أوكلت إليه حكومتنا الرشيدة فتح جامعة إسلامية في المدينة المنورة تختص بتعليم أبناء المسلمين من جميع العالم، بحيث يراعى اختلاف ألسنتهم ومدى قدرتهم على الاستيعاب، فيصف الزنجي بجانب الهندي وبجانبهما العربي والحبشي فيجمعهم الإسلام وصحة الهدف. وفعلاً أنشئت وانتخب لها فحول العلماء، وصرف لهم مكافآت سخيَّة - يعني للطلَّاب - وهيَّأ لهم مساكن على الطراز الحديث، والشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ هو المشرف عليها، ورئيسها جلالة الملك، وقد آتت ثمارها، وخرج علماء ودعاة عادوا إلى بلادهم يدعون إلى الخير.

وأوكلت إليه أيضاً رئاسة رابطة العالم الإسلامي؛ فقام على رئاستها خير قيام، واستعمل كل ما أوتي من حكم في رئاسته جلساتها؛ حيث يحضر المجلس أعضاء من جميع العالم الإسلامي أهل السنَّة والجماعة وغيرهم من أهل القبلة، فكان حكيماً حازماً ذكيّاً حريصاً على جمع المسلمين، وإرشاد وتوجيه من يحتاج إلى ذلك بطريق غير مباشر، حيث إنه لم يعرف عن وفدٍ أنه انسحب من الجلسات التي كان يرأسها طيلة حياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

فانظر إلى هذه الشخصية الفريدة، أدار كلَّ أعماله وباشرها بنفسه - ولم يوكلها إلى غيره - بدقة وإتقان ليس لهما نظير، أثبت لحكومتنا الرشيدة أنه أهل للمسؤولية وتحمل الأمانة، ولهذا كان موته فاجعة للمسلمين عامة ولحكومتنا وشعبنا خاصة، فقد فيه إرادته القوية وعزيمته الثابتة وعقليته التي عزَّ أن يكون لها نظير[1].

(١) فهو في كافة الأوساط العلمية والاجتماعية رجل دولة ضليع متمكن من مسؤولياته بثقة العالم العاقل المحنك. وهناك بطبيعة الحال للشيخ معارضون =

خرّيجو مدرسته
وأثرهم في النهضة الحديثة

الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ مدرسة متكاملة خرَّجت العلماء في العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية والأدبية. والشيء الغريب أنَّ تلاميذه برزوا في جميع التخصُّصات، فيهم المحدِّث، وفيهم المفسِّر، وفيهم اللغوي، وفيهم الأديب، والشاعر، والكاتب، والناشر، وفيهم عالِم التاريخ، وعالِم الجغرافيا، وعالِم الأنساب. والغريب أنَّ تلمذتهم الحقيقية ودراستهم كانت على يديه وحده، بل اكتفوا به عن غيره، فكأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يُعدّهم بحادٍّ فراسته إلى هذه التخصُّصات، فأصبح كل واحدٍ منهم يفتخر أنه من تلاميذ الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتلاميذه كثيرون، وهم طبقات حسب اختلاف مدارك البشر، ففيهم الفقيه المتمكِّن المتبحِّر، وفيهم المحدِّث الحافظ، وفيهم من يجمع بين الفقه والحديث، وفيهم الأُصولي، وفيهم من أخذ من كلّ علم بطرف، وفيهم من إلى الأدب انصرف، وإن شاء الله سوف أذكر نماذج لعلية تلاميذه في بعض التخصُّصات.

= في الرأي من حيث الموقف من بعض القضايا والمسائل التي يراد لها أن تنطلق، ولكن الشيخ كعالم تقي ورع وكرجل دولة يدرك المصالح ويعرف المفاسد يعمل بإخلاص وبإيمان بالله، هدفه وغايته مصالح المسلمين، ودرء المفاسد مما هو داخل في حدود مسؤولياته. ولعلّ الكثير أدرك عقلية الرجل وعلمه وصرامته في الحق بعد أن توفاه الله، عليه رحمة الله. [عبد العزيز بن محمد].

وسوف أبدأ بالموتى حسب وفياتهم ثم أشير إلى بعض الأحياء، رحم الله الأموات وبارك في أعمار الأحياء:

١ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم:

هو الشيخ العلَّامة الفقيه، المحدِّث، اللغويّ، الأُصولي، عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي. وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في قرية البير من قرى المحمل بنجد عام (١٣١٩هـ)، وتلقَّى العلم عن جمهرة من العلماء، منهم: الشيخ العلَّامة عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

فجدَّ واجتهد، وثابر وعكف على البحث والمطالعة، حتى بلغ مرتبة الأستاذية، مع قوَّة الشخصيَّة، وثبات العزيمة، وصلاح الظاهر والباطن، وغنى النفس، والترفُّع عمَّا في أيدي الناس، واستقلال الرأي، وحصافته.

وكان في وقت تتلمذه على مشايخه محل إعجابهم بفرط ذكائه ونبله.

رشح للقضاء فامتنع، ورضي بأن يكون مصححاً في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ثم تولى إدارة المكتبة السعودية بالرياض.

وأخيراً اعتزل الأعمال وبقي في مزرعته «المعيذر» قرب «أبا الكباش» بالعارض بنجد حتى وافاه الأجل المحتوم عام (١٣٩٢هـ)، وذلك بسبب حادث سيَّارة قديم حصل له عام (١٣٤٩هـ) أثَّر في رأسه تأثيراً بالغاً، والتَأم بعد ذلك وعوفي منه، فلمَّا ضعف جسمه وأسن عاوده الألم بشدة فاختل نظام الدورة الدموية في رأسه فأصابه من جراء ذلك

ألم شديد، فسافر بصحبة ابنه الشيخ محمد إلى فرنسا للعلاج، وتحسن تحسناً مؤقتاً ثم تمكن منه وتوفي على أثره في ثامن شعبان سنة (١٣٩٢هـ)، ورُثِي بمراثٍ كثيرة.

وخلف المترجم عدَّة أبناء، هم: عبد الله، والشيخ محمد، والشيخ أحمد، وسليمان، وإبراهيم، والشيخ سعد، وناصر، وحمد. رحمه الله رحمة واسعة.

مؤلفاته:

قام بجمع فتاوى وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وشاركه في ذلك ابنه الشيخ محمد، وذلك بأمر جلالة الملك، وفعلاً سافر إلى عدة بلدان حتى جمعها وطبعت في سبعة وثلاثين مجلداً.

وقام كذلك رَحِمَهُ اللَّهُ بترتيب مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، وأضاف إليها أشياء كثيرة جدّاً طبعت في أحد عشر جزءاً باسم: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»؛ لأنَّ «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» مرتَّبة على طريقة المسانيد، وطريقة ترتيب «الدرر السنية» على ترتيب الأبواب في الكتب الفقهية.

ومن مؤلَّفاته:

١ ـ أصول الأحكام: جمع فيه أحاديث الأحكام، وشرحه بكتاب «إحكام الأحكام شرح أصول الأحكام» طبع في أربعة مجلدات[١].

ويمتاز هذا الكتاب بمزايا:

أولاها: أنه يصدر الأبواب بآيات الأحكام ثم يأتي بالأحاديث.

ثانيها: أنَّ أحاديثه كلها صحيحة وليس فيها ضعيف لا يحتج به.

---

(١) مشاهير علماء نجد، ص(٤٣٣)، وعلماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٤١٦)، وروضة الناظرين (١/ ٢٣٥) مع بعض التصرف.

ثالثها: أنه مع ذكره خلاف العلماء يهتم بأقوال الحنابلة خاصة ويذكر من النقول عن محققيهم ومحققي غيرهم من الجمهور.

رابعها: لا يستطرد في نقل الخلاف ولا يتوسع توسعاً يخرجه عن المقصود ولا يوجز بحيث يخل بالمراد. وفيه مزايا كثيرة لا يستغني عنها من عنده كتاب (سبل السلام) فإنه بالمقارنة سوف يرى بينهما تشابهاً في مواضيع، وفروقاً في كثير.

٢ ـ السيف المسلول على عابد الرسول ﷺ. (مطبوع).

٣ ـ شرح مختصر على عقيدة السفاريني. (مطبوعة).

٤ ـ مقدمة في أصول التفسير وحاشيتها. (مطبوعة).

٥ ـ حاشية على الرحبية. (مطبوعة).

٦ ـ حاشية على الآجرومية في النحو. (مطبوعة).

٧ ـ حاشية على ثلاثة الأصول. (مطبوعة).

٨ ـ مختصر وظائف رمضان مختصرة من كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي. (مطبوعة).

٩ ـ حاشية على الروض المربع. (طبعت في سبعة مجلدات).

تأثُّر الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم بمدرسة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمهم الله ـ:

مع كون الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ قرأ على كثير من علماء نجد إلَّا أنَّه تأثر تأثراً كبيراً بالشيخ محمد، وهو الذي أروى غليله وشفى أوامه في علوم الشريعة عامة والفقه خاصة، وهو بلا شكّ استفاد منها فائدة كبرى، ظهر ذلك جليّاً في حاشيته على الروض المربع؛ فإنه قال في مقدمة الحاشية (١/ ٩) من الطبعة الثالثة وهو يذكر مصادر حاشيته قال: «. . . ومن تقرير شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ». . . إلخ. انتهى.

وقد أثنى على هذه الحاشية فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو أستاذي وابن عمتي، وقد لقيت كتب الشيخ ابن قاسم ومؤلفاته قبولاً في حياته، وأثنى عليها أقرانه وزملاؤه، حتى إن أستاذي وشيخي الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش هو الذي عرفني بكتب الشيخ ابن قاسم في حياته، وأهداني كثيراً منها، ودرَّسني في حاشيته على الرحبية في علم الفرائض، وحفظت بفضل الله الرحبية مع حاشيتها. هذا مع أنَّ الغالب أنَّ العالم لا يسلم من حسد الأقران وداء المعاصرة خصوصاً في حياته، ولكن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ لقيت كتبه قبولاً في حياته لدى شيوخه وأقرانه، بل أثنى زملاؤه عليها ودرسوها ودرَّسوا تلاميذهم فيها، بل وعرَّفوا تلاميذهم عليها.

وكما رأيت فإنَّ الشيخ فقيه كبير، ظهر ذلك في حاشيته العظيمة على «الروض المربع»، وفقيه محدّث كما ظهر في كتاب «إحكام الأحكام شرح أصول الأحكام»، ونحويٌّ متمكِّن كما ظهر أثر ذلك في حاشيته على «الآجرومية»، وفرضيٌّ كما ظهر ذلك في حاشيته على «الرحبية»، بل امتازت حاشيته على «الرحبية» بالاختصار غير المخل، وذِكْره خلاف العلماء، وألحق في آخرها ما انفرد به السادة الحنابلة، ألحق بَابَيْ توريث ذوي الأرحام وباب الرد، وذلك من نظم الشيخ عبد الله بن صالح الخليفي ـ رحمه الله ـ. وسمعت أنَّ له كتاباً في التاريخ لم يطبع.

والرجل عالم في علوم القرآن كما يظهر ذلك جليّاً في مقدمة التفسير وحاشيتها، وعالم متمكن في العقيدة ويظهر ذلك جليّاً في شرحه «عقيدة السفاريني» و«حاشية ثلاثة الأصول».

٢ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد:

هو الشيخ الفقيه الفرضي العالم العلّامة، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن حسين بن حميد من بني خالد. وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ

بمدينة الرياض بلده وبلد أجداده، عام (١٣٢٩هـ)، وفقد بصره في طفولته، وحفظ القرآن في صغره.

وأقبل على طلب العلم فقرأ على علماء الرياض، ومن أبرز من قرأ عليهم: الشيخ الفقيه اللغوي حمد بن فارس، والشيخ الفقيه المحدِّث سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف. وقرأ على[1] العالم العلّامة أستاذ العصر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، قرأ عليه في الأصول والفروع والحديث والتفسير والعربية، ولازمه زمناً طويلاً، وتأثر به في سلوكه ومنهجه حتى أصبح وارث علمه وخليفته من بعده.

أعماله:

عينه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في محرم (١٣٥٧هـ) قاضياً في الرياض. وفي عام (١٣٦٠هـ) في ذي القعدة عيَّنه الملك عبد العزيز قاضياً في سدير. وفي عام (١٣٦٣هـ) عُيِّن قاضياً في بريدة وظل في قضائها وإمامة جامعها. وفي عام (١٣٧٧هـ) في آخره طلب الإعفاء من منصب القضاء وأن يُحال على المعاش حين أُنشئت هيئة التمييز، وتفرَّغ في هذه الفترة للتدريس والإفتاء في القصيم.

وفي عام (١٣٨٤هـ) تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، فاختاره الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ رئيساً لها ومدرساً في المسجد الحرام بين العشاءين، ومفتياً، فكان يجلس للطلبة وقتين في الحرم ويرشد الإرشاد العام، ثم يفد الناس إليه زرافات يستفتونه فيما يشكل عليهم ويناولون قارئه أوراقهم فيتلوها ويجيبهم عليها على البديهة، وله ندوات في

---

(١) لقد حدَّثني الشيخ عبد الله، فقال: جلّ قراءتي كانت على الشيخ محمد بن إبراهيم كما تعلم. [عبد العزيز].

وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ونشاط في الإفتاء منقطع النظير.

وفي عام (١٣٩٥هـ) عينه الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء وعضواً في هيئة كبار العلماء ورئيساً للمجلس الفقهي برابطة العالم الإسلامي وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة.

وله مؤلفات كثيرة، ومن أبرزها:

١ ـ الردّ على صاحب يسر الإسلام في يسره.

٢ ـ غاية المقصود في الردّ على أوهام ابن محمود.

٣ ـ تبيان الأدلَّة في إثبات الأهلَّة.

٤ ـ هداية الناسك.

٥ ـ كمال الشريعة.

٦ ـ دفاع عن الإسلام.

٧ ـ الإبداع شرح خطبة حجَّة الوداع.

وله فتاوى كثيرة جدّاً لو جمعت لجاءت أسفاراً ضخمة، يسر الله جمعها، لتعم فائدتها.

ولم يزل على حالته المثلى حتى وافاه الأجل المحتوم مأسوفاً على فقده، فحزن الناس لفراقه حزناً شديداً، وذلك يوم الأربعاء الموافق (٢٠) من ذي القعدة سنة (١٤٠٢هـ)، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام، وخرج الناس في جنازته، وصار لوقع مصابه صدى في كافة أنحاء المملكة وخارجها، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد رثاه ثلة من العلماء والأدباء، فمنهم الشيخ الأديب أحمد الغنام ساكن الكويت، وهي رائية، ومطلعها:

عزاء بني الإسلام قد عظم الأمر ... وليس لنا إلَّا التجلد والصبر

فشيخ المعالي غاب عنا مسافراً ... إلى ربه إذ ضمه اللحد والقبر

فيا قبر رفقاً بالذي فيك راقد ... هنيئاً لقد خصصت بالفضل يا قبر

لقد أظلمتْ مذ غاب عنا مرابع ... كما ذهبت مذ غاب أيامه الغر
لقد كان بدراً ضاء في الكون نوره ... ألا إنه الشيخ المبجل والحبر
قلوب من الخطب العظيم تصدعت ... وفلَّ قواها الرزء واستوحش الصدر
لقد ثلمت في الدِّين يا صاح ثلمة ... بموت حميد السعي وانقصم الظهر
فسمعته في الناس فهي فريدة ... وسيرته بيضاء ما شابها غدر
فتاواه في البيت المحرم حجة ... بفتواه كل يهتدي البدو والحضر
وإن هو أعمى العين فالقلب مبصر ... يساعده في علمه العقل والفكر
فها هي تنعاه الجزيرة كلها ... لقد مسها من فقده الحزن والضر
فها نجد من منآه عنها حزينة ... مفتتة الأحشاء قد هالها الأمر
لقد فزت عبد الله بالبر والتقى ... فأنت الذي في الناس أضحى له قدر
صوتك يدوي في البسيطة مرشداً ... به قام معروف وزال به نكر
بمذودك الداعي لكل فضيلة ... تصول على أهل الغواية يا بدر
فيا شيخ عبد الله هنئت بالذي ... فعلت من الخيرات وليهنك الأجر
توليت أحكام القضا بنزاهة ... وأهلية ما أنت عن سرها غر
سلكت لعمر الحق في الحكم منهجاً ... صحيحاً فلم يلحقك عار ولا وزر
فذكراك في كل القلوب مقيمة ... وذكراك مع طول المدى كلها عطر
فإن غبت عنا أنت في القلب حاضر ... مآثرك الجُلَّى هي الطيب والذكر
قدمت إلى رب جزيل ثوابه ... ونعماه طول الدهر ليس لها حصر
يجازيك بالإحسان جوداً ومنّةً ... ويوم قيام الناس فهو لنا ذخر
عليك سلام الله يا بن محمد ... ورحمته تعداد ما أسفر الفجر
سحائب من عفو الكريم هواطل ... تسح على مثواك ما سحت القطر

* * *

ورثاه فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن سُبيِّل، إمام وخطيب المسجد الحرام، فقال:

على مثل هذا الخطب تهمي النواظر ... وتذري دماءً مقلةٌ، ومحاجرُ

ألا أيها الناعي لنا علم الهدى ... أصدقاً تقول أم مصاباً تحاذرُ
لئن كان هذا النعي حقّاً فإنما ... نعيت الذي يبكيه باد وحاضر
نعيت الذي يبكيه كهل ويافع ... ويبكيه شبان ويبكي الأكابر
نعيت الذي يبكيه محراب مسجد ... ويبكيه تذكير وتباكر
وتبكيه دور للعلوم ينيرها ... بفهم دقيق يجتنيه المنابر
ويبكيه حل المشكلات إذا عصت ... وأعيىٰ رجالاً وردها والمصادر
ويبكيه فصل الحق بالعلم مدعماً ... ويبكيه طلاب ويبكيه حائر
بكته ذوو الحاجات إذ كان ملجأ ... يدافع عن ملهوفهم ويناصر
هو الشيخ عبد الله نجل محمد ... به أمة الإسلام حقّاً تفاخر
هو الجبل الراسي على كل حالة ... إذا زعزعت أحلام قوم أعاصر
منار على درب التقى فوق لاحب ... به يهتدي الساري وتنأى المخاطر
قوي بفضل الحق قاضٍ موفق ... به يرتضي خصم وتهدى ضمائر
هو الحبر كم طابت نفوس ومتعت ... قلوب وأبصار به وبصائر
له مجلس يرتاده كل عالم ... فكم غمر الجلاس منه جواهر
ترى الناس هذا وارد متعطش ... وذا ناهل من بحر علم وصادر
تفرد في علم وفقه وفطنة ... تقاصر عنها باحث ومذاكر
فكم كشفت أبحاثه من غوامض ... ومن حكم تجنى ومن نوادر
نوادر علم من فنون تنوعت ... ينمو بها عقل وتزكو سرائر
قد استخرجت من كنز عقل مؤيد ... ونقل صحيح أسندته عباقر
وما العلم إلّا ما رواه أئمة ... مشافهة أو دونته دفاتر
سرى ذكره في الأرض شرقاً ومغرباً ... وقد أكبرته جلة وأكابر
وعم الأسى عرباً وعجماً لموته ... فيا حسرتا إذ ألحدوه وغادروا
يجاهد في ذات الإلٰه بحكمة ... وبالقسط قوّام وللحق ناصر
وفي الله لا تأخذه لومة لائم ... يناصح سرّاً تارة ويجاهر
فكم ردعت أقواله من معاند ... وأذعن من بعد العناد يساير

له في قلوب العالمين محبة ... محبة صدق قربة ومفاخر
محبة دين يرتجيها أولو التقى ... ويحرم منها جاهل أو مكابر
فيا أسفاً قد صوح النبت بعده ... فأضحى هشيماً وهو بالأمس ناضر
وإنَّ انتزاع العلم في موت أهله ... كما جاء نص في الصحيحين ظاهر
فيا لك من خطب جليل وحادث ... به فقدت أنهار علم زواخر
كما فقدت في حندس الليل أنجم ... وقد سقطت في الأفق وهي زواخر
فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه ... ويا لوعة الصادي إذ جف ماطر
فكم آسف يبكي بقلب مبرَّح ... وحكم واجم أضناه حزن مخامر
لقد مزَّق الأحشاء همٌّ بموته ... تكاد له صم الجبال تناثر
فللَّه كم حاولت صبري فخانني ... أقلِّل حزني مرة فيكاثر
إلٰه الورى ندعوك سرّاً وجهرة ... تخفف عنا ما حوته الضمائر
من الروع والأحزان يوم فراقه ... فيا سيدي رحماك إنك قادر
سيبقى له في قلب كل موحدٍ ... سريرة حب يوم تبلى السرائر
سقى الله قبراً ضمَّه وابل الرضا ... يمنُّ به رب رحيم وغافر
وبوأه دار السلام مع الأُلى ... همو نصروا حزب الإلٰه وهاجروا
فآل حميد إنما الصبر عزمة ... فصبراً ينال الأجر من هو صابر
فإنَّ مصاب المرء فقد ثوابه ... وأمَّا الرزايا فالمهيمن جابر
وذي حالة الدنيا سرور وغبطة ... وأيام بؤس فُرقة وفواقر
وقد خلق الإنسان في كبد فمن ... يروم صفاء العيش لا شك قاصر
وليس يردُّ الموتَ حصن ممنع ... ولا شاهق أو قوة وعساكر
كفى زاجراً للمرء أيامه التي ... يمد عليها بالمواعظ زاجر
مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى ... فللَّه عمر بالفضائل زاخر
(جليل) أنت في النظم أعوام عمره ... وفي عام (غبت) غيبته المقابر

سنة (١٤٠٢هـ)

وقد خلف من الأولاد: الشيخ صالح، وأحمد، وعبد الرحمٰن. . . وغيرهم. رحم الله الفقيد رحمة واسعة. انتهى[1].

مكانة الشيخ ابن حميد العلمية ومدى تأثره بشيخه:

الشيخ ابن حميد هو بلا شك خليفة الشيخ محمد بن إبراهيم ووارث علمه. قال هذا كل من رآه أو جالسه أو أخذ عنه. نعم، لقد ترسَّم الشيخ ابن حميد خُطا الشيخ محمد بن إبراهيم؛ فقد رزقه الله عقلاً توزن به الجبال الرواسي، وسياسة ليس لها نظير، وحكمة جعلته محل احترام ومحل ثقة لدى الكبير والصغير، ويمتاز بالأناة والروية، كثير الصمت إلَّا فيما ينفع، حادّ الذكاء لا يمكن أن يخدع، يحتاط في كل ما يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغرّه الدعاوي.

رزقه الله بصيرة بحيث يعرف العالم من المتلبس، رزقه الله بصيرة نافذة يعرف الدعاة الحقيقيين الناصحين المخلصين بحيث يميزهم من أهل التمويه والخداع. لا يمكن أن يستغل؛ فهو كيِّس فطن، يزوره الكثير من أهل العلم وممن ينتسبون إلى جمعيات وأحزاب من الشرق والغرب، ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يؤيد التحزُّب ولا التفرُّق، بل يرى اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين، وأنَّ الإسلام ليس فيه تحزُّب ولا تفرُّق، وهو بهذه النظرة البعيدة نال إعجاب المسلمين عامة، وثقة شعب المملكة وتقدير حكومة المملكة.

يحرص على توجيه الشباب ونصحهم بالتعقل والرزانة، فالشباب في الغالب تكون عندهم حدة وعجلة وعدم تفكير في العواقب مع حبهم للخير وحرصهم على الدعوة إلى الله، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يشجعهم، ولكنه ينصحهم بالتثبت والهدوء وعدم العجلة، ويحذِّرهم من التهوُّر، ويحثهم على الاستقامة

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، الطبعة الثانية، (٢/ ٥٥ ـ ٦١).

والتأدب بآداب العلماء، وينصحهم بالتسلك بسلوك العلماء، وعلى ألَّا يأخذوا العلم إلَّا عن أهله المعروفين، وألَّا يأخذوه عن المجاهيل.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يكره الفتن ويكره إثارتها، ويجعل قاعدة «درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح» نصب عينيه.

ورزق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قوة الشخصية والهيبة والوقار.

أمَّا علمه فهو: فقيه لا يشق له غبار، فهو عالم من علماء الحنابلة، بل تفرد بالفقه الحنبلي فلم يكن في وقته أحد مثله في مذهب أحمد، فهو فقيه النفس، مطلع حافظ لفقه المذاهب الأربعة، مع تركيز على مقاصد التشريع وحكمته، فإذا ما سئل انحدر كالسيل، ينقل ما قاله السلف والخلف، وينص على الكتب التي ينقل منها، مع ذكره ما اختاره أو يميل إليه من الأقوال. وإن تكلم في النحو فهو سيبويه. وإن تكلم في الحديث فليس على طريقة الرواة، بل يُعَدّ من محدِّثي الفقهاء. وإن تكلم في التفسير والتاريخ فليس له نظير، يملك عليك سمعك وبصرك مع حسن بيان وصوت متميز عن غيره يود سامعه أنه لا يسكت. ولقد انفرد بحل المعضلات والفصل في المسائل والمشكلات، يقصد بالأسئلة من كل مكان فيجيب عليها إجابات سديدة.

أمَّا تأثره بشيخه ـ رحمه الله ـ واضح مثل الشمس في رابعة النهار ويتبين في:

١ ـ رزانته وثقله وهدوئه وثباته.

٢ ـ عقليته التي توزن بها الجبال الرواسي.

٣ ـ قوة شخصيته جعلت له هيبة في القلوب.

٤ ـ حدة فراسته حيث إنه لم يعرف أنه خدع.

٥ ـ احترامه للسلف الصالح وتقديره للأئمة الأربعة وكراهة الخروج عليهم.

٦ ـ تمكنه من مذهب الإمام أحمد حيث لم يُعرف له نظير.

٧ ـ كراهته للفتوى والتعجل فيها.

٨ ـ تركه ما كان على ما كان وكراهيته للتغيير والتبديل بحيث يكره الخروج عن منهج الفقهاء وسلف الأمة.

٩ ـ لا يحب أن ينفرد بالرأي.

١٠ ـ لا يحب أن ينسب إليه قول يخالف السلف. وهذه كلها تدل على ورعه وفقهه.

١١ ـ يجتهد في نطاق ضيق إذا ما دعت الضرورة والحاجة.

١٢ ـ يحرص على ربط الناس بمنهج سلفهم وتعريفهم بهم.

١٣ ـ شديد على المتهاونين بالفتوى.

١٤ ـ عنده غيرة وغضبة لله وفي الله إذا ما رأى الحرمات تنتهك.

١٥ ـ يتتبع الكاتبين المؤلفين المحدِّثين ويتصدى للرد عليهم إذا ما انحرفوا عن جادة الصواب.

١٦ ـ لا يجامل ولا يحابي ولا يداري في إنكار المنكر، ولكن مع حكمة واتزان، بحيث لا يفقد توازنه، فالمتتبع له في كتبه التي ألَّفها يعرف مدى قدرته واطلاعه وسعة أفقه:

أ ـ ففي رده على ابن محمود بكتاب: «غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود» سلك مسلكاً أميناً وبيَّن مشروعية الأضحية وما قاله السلف والخلف مع إحالته إلى المراجع والمصادر بحيث لا يبقى مجال لمتشكك أو مشكك به، وأثبت في هذا الكتاب تمكنه من الاستدلال ورد الشبه وتزييفها.

ب ـ وبرده على صاحب «يسر الإسلام» حيث أجاز ذبح الهدي قبل وقته، فقد رد عليه ابن حميد، وبيَّن خطأه، وأنَّ الخير في اتباع الرسول ﷺ وأنه لم يهد إلَّا يوم العيد وأنه قال: «**خذوا عني مناسككم**» وأظن أنَّ صاحب اليسر رجع عن فتواه تلك.

ج - رسالته في الذبائح والصيد، بيَّن فيه زلة قدم من أجاز ذبائح الكفار على الإطلاق، وزلة قدم من أجاز ذبائح الشيوعيين.

د - كتابه «هداية الناسك في أحكام المناسك» مناسك الحج، كتاب شامل كامل في أحكام الحج وحكمه وأسراره، فصار الضالة المنشودة والجوهرة المفقودة، سلك فيه مسلك أهل التحقيق والتوثيق.

ومؤلفاته ورسائله كثيرة وهي مذكورة في آخر ترجمته.

زرته حينما كان في الإشراف على الحرمين - وقد عرَّفني به الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش رحمه الله -، فلما زرته أعجبت بشخصيته وأعطاني كتابين: الأول: «كشاف القناع عن متن الإقناع»، والثاني: «المحرر» في الفقه. وبعدها توثقت صلتي به، فكنت أسترشد به وأرجع إليه فيما يشكل عليَّ، فأرى عنده ما ليس عند معاصريه، فهو بلا شكّ خاتمة محققي الحنابلة ومن كبار علماء الإسلام، فيأتونه بالمسائل العويصات في موسم الحج من مصر والشام والهند واليمن فيجيب إجابات موفّقة مسدّدة، فلقد أَلانَ الله له الفقه كما أَلانَ لنبيّه داود عليه السلام الحديد.

٣ - الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش:

هو الشيخ العالم العلامة الفقيه الفرضي الحيسوبي قاضي العواصم عبد الله بن عمر بن عبد الله بن دخيل الله بن دهيش. وُلد في الأحساء في حي النعاثل عام (١٣١٩هـ)، ونشأ نشأة صالحة بين والده وجده لأمه الشيخ حسين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل المدني الحربي. وحسين هذا هو جدي لأبي فأنا محمد بن عبد الرحمٰن بن حسين بن إسماعيل. وحفظ القرآن على يد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن غيث، وتعلّم على يديه القراءة والكتابة، وكان والد الشيخ عبد الله يعمل في التجارة بين الهند والبحرين والأحساء فاهتم به جده لأمه الشيخ حسين بن

إسماعيل، فكان يرعاه في غياب والده ويشرف عليه ويوجهه.

فأجلسه يقرأ على الشيخ:

١ ـ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك المالكي الأحسائي.

ولكنه لم يواصل عند الشيخ إبراهيم، فأجلسه يقرأ على الشيخ:

٢ ـ العالِم، العلَّامة، الفقيه، المحدِّث، الأُصولي، اللغوي، الفرضي، أستاذ عصره: الشيخ عيسى بن عبد الله آل عكاس رَحِمَهُ اللَّهُ. وقد كان الشيخ عيسى في ذلك الوقت مشهوراً معروفاً، يقصده الطلاب من نجد والخليج، وقد سارت بذكره الركبان[1].

---

(١) الشيخ عيسى بن عبد الله آل عكاس السبيعي المالكي الأحسائي. قال فيه صاحب «روضة الناظرين»، الأستاذ محمد بن عثمان القاضي من أهل عنيزة، قال في كتابه المذكور: «هو: العالم، الجليل، المحقِّق، المدقِّق، الورع، الزَّاهد، الشيخ عيسى بن عبد الله بن عكاس، ينتهي نسبه إلى قبيلة سبيع. كان أجداده يسكنون مدينة عنيزة وفي حارة أم خمار، فنزحوا منها إلى الأحساء سنة تسعمئة وست وخمسين (٩٥٦هـ)، فطاب لهم السكنى هناك وتناسلوا فيه ونموا. هكذا ذكره ابن عيسى في تاريخه، وغيره من مؤرِّخي نجد. وُلد هذا العالِم بها سنة (١٢٦٨هـ)، وأمه: شريفة بنت أحمد بن إسماعيل المدني ـ العالِم الشهير ـ، وأبوه: عبد الله، عالم جليل ومن صالحي البشر، فتربى في بيت علم وشرف ودين... إلخ (٢/ ١٤٥).

الشيخ أحمد بن إسماعيل هذا هو جد مؤلف هذا الكتاب، فمؤلف هذا الكتاب: محمد بن عبد الرحمٰن بن حسين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل المدني الشيخ عيسى هذا بلغ درجة الإمامة في علوم الشريعة وقد نصبه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قاضياً للأحساء عام (١٣٣١هـ)، وبقي حتى توفاه الله، فهو: فقيه، فرضي، محدِّث، لغوي، نسابة. من شيوخه: الشيخ أحمد بن علي بن مشرف المالكي الأحسائي، والشيخ عبد الرحمن الوهيبي، والشيخ محمد بن محمود عالم الرياض.. وغيرهم.

وقد تتلمذ عليه فحول العلماء من كل بلد، ومن أكبر تلاميذه: العالِم العلَّامة المصلح، ورائد النهضة الحديثة في البصرة والكويت، الشيخ محمد أمين الشنقيطي، المتوفَّى عام (١٣٥١هـ). قال الشنقيطي في مذكراته المطبوعة، =

٣ ـ وقرأ على الشيخ الفقيه الفرضي اللغوي المحدِّث محمد بن عبد العزيز المانع رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ وقرأ على الشيخ أحمد بن علي بن عرفج في الفرائض والسلوك.

٥ ـ وقرأ على الشيخ محمد بن حسين بن عرفج الفرائض والسلوك.

٦ ـ وقرأ على الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن بشر لما كان قاضياً في الأحساء جملة من الكتب المطولة في فقه الإمام أحمد «كالمغني» والشرح الكبير، والإقناع، والمنتهى.

٧ ـ وقرأ على الشيخ المحدِّث الفقيه المحدث سعد بن محمد بن عتيق.

٨ ـ وقرأ على الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ.

٩ ـ وقرأ على الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

١٠ ـ وقرأ على خاتمة المحققين العالم العلّامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. قرأ عليه في جميع الفنون، وأعاد عليه كل ما قرأه على غيره.

وبعدها عُيّن الشيخ عبد الله قاضياً في الأحساء عام (١٣٥٢هـ)، ثم

= ص(٢٧٩): «ثم توجهت إلى الأحساء ونزلت في مدرسة الشيخ أبي بكر، وكنت أحضر دروس الشيخ عيسى بن عكاس، فقرأت عليه بعض «بلوغ المرام» وبعض «منتقى الأخبار» وشيئاً من الفرائض. والشيخ الشنقيطي هذا، هو الذي أخذ عنه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي. فعلى هذا يكون سند الشيخ ابن سعدي متَّصلاً بالشيخ عيسى بن عكاس. وممَّن قرأ على الشيخ عيسى: عالِم الأحساء، بل والخليج، الشيخ العابد الزَّاهد عبد العزيز بن صالح العلجي. توفِّي العلجي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٦١هـ) أو (١٣٦٢هـ). انتهى. ترجمة الشيخ العلجي في شعراء هجر، ص(٤٢٤)، الطبعة الأولى.

قاضياً في حائل، وعمل قاضياً في الرياض، وعمل معاوناً لرئيس هيئة التمييز في مكة المكرمة الشيخ محمد بن مانع. وفي عام (١٣٧٠هـ) نقل إلى رئاسة محكمة مكة المكرمة الكبرى إلى أن أحيل على التقاعد عام (١٣٨٣هـ). وبعد القضاء عمل فترة في المحاماة. ثم تركها وبقي في مكة شرفها الله إلى أن وافاه الأجل المحتوم في عاشر جمادى الأولى لعام (١٤٠٦هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وخلف من الأولاد الذكور: الشيخ عبد الملك، وعمر، والدكتور عبد اللطيف، وخالد، وعبد الرحمٰن، وعبد العزيز، ومنصور.

عرف الشيخ بكرمه الحاتمي، فكان بيته في مكة يزدحم بالضيوف من العلماء والوجهاء ومن سائر الطبقات من أهل نجد والأحساء في موسم الحج وفي رمضان وفي سائر الأيام، ومخيمه في المشاعر معروف لدى الخاص والعام رَحِمَهُ اللَّهُ.

مكانته العلمية وشخصيته:

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ شخصية فذة منحه الله الخُلق المتكامل مع اهتمامه بمظهره، فإنك لترى آثار النعمة عليه، وهذا إن شاء الله من الشاكرين: إنَّ الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده. ولا يلبس إلَّا البياض؛ فغترته «ملحفته» بيضاء، ما رأيته قط لبس الشماغ، وبشته «عباءته» بيضاء. ويتأنق في لباسه.

أمَّا شخصيته: فهو قوي الشخصية يهابه الذي يراه مع احترام له، ذكيّاً خارق الذكاء، حافظاً حفظاً يبهر مجالسيه، حاضر البديهة، نافذ البصيرة، يحفظ مع دقة في الفهم، محيط بمذهب أحمد، ويحفظ مواطن المسائل ويحيلك على البديهة على موطن المسألة من الكتاب والصفحة، يستحضر مسائل «كشاف القناع» و«شرح المنتهى». ويحفظ من الحديث الشيء الكثير، ومن اللغة، والصرف. يعرف الحكم بدليله، ويستحضره

على البديهة. له اهتمام بالتاريخ، والسير. يحفظ من الشعر أحسنه، وله اهتمام كبير بشعر أبي الطيب المتنبي.. يعرف المذاهب الفقهية ويهتم بها، فقد أفادني رَحِمَهُ اللَّهُ كثيراً؛ استفدت منه في اختيار الكتب وترتيبها، وكثيراً ما أستشيره، فله معرفة تامة بالكتب والطبقات ومذهب أحمد.

لديه مكتبة ليس لها نظير عند غيره، احتوت على نوادر الكتب الإسلامية عامة ونوادر الكتب الحنبلية خاصة، له اهتمام كبير بكتب الحنابلة يعرفها كتاباً كتاباً، لو اجتهد في المذهب فهو أهل لذلك حتى صار مرجعاً لكثير من العلماء والمدرسين والقضاة والدارسين. وأمَّا في الفرائض فلا يشق له فيه غبار.. يحرص على وقته. الكتب معه دائماً في السفر والحضر، يحب المطالعة لا يمل ولا يتعب.

مدى تأثره بالشيخ محمد بن إبراهيم:

المتابع لحياة الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ يجده معجباً إعجاباً لا نظير له بالشيخ محمد بن إبراهيم، مع أنه قرأ على مجموعة من العلماء، إلَّا أنه لم يرو غليله إلَّا الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ، فكان يعمل بأقوال الشيخ محمد وفتاويه، ويقول: مال إلى هذا شيخنا الشيخ محمد، وأنا أقول به. وهو الذي عرفني بالشيخ محمد، فكنت أزور الشيخ محمداً بصحبة أستاذي وشيخي الشيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ.

وكان الشيخ محمد يحبه ويقربه ويأخذ برأيه، بل يعتبره أحد أولاده.

بعض تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الأحياء (في كل فن)

في علم الحديث ورجاله:

١ ـ سماحة شيخنا الشيخ المحدِّث الفقيه الفرضي **عبد العزيز بن عبد الله بن باز** حفظه الله تعالى[١].

فهو غني عن التعريف، ولا يحب المدح، فهو من علية تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم، وقد شارك غيره من طبقته من تلاميذ الشيخ محمد في العلوم الشرعية واللغوية، وانفرد عنهم بعلوم الحديث ورجاله، فيعتبر في هذا العصر من النوادر في معرفة الحديث الصحيح من الضعيف المعرفة التامة برجال الحديث، لا يمكن أن يغلط غالط في إيراد حديث أو في راوي الحديث إلَّا وينبهه الشيخ عبد العزيز على البديهة، وهو كذلك فرضي وله مؤلف في الفرائض، لا يلحن، ويكره اللحن، بل يرد على من يغلط في النحو. له محبة في قلوب المسلمين، وما ذاك إلَّا لحرصه على مصالحهم والسؤال عن أحوالهم وتفقد المحتاجين. صاحب إيثار، فيه تواضع ليس له نظير في هذا العصر، يحب تأليف الناس ويكره التنفير.

وليس هذا مكان تعداد أوصافه، فهو لا يحب المدح ولا التملق. والآن هو الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

بارك الله في أيامه ونفعنا بعلومه آمين[٢].

---

(١) يُنظر التعليق الآتي بعد.

(٢) بينما هذا الكتاب ماثل للطبع فجعنا الموت بوفاة علّامة الديار السعودية سماحة =

في الفقه والفرائض:

٢ ـ الشيخ الفاضل الفقيه الفرضي **عبد العزيز بن ناصر بن رشيد**: رئيس هيئة التمييز، له كتاب «عدة الباحث في أحكام التوارث».

٣ ـ الشيخ الفاضل **صالح بن علي بن غصون**: عضو هيئة التمييز، فهو فقيه فرضي وخطيب مصقع، حادّ الذكاء حاضر البديهة.

في الأدب:

٤ ـ الأستاذ الفاضل **سعد بن عبد العزيز الرويشد**: شارح ديوان ابن عثيمين.

٥ ـ الأستاذ الدكتور **محمد بن سعد بن حسين**.

في التاريخ والجغرافيا:

٦ ـ الأستاذ الكبير الشيخ **حمد الجاسر**: وهو غنيّ عن التعريف، فهو المرجع لتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها[١].

في الفكر الإسلامي:

٧ ـ الكاتب الكبير فضيلة الشيخ **زيد بن عبد العزيز بن فياض**

في الدعوة إلى الله:

٨ ـ الشيخ **عبد الرحمٰن بن فريان**.

= الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة وأحسن مثواه، فبقي ذكره هنا بين تلاميذ الشيخ الأحياء، وصار حقه أن تذكر مناقبه وخصاله بالتفصيل في الفصل السابق، ولعلّ ذلك يكون في طبعة قادمة، يسَّر الله ذلك بمنِّه وكرمه.

(١) لم يكن شيخنا الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم بتدريس علم الجغرافيا، وإلمامه بشيء من الجغرافيا عن طريق القراءة فقط. ولا أعلم، هل تتلمذ الشيخ حمد لشيخنا الوالد. وربما حضر دروسه. [عبد العزيز].

قائمة
ببعض من تتلمذ عليه وأخذ عنه

١ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، رئيس مجلس القضاء سابقاً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش، رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة سابقاً.

٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، صاحب المؤلَّفات، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، الداعية الإسلامي، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ ـ أخوه الشيخ عبد اللطيف، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ ـ أخوه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعد، من بلد ملهم، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان آل مبارك، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ ـ الشيخ سعود بن رشود، رئيس محكمة الرياض سابقاً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ ـ الشيخ عبد الله بن بكر، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ ـ الشيخ فالح بن مهدي، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ـ رحمه الله تعالى ـ.

١٥ ـ الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي، الرئيس العام للإشراف الديني على الحرمين الشريفين.

١٦ ـ الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل.

١٧ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري، رئيس ديوان المظالم سابقاً.

١٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الوسطى والشرقية.

١٩ ـ ابنه معالي الشيخ إبراهيم، وزير العدل.

٢٠ ـ ابنه معالي الشيخ عبد العزيز، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢١ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خنين.

٢٢ ـ الشيخ صالح بن علي بن غصون.

٢٣ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فارس، قاضي بمحكمة الرياض.

٢٤ ـ الشيخ محمد بن مهيزع.

٢٥ ـ الشيخ عبد العزيز بن زاحم.

٢٦ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن سحمان.

٢٧ ـ الشيخ عبد الله بن عقيل، عضو مجلس القضاء الأعلى.

٢٨ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن غديان.

٢٩ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين.

٣٠ ـ الشيخ فهد بن حميّن.

٣١ ـ الشيخ حمود بن عقلا.

٣٢ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن فريان.

٣٣ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض.

٣٤ ـ الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله بن حسن، وزير المعارف سابقاً.

٣٥ ـ الأستاذ حمد الجاسر.

٣٦ ـ الأستاذ سعد بن عبد العزيز بن رويشد.

٣٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن عجلان.

٣٨ ـ الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين.

٣٩ ـ الشيخ ناصر الحناكي.

٤٠ ـ الشيخ سعد بن غرير العنزي.

٤١ ـ الشيخ محمد السحيباني.

٤٢ ـ الشيخ علي السحيباني.

٤٣ ـ الشيخ فهد بن عبد العزيز بن سعيد.

٤٤ ـ الشيخ حسن بن مانع.

٤٥ ـ الشيخ إبراهيم بن نغيمش.

٤٦ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم.

٤٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن شلهوب.

٤٨ ـ الشيخ أحمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم.

٤٩ ـ الشيخ مقبل العصيمي.

٥٠ ـ الشيخ علي الرومي.

٥١ ـ الشيخ حمود بن سبيّل.

٥٢ ـ الشيخ محمد بن صعب الراجحي.

٥٣ ـ الشيخ ناصر بن صعب الراجحي.

٥٤ ـ الشيخ محمد الأمير.

٥٥ ـ الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

٥٦ ـ الشيخ محمد بن سليمان البليهي.

٥٧ ـ الشيخ صالح بن جارد.

٥٨ ـ الشيخ عبد الله بن حمد الراجحي.

٥٩ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن جابر.

٦٠ ـ الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.

٦١ ـ الشيخ عبد الملك بن عمر آل الشيخ.

٦٢ ـ الشيخ عبد الله بن عمر آل الشيخ.

٦٣ ـ الشيخ عبد الله بن حماد.

٦٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن ناصر الشعيبي.

٦٥ ـ الشيخ إبراهيم السويح.

٦٦ ـ الشيخ عبد الرحيم صديق.

٦٧ ـ الدكتور تقي الدين الهلالي.

٦٨ ـ الشيخ عمر عبد الجبار.

٦٩ ـ الشيخ إبراهيم بن عبد الله الهويش.

٧٠ ـ الشيخ إبراهيم الهلالي.

٧١ ـ الشيخ غيهب بن محمد بن غيهب.

٧٢ ـ الشيخ عبد الله بن صالح بن فريان.

٧٣ ـ الشيخ سعد بن إسحاق بن عتيق.

٧٤ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن عتيق.

٧٥ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري.

٧٦ ـ محمد بن عبد العزيز آل سعود.

٧٧ ـ مساعد بن عبد الرحمٰن الفيصل.

٧٨ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي رحمه الله.

٧٩ ـ الشيخ صالح بن عبد الرحمٰن الأطرم.

٨٠ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع.

٨١ ـ الشيخ فهد بن عبد الرحمٰن الخميس.

٨٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، خطيب الجامع الكبير.

٨٣ ـ الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية بقطر[١].

والحمد لله أوَّلاً وآخراً، وصلَّى الله على عبده ورسوله سيِّدنا ونبيّنا محمد، وآله وصحبه وسلَّم.

(١) مصادر تلاميذه: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص(١٧٧)، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٩٢)، وفتاوى ورسائل الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في المقدمة وهي للمحقق ابن قاسم، ص(٢٢)، واستقيت أسماء بعضهم من معالي وزير العدل الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد المترجم له.

مصادر البحث

١ ـ فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ علماء نجد خلال ستة قرون.

٣ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم.

٤ ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.

٥ ـ مذكرات الشيخ محمد أمين الشنقيطي.

٦ ـ جريدة الدعوة، الثلاثاء (١٣) شوال (١٣٨٩هـ).

٧ ـ معالي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد، حفظه الله.

٨ ـ فضيلة الشيخ عبد الملك بن عمر، حفظه الله.

٩ ـ شعراء هجر.

١٠ ـ وأخيراً: راجعها سماحة نجله الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، حفظه الله.

● ● ●

كتاب «عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ سيرة عالم ومسيرة إمام»

بقلم الأستاذ الأديب الجليل:
عبد العزيز بن زيد آل داود ـ حفظه الله ـ

تقديم

بقلم معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد آل الشيخ
وزير العدل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. ومن اتبع سبيله بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين.. رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»** رواه مسلم.

ولقد قيّض الله لهذه البلاد علماء ربانيين نفع الله بهم العباد والبلاد، وعمَّ خيرهم وعلمهم في شتى أصقاع الأرض، وهم أحق الناس ببسط سيرتهم وإظهار علمهم ومواقفهم وجهودهم لينتفع بها من بعدهم.

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء سماحة مفتي الديار السعودية في زمانه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله.

وقد طلب مني الأستاذ عبد العزيز بن زيد آل داود وضع مقدمة للكتاب الذي ألفه عن سماحة الشيخ، باسم (سيرة عالم ومسيرة إمام)، وكنت أحبذ لو أن سعادة الأستاذ الكاتب اتصل ببعض تلاميذه وأخذ عنهم شيئاً من سيرته لكان هذا الكتاب أشمل وأوسع، إلا أن الأستاذ عبد العزيز أصرّ مما دفعني إلى إجابة طلبه.

وباطلاعي على هذا الكتاب وجدت أنه في الجملة قد أبرز بعضاً من الجوانب العلمية والتربوية لسماحته، وبعضاً من مواقفه في الدعوة إلى الله والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم وجهوده الإصلاحية المزامنة للتأسيس.

وألمح الكاتب إلى بيان مكانة العلماء والدعاة الربانيين وما لها من أثر طيّب ومبارك في مجتمعهم وأمتهم وما لهم من صدارة وتقدير وتميز لدى المسلمين؛ ولاة أمر وعامة.

وفيه إشارة وتوضيح لحاجة الأمة إلى القدوة الحسنة وإلى الداعية الذي يمتلك الرغبة الشديدة في خدمة المسلمين، والسعي إلى إعزاز الدين في كل زمان ومكان.

ولقد قدم الكاتب هذه السيرة بأسلوب لا يعتمد التسلسل الزمني للأحداث، وإنما يعنى في كل تفصيلاته بالأثر في الجهود الإصلاحية وإبراز جانب التميز لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ وفق رؤية واعية لحياة علم من أعلام أئمة الدعوة، ورجل إصلاح وفقه.

وأولى اهتماماً أكبر بسيرته العلمية والتعليمية وبالتحديد أثرها في مسار التنمية الحضارية والفكرية في المملكة العربية السعودية.

وأورد الكاتب ـ وفقه الله ـ بعض الدلائل على حرص الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ واهتمامه بالتواصل مع علماء المسلمين في الشرق والغرب، والسعي إلى الالتقاء بهم في أيّة مناسبة من خلال مؤسسات تحمل على عاتقها مهمة

اجتماع كلمة المسلمين وتوحيد مواقفهم، وكان لهذه اللقاءات والعلاقات الطيبة التي جمعت الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع كثير من العلماء سواء في موسم الحج أو في غيره من مؤتمرات العالم الإسلامي أو في رابطة العالم الإسلامي أو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعشرات المعاهد العلمية والمؤسسات الإسلامية والدعوية أن جاءت بخير كثير وثمار طيبة وملموسة في ثقافة العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

ولا يسعنا في ختام هذه السطور سوى أن نشكر الكاتب على ما بذله من جهد وعرض لبعض المواقف من سيرة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، سائلين المولى عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع بها كل من يطلع عليها من المسلمين.

غفر الله للشيخ محمد بن إبراهيم ومشائخه وغفر لجميع علماء المسلمين إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

مقدمة

لماذا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؟

أن يتصدى إعلامي لسيرة عالم من علماء الإسلام فلن يحيط بكلّ السيرة.. وإنما يقف عند إشارات يرى أنها مهمة لجيله ولعصره ولزمانه ولظروفه. فما دلالة ذلك؟.

هو يعرف أن الشيخ إنساناً ومكانة وعملاً ودعوة فوق ما يقوده إليه قلمه.. وفوق ما يمنحه بيانه.

ولكن هذا الإعلامي رأى أن في سيرة هذا الشيخ ما ينبغي أن يشار إليه ويسترشد به ويقتفى أثره.

هذا العالم الفذ يملك قدرات هائلة في البناء.. وقدرات هائلة في اختيار الرجال.. وقدرات هائلة في تبني الأفكار.. إذ رأى مناسبتها لزمانه وواقعه واحتياج الناس إليها.. دون مخالفة لمبادئ الدِّين الحنيف، لا بل هي تنسجم مع دعوته.. وتتماشى مع ما يراد أن تكون عليه الأمة من سمو وعزة ورفعة.

كانت مبادراته الرائعة هي التي دعت مثلي أن يكتب عن سيرته العطرة.. وكانت مواقفه الصلبة وآراؤه القوية هي التي هيأت لي الوقت أن أنجز هذه الإشارات التي أرى أنها مهمة في حياته.

إنني امرؤ يتملكني لغد الأمة ما يبني أجيالها.. من يقيم المنشآت العلمية.. من يسير إلى التنظيم والتطوير.

بادر الشيخ إلى تعليم الفتاة وإنشاء المعاهد العلمية والكليات الشرعية فازدهرت دور العلم والعلماء.

نقل طريقة التدريس البدائية إلى منهج جديد لم تألفه البلاد ولا العباد من قبل، وكان يرى بثاقب بصيرته أن هذا هو الأجدى للأمة.

وما ستجدونه في صفحات هذا الكتيب إن هو إلا تعبير عن هذا التألق لهذا الشيخ.

لم يركن إلى السائد باعتباره المتعارف عليه.. وإنما شجع الجديد لأن فيه خدمة للجميع، الأمة والمجتمع.. وهكذا كان.

إذا كانت دور العلم في السابق تخرج طلبة على عدد أصابع الكف، فإنها اليوم تخرج الآلاف وفي كل بقعة من أرضنا شاهد.

عمل هذا الشيخ على بناء المؤسسة الدينية السعودية ونجح في ذلك.. استعان بالعلماء والدعاة من كل مكان فجاءت الثمار سامية ورشيدة.

لم يقصر جهده على أمر محدد، وإنما بادر إلى المجتمع فأنشأ دور الأيتام وأجرى للطلاب الأعطيات.. وشجع على هذا فكان الخير والنتاج وفيراً.

هذا هو الشيخ رحمه الله.. كما رآه إعلامي يحاول أن يقرب للجيل الحاضر سيرته.. ويدعوهم للاقتداء بمنهجه.. فليرحم الله الشيخ.. وليبارك في الغرس.. وليحفظ الله المنهج.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
السيرة والمنهج

سيرة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ توجزها تلك الحادثة التاريخية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ. . . فلقد قام الملك الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ بزيارة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ في مرضه الذي مات فيه فقال له الملك عبد العزيز: أوصني، فكان مما أوصاه به إسناد شؤون العلم والعلماء إلى الشيخ محمد بن إبراهيم مع كونه من أصغر العلماء سناً إذ لم يتجاوز آنذاك الثامنة والعشرين عاماً. وقال ابن عبد اللطيف موجهاً الخطاب إلى الملك عبد العزيز - رحمهما الله -: «إني أرى في هذا الفتى مخايل النجابة والنبوغ والحكمة فإن رأيت إسناد الأمر إليه فذاك رأيي»، وأخذ الملك عبد العزيز بهذا الرأي وعيّنه خلفاً لعمه حين توفي عام (١٣٣٩هـ).

ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام (١٣٨٩هـ)، عاش الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ حياة حافلة بالعطاء والبذل في سبيل الإصلاح والتعليم والدعوة امتدت زهاء نصف قرن من الزمان. . . عايش خلالها بداية التكوين والوحدة لهذه البلاد. . . وعايش بدايات التأسيس لعدد من المنشآت الحكومية. . وأسهم في تكوين عدد منها بتوجيه من الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمٰن، طيّب الله ثرى الجميع. اتفق عارفو الشيخ على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهبه الذكاء وقوة الحفظ والتواضع والصلابة في الحق والخلق الكريم والحرص على شعائر الدِّين. . والعناية بنشر العلم الشرعي وإكرام طلبته. . والحنكة في أموره. . والرغبة في متابعة ما يسند إليه من أعمال والقدرة على اختيار الرجال.

أوقف الشيخ حياته للتعليم وخص طلبته بمزيد عناية واهتمام. . يقول الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يعمر أكثر نهاره بالتدريس. . حيث كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة. . فالأولى بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، والثانية بعد ارتفاع الشمس، والثالثة بعد صلاة العصر. . وكل هذه الجلسات تتم في جامع الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حي دخنة. كما نهض الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالإشراف والمتابعة لعدد من الأجهزة الحكومية الشرعية فخصها برعايته وتابع أمورها بنفسه، ومن هذه الأعمال:

* تولى الإفتاء بعد وفاة شيخه سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ، عام (١٣٤٩هـ). ومنذ ذلك التاريخ حتى (١٣٧٤هـ) حيث تم تحويل الأمر إلى عمل منظم في دار الإفتاء تولى سماحته رئاسته حتى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.
* تولى رئاسة القضاء.
* أشرف على رئاسة المعاهد العلمية والكليات منذ إنشائها عام (١٣٧٠هـ).
* الإشراف على «مدارس البنات» منذ افتتاحها (١٣٧٩هـ).
* تولى رئاسة «رابطة العالم الإسلامي» منذ إنشائها في عام (١٣٧٩هـ).
* كُلِّف برئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام (١٣٨١هـ).
* تولى رئاسة مجلس القضاء منذ تشكيله في عام (١٣٨٨هـ).
* رئاسة المكتبة السعودية.
* أنشأ مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.
* خطيب جامع الرياض وإمام مسجد العيدين.

وكان بهذا هو المعنيّ بالقضايا الإسلامية وما يتعلق بها داخل المملكة وخارجها من أمور الدعوة الإسلامية حتى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٨٩هـ).

إن المتتبع لحياة الشيخ وما أُوكل إليه من أعمال. . وما تحقق على

يديه من خير وما تركه من أثر يستطيع أن يخرج بقراءة وافية لحياة وسيرة الشيخ الجليل نوجزها فيما يلي:

بناء الرجال:

لقد عني الشيخ بإعداد الرجال وتعليمهم وتأهيلهم ليكونوا علماء وطلبة علم وقضاة ودعاة من الطراز الأول... وهذا ما تحقق بحمد الله.. فأبناؤه وطلبته منتشرون في أنحاء المملكة يقومون بأمور الشرع المطهر.. دعاة وقضاة ومعلمين ومرشدين في أجهزة الدولة كافة.. بل إن من تولى أمور الإفتاء والقضاء في المملكة هم من تلامذته النجباء الأخيار حتى يومنا هذا.

بناء المؤسسات:

عرف عن الشيخ قدرته على التأمل والتنظيم والمتابعة الشديدة لما يوكل إليه من أعمال أو ما يكون تحت إشرافه وعنايته.. ولذا نجد حرصه رَحِمَهُ اللَّهُ على بناء المؤسسات الشرعية وفقاً لرؤية حديثة غير مسبوقة في البلاد.. ولعلّ أبرزها تنظيم القضاء والمحاكم وتعليم البنات والمعاهد العلمية.. والإفتاء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وهي مؤسسات نقلت الدولة والمنهج المتبع إلى أنموذج يحتذى في تكوين الدولة الإسلامية الحديثة.

الإفادة من علماء الإسلام:

استعان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعدد من العلماء والدعاة من مختلف الأقطار الإسلامية الذين عرفوا بالمنهج السلفي النقي.. وأوكل إليهم تحديث أمور التعليم الشرعي وإنشاء المعاهد العلمية مع طلبته من أبناء المملكة.

رؤيته المستقبلية الناضجة:

لم يتهيب سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ من ريادة أمر يرى أن فيه مصلحة للمسلمين

والإسلام. بل إن كل ما يعزز رسالة الإسلام في النفوس تجد أن للشيخ مبادرة في تشجيعه والاهتمام به. ومن مبادراته رَحِمَهُ اللَّهُ إنشاء المكتبة السعودية وإصدار مجلة الدعوة السعودية، وهذه الأخيرة ريادة تنم عن وعي وإدراك ورؤية مستقبلية لما سيكون للإعلام من أهمية في حياة الناس أجمعين.

رعايته للتعليم الشرعي:

رأى سماحته أن تعليم أصول الشريعة وما يلحق بها من علوم ينبغي أن يواكب ما يجري من تحديث في أنحاء المملكة، فانبرى إلى إنشاء معاهد علمية شرعية.. هي نواة لأكبر جامعة إسلامية في المملكة العربية السعودية مهمتها تخريج القضاة والدعاة ومعلمي الشريعة واللغة العربية، والمشتغلين في الحسبة وما يلحق بها... استعان في ذلك بكفاءات متميزة استطاعت بعد توفيق الله السير بهذه المعاهد لتتبوأ الصدارة والريادة في سلم التعليم في المملكة.

اعتناؤه بتعليم الفتاة:

في بداية التطوير والتحديث الذي شهدته المملكة... كانت الأصوات تتعالى منادية بتعليم المرأة، فيما فئة أخرى توصد الأبواب دون ذلك لأسباب اجتماعية كان لها بعض وجاهتها في زمن يشهد تغيراً وتبدلاً متلاحقاً رغبة في البناء.

انبرى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى إيجاد صيغة توازنية تأخذ في حسبانها أهمية تعليم المرأة مع تقدير وجهة نظر من يرى أن يتم ذلك وفق ضوابط تتسق وما يعيشه المجتمع السعودي من سمت... فكان أن كلف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نخبة من تلاميذه للنهوض بهذا الأمر الذي بدأ يلقى قبولاً ورغبة من أبناء المملكة، بل أضحى تعليم المرأة يضم كليات ومدارس في أنحاء البلاد كافة وهو ما نشهده ونعيشه اليوم.

اهتمامه بقضايا المسلمين:

وهذا واضح من خلال ترؤسه رَحِمَهُ اللَّهُ لجهازين معنيين بأمور المسلمين عامة، هما: رابطة العالم الإسلامي، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.. وفي هذين الجهازين برهان على أن علماء المملكة ورجال الخير فيها ليسوا منغلقين على أنفسهم، بل إن اهتمامهم بأمور المسلمين في خارج المملكة له منزلة خاصة لديهم يتسق مع رعايتهم الشؤون الإسلامية في الداخل... وهذه النظرة التي تحلّى بها الشيخ هي ديدن أبنائه وتلامذته الذين يعنون بأمور الأقليات المسلمة في كل مكان وبذل الخير لهم وتشجيع أبنائهم على التعليم والحرص على علوم الشريعة الغراء.

القدرة على طرح البدائل:

تلك ميزة تحسب للشيخ والعاملين معه في الحقل الشرعي، فلا يكفي المرء أن يمنع أمراً ولكن الجدارة والاستحقاق أن توجد البديل المتميز القادر على المزاحمة.. بل أن تقدم البديل الذي تستطيع أن تطبقه على أرض الواقع.. وأن يلقى الثناء والتقدير..

وهذا ما تميز به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ قدّم البديل المقبول لتعليم المرأة فأصبح ذلك أنموذجاً يحتذى... وقدم أنموذجاً في تكوين المعاهد العلمية نال الرضا والقبول والتشجيع من الجميع، وقدم النموذج الرائد في العناية بأمور المسلمين من خلال أجهزة الحسبة والمحاكم والقضاء والإفتاء... مما يعد بحق شهادة تميز لهذا الشيخ ومنهجه المبارك.

لقد كانت ثقة قادة هذه البلاد ووقوفهم بجانب الشيخ وتشجيعهم لمبادراته دافعاً قوياً، وجعلت جهوده المباركة تحول تلك المبادرات إلى حقائق شاهدة على صدق التوفيق بين القول والعمل.

كانت تلك المبادرات نواة لمسيرة طويلة مبتدؤها ومنطلقها المسجد المبارك.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في مسجده جامع العلم ودار العلماء

أصيب التعليم في العالم الإسلامي بتأخر عندما أنّث دوره فأصبح «الجامع» جامعة.. والمعهد «كلية»، ودار العلم «مدرسة»، ومراحل التعليم قسمت إلى ابتدائية ومتوسطة وثانوية، هذا التأنيث الذي استمرأه كثيرون أتى على ما للمسجد من رسالة.. كان فيها المسجد جامع العلم ودار العلماء.. يحدثك عن ذلك: الجامع الأزهر، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، والجامع الأموي، وحلق العلم في المسجدين المباركين: المسجد الحرام والمسجد النبوي، خرجت هذه الجوامع علماء وفقهاء وقادة وقضاة على مستوى رفيع من العلم والخلق الكريم.

وهذا مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قلب مدينة الرياض يؤدي هو الآخر رسالة عظيمة في تخريج العلماء.. الشيخ محمد بن إبراهيم نفسه من خريجي هذا الجامع.. وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمهم الله ـ. من يعد مثل هذين العالمين إلا جامع كان له منزلة في التعليم والتعلم.. هو جامع أكبر من كل جامعة في عالمنا الإسلامي إن لم يكن بكاملها جميعاً.. يقول صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض واصفاً الدور الرائد لهذا المسجد: «هذا الجامع من الجوامع التاريخية في مدينة الرياض. كان مقرّاً لتدريس العلوم الشرعية، وعقدت فيه حلقات العلم والدرس طوال عقود طويلة ماضية».. ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة: «هذا

المسجد كان «نواة لجامعة» لكثرة الدروس فيه من صلاة الفجر وحتى الليل، تخرج منه العلماء والقضاة والأئمة».

ويقول الشيخ عبد الله العقيل كان مسجده (جامعة) في قلب نجد ملأت البلاد علماً قبل أن تُبنى المدارس والمعاهد والكليات والجامعات الحديثة.

ولندلف إلى ما يحفل به المسجد من دروس علمية تستغرق اليوم كله، الأستاذ والمعلم والمدرس فيه هو الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ معلم زهاء خمسين عاماً فماذا كان يومه؟!.

بعد صلاة الفجر:

يقرأ الطلاب ألفية ابن مالك، مع شرح ابن عقيل، وزاد المستقنع، مع شرحه الروض المربع، وبلوغ المرام، والآجرومية، والملحة، وقطر الندى، وعمدة الأحكام، وأصول الأحكام، والحموية، والتدمرية، ونخبة الفكر.

بعد شروق الشمس:

يدرس الطلاب كتاب التوحيد وكشف الشبهات، ثلاثة الأصول، العقيدة الواسطية، مسائل التوحيد، مسائل الجاهلية، لمعة الاعتقاد، أصول الإيمان، الأربعون النووية، عمدة الأحكام، آداب المشي إلى الصلاة، فتح المجيد، شروح الطحاوية، شرح الأربعين النووية، صحيح البخاري، صحيح مسلم، السنن الأربعة، مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيّم، وابن كثير، دون استثناء.

بعد صلاة الظهر:

زاد المستقنع بشرح الروض المربع، بلوغ المرام.

بعد صلاة العصر:

كتاب التوحيد وشرحه، مسند الإمام أحمد، مسند ابن أبي شيبة، والجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح.

هذا يوم دراسي كامل يبتدئ من صلاة الفجر وحتى صلاة المغرب، كله درس وتعليم وتربية، المسجد يجمع بين العبادة والعلم في تناسق واضح، والمعلمون فيه علماء وفقهاء لهم يد طولى في التلقي والأخذ عن مشايخهم وقد جثوا طويلاً على الركب التزاماً بالعلم ورغبة في الاستزادة من الإيمان.

ولعلّنا في قراءة سريعة لهذا الدرس اليومي الكامل أن نخرج بالآتي:

ـ **أن التعليم في المساجد جزء من مهمتها** ينبغي أن نولي هذا الجانب حقه إذا أردنا أن نخرج علماء وقضاة على مستوى من العلم والحكمة والرزانة.

ـ **أن التعليم في المساجد لم يقتصر على علوم الشريعة**، بل إن الواضح في دروس مسجد الشيخ عنايته التامة بعلوم اللغة العربية بل تقديمها في الشرح والدرس على غيرها لأنها مفتاح للعلم الشرعي.

ـ **أن التعليم يستغرق اليوم كله**.. والنهار بأكمله، لاحظ عدم توافر الوسائل والإمكانات وما يلاقونه من صعوبات من حر وبرد ومع ذلك فاليوم كله علم وفقه وتربية.

هكذا كان التعليم في مسجد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذه السبيل هي من خرّجت أكثر العلماء والدعاة اليوم والأمس.

نعم قد يتساءل امرؤ: أين كان يعيش هؤلاء الطلاب؟.. لقد أُلحق بالمسجد «الجامع» رباط للإخوان «بيت» يسكنون فيه وينفق عليهم من بيت مال المسلمين.. ومما يأمر به الملك المؤسس الباني عبد العزيز بن عبد الرحمٰن طيّب الله ثراه...، وكان الشيخ يقف بنفسه على هذه الأمور ويكلف من أعوانه من يعمل بذلك ويتابعها.

هذا الجامع خرّج علماء أجلاء يعددهم الأستاذ عبد الله بن إدريس

في مقالة له فيقول: «تخرج على يدي الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عشرات من العلماء الأفذاذ.. أمثال العلامة الشيخ عبد الله بن حميد.. والإمام الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ صالح بن غصون، والشيخ محمد البواردي، والشيخ عبد الله بن عقيل، والشيخ إبراهيم بن سليمان، والشيخ محمد بن هليل، والشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم، وابنه الشيخ محمد، والشيخ محمد عبد الرحيم صديق، والشيخ حمد الجاسر، والشيخان محمد وعلي السحيباني، والشيخ حمود بن سبيل، والشيخ علي الفائز، والشيخ عبد الرحمٰن بن فارس رئيس محكمة الرياض سابقاً، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن جبرين، والشيخ مقبل العصيمي، والشيخ علي الرومي، والشيخ عبد الله اليابس، الذي هاجر إلى مصر، وعبد الله بن علي القصيمي هاجر إلى مصر، والشيخ عبد الله بن زاحم الأول، والشيخ زيد بن فياض، والشيخ حمود العقلا، والشيخ عبد الملك بن عمر، والشيخ إبراهيم بن عثمان، والشيخ عبد العزيز بن شلهوب، والشيخ عبد اللطيف بن مانع، والشيخ سعد بن رويشد، والأستاذ عبد الرحمٰن الرويشد... وغيرهم كثر رحم الله الأموات منهم وأمد الله في عمر الأحياء على خير وحق».

هؤلاء هم بعض خريجي هذا المسجد المبارك وهم تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.. جاء التذكير بهم استطراداً للثناء الحسن والذكر الجميل لهذا الشيخ الكريم.. ولهذا الجامع الذي نهل منه أبناء المملكة العلم... كان لهم مصلّى ومعهداً وكانت مرافقه والرباط الذي أُلحق به سكناً ومستقراً ساعد على تحصيل العلم والاستزادة من فقه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
المنهج في العلم والإفتاء

الجرأة في الحق ونهج السلف هما العنوان الأبرز في شخصية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ. كان إماماً لا يتردد في قول الحق.. وإيضاح الدليل والبرهان على الواقع.. لا يجامل أحداً، أميراً أو خفيراً، صغيراً أم كبيراً، فمقاما العلم والإفتاء يلزمان صاحبهما أن يصدع بالحق.. وأن يبين في القول.

المنهج في التدريس:

جاء معنا في موضوع سابق أن جلَّ وقت الشيخ للتعليم والتدريس. وكان له رَحِمَهُ اللَّهُ منهج واضح **يقول فيه معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في** حديثه عن سيرة جده الإمام محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منهجية جعلت الطلاب في قوة علمية مؤتلفة غير مشتتة، ففي التوحيد كان اهتمامه بكتبه التأسيسية التي تبين العقيدة الحقة بأدلتها، وكان لا يذكر الخلاف في الاعتقاد، فلا يعرج على مذاهب الخرافيين والمبتدعة وشبههم إلا إذا دعت الحاجة، بينما تجد أكثر التفصيل والتدليل على معتقد أهل السنّة.

وهذا ـ ولا شك ـ يعطي قوة علمية استدلالية، وثباتاً في موقف الحق، وعدم تشويش الأذهان بكثرة الأقوال المبتدعة، وهذا لأجل أن المبتدعة وأقوالهم لم تكن مشتهرة، فإذاً لا يحتاج إلى الكلام المطول عليها.

وأما في الفقه: فقد جعل دروسه منبثقة من متون الفقه الحنبلي، ومتونه محررة الصور مدققة اللفظ، تفتق ذهن الطلاب، وتقوي إدراكهم الفقهي، فاعتماد متن لمذهب هو خير طريقة لتحصيل الفقه، فبه يبنى الذهن الفقهي، وبه تؤسس قواعد التصور للمسائل الفقهية، ويأتي بعد ذلك التفريع والتدليل وذكر الخلاف والترجيح فتكون معرفة الأقوال بعد إحكام الأصول وضبط تصور المسائل، وعلى هذا كانت دروس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد كان يعرض للمتن وهو «زاد المستقنع» بشرحه الروض المربع، فيبين عبارة الماتن بدقة، ووضوح عبارة، ويصور المسألة تلو المسألة بحيث لا تشتبه مع نظيراتها في ذهن الطلاب، ولا يبدأ بالاستدلال أو ذكر الخلاف كما يفعل بعضهم في الجامعات، بل إحداث تصور المسائل كان هو المطلب الأول.

ثم يذكر الدليل مع وجه الاستدلال، أو التعليل، أو إرجاع حكم المسألة إلى أصل أو قاعدة أو نحو ذلك من الحجج، وربما ذكر الخلاف في بعض المسائل إذا كان الخلاف فيها قوياً، أو كان مشتهراً بين الناس، أو كانت هناك حاجة لبيانه، وغالباً ما يذكر اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم وأئمة هذه الدعوة ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وأما مطولات الفقه والشروح فلم يكن يفصل الكلام عليها بنحو ما سلف، ولكن يذكر بعض ما يحتاج إلى إيضاحه» (انتهى كلامه).

الإفتاء والشيخ:

كان الشيخ متأنياً في أحكامه.. ربما تعرض عليه المسألة فلا يجيب من توه، ولكن يسكت الشيخ وبعد يوم أو يومين يطلب ممن سأله إعادة السؤال.. ثم يفتي رَحِمَهُ اللَّهُ بما فتح الله عليه.

وهكذا كان سمت العلماء والدعاة.. فيما لا يجدون له جواباً حالاً.. وهكذا هي التقوى، وهذا هو الورع.

بل جاء في سيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن المسألة ربما مكث أياماً ينظر فيها ثم لم يُفْتِ فيها بشيء.

ويذكر أيضاً في هذا الشأن أن رجلاً من أهل الزلفى يعطي زكاته لقريبة منه وكانت تجمع هذه النقود ولا تشتري بها شيئاً مطلقاً فسأل الشيخ: هل يجوز أن يشتري بالزكاة التي يريد دفعها لها ملابس وطعاماً ونحو ذلك ويدفعه إليها؟ فسكت الشيخ ولم يجب قريباً من يومين. ثم قال للسائل: ما دامت الحال كما ذكر، فإنه يجوز هذا.

وأيضاً سئل الشيخ عن النقد الورقي: هل هو سند أو نقد بذاته؟ فتوقف في ذلك ولم يجب.

وعن منهجه هذا في الإفتاء يقول معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: «كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ملتزماً في الفتوى بما عليه الراجح من الأقوال عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وسواء كان هذا مذهباً للمتأخرين أم لا، إلا أنه في الغالب يوافق ما عليه المتأخرون، وكثيراً ما يرجح اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيّم ـ رحمهما الله ـ، وما عليه الترجيح عند أئمة هذه الدعوة من الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذتهم، وهذا يجعل الناس على منهج متحدٍ، وفي فتاوى غير متضاربة، وجمع الناس وعدم اختلافهم مصلحة عظمى، خصوصاً إذا علم أن البلاد مسرح للأهواء، فالاختلاف في الفتوى سيتبعه تفرق في أمور شتى. كما لم يكن يسمح لكل أحد من واعظ وخطيب وإمام ومتخرج في الفتوى، بل الفتوى منحصرة في الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومن كان معه، والقضاة في البلاد، ومن كان معروفاً بسعة العلم ممن لم يكن قاضياً.

وقد كان يعاقب ويعزر بعض المتجرئين على الفتوى، أو المخالفين لمشهور الفتوى (انتهى كلام معاليه).

لكن اللافت للنظر والتأمل حرصه رَحِمَهُ اللَّهُ على إيلاء المسائل الطارئة والمستجدة بالأمة عناية فائقة.. هكذا جاء في بحث نقل المقام (مقام إبراهيم) إبان توسعة الحرم المكي.. وتغيير السلالم التي تصعد للدور الثاني لأنها لم تكن تجاه القبلة.. ترى حرصه وتوكيده وتأنيه في الإفتاء ثم الإتيان ببحث مطول في هذا..

ثم ما جاء في فتاواه بشأن الأضاحي ونقلها وحفظها.. والذبح خارج منى والذبح في مكة المكرمة، فكانت فتاواه غاية في تقدير مصالح المسلمين. ورغبة في عدم الإطالة أسوق الفتاوى المتعلقة بذلك؛ فلقد سئل سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عنها فأجاب بما يلي:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة رئيس تحرير جريدة حراء الأستاذ صالح جمال وفقه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلني كتابكم الذي تسألون فيه عن أسئلة تتعلق بذبائح منى، وقد أملينا عليها الجواب المرفق، والسلام عليكم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، وآله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن الهدايا شرعت في الحج اقتداء بخليل الله إبراهيم حين أمره الله بذبح ولده إسماعيل، فامتثل، ثم فداه الله بذبح عظيم، فذبحها رسول الله ﷺ، وأصحابه من بعده، ودرج على ذلك المسلمون جميعاً جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وقد كان ذبح القرابين قديماً في الأمم على اختلاف مذاهبها، وقد قصَّ الله علينا في القرآن العظيم أن قابيل وأخاه هابيل قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر.

وكان في الأمم السابقة من لا يقتصر على تقريب الحيوان، بل كانوا يقربون ذبائحهم كالكنعانيين والفينيقيين وغيرهم، وكانوا يقربون

ذبائحهم لله ويشركون به غيره، ويذبحونها على غير اسمه، وكان فيهم من يحرق هذه القرابين بالنار، فجاء الإسلام بذبح القرابين من الهدايا والضحايا لله وحده وعلى اسمه وحده، وأمر الله بالأكل منها، وإطعام الفقراء والمساكين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦ ـ ٣٧].

إن بعض الناس يريد من المشاعر أن تكون كمصيف أو منتزه منظم؛ ويريد أن لا يحصل عليه في الحج أدنى مشقة أو تعب، ولا أن يشم رائحة كريهة في المشاعر، وأن لا ترى عينه شيئاً مما يتنافى مع ترفه وحياته التي يعيشها في بلده، والوصول بالمشاعر إلى هذا الحد متعذر وذلك لأن أوقات العبادة في هذه المشاعر محدودة وكل من الحجّاج مطلوب منه عبادة هي مطلوبة من الآخر في وقت واحد، فإذا اجتمعوا على أداء هذه العبادة، فلا بد وأن يحصل بسبب ذلك زحام وروائح كريهة وغير ذلك رغم ما يبذل من عناية وتنظيم.

فمن الحجاج من يصبر ويحتسب ويتحمل ما يجده من المتاعب والآلام والمضايقات، وقد يتلذذ به ويطمئن له، لكون ذلك إنما ناله في سبيل الوصول إلى طاعة ربه الذي أمره بالحج إلى بيته، لينال رضا الله ومغفرته وجنته، فيهون عليه ما يعترض له في طريقه من أشواك وما يلقاه من نصب ومشقة.

ومن الحجّاج من يتأثر ويتضايق مما يصيبه من الآلام والمتاعب والمشقة، ويظهر عليه الجزع وقلة الصبر، وذلك ناشئ من ضعف الإيمان، فإنه لو قوي إيمانه بالله وبما أعده الله للحجاج الصابرين المحتسبين من الأجر والثواب لهان عليه كل ما يجده في هذا السبيل.

ومن الحجاج من ليس منهم على الحقيقة ولا إرب له في الحج إلا الانتقاد على تشريع الله وعلى الطرق الحكيمة التي أمر الله أن تؤدى عليها هذه العبادات، ويحاول تغييرها والاجتهاد فيها بحسب ما يملي عليه هواه وشيطانه، ويريد أن يجعل من الدِّين نفسه وسيلة إلى تنفيذ مقاصده وغاياته وأهدافه واجتهاداته الخاطئة، فيتكلم مثلاً في مشروعية الذبح ويقلل من أهميتها، ويريد أن يبذل الحجاج بدل هذه الذبائح التي شرع الله ذبحها عبادة لله وتعظيماً، وأن يطعم القانع والمعتر، يريد بمجرد رأيه وهواه أن يدفع الحجاج بدلها نقوداً تبذل للفقراء وفي المشاريع الإصلاحية على حد تعبيره، وهذا شأنه في كثير من التشريع الإسلامي، يحاول تشريعاً جديداً وعملاً لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ، وقد سمعنا شيئاً من ذلك عن كثير من الناس.

والدين الإسلامي جاء بالخير والصلاح الدنيوي والأخروي، وهو صالح لكل زمان ومكان، ومتى تمسك الناس به واهتدوا بهديه وحكَّموه في جميع أمورهم، ولم يجدوا في أنفسهم حرجاً من أحكامه، وسلموا وانقادوا لذلك فقد آمنوا حقّاً، وسلكوا طريق النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، وإذا أعرضوا عنه واستبدلوا به تشريعات جديدة وقوانين وضعية وضعها أعداء الشريعة وخصوم الإسلام، ودخلت على المسلمين باسم الحضارة والمدنية وجعلوها المرجع لهم عند النزاع والدستور المقدس في جميع شؤونهم، واعتقدوها أحكم وأكفل لمصالحهم مما شرعه الله ورسوله، فليس لهم حينئذٍ في الإسلام من نصيب وإن سموا أنفسهم مسلمين، والعبرة بالحقائق لا بالأسماء، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٢].

والذبائح في الحج يمكن تنظيمها وتحصيل مقصود الشارع منها من الأكل وإطعام فقراء الحرم والتوسعة عليهم والسلامة مما قد يحدث بسبب إلقاء لحومها ونتنها من أضرار صحية ومن ذهابها وعدم الانتفاع بها إذا اتبعت الطرق السليمة التي تتمشى مع حكمة الدين ولا تتنافى ومقاصده الشريفة وتشريعه الحكيم، فمن ذلك: نقل ما يفضل عن هذه اللحوم إلى فقراء الحرم في مكة وضواحيها وتوزيعها عليهم، فإن في مكة فقراء كثيرين لا يصل إليهم شيء من هذه اللحوم ولا ينتفعون بشيء منها، ومن ذلك ذبح بعض الحجاج هديه في مكة يوم النحر وأيام التشريق وعدم تخصيص منى بالذبح، فإن ذلك سائغ، كما يدل له حديث: «**كل منى منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر**» رواه أبو داود، والسنّة هي ذبح هدي الحج في منى باتفاق العلماء.

وبعمل ما ذكرناه من نقل هذه اللحوم وتوزيعها على فقراء الحرم وذبح بعض الهدايا في أيام النحر في مكة».

كما سئل سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قيام شركات تقوم على أمر الأضاحي، فجاء خطاب سماحته إلى الملك بما يلي:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد جرى الاطلاع على الاقتراح الموجه إلى جلالتكم، المرفق بخطاب مقام رئاسة مجلس الوزراء رقم (٣٨٥) وتاريخ (٨/ ١/ ١٣٨١هـ) حول ملاحظاته على لحوم الهدي والأضاحي في منى وقت الحج، ورغبتكم الإفادة عما نراه تجاه ما ذكر.

ونفيد جلالتكم أن ما أبداه في معروضه المذكور غير وجيه، إذ

المسألة مسألة نسك ومشاعر، وليست مسألة تجارة، والأصل في الهدايا والضحايا أن يأكل منها المهدي ويتصدق ببعضها ويهدي البعض الآخر، ولو جعل على شكل شركة لأضرَّتْ بالمساكين الفقراء الذين هم من أهم المقاصد التي لأجلها شرع الهدي، فالشركة تريد أن تجمع لنفسها وتربح، وتبذل ما في وسعها لتجمع أكبر عدد ممكن من الهدايا والأضاحي لتكسب منه الربح الكثير، وهذا ينافي الحكمة التي لأجلها شرع هذا النسك، وقد ينجم عن شركة كهذه أضرار عظيمة: من منع الفقراء ما يستحقون، وتهاون الناس بهذه الشعيرة العظيمة، وضعفها في نفوسهم، أما الاعتناء في أمر هذه الذبائح، وعمل ما من شأنه حفظها من الضياع، ومنع الأضرار التي تنجم عنها من روائح وأوساخ، وما يحدث نتيجة لذلك من الأمراض، وحفظ ما يتبقى من اللحوم وتوزيعه على فقراء الحرم مما لا يتنافى مع الحكمة الشرعية: فهذا حسن لا يترتب عليه ضرر.

وفق الله جلالتكم وأرشدكم إلى ما يحقق المصلحة الدينية والدنيوية.

والله يحفظكم.

تاريخ: ١/٦/١٣٨١هـ».

* * *

ومن دروس ذلك المنهج في العلم والإفتاء:

١ ـ أن على المرء أن يجتهد في التحصيل العلمي، وأن يسخر وقته لطلب العلم الشرعي على المنهج الصحيح الراشد.

٢ ـ أن حاجة الأمة بأكملها إلى العلم الشرعي واضحة وجلية، وأن احتياجها إلى العلماء الصالحين في ظل هذه الظروف الصعبة جدُّ بين.

٣ ـ ضرورة التلازم بين العلماء والحكام فيما يصدر عن كل منهما بحيث تتحقق مصلحة الدين أولاً ثم مصلحة الأوطان والعباد.

٤ ـ أن الناس بعامة محتاجون إلى الفقهاء وإلى سؤال أهل العلم والفطنة، لا أن يتصدر الإفتاء أنصاف الطلاب ولا العامة.

٥ ـ أن مسارعة كثير من الشباب للإفتاء والجرأة على ذلك علامة على تردي حال الأمم، وتسابقها إلى الاختلاف والتفرق والتحزب.. وهذا ما لا يرضاه الدين ولا العلماء الصالحون ولا تبتغيه الأمة وهي تنشد الخير والفلاح والصلاح.

٦ ـ أن جلوس العلماء لنشر العلم والإفتاء في كل حين جالب لجمع كلمة الأمة واتفاقها على علمائها، وأن صدودهم عن السائلين وإغلاق أبوابهم وإيصادها أمامهم مدعاة لأن يتخذ الشباب والعامة علماء ومفتين من غير أهل العلم والإفتاء، فيختلفون إليهم ويسألونهم فيفتونهم بغير الحق فيضلون ويضلون، وهذا الأمر مشاهد لا يحتاج إلى برهان.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
الدعوة والدعاة في حياته

نشأ الشيخ الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت علم ودعوة، فكان البلاغ والدعوة همه الدائم.. وهاجسه الذي لا يفارقه مطلقاً ـ في سيرته وحياته كلها ـ كان دائم الاتصال بالعلماء ويقدر الدعاة.. ويكرمهم ويجلهم، وحفاوته بأساتذته وشيوخه مثال للتقدير والتبجيل.. إذا ذكر عنده الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ قال عنه: «شيخنا الشيخ الكبير والعالم الشهير»، وإذا جاءه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ قام إليه واستقبله ورحب به وأجلسه مكانه لأنه شيخه ومعلمه. كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الحرص على العناية بالدعاة ـ **كما يقول معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ** ـ «فمن أبرز تلامذته الدعاة: الشيخ عبد الله القرعاوي؛ كان داعية موفقاً، انتقل إلى منطقة جازان فأثر في أهلها، فجعلهم متعلمين، وأكثر استقامة واهتداء، بث فيهم منارات العلم وهي مدارس القرآن، وكان الشيخ سنداً له في ذلك عند ولاة الأمور، حتى إنه يسلم المال المخصص للمدارس بيده، ولا يراجع فيه، وبهذه الثقة التي منبعها الاستقامة والتدين انطلق الداعية وكان يختلف إلى الرياض شارحاً للشيخ ما قام به من عمل وما تم من إنجاز، مبيناً أحوال أهل الجنوب وقربهم من الخير وسرعة انتشار الدعوة فيهم، وهذه النهضة في جازان اليوم لآثار تلك الدعوة النصيب الوافر فيها».

ويشار هنا إلى محبة الشيخ وتقديره للدعاة والعلماء أمثال الشيخ أحمد شاكر والشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمهما الله تعالى ـ ويكرمهما

ويجلهما، ومن ذلك احترامه وتقديره أيضاً للشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، والشيخ محمد المختار الشنقيطي، ومن ذلك أنه كان لا يرضى لأحد من العامة أن يتكلم في القضاة مطلقاً.

ولا يخفى أن الشيخ استعان بعدد من الدعاة والعلماء للعمل في التدريس والتعليم من جميع الأقطار الإسلامية وأوكل إليهم مهمة التربية لما يتميزون به من خلق وديانة ومعرفة وفقه ومنهج سلفي صحيح.

يقول الشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقاً في مقال له عن الشيخ محمد بن إبراهيم نشر في العدد رقم (١٢١٦) الصادر في (١٧) جمادى الأولى (١٤١٩هـ) الموافق (٨/ ١٩٩٨/٩م) من مجلة المجتمع الكويتية:

«. . . وبدأت معرفتي بالشيخ محمد حين كنت أدرس في مصر بكلية الشريعة بالأزهر من (١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م) إلى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م)، حيث زارنا الشيخ أبو الحسن الندوي في مصر (١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م)، وكنت أرافقه في معظم زياراته للأشخاص والهيئات، حيث زرنا جماعة أنصار السنّة ورئيسها محمد حامد الفقي، الذي أخبر الشيخ الندوي عن وجود سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بالقاهرة للعلاج».

وفي هذا الصدد يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: «مذكرات سائح في الشرق العربي»: «أبديت للشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنّة بالقاهرة رغبتي في مقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، نزيل مصر الآن، فذهبنا لزيارته في منزله في الجيزة، فرحب بنا، وقدمت له كتاب قريبه عمر بن حسن آل الشيخ، فدفعه إلى بعض حواشيه ليقرأه عليه، وبعد ذلك جلسنا نتكلم وأهديته كتاب «الإعلام في تاريخ الهند من الأعلام» الذي أبدى رغبته في مطالعته، والشيخ ابن إبراهيم له اطلاع واسع على ما قيل عن جده الكبير، ومن

طعن فيه ومن دافع عنه، وكتب أجداده وعلماء نجد، وقد اجتمع بصديقنا الفاضل الأستاذ مسعود عالم الندوي في الرياض وذاكره في بعض ما يتصل بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

ثم زرته مرة أخرى مع الشيخ محمد حامد الفقي بعد خروجه من المستشفى إلى منزله بعد العملية الجراحية الناجحة التي أجريت له، حيث كان يتمتع بصحة طيبة، وتذاكرنا معه عن أحوال الحجاز الخلقية والدينية، وقد اطلع على رسائلي فأبدى إعجابه وموافقته». انتهى.

ونعود للشيخ عبد الله العقيل مرة ثانية وهو يسرد ذكرياته ولقاءاته مع الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

«وحين زرت الرياض (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) برفقة الشيخ عبد الرحمٰن الدوسري، نزلنا في ضيافة سماحة الشيخ ابن إبراهيم، وحضرنا مجالسه العلمية، طيلة فترة بقائنا في الرياض، واستفدنا من الدروس العلمية والمناقشات الفقهية في تلك المجالس، وكان للشيخ الدوسري حضوره المتميز ومشاركته الفعالة التي لقيت التقدير من سماحته لما يتمتع به من علم واسع وفقه عميق، وسعة في الصدر، وحلم وطول أناة وإكرام للعلماء، وبذل العلم لطالبيه ونجدة ومروءة، وقد سررت غاية السرور حين عرفت من إخواننا عن تبرعه بقطعة أرض كبيرة جدّاً في حي النسيم لتكون مقبرة للمسلمين بعد أن ضاقت: «مقبرة العود» لكثرة من دفن فيها».

يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم»: . . . على التعاون بين مؤسس الدولة السعودية الإمام محمد بن سعود وبين إمام الدعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب، نهضت الدولة واستمرت، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ هو الذي انتهت إليه راية هذه الدعوة، حيث حملها وسار على منهج من سلف من العلماء من آل الشيخ من آبائه وأجداده.

ولقد لبثت طويلاً أتشوق للاجتماع بوارث علوم آل الشيخ مجدد القرن الثاني عشر الهجري، الذي عرفته من طريق مجلة «المنار» تلك التي كانت المعرض الجامع لحركة الإصلاح التي أحدثها في عالم الإسلام الثلاثة السابقون إلى بعث النهضة الإسلامية الحديثة: جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ورفيق جهاده السيد محمد رشيد رضا ـ رحمهم الله أجمعين ـ وأجزل أجرهم كفاء ما أيقظوا من النيام، وأثاروا من الهمم، لاستعادة الوعي الذي فقده سواد المسلمين، وإن أنكر المنكرون وتجاهل المتجاهلون وتقوَّل المتقوِّلون.

ولما أسعدني الله بالهجرة إلى جوار نبيّه المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله، والتحقت بالجامعة الإسلامية، متعاقداً للتدريس فيها، انتهزت أول فرصة للقاء الشيخ محمد بن إبراهيم بمكة المكرمة، وكنا مجموعة من مدرسي الجامعة الإسلامية، حيث أحاطنا برعايته واهتمامه، وجعل يسألنا عن أحوال الجامعة ومسيرة التدريس فيها، وأحوال طلابها الوافدين إليها من أنحاء العالم الإسلامي، ثم جاءت الفرصة الثانية في الطائف، حيث حضرت مجلسه مع فضيلة الزميل الشيخ عطية محمد سالم، وقد سرني ما وجدته يوم ذاك من اتساع صدر الشيخ للآراء المخالفة، وذلك الوقار المهيب الذي يغمر مجلسه، ثم تكررت زياراتي له في الرياض، حيث كنت أجد في زيارته متعة روحية تشدني بقوة إلى رؤيته وإلى حديثه.

ونعود للشيخ عبد الله العقيل مرة ثالثة حيث يقول: إن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يمثل العالم المتمكن والداعية الحكيم، والناصح الأمين، والمرشد المؤتمن، والمعلم المربي، الذي يشهد له كل من عرفه عن قرب واطلع على آثاره ومآثره التي لا يتسع المجال لسردها في هذه العجالة، وحسبه هذا الذكر الحسن والسيرة الطيّبة التي يتحدث عنها القاصي والداني من محبيه وتلامذته وعارفي فضله داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولقد كان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم دوره الفعّال في احتضان العلماء والدعاة الذين فروا بدينهم، من ظلم الطغاة والظلمة الذين سعوا لإحلال القوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية وحاربوا الدين وأهله، وطردوا كل من يقول: لا إلٰه إلا الله، وقربوا دعاة الإلحاد والشيوعية والقومية والعلمانية ونشروا الفكر المنحرف والمبادئ الضالة حتى صارت بعض ديار المسلمين مرتعاً لكل من هب ودب من أعداء الإسلام في الشرق والغرب على حد سواء.

وضاقت البلاد بأبنائها المسلمين وفتحت أبوابها لكل دعي أثيم أو مجرم لئيم.

وقد نفع الله بهؤلاء العلماء والدعاة المهاجرين، الذين تركوا أطيب الأثر في تربية الناشئة على مبادئ الإسلام الحق المستقى من الكتاب والسنّة. انتهى.

وقد عني الشيخ في بداية حياته بالدعوة والتدريس ومكث قرابة ستة أشهر في (الغطغط)، وكانت هجرة للإخوان الذين جاهدوا مع الملك عبد العزيز كما **يذكر ذلك معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ**.. صار عندهم اجتهادات خالفوا فيها العلماء، ونظرات تجاوزوا فيها فكان من الحق الذي لهم أن يبعث إليهم عالماً داعية، يحسن الدعوة وقدمه راسخة في العلم، لعلّ الحجة تنفع ولعلّ الدعوة تنجح.. كانت رحلته دعوية إرشادية قضائية وذلك سنة (١٣٤٥هـ) فمكث ستة أشهر، وصاحبه فيها أخوه الأصغر الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ كاتباً ومرافقاً وحمل معه كتباً للمطالعة والمراجعة، فشرح للإخوان أصول التوحيد وضوابط التكفير، وبيَّن لهم عبارات أئمة الدعوة وفسَّرها، واحتج بالنصوص الشرعية، وقعّد ودلّل، وشرح لهم الآيات والأحاديث فأفادهم علماً وعقلاً، لكن ـ ولله الأمر ـ بثت فيهم روح الشقاق، وعدم القناعة بكلام أهل العلم، فبلغ الشيخ أنهم يكيدون له،

فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خف من متاعه ثم تركهم عائداً إلى الرياض.

إن فئة من الناس استمرؤوا رأيهم وخالفوا ما عليه الحق.. وتمالؤوا على ذلك.. إذ بالشيخ ينصح لهم ويحاورهم ويقرب لهم المسائل، ويشرح لهم الغامض.. ويحثهم على اقتفاء المنهج الصالح الرشيد.. وهذا هو الواجب، أن ينهض الدعاة والمصلحون بالحوار الرشيد، وأن يقوموا بالموعظة الحسنة حتى يستبين الرشد والخير في العقول والأفهام.

هذا هو الشيخ في دعوته.. وفي تقديره للدعاة.. وفي حرصه على البلاغ والبيان.. سيرته كلها تنطق بذلك.. ومواقفه تفصح عن هذا الحب للخير.. والرغبة في إشاعة المعروف والحق بينهم.. يقدم شيوخه وأساتذته ويجل الدعاة والعلماء ويحرص على المناصحة، والرفق بالمدعوين مهما كانت حالهم.. لا بل كان يعامل الدعاة باللطف، ويحرص على التواصل معهم والسؤال عن أحوالهم وتشجيعهم على الخير ويبارك كل خطوة للإصلاح.. وأسوق هنا رسالة موجهة من الشيخ علوي المالكي رحمه الله فيها تهنئة إلى سماحة الشيخ بالعيد وإهداء نسخة من مؤلفه، ولنعرض الرسالتين لأن فيهما تقديراً وودّاً وتفاهماً على الدعوة والنصيحة لله ورسوله ولعامة المسلمين:

فضيلة مولانا المفتي الأكبر، العالم العلّامة، المحقق الفهامة، الشيخ محمد بن إبراهيم.

حرسه الله ورعاه..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

نهنئكم بالعيد السعيد، ونسأل الله لنا ولكم القبول والمزيد، تقبل الله منا ومنكم.

نبشركم أن نصائحكم القيّمة والحمد لله أثمرت، ولا نزال نتلوها في الدروس والمجامع، ثم بعض الأحاديث الصباحية جمعناها وطبعناها، وهذه النسخة هدية لكم أرجو قبولها ولكم الفضل، وأرجو إهداء تحياتي إلى ابنكم ومن يحويه مجلسكم الكريم من المشايخ ودمتم.

(كتبه الداعي لكم علوي ابن السيد عباس المالكي لطف الله به).

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم فضيلة الأستاذ السيد علوي مالكي المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ثم إنه قد وصل إليَّ كتابكم الكريم وبرفقته النسخة من المجموع الذي ألفه فضيلتكم، وقد اطلعت عليه وقرأنا منه بحثكم المعنون بكلمة (التحذير من التبشير) في صحيفة (١٧٣ و١٧٤ و١٧٥) وقد وجدناه أحسن شيء، جزاكم الله خيراً ووفقكم، وسنعود إن شاء الله إلى قراءة المجموع كله، وسنجده إن شاء الله أنفع شيء للمجموع، وفقنا الله وإياكم لما فيه مرضاته، وجعلنا وإياكم هداة مهتدين. والسلام عليكم ورحمة الله.

في (١/ ٢/ ١٣٧٥هـ).

إن قراءة متفحصة لما جئنا إليه فيما سبق.. يمكننا من خلالها أن نخرج بالدروس الكثيرة التي كان أبرزها:

١ ـ أننا لن نبلغ الشأو والعزة والمكانة إلا بالتقدير الجم للعلماء والدعاة والمخلصين وأن نقدمهم حبّاً للعلم الذي يحملونه وللورع الذي يكتنزونه في وجدانهم وقلوبهم.

٢ ـ واجب العلماء والدعاة أن ينصحوا للأمة، وأن يبادروا إلى تبيان الحق، وأن يوضحوا للعامة مبادئ الإسلام وأحكامه في مستجدات العصر ونوازله الطارئة.

٣ ـ أن يخصص المرء من وقته وجهده ما يبلغ به الحق مهما كان.. وأن يسهم في الخير، إعانة ودعاء ورغبة وتشجيعاً.

٤ ـ من الواجب على العلماء أن يوزعوا جهدهم الدعوي على أنحاء الوطن، وألا يقتصر على منطقة دون أخرى.. فمسؤولية البلاغ ثقيلة والحمل عليهم أكبر من غيرهم، وبالتالي فإن الواجب عليهم أن يسيروا لكل منطقة وبلد ليبينوا الحق. ويرشدوا الناس إلى الطريق المستقيم مهما كانت الصعوبة والمشقة واللأواء.

٥ ـ أن تكثيف النشاط وزيادة الهمة للعالم من شأنهما تصحيح المفاهيم المغلوطة والآراء المخالفة والمواقف المتشنجة.. وهي مسؤولية العلماء والدعاة قبل غيرهم، وحوار المخالف مهما كان وإبانة المنهج الصحيح له من صميم الدعوة إلى الحق والهدى والخير.

٦ ـ أن المجتمعات قد تبتلى بفئام من الناس تحب المخالفة، وتخوض في المختلف فيه وتتمسك بآراء ومواقف مخالفة لجادة الصواب ولا يعني هذا كله تقصير المجتمع في البلاغ ولا إهمال العلماء إبانة الحق، ولا فساداً في المنهج السائد، ولا قصوراً في الوسائل المتبعة.. ولا أسوق ذلك تبريراً لطارئ أو حادث.. إلا أن هداية الناس والتزامهم بالمنهج الحق من الأمور الصعبة مهما أوتي الناس من قدرة على الإرشاد والدعوة والإفصاح.

كل ما يجري وجرى لا يقلل من قيمة المنهج ولا من صلاح الدعاة.. ولا من قيمة الحق ولكن بعض الناس جبلوا بحكم طيش الشباب وعنفوان العمر على اقتحام المخالفة، فلا يعمم هذا على المجتمع كله.. وإنما كل امرئ بجريرته، وكل فئة وما اكتسبت يداها.

٧ ـ ليس بالضرورة ما يكتسبه فئة من أخلاق رديئة مستورداً ولا متأصلاً في منهج سائد، وبالتالي لا ينبغي أن يتهم منهج بالفساد، إلا

بالتثبت والبرهان والدليل الواضح، فلا الناس ولا حتى المجتمع بحاجة إلى التأنيب والتقريع عموماً.. وإنما من جاء بالمخالفة فإليه يتوجه العتب.

٨ ـ أن الناس لا يصلح شأنهم إلا العلماء الدعاة المخلصون الجادون.. وهؤلاء هم من يحتاج إليهم الناس ويلتجئون إليهم ويحرصون على الصدور عنهم في العلم والإفتاء.

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
والعناية بالشأن الإسلامي

مما يؤكد أن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن متابعاً لقضايا المملكة العربية السعودية وحدها، بل إن مكوناته الفكرية (بلغة العصر) كانت دوماً ماثلة له في العيان، واهتمامه بالمسلمين دولاً وأقليات وأفراداً وبشأن الإسلام وما يواجهه من تحديات فكرية وحضارية لم تكن غائبة عن عالم وفقيه وداعية من الطراز الأول... رغم ضعف الإمكانات والنقص في الاتصالات وعدم توافر أجهزة الإعلام الحالية إلا أن الشيخ جاوز ذلك.. فكانت له رسائله واتصالاته مع علماء عصره، ينصح لهم، ويتعاون معهم.. ويبادر إلى العناية بكل ما يعلي شأن المسلمين والإسلام، وهذه علامة إيجابية رائدة في سيرة الشيخ الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ.

يرجع هذا الاهتمام لأسباب: **أولها**: أن لديه مستشارين على قدر كافٍ من الوعي.. **وثانيها**: اتصاله بالعلماء في أنحاء العالم وبالأخص علماء الأزهر.. وهذا ما يبرهن عليه رسائله إليهم ولقاؤه بهم، وقد عرفهم إبان إقامته للعلاج في مصر.. فأدرك رَحِمَهُ اللَّهُ الدور الرائد الذي يقوم به الجامع الأزهر من خدمة جليلة للإسلام والمسلمين، وخصوصاً في مجال التعليم الإسلامي واستقبال البعوث الإسلامية. **وثالثها**: اهتماماته بشأن المسلمين عموماً وما يتعلق بذلك من تيارات ونشاطات تعادي الوجود الإسلامي في كل مكان، ومن دلائل ذلك:

أولاً: برقيته العاجلة إلى الملك؛ حيث جاء فيها:

حفظ الله جلالتكم. جاءنا كتاب من الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء بمصر، والأستاذ الشيخ عبد الله ماضي أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين بالأزهر، يذكران فيه أنهما كتبا لجلالتكم كتاباً أرسلا لنا صورته بصدد خبر مهم ذكرا فيه أن جريدة الجمهورية التي تصدر بالقاهرة نشرته في عددها الصادر في يوم الجمعة (٧) محرم سنة (١٣٧٥هـ) وهو كالآتي:

يبدأ أول قس في المملكة العربية السعودية في (٢٤) أغسطس (١٩٥٥م) شركسون كارلوري مايتو الراهب الفرنسيكاني وهو أول قس كاثوليكي يسمح له بالإقامة بصفة دائمة في المملكة العربية السعودية والقيام بأعمال القساوسة فيها، فقد أذن له جلالة الملك سعود بأن يرعى الكنيسة الخاصة بالعمال الكاثوليك الذين يشتغلون في حقول البترول العربية. اهـ.

أقول ـ حفظكم الله ـ هذا أمر عظيم جدّاً، وأعتقد أن ما نشرته هذه الجريدة كذب عليكم، وأنكم أبعد الناس عن إقرار مثل هذا الأمر، وأغيرهم على دين الإسلام، لأن هذا لا يفعله إلا الزائغون عن الحق، وأنتم ولله الحمد ممن عرف بالتمسك بالدين، والمحافظة عليه والذب عن حوزته، فيتعين حفظك الله المبادرة في إعلان تكذيب الخبر في إذاعة مكة وفي صحف المملكة وفي إذاعة مصر وفي صحف مصر، وأسأل الله أن يجعلكم نصرة لدينه ويحفظكم بالإسلام.

محمد بن إبراهيم

* * *

ولعلّنا نخرج من ذلك بملحوظات عامة:

أ ـ التتبع الدقيق لكلِّ حال للمسلمين مهما كان ذلك.

ب ـ التواصل بين علماء الإسلام عموماً وتواصيهم على الخير.

ج ـ تأكيده أن ما جاء في الخبر المنشور في الصحيفة كذب.. وإنما جاء خطاب الشيخ للملك إعلاماً بالخبر.. لا استفساراً ولا تأكيداً له.

د ـ تزكيته للملك والتوكيد على أنه من أغيرهم على دين الله.. ومن المتمسكين بالدين. ومن الذابين عن حوزته. وهذا هو الأسلوب الأمثل للنصح والإرشاد.

هـ ـ الدعوة إلى تكذيب الخبر ـ رغم عدم صدقيته ـ في الإذاعة والصحافة بالمملكة، وكذا في الإذاعة والصحافة المصرية، وهذا يبرهن على أهمية اعتناء العلماء والدعاة بالوسائل الإعلامية الحديثة.. وكذا المعرفة بمدى انتشار مثل هذه الأخبار في الآفاق عبر المراكز التي يصل إليها البث الإذاعي أو القراء للصحف.

ثانياً: خطابه إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي المؤرَّخ في (١٣/ ٧/ ١٣٨٧هـ) حول ما جرى للأخ شمس الدين أحمد من مناقشات حول ما في الإنجيل من تحريف وتغيير وتبديل، وقد أجاب سماحته إجابة مطولة تدل على وعيه بهذا الشأن وإلمامه به، وحرصه على التأصيل الدقيق والاستشهادات الكثيرة مما كتبه علماء الغرب أنفسهم من أمثال الدكتور يوسف البروتستاتي، وبولس في رسالته إلى أهل غلاطية، ودائرة المعارف الفرنسية الكبرى. ثم فصل رَحِمَهُ اللَّهُ في الأناجيل وتواريخها ثم ذكر نقولات متعددة عن ابن تيمية، ومحمد رشيد رضا، وحسين هيكل.

ثالثاً: خطابه إلى فضيلة السكرتير العام لجمعية العلماء المركزية دلهي ـ الهند ـ والمؤرَّخة في (٩/ ١/ ١٣٨٥هـ) وما جاء في خطابهم من استفسارات عن أمور اجتماعية ومسائل في الميراث.

وقد ابتدأ الشيخ رسالته بسروره بتكوين هذه الجمعية التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتمسك بأصل الدين وتعاليمه الشريفة ومحاربة كل مخالف..

رابعاً: رسالته إلى رئيس القضاة بالمكلا الشيخ عبد الله بكير، والتي يتحدث فيها عن فضل الدعوة إلى الله وواجب النصيحة والإرشاد

والدعوة إلى التوحيد، والنهي عما يخالفه من عبادة القبور والتوسل بالأولياء والصالحين.

خامساً: رسالته إلى الحاج عيد محمد ـ آباد ـ كراتشي ـ باكستان، والتي يسأل فيها عن حال رجل كتب شجرة في أولها كلمة (لا إله إلا الله).

كل هذه الخطابات وغيرها تشير إلى مزيد عناية الشيخ بالإسلام والمسلمين، والحرص على توجيههم وإبلاغهم الحق، وتبصيرهم بأمور دينهم ومحاربة الشركيات عموماً.. فضلاً عن مكاتباته لولاة الأمر وللعلماء والقضاء وللوجهاء وللمسؤولين عن شؤون المسلمين في كل مكان.. وكلها تبرهن على الحرص الفائق على التوحيد والدعوة إليه.. وترك ما يناقضه.

وإذا كان الشيخ انطلق في عنايته بالشأن الإسلامي من عنايته بالأفراد عموماً إلا أن عنايته بالمؤسسات والجمعيات الدعوية فائق الوصف.. وهذا هو ما يعزز ما توجهنا إليه من براعة الشيخ في اهتمامه بتكوين المؤسسات باعتبارها منطلق الخير للأمة.. ودلالة على الرشد في العمل.. وبرهاناً على التكامل في العطاء.. ومعراجاً لاستشراف المستقبل لما ستكون عليه حال هذه المؤسسات، ولما سوف تتمتع به من خير عميم يعود على الأفراد والأسر والمجتمعات.

وكما أسلفنا أولى الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عناية فائقة بالشأن الإسلامي.. ومن أبرز اهتماماته تكوين المؤسسات الإسلامية التي من شأنها القيام بالواجب تجاه المسلمين.. ومن ذلك:

ـ الدعوة إلى قيام رابطة العالم الإسلامي.

ـ الدعوة إلى إنشاء رابطة لعلماء المسلمين.

ـ الدعوة إلى تأسيس منظمة يجتمع فيها حكام المسلمين.

وهذا تحقق بفضل الله ﷻ؛ فلقد بارك فضيلته تكوين رابطة العالم

الإسلامي وأصبح رئيس مجلسها التأسيسي. وتم قيام المجمع الفقهي بمكة المكرمة وإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي.

ولقد كانت نظرة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن تولي رابطة العالم الإسلامي اهتماماتها كما ذكرها سماحته في خطبه. ولعلّنا نستخلص العبرة من ذلك الاهتمام ومن تلك الخطب التي سنطالعها في آخر الكتاب ومنها هذا الخطاب:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز.. أيده الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ثم حفظكم الله لقد اطلعت على خطاب أمجد الزهاوي لجلالتكم حول عرضه فكرة إقامة «مجمع علمي» واستنسابه أن يكون مركز هذا المجمع القدس أو المدينة المنورة. وجوابكم عليه رقم (١٣/ ١٩٥٩) وتاريخ (١٣/ ١٠/ ١٣٧٦هـ).

وأعرض لجلالتكم حفظكم الله أنني أرى أن لا بأس أن توافقوا لا على مطلبهم كله بل على شيء مما يحصل به التعارف والبحث في المهمات الدينية، على وجه بعيد عن النزاع والشقاق، لتفويتهما النتيجة الصالحة، ولا يطلق لهم ذلك على تصورهم، فإنه غير خافٍ على جلالتكم ما لكثير من النزعات والأغراض الشخصية أو القومية مما يخرج ذلك المجمع عن ما عنون عنه به.

كما أني أرى من المصلحة والأنفع أن يكون ذلك المجمع بمكة المكرمة أيام موسم الحج لجمعه العلماء من كافة طبقات الأرض. ولا أرى أن يخصص لذلك المجمع دار، بل يكفي إذا حصل الاجتماع مجلسان أو ثلاثة: إما في مجلس من مجالس أحد قصور الحكومة، أو في دارنا، أو حيث يراه جلالتكم.

الحاصل أن تخفيف هذا الشأن والتجوز فيه خير من التكلف. ومن كان فيه قصد خير وإصلاح فإن ذلك مبدأ يحصل منه مقصوده من الخير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(في ٣/ ١٢/ ١٣٧٦هـ).

إن مما نستخلصه من هذه الخطب ما يلي:

١ ـ أن رابطة العالم الإسلامي هي رابطة علماء بحتة، وأن واجبها أن تقدم للشعوب الإسلامية ما يعزز موقعهم وموقفهم في كل مجال.

٢ ـ أن تعنى بالدعوة في مختلف أنحاء العالم.

٣ ـ أن هدفها التكاتف والتعارف وبحث مشكلات المسلمين وإيجاد الحلول العلمية لها ودحض المؤامرات الخطيرة والمبادئ الهدامة.

٤ ـ الوقوف ضد حوادث الاعتداء في كل مكان التي تقع للمسلمين من قتل وتشريد وظلم.

٥ ـ دعوة ولاة الأمر للعمل على القيام بواجبهم في تجنيب أبناء الأمة الفتن والاقتتال والتفرق.

٦ ـ مد يد العون الأدبي والمادي والسياسي والعسكري (إن أمكن) لمن يحتاج إليه من المسلمين.

٧ ـ التأكيد على دور العلم والفكر إذا اتحدا مع الحكم والسلطان في إذكاء الوحدة والتوحيد لأبناء المسلمين.

٨ ـ إبراز أن الإسلام ليس دين كهانة وانزواء وعزلة، وإنما هو دين ودولة، قول وعمل، سيف وكتاب، يدعو إلى المسجد كما يحث على ارتياد الحقل والمصنع.

٩ ـ مساندة المؤسسات الإسلامية ماديّاً ومعنويّاً لكي تؤدي واجبها بإيمان تام وعمل متقن، دعوة لله وإلى سنّة رسول الله ﷺ.

التلازم بين العلماء والحكام

رسالة من الملك وجواب من الشيخ

ارتباط المملكة قيادة ودولة ومواطنين بالعلم والعلماء والدعاة ارتباط منهج ومبدأ وتاريخ.. منذ النشأة والبداية والتمكين..

فالمنهج السعودي الرشيد قائم على احتفاء بالعلم.. وتكريم العلماء.. وتقدير الدعاة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ويعرفون حدود الله ويوضحون للناس أمور دينهم.. وهو مبدأ أكدته الديباجة الأساس لنظام الحكم في المملكة.. وتاريخ ممتد الجذور منذ انطلاقة الدولة السعودية وتعاضد الإمامين الكريمين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله وتعاهدهما على نصرة الدين.. ولعلّ كل فرد من أبناء المملكة العربية السعودية يحفظ تلك العبارات الموجزة الدالة على هذا التلاحم عندما قال الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة..» فرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهي كلمة: لا إله إلا الله؛ من تمسك بها ونصرها ملك البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعا إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم».

وكانت السيرة الكريمة لأئمة آل سعود وملوكهم تحفظ ذلك العهد.. وتؤكده في كل محفل واجتماع.. وتقدم العلماء على غيرهم.. وتخصهم بمجالس واستقبالات خاصة بهم.. وتصدر عن آرائهم.. فيما يخص البلاد والعباد.. وبما يعود على مواطني المملكة بالخير والفلاح في أخراهم وأولاهم.. ويثبت القدوة والمثل للأجيال الحاضرة والآتية..

هكذا هم القادة السعوديون في جميع أحوالهم.. منذ تكوين الدولة السعودية الأولى.. متمسكون بالعهد الذي أشرنا إليه وحتى عهد الملك المؤسس الباني عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود.. موحد المملكة العربية السعودية وباني مجدها الحاضر.. ومروراً بأبنائه الملوك الكرام سعود وفيصل وخالد رحمهم الله.. وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ الذي دأب ـ حفظه الله ـ على تكريم العلماء.. وتقدير جهودهم والعناية بالمسجد صيانة وبناء ورسالة... وشواهد ذلك لا تعد.. ولعلّ في توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي والاهتمام بالمشاعر المقدسة ما يشير إلى ذلك، ومن بينها إقامته ـ أجزل الله مثوبته ـ عدداً من المساجد والمراكز الإسلامية في كل ناحية وقارة، وهذه دلالة أخرى كبيرة على العناية بأمور المسلمين وما يصلح شأنهم.. كما أن حرص صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني وعنايته بالمساجد وطباعة الكتب وتوزيعها على المسلمين، وحرصه ـ حفظه الله ـ على زيارة العلماء كل عام في منازلهم.. والسؤال عن أحوالهم وإكرامهم... كل هذا برهان ساطع على التلازم الكامل بين العلماء والحاكم والتقدير المتبادل بينهما، كما أنه تعبير جلي عن ارتباط الأسرتين الكريمتين، أسرة القيادة والحكم والسياسة، وأسرة العلم والدعوة والقضاء. فيما يخدم مصلحة الدين والمسلمين في أية بقعة وأينما كانوا..

وإنك لتجد في الأدبيات السعودية استفتاء ولي الأمر في البلاد موجهاً إلى المفتي، وجواب المفتي على رسائل الملك وتساؤلاته ليس فيها إلا التواد والترابط والمحبة والتقدير.

يبرهن على ذلك.. هذا الاستفتاء من الملك إلى الشيخ محمد بن إبراهيم حول جمع العصر إلى الجمعة، والعزم على الإقامة عشرة أيام، وهل يحق لهم الجمع؟.

فكان جواب الشيخ محمد ما يلي:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم.. أيده الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فنشير إلى برقية جلالتكم رقم (٨٣٧) وتاريخ (١٦/ ١/ ١٣٧٨هـ) بشأن استفتائكم هل يجوز لكم الجمع في سفركم هذا، وهل يجوز جمع العصر إلى صلاة الجمعة؟.

ونبدي لجلالتكم ما يأتي:

لقد فرض الله الصلاة الرباعية أربعاً بيقين فلا بد من فعلها أربعاً إلا فيما تحقق شرعاً قصره.. ولم يتحقق القصر والجمع ويجزم به إلا في مسألتين:

إحداهما: السفر بشروطه المعتبرة شرعاً، وهو الحل والترحال والسير، ويلحق به الإقامة التي هي أربعة أيام فما دون فإنها في حكم السفر.

والحالة الثانية: الإقامة لحاجة يأمل صاحبها أن تنقضي اليوم أو غداً، وإذا انقضت حاجته سافر.

أما ما عدا هذا فتبقى الصلاة الرباعية على أصلها من وجوب فعلها أربعاً.. ومن ذلك مسألتكم فإن فيها العزم على إقامة عشرة أيام؛ فيجب في حقكم الإتمام وفعل كل صلاة في وقتها، لكن لأجل خفاء الحكم عليكم، وكون في المسألة قول وإن كان غير معول عليه في الإفتاء والعمل، فلا يلزمكم إعادة صلوات ما مضى في غير ما يأتي التنبيه بلزوم إعادته وهو جمعكم صلاة العصر إلى الجمعة، فإنه يلزمكم قضاء صلاة العصر عن تلك الأيام التي جمعتم العصر فيها إلى الجمعة، لأن جمع العصر إلى الجمعة لا يصح بحال، وأنتم حفظكم الله غير معذورين في تركككم السؤال من أول وهلة، وهذه الأمور المهمة لا يلتفت فيها إلا إلى قول مفت وعالم راسخ يتصور الحجة، ويعرف الحكم بدليله، ولا سيما

وأنتم قدوة فيما تفعلون ويتأسى بكم غيركم ظنّاً أنكم عملتموه عن فتوى. ومثل هذه المسائل التهاون فيها يجر العامة إلى التساهل إلى ما لا حد له قياساً منهم لبعض المسائل على بعض، وهم أبعد شيء عن العلم ومعرفة القياس. نسأل الله أن يتولاكم بتوفيقه ويحمي بكم حوزة الدين.. والسلام عليكم ورحمة الله.

في (١٣٧٨/١/١٧هـ)

ومن إشراقات هذا النص ما يلي:

١ ـ بسط المسألة العلمية لإمام المسلمين وتوضيحها، وإبداؤها باختصار شديد دون اللجوء إلى الخلافات الفقهية.

٢ ـ إنزال الفتوى على الحال.. وبناؤها على الواقع من عزم الملك على الإقامة عشرة أيام، ومن هنا كان الجواب أن الواجب الإتمام وفعل كل صلاة في وقتها.

٣ ـ التماس العذر من خفاء الحكم في هذه الحال لوجود قول غير معول عليه في الإفتاء والعمل، ومن هنا جاء الحكم بعدم إلزام إعادة الصلوات الماضية عدا جمع صلاة العصر إلى الجمعة حيث يلزم قضاء صلاة العصر.. لأن جمع العصر إلى الجمعة لا يصح بحال.

٤ ـ تبيان أن الملك غير معذور في عدم السؤال من أول وهلة، باعتباره قدوة وإماماً يؤتم بفعله ويتأسى به ظنّاً أنه لم يفعله إلا بعد علم وإفتاء.

٥ ـ توضيح أن التهاون في مثل أمور العبادات يجرئ العامة على التساهل إلى ما لا حد له، قياساً منهم بعض المسائل على بعض، وهم أبعد الناس عن الفهم والإدراك والاستنباط والقياس.

٦ ـ الدعاء للملك بالتوفيق.. ولولي الأمر أن يحمي به حوزة الدين وأن يحفظ به مبادئه.. وهذا منهج رشيد ينبغي أن يلتزم به اهتداءً واقتفاءً؛ لأن هذا هو منهج السلف الصالح من الدعاء لولاة الأمر في كلِّ حال وكلِّ حين.

● ● ●

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
الإعلام في حياة الشيخ

تكتمل ملامح سيرة العالم والإمام محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي عام المملكة العربية السعودية بالحديث الجميل عن مبادراته.. وريادته وتشجيعه لكل عمل طيّب مهما كان إذا لم يكن هناك مانع شرعي أو نص قطعي ينفي القيام به.

ولعلّه لا يغيب عن ذاكرة القارئ الحصيف أنه مرّ بنا في أكثر من موضع تبيان عناية الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالإعلام والصحافة ومتابعة دقيقة لما تبثه أو تنشره ومخاطبة المسؤولين عنها نصحاً وتوجيهاً وأحياناً تأنيباً لما قاموا به.. وكذلك حرصه رَحِمَهُ اللَّهُ على الإجابة على أسئلة الصحفيين وكذا نشر رسائله وبحوثه التي يوجهها لعامة المسلمين في المملكة العربية السعودية.

ومن يطالع صحيفة «أم القرى» و«حراء» وغيرها يجد شواهد ذلك ماثلة للعيان.

وتعدّ المبادرة إلى إنشاء **مؤسسة الدعوة الصحفية** واحدة من شواهد الخير التي انطلق منها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مبلغاً الرسالة وناصحاً للأمة.. ومبيناً أحكام الشريعة في حياة الناس ومعاملاتهم، وموضحاً مقاصد الإسلام في كل شؤون المسلمين أجمعين؛ ومن دلائل هذا الاهتمام:

١ ـ إيضاح مكانة المؤسسات ووجودها وتبيان ضرورتها للمجتمع المدني.

٢ ـ التأكيد على أهمية الصحافة وأثرها في حياة المسلمين.

٣ ـ حاجة الأمة إلى الوسيلة التي تعينهم على إبراز محاسن الإسلام وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كلِّ زمان ومكان.

٤ ـ العناية بمضامين الوسائل الإعلامية وحضها على إيلاء الشباب خصوصاً عنايتها والأخذ بأيديهم نحو جادة الصواب حتى لا يقعوا فريسة للمبادئ الهدامة والأفكار الضالة.

٥ ـ الرؤية المستقبلية للمؤسسة الإعلامية من حيث عنايتها بإصدار عدة مطبوعات ومجلات حسب مقتضيات الحاجة.

٦ ـ دعوته رَحِمَهُ اللَّهُ علماء المسلمين إبان اجتماعهم في مكة المكرمة للكتابة في هذه المجلة ومدها بالتوجيه والآراء السديدة.

٧ ـ السعي لدى ولاة الأمر لدعم الإعلام الإسلامي الدعوي وتشجيعهم على ذلك.

٨ ـ الحرص على أن يكون مضمون الخطاب الإعلامي الدعوي صادراً عن علماء راسخين في العلم، ويعتمد ثوابت الشريعة في مواجهة ما قد تأتي به الآليات الإعلامية من شطط أو خروج على أصول العقيدة.

٩ ـ أن أهمية المشروع الإعلامي للشيخ تأكد في ظل خلو الساحة من الإعلام الدعوي الذي يحمله وعاء إعلامي خاص مثل مجلة «الدعوة».

١٠ ـ التنبه المبكر إلى خلو ساحة الإعلام المقروء من وسيلة إعلامية دعوية متخصصة وضرورة التواجد في هذه الساحة باعتبارها من الوسائل التي يمكن من خلالها مخاطبة أكبر عدد ممكن من المسلمين وغير المسلمين في الداخل والخارج.

ولعلّ في رصدنا لخطابات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ما يوضح هذه المقاصد النبيلة.

ومن ذلك خطابه الموجه إلى صاحب السمو الملكي نائب جلالة

الملك وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، وهذا نصه كما جاء في مجموع الفتاوى:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي نائب جلالة الملك وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء المعظم.. أيده الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

عطفاً على حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا على إنشاء «مؤسسة صحفية» تقوم بالدعوة إلى الله وتوجيه الناس إلى الخير بأسلوب حكيم وطرق مناسبة، ويصدر عنها صحيفة تحمل اسم (منار الإسلام) ويحتمل أن يصدر عنها مجلة أو مجلات أو نشرات حسب مقتضيات الحاجة، وستكون مساهمة، ويوضع لها نظام داخلي يحدد سير العمل وطريقة الإخراج، ويتولى إدارتها أناس أكفاء موثوقون، وإنا إذ نرفع ذلك لمقام سموكم الكريم نرجو ما يأتي:

١ ـ التأييد كتابياً لموافقتكم على ذلك.

٢ ـ العطف الكامل على هذا المشروع الخيري ومساهمة سموكم الكريم فيه من مالكم، وإصدار أوامركم الكريمة بمساهمة الحكومة فيه، وتبني سموكم ذلك، علماً بأن هدف المشروع هو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] وأنتم مشاعل الدعوة وأنصارها، ولا قوام لذلك إلا بالله ثم بكم وتأييدكم، ثبتكم الله على الهدى، ونصر بكم دينه، وأعلى بكم كلمته، والسلام عليكم ورحمة الله.

في (١٣٨٤/١/٢٢هـ)

* * *

وكذا دعوته أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي للمشاركة في إصدارات هذه المؤسسة، ومنها:

نظراً لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية، فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة والأفكار الضالة المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان.

ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر بأن يصدر عن هذه المؤسسة صحيفة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً، ومجلة شهرية، علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب إن شاء الله من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلى الله في أنحاء العالم. ولما كان وجود أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة وأهدافها، راجياً منهم مساعدتها بإرسال المقالات النافعة والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة. وسوف يصدر العدد الأول من الصحيفة قريباً بإذن الله، ويصل إلى حضراتكم مجاناً.

وعنوان المؤسسة المذكورة كالآتي:

(مؤسسة الدعوة الإسلامية) شارع أحمد بن حنبل ـ الرياض ـ.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن يبارك جهودكم، ويوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد بن إبراهيم

في (١٣٨٤/٧/٢٣هـ)

* * *

ومنها أيضاً هذا الخطاب:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل.. الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد أخبرنا الأخ سعد بن رويشد بمقابلته لسموكم في فندق الكندرة بجدة، وما أبديتموه سموكم حول مؤسسة الدعوة الإسلامية من شعوركم واستبشاركم بافتتاحها، وما أعربتم عنه من مساهمتكم في المؤسسة المذكورة بمبلغ عشرين ألف ريال باسم أبنائكم خالد وإخوانه، جعلهم الله قرة عين لكم، وبلغهم رشدهم، وألحقكم برّهم، والحقيقة التي لا يخالطنا فيها شك أن تشجيعكم هذه المؤسسة ليس بغريب عليكم ولا كثير منكم، وفقكم الله وتولاكم برعايته. والسلام عليكم ورحمة الله.

وإذا جاز لنا أن نتأمل في عصرنا هذا والذي ازدحم بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة من فضائيات وإنترنت إلى جانب الإعلام المطبوع.. قياساً على رؤيته ومبادرته بالنسبة لمجلة الدعوة في عصر كانت فيه مثل هذه المحاولات بين أخذ ورد وقبول ورفض.. تكشفت لنا الرؤية المستقبلية التي رسخت في حياته كلها.. وأصبحت ملكة من ملكاته أن يقتحم ما فيه خير للأمة وللدعوة وللمسلمين أفراداً وبلداناً.. فكان نفع هذه المجلة وانتشارها وتأثيرها، رغم ضعف شبكة المواصلات والاتصالات، ولكنها بحمد الله كانت مبادرة كريمة أفسحت مجالاً للعلماء والدعاة وطلبة العلم أن يشاركوا بمقالاتهم في إثراء حركة الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية كافة.

هي رؤية غير مسبوقة.. وجديرة بالعناية والاهتمام وجديرة بالتقدير والغوص في أعماقها بحثاً واستقصاءً وأثراً.

لقد كان من ثمار ذلك كله:

١ ـ التعريف بالعلماء والدعاة وطلبة العلم الشرعي.

٢ ـ التشجيع على البحث والكتابة والمشاركة الاجتماعية.

٣ ـ تصحيح مفاهيم وعقيدة الناس وتبيان التوحيد الخالص.

٤ ـ الاعتناء بالمسلمين دولاً وأفراداً وكيانات والهمّ بشؤونهم وقضاياهم.

٥ ـ تبصير المسلمين ـ خصوصاً الشباب منهم ـ بدورهم في الحياة. . وفي الدعوة إلى الخير وبضرورة المساهمة في أعمال البر والإحسان.

٦ ـ مواكبة الحرية الفكرية والأدبية بالرأي الصائب والإرث العلمي المستنير. . وتعريف المسلمين في الداخل والخارج بعطاء المملكة العربية السعودية في كل مجال دعوي وإنساني.

القسم الأول

خطب الشيخ ومقالاته

نماذج من خطب الشيخ

في شأن تكوين رابطة العالم الإسلامي

- الهدف من إنشاء الرابطة.
- فضل الدعوة إلى الله.
- هدف الرابطة.
- كلمة حفل التعارف.
- حفل افتتاح المؤتمر.
- كلمة ارتجلها في افتتاح الدورة الرابعة.
- حفل التعارف لوفود الحجاج.

(الهدف من إنشاء الرابطة)

(كلمة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في ١٣٨٢/١٢/١٥هـ)

الحمد لله، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه.

أيها العلماء الكرام، والفضلاء الفخام، تعلمون أن هدف هذه الندوة الوحيد هو التعارف، وإيجاد رابطة تتسم بروح دينية حقة، وبحث مشكلات المسلمين الدينية والدنيوية، وإيجاد الحلول العلمية لها، ولا سيما مشكلة واقع المسلمين، وما أصيبوا به في دينهم من التغيير والتبديل، وتسليط العدو بسبب ما اقترفته أيديهم من تفريط وإهمال وإعراض وغير ذلك، وما دسه أعداء الدين على الإسلام من دسائس لقصد القضاء على الإسلام، لهذا يجب علينا أن نتكاتف، ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق، وإقامة العدل، وتفنيد الباطل، مستمدين ذلك من القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ومن صحيح السنّة النبوية التي هي شقيقة القرآن، كما قال ﷺ: **«ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»** ونعطيهما من واجب التدبر والتأمل والقيام لله شهداء بالقسط ما يتضح به الصراط المستقيم، ويستنير به الطريق، وينفلق به صبح الحق، وينهزم به ليل الباطل، حتى نقوم بحقيقة ما بعث الله به نبيّه محمداً ﷺ من الدِّين الذي أصله عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، وهذا هو حقيقة كلمة الإخلاص التي هي أصل ملة الإسلام (لا إله إلا الله) ونثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ من «الأسماء

والصفات» إثباتاً بريئاً من التمثيل، وننزهه من جميع ما لا يليق بجلاله وعظمته تنزيهاً بريئاً من التعطيل، ونفرد رسوله محمداً ﷺ بالطاعة وتحكيم ما جاء به عند التنازع، بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأن ندعو إلى الله على بصيرة كما هي طريق الرسول ﷺ وطريق أتباعه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وأن نتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخشى في الله لومة لائم، وأن يكون هدى من ضلَّ واستقامة من زل من المسلمين وحصوله على العلم الشرعي بعد جهله به أحب إلينا مما يفرح به، وأن نجاهد الدولة الكافرة الجائرة الظالمة المغتصبة لحقوق المسلمين ومواضع عديدة من بلادهم وضرورة ذلك فوق كلّ ضرورة، وأن نعد لهم من القوى المعنوية والحسية غاية ما نستطيعه، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وأن نقوم حول أي طائفة حادت وامتنعت عن التزام شيء من الشرائع المجمع عليها من تحريم دماء المسلمين وأموالهم ونحو ذلك بما يجب من إقامة الحجة الشرعية وكشف الشبهة، حتى تقوم عليها الحجة، وتتضح لها المحجة، لترتدع عما اقترفت، وتتلافى عثراتها التي اشتهرت، والحق مؤيد ومنصور، والباطل مردود ومدحور.

وإذا قمنا بما تقدم حق القيام علماً واعتقاداً وتعليماً ودعوة إليه وجهاداً فيه ظاهراً وباطناً صرنا متحققين وعاملين بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنٗا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنّة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف. ونكون أيضاً عاملين بقول النبيِّ ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»**.

والسلام عليكم

(في ١٣٨٢/١٢/١٥هـ)

(فضل الدعوة إلى الله)

كلمة سماحة الشيخ بمناسبة إصدار العدد الأول

لمجلة رابطة العالم الإسلامي بمكة في تاريخ ١٣٨٢/١٢/٢٨هـ

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتمَّ علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأصلي وأسلم على خير خلق الله، وأكرمهم عليه وأرفعهم عنده منزلة عبده ورسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، ودعا بدعوته، ودافع عن ملته إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله وبيان ما بعث الله به أنبياءه ورسله عليهم السلام للناس هي سبيل رسول الله وسبيل أتباعه إلى يوم القيامة، قال تعالى لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وهو واجب على كل مسلم بحسب مقدرته واستطاعته، وهو على أهل العلم أوجب، وفي حقهم آكد، لأنهم المبلغون عن الله ورسوله، وهم ورثة الأنبياء، ومن كان لديه ميراث النبوة فواجبه أعظم، والمسؤولية تقع عليه أكبر، فلديهم طبُّ القلوب وعلاجها، وقد وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالعدل حيث قال: «**يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**» فهم لهذا مسموعو الكلمة، مقبولو النصيحة، فإذا قاموا بالواجب الملقى عليهم تمام القيام صلحت الأحوال واستقامت الأمور، وقد أوجب الله عليهم التبيين للناس وحرم عليهم الكتمان، وأخبرنا أنه أخذ الميثاق على من قبلنا ونحن مثلهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«بلغوا عني ولو آية»**.

والناس في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثر من حاجتهم لها في أيِّ وقت مضى، حيث قد كثرت دواعي الشر، وتفشت الإباحية والانحلال الخلقي، وجاءت بأثواب مختلفة، وتحت شعارات براقة خداعة، وغزت قلوب الشباب أيما غزو، كما كثرت البدع والخرافات، وظهرت المبادئ الهدامة المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، وأخذ دعاتها أزمَّة التوجيه فأفسدوا ما بقي مع المسلمين من دينهم أو كادوا، والتقى أعداء الإسلام من أصحاب الديانات المختلفة وحملة المبادئ الملحدة على صعيد واحد، وهو محاربة الإسلام والصدّ عنه بشتى الوسائل، وتألبوا عليه، وجاؤوا من كلِّ حدب وصوب.

ولما رأى المخلصون هذه الحالة ساءهم يوم الإسلام الحاضر، وأشفقوا من غده المظلم، ففكروا في إقامة مؤتمر إسلامي يعقد بمكان تلتقي فيه أنظار المسلمين في الشرق والغرب، وتهفو إليه أفئدتهم، فلم يكن بد من أن يتفق الرأي على أن هذا لا يكون إلا بمكة المكرمة، حيث إنها منبع الهدى والنور، وفيها بيت الله العتيق قبلة المسلمين ومتجههم في العبادة، وفيها إقامة خامس أركان الإسلام، وتم عقد ذلك المؤتمر فيها بتوفيق الله ثم بمساعي من يهمهم أمر الدعوة الإسلامية، وذلك في موسم حج عام (١٣٨١هـ) وحضره جمع كبير من علماء المسلمين وأعيانهم ممن قدموا، وقد بحثت في هذا المؤتمر المشكلات الإسلامية، ورسمت الخطط للسعي في إيجاد حلول صحيحة لها، وقد انبثق عن هذا المؤتمر «رابطة العالم الإسلامي» وعقدت جلساتها في مواعيدها المقررة لها، وقد قامت هذه الرابطة خلال العام الماضي بنشاط ملموس في سبيل الدعوة، ومساندة الحركات الإسلامية ماديّاً ومعنويّاً، وسوف تؤدي واجبها كاملاً في المستقبل بإذن الله.

وإن من دواعي الغبطة إصدار الرابطة لهذه المجلة بالعربية والإنجليزية والفرنسية مما سيكون له أكبر الأثر في نشر الدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم إن شاء الله، وسيعرف العالم بواسطتها أهداف الرابطة وأغراضها، وستنال التشجيع الكامل من جميع المسلمين في شتى بقاع الأرض إن شاء الله.

أسأل الله أن يحقق لهذه الأمة النصر، ويعيد لهذه الملة نضارتها وهيبتها، ويعيد للعالم الإسلامي مجده التليد، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلّى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في (١٣٨٢/١٢/٢٨هـ)

(هدف الرابطة)

أُلقيت في الاجتماع الرابع للمجلس التأسيسي

لرابطة العالم الإسلامي عام (١٣٨٤هـ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوان المسلمون! في هذه الفرصة المباركة التي منَّ الله علينا فيها بهذا اللقاء، ويسر لنا هذا الاجتماع، أبدأ حديثي إليكم الساعة عن هدف هذه الرابطة، فأقول: إن هدفها هو التذاكر، وعرض المشكلات التي تعترض طرائق تبليغ الدعوة إلى الإسلام، ثم العمل على إيجاد الحلول العلمية تجاه ذلك، والخروج بنتيجة تضمن إن شاء الله حصول المقصود من أداء فريضة الله علينا في تبليغ هذه الدعوة وشرح مبادئها، ودحض الشبهات عنها، ومجاهدة المؤامرات الخطيرة والمبادئ الهدامة التي يدبرها أعداء هذا الدِّين بقصد فتنة المسلمين وصدهم عن دينهم، وتفريق صفوفهم، وتمزيق شملهم ووحدتهم وأخوّتهم ـ لا بلغ الله هؤلاء الأعداء مرادهم، ولا ألحقهم مقصدهم ومرامهم ـ هذه المؤامرات وهذه المبادئ الهدامة وهذه الدسائس التي دسها أعداء الدِّين على الإسلام لقصد القضاء عليه هي أهم ما يجب أن نبحث في اجتماعاتنا هذه، وهي أهم ما يجب أن نصرف عنايتنا في محاربته ودحضه، ونتكاتف ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق وإقامة العدل ومجاهدة الباطل والقضاء عليه، مستمدين ذلك من القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ

﴿ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ومن صحيح السنّة النبوية التي هي شقيقة القرآن كما قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**» ونعطيهما من واجب التدبر والتأمل والقيام لله شهداء بالقسط ما يتضح به الصراط المستقيم، ويستنير به الطريق القويم، وينفلق به صبح الحق، وينهزم به ليله الباطل، حتى نقوم بحقيقة ما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من الدين الذي أصله عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، وهذه هي حقيقة كلمة الإخلاص التي هي أصل ملة الإسلام (لا إلٰه إلا الله) ونثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات إثباتاً بريئاً من التمثيل، وننزهه عن جميع ما لا يليق بجلاله وعظمته تنزيهاً بريئاً من التعطيل، ونفرد رسوله محمداً ﷺ بالطاعة وتحكيم ما جاء به عند التنازع، عملاً بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

أيها الإخوان يجب أن تكون دعوتنا إلى الله على بصيرة حتى نطبق في ذلك طريق الرسول ﷺ وطريق أتباعه بقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وأن نتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر، وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخشى في الله لومة لائم.

أيها الإخوان قد تقدمت لنا ثلاثة اجتماعات قبل هذا الاجتماع، أولهما في ذي الحجة عام (١٣٨١هـ) والثاني في رجب عام (١٣٨٢هـ)، والثالث في ذي الحجة عام (١٣٨٣هـ)، وهذا هو الاجتماع الرابع، فينبغي أن نستعرض في هذا الاجتماع ما حققته تلك الاجتماعات الثلاثة السابقة نحو هذا المهم العظيم الذي أسلفته، وهذا الواجب المقدس الذي مرَّ ذكره، إنني متفائل خيراً إن شاء الله، وراجٍ من المولى الكريم

سبحانه أن يكتب لاجتماعنا هذا التوفيق والنجاح، وأن يكون على خير ما يجتمع من أجله المسلمون، وعلى أفضل ما يعمل له العاملون المخلصون، في هذه البقعة المقدسة الطاهرة التي شهدت طلائع الجهاد في سبيل الله، وارتفع منها أول صوت بالدعوة إلى الله، وأشرفت من أباطحها ونجودها أنوار المثل العليا التي لا سبيل لمثل سواها في حياة المسلمين، والمبادئ الكريمة التي لا نجاح لهم ولا انتصار لجهادهم ولا عزة لشأنهم ولا منعة لكيانهم إلا بأن يعودوا إليها وأن يتمسكوا بجوهرها، وأن يعيشوا لها مؤمنين بأنها سبيلهم إلى النجاح والفلاح في دنياهم وأخراهم.

وأختتم كلمتي هذه بالدعاء والتبتل إلى الله العليِّ القدير أن يجمع قلوبنا على الحق، وأن يمنح الجميع العون والتوفيق لما فيه الخير وصالح الإسلام والمسلمين، وتحية لإخواني الحاضرين، وبعون الله أعلن ابتداء افتتاح هذا المؤتمر، وصلّى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه. عام (١٣٨٤هـ).

كلمة سماحة الشيخ في حفل التعارف
الذي أقيم بمكة مساء يوم الأحد (١٣٨٣/٢/١٤هـ)

أيها الإخوة في الله! أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويسرني أن أرحب بكم في مهوى أفئدة المسلمين ومقر قبلتهم أجمل ترحيب، وإني لأقدم لكم أعمق الشكر وأبلغ التقدير لتكرمكم بتلبية الدعوة لحضور هذا الاجتماع.

وإنها لفرصة مباركة أن نلتقي في هذه البقعة الطاهرة المقدسة مهبط الوحي ومصدر إشعاع الإسلام، وأن نجتمع من شتى الأقطار ومختلف الأجناس والألوان في إطار الأخوة الإسلامية الصادقة، وعلى صعيد العقيدة المحمدية الواحدة، عقيدة التوحيد التي في ظلها ساوى الإسلام بين الجميع، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، ولعلّ مما يتميز به الإسلام على جميع النظم ويعتز به المسلم الصادق هو أن هذا الدِّين الحنيف قد محى فوارق العنصر والجنس واللون، حتى إنه من القواعد الاجتماعية التي أرساها هذا الدين وطبقها علمياً هو أن الزنجي المسلم أشرف وأفضل وأولى بالنصر والتأييد من الهاشمي العربي غير المسلم، وهذا ما لم تصل إليه أرقى دول العالم حضارة وتمدناً حتى يومنا هذا.

وما هذا الاجتماع الذي مَنّ الله به علينا في هذا المكان من مكة المكرمة إلا إحدى منافع الحج التي يحصل عليها المسلمون نتيجة شهود هذا الموسم الذي فرض الله شهوده على كلّ مسلم ومسلمة.

ولا شك أن جمع الحج بين هذه الأمم الإسلامية من شتى الأقطار ومختلف الأجناس هو فرصة يجب ألا تفوت، فرصة يجب على حكام العالم الإسلامي وعلمائه ومفكريه أن يغتنموها ليجتمعوا حول مائدة يضعون عليها مشكلات المسلمين ومآسيهم التي تزداد يوماً بعد يوم تحت عوامل خارجية وداخلية، تحركها الصليبية والإلحاد وحب التسلط.

إن حوادث الاعتداء على المسلمين من تقتيل وتشريد وظلم تتكاثر ويتسع نطاقها كل يوم، وهذا ما يجب أن ينتبه له المسلمون (وبخاصة ولاة الأمر فيهم) ليضعوا حدّاً لهذه الحوادث التي يجب عند بحثها أن لا يفرقوا (بسبب الجنس أو اللون أو الوطن) بين من يتعرضون لهذه الحوادث، فالمسلمون كلهم سواء.

وإذا لم يبحث المسلمون مشكلاتهم بأنفسهم ويجتمعوا للتشاور لحلِّها بمحض اختيارهم، فمن يا ترى الذي سيفعل لهم هذا؟.

إن آمال المسلمين وآلامهم يجب أن ينظر المسلمون وحدهم فيها، وأن ينصتوا لأصواتها التي تزداد وترتفع كلما مرَّ الزمن.

إن رابطة العالم الإسلامي (وهي رابطة علماء بحتة) تحاول جهدها وفي حدود إمكاناتها القيام ببعض ما يجب عليها نحو الشعوب الإسلامية على مختلف أجناسها وألوانها وتباعد أقطارها، ولا شك أن الكثير من إخواننا المسلمين قد لمسوا بأنفسهم نتائج بعض الأعمال المثمرة التي قامت بها الرابطة في مختلف الحقول. والوقت الآن لا يسمح بأن نتحدث بالتفصيل عما قامت به الرابطة من أعمال في سبيل الإسلام والمسلمين، ولذا فنحن نترك هذا للوقت المناسب، وقد كان بودنا أن ندعو إلى عقد مؤتمر إسلامي عام بعد هذا الحج، ولكننا لأسباب مختلفة لم نتمكن من ذلك، ولهذا فإنه (بإذن الله) سيعقد مؤتمر إسلامي كبير بعد حج عام (١٣٨٤هـ)، وأن الدعوة ستوجه في حينها إلى من يجب أن يحضروا هذا المؤتمر من مختلف أقطار العالم الإسلامي، ونرجو أن

يكون ذلك عملاً مثمراً يعود بالنفع العلمي العام على جميع المسلمين.

غير أن الذي أحب أن أقوله، بل ويجب أن أقوله هو: أن قيام رابطة لعلماء العالم الإسلامي لا يكفي وحده للنظر في مشكلات المسلمين المختلفة ووضع الحلول العلمية لهذه المشكلات وأهمها المشكلات الدامية التي يتفاقم أمرها يوماً بعد يوم في فلسطين وإفريقية وقبرص والهند وكشمير واليمن وعمان وغيرها من الأقطار الإسلامية التي أصبح أهلها ضحايا لمثيري هذه المشكلات ومسبيها.

بل يجب ـ لكي يشتد جانب المسلمين وتلتئم جراحهم الدامية، فيعز جانبهم وتحقق آمالهم، وتذهب آلامهم، وتزول مآسيهم ـ أن تقوم رابطة على نطاق أوسع وأقوى يكون حزامها من حكام العالم الإسلامي أنفسهم، فيجتمع هؤلاء في إطار العقيدة الإسلامية لبحث مشكلات المسلمين بلغة الحكم والسلطان الذي فرض الله قيامه في كلِّ أمة، وهذا وحده كفيل بأن يعيد الحق إلى نصابه، ويضع حدّاً لما يتعرض له المسلمون من إبادة وتشريد وتجويع وإهانة، لأن لغة السلطان والحكم عندما يخاطب بها الخصم المعتدي والمتجني المفتري يكون لها أثر فوق كل أثر **«فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»**.

ونحن لهذا ـ وبالإضافة إلى دعوتنا إلى تدعيم رابطة علماء العالم الإسلامي ـ نهيب بحكام العالم الإسلامي بل ونستحثهم على أن يقيموا فيما بينهم رابطة يقومون هم بتنظيمها، على أن يكون هدفهم التباحث في مصالح المسلمين (على اختلاف أجناسهم وألوانهم) والنظر في أحوالهم وأوضاعهم الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ووضع الحلول العلمية لمشكلاتهم، ومد يد العون الأدبي والمادي والسياسي (والعسكري إن أمكن) لمن يحتاج إليه من هؤلاء المسلمين، وبخاصة الذين يقعون تحت نيران حكم حكام غير مسلمين.

وأكررها مرة أخرى فأقول: إن قيام رابطة لعلماء العالم الإسلامي (في ظل توجيهات كتاب الله وسنّة رسوله) تساندهم في ذلك رابطة العالم الإسلامي هو أقوم سبيل لتحقيق أماني المسلمين وإزالة آلامهم في مشارق الأرض ومغاربها، لأن العلم والفكر إذا اتحدا مع الحكم والسلطان وسارا في الطريق السوي الذي أراد الله للجميع أن يسيروا فيه ظفرت الأمة الإسلامية (دونما شك) بكل ما تصبو إليه من عزة وسؤدد واستقرار، لأن الإسلام كما يعلم العقلاء ليس دين كهانة وانزواء وعزلة، وإنما هو دين ودولة، وقول وعمل، سيف وكتاب، يدعو إلى المسجد كما يحث على ارتياد الحقل والمصنع، وهذا ما يجب أن يعلمه الجميع عن دين الإسلام، ليرفعوا رؤوسهم فخراً واعتزازاً، وليدركوا بجلاء أي دين عظيم يسيرون في ركابه ويلتفون حول لوائه.

أيها الإخوة في الله! بما أن هذا الاجتماع هو اجتماع تعارف وتبادل إظهار شعور المحبة والإخاء والمودة التي هي من أهم ما دعا الإسلام إلى إشاعته والعمل على توطيده بين جميع المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وبما أن هذا الاجتماع سيكون مقصوراً على هذا فقط، فإنا لن نطيل عليكم الحديث، فإن المؤتمر الإسلامي القادم الذي ستصلكم الدعوة إليه في حينها ـ إن شاء الله ـ سيكون حافلاً بما يجب أن يقوم به المؤتمرون نحو الإسلام والمسلمين في شتى أقطار الدنيا، وإننا لنرجو أن لا يأتي العام القادم إلا وقد وفق الله حكام العالم الإسلامي لإنشاء رابطة قوية صادقة متينة، نسأل الله تعالى أن يجمع شمل المسلمين ويوحد كلمتهم على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ونكرر مرة ومرات الترحيب القلبي الصادق بكم في بلادكم وفي جوار بيت ربكم، فأهلاً وسهلاً بكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● ● ●

كلمة سماحة رئيس المجلس التأسيسي

في حفل افتتاح المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة عام (١٣٨٤هـ)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أيها الإخوان الكرام! أحييكم بتحية الإسلام، وأحمد الله الذي مَنّ علينا بهذا الاجتماع المبارك في هذا البلد الأمين، البلد الذي بعث منه سيد الخلق محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وأسأل الله أن يجعله اجتماعاً مكللاً بالنجاح، وأن يوفقنا فيه إلى تحقيق الغايات النبيلة، والأهداف الشريفة، وأن نكون خلفاء الرسول ﷺ في نشر دعوته في العالمين.

أيها الإخوة! إننا في زمن نحن فيه أحوج ما نكون إلى هذا الاجتماع لندرس ونتناقش في مشكلاتنا وفيما يكيده لنا أعداء الإسلام من مكائد، وما يدسونه بين صفوفنا من مؤامرات، وما ينفثونه في مجتمعنا الإسلامي من سموم، وما يروجونه في أمتنا من أضاليل، يستهدفون من وراء ذلك زعزعة العقيدة الإسلامية، والتشكيك في مبادئها الحكيمة، ونظامها السماوي الكامل، ودستورها المقدس. وقد سلك أعداء الإسلام هذه السبل لعلمهم بأن انتصار المسلمين وانتشار العقيدة الإسلامية يقضُّ مضاجعهم، ويقضي على مبادئهم الخبيثة ونفوذهم الاستعماري المقيت. ومن المؤسف جدّاً أنهم استخدموا رجلاً من أمتنا ومن أبناء جلدتنا لتنفيذ هذه المخططات، ذلك لظنهم بأن الدعوة إلى مبادئهم وإلحادهم إذا حمل

لواءها هؤلاء المستخدمون سيكون تأثيرها على المسلمين أكثر، وأنهم سيستطيعون بذلك إيقاف المد الإسلامي، ولكن الله بحوله وقوته سيرد كيدهم إليهم، وسينصر هذا الدين بجهادكم إياهم، وسترفرف راية الحق والعدل عالية إن شاء الله متى صدقتم في الجهاد، ومتى قويت عزائمكم، وكان هذا الصدق وقوة العزائم صادرين من قلوب مؤمنة استنارت بنور القرآن، واهتدت بهدي المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

أيها الإخوان! إن رابطة الإسلام هي أقوى من كلِّ رابطة، أقوى من رابطة النسب، وأقوى من رابطة الوطن، وأقوى من رابطة اللون، فالمسلم أخو المسلم يتألم بآلامه، ويحزن لحزنه، ويفرح لفرحه، قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

الكلمة التي ارتجلها حضرة صاحب السماحة
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
في افتتاح الدورة الرابعة
لاجتماعات رابطة العالم الإسلامي في (١٣٨٣/٧/١٥هـ)

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

غير خاف على المشائخ الفضلاء ما منَّ الله به من نعمة الإسلام، وبعثة النبي ﷺ، فإن من أكبر النعم التي أنعم الله بها على عباده بعثة هذا النبي الكريم، وما جاء به وأنزل عليه ﷺ من القرآن العظيم. وهذا هو أكبر ناموس طرق العالم، وهذا الشيء هو الضروري للخلق في معاشهم ومعادهم، وشمل ما جاء به النبي ﷺ جميع المصالح الكلية والجزئية، بعث ﷺ بكمال بيانه، وكمال حفظ ما منَّ الله تعالى به من هذه النعمة العظيمة تثبيتاً وتشريعاً وإيجاباً وفرضاً لأوامره الشرعية التي تضمنها كتابه وسنّة رسوله المطهرة.

ويعلم جميع المشائخ الفضلاء أننا مغزوون في عقر دارنا من صنفين من الناس: **أحدهما**: أعداء الدين العداوة المحضة والصادون عن سبيل الله صداً بيِّناً صراحاً، **والقسم الثاني**: من يتسمون بديننا وينتسبون إليه وهم في الحقيقة أعداؤه والساعون في هدمه من أصله، ولم يصل العدو الصريح من الإفرنج إلى ما وصلوا إليه من أغراضهم، ولا نالوا ما نالوه من المسلمين إلا بسببهم، فهم أعظم شيء ضرراً على الدين، وعند بعضهم من النفاق الاعتقادي النصيب الوافر، وعند بعضهم من الإلحاد

ما أخرجهم من الدين. وكل محنة وكل سوء يكاد به الإسلام بكل بلية من البلايا لم يصب بها المسلمون إلا من قِبَلهم، والواقع أصدق شاهد، والعقل يسبر فينظر. والمتعين على المسلمين الصمود أمام هؤلاء بالتعاون والتعاضد عن جد وصدق، والتمسك حقّاً بما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من الدين الحنيف الذي أساسه شهادة: أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، علماً، واعتقاداً، وعملاً، وإخلاصاً، ومتابعة للسنّة، وكشف شبه أولئك من نصوص الكتاب والسنّة، فإنهما الكفيلان بما يحصل به المقصود من إيضاح الحجة المحمدية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

ويصمد أمام الفريق الثاني بالمستطاع من الجهاد وهو جهاد السيف والسنان، وهو من أهم الفروض وأعظم الواجبات، ولا قوام للدين ولا حفظ للكيان إلا بذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ولا ريب في شمول هذه الآية الكريمة القسمين المتقدم ذكرهما، وشمولها أيضاً لقسمي الجهاد: جهاد السيف والسنان وجهاد الحجة والبيان.

ونحن أيها الإخوة معبودنا واحد جلَّ شأنه، ونبيّنا واحد ﷺ، وقبلتنا واحدة زادها الله تكريماً وتشريفاً، فواجب علينا أن نكون يداً واحدة قوية في القيام بالواجب الذي أوجبه الله على جميع المسلمين ولا سيما حملة الشريعة. ومعلوم عند الجميع أنه إذا لم يقم بواجب ذلك أهل العلم بالبيان والحجة لم يقم به سواهم، فواجب علينا التعاضد

والتعاون بالجد والاجتهاد في تأييد هذا الحق، واستعمال هذا النور الشائع، والاستضاءة به في الطريق المستقيم. وعلينا أن نسلكه وأن نتمسك به ونستنصر الله بتمسكنا به. والله ﷻ وعد بنصر من نصره ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١]. فقد أخبر أصدق القائلين جلّ شأنه أنه ناصر من نصره، وقد أكد ذلك بالقسم وبنون التأكيد. فلنتأمل من هم المنصورون الذين أقسم رب العالمين هنا أن ينصرهم: هم أشخاص بأعينهم، أو قبيلة بعينها، أو ملك بعينه، أو أهل بلد معينة، أو هم من نصره؛ أي نصر دينه من الناس كائنين من كانوا؟.

وهذه الرابطة الإسلامية يجب علينا أن نحققها مخافة لله وخشية أن نكون من الكاذبين القائلين ما لا يفعلون، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣] ها نحن الآن لا نقاتل لأن الظروف الموجودة منعت من أن نقاتل القتال الذي ينبغي، فلا نعجز عن الآخر وهو الحرص في بيان الحق وإيضاحه للجاهل، وإقامة الحجة به على المتجاهل، وكشف شبهات المشبهين وإيضاح الحق، على أن أعظم وأهم دراسة ما بنا نحن وما ننسب إليه في معرفته وتحقيقه وتشخيص ما يحتاج أن نتكلم فيه، ثم المشكلات التي ينبغي أن نعالجها بما جاء به النبي ﷺ، وهي كما هو غير خاف عليكم أنواع بالسبر في البحث فيها والتنقيب وتعدادها وبذل الجهود لمعرفتها وتشخيصها، ثم بذل الجهود للقيام حولها بما يحصل الغرض بتوفيق الله ومعونته.

ثم لا يغيب عن بالنا ما بدئ به هذا المجلس من الآيات الكريمات وفي آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فلنتأمل كل التأمل، وهي بحمد الله معناها غير خاف

على واحد من الجميع، فالكلُّ يعلم معناها، ولكن بمزيد التأمل والفحص والوقوف عند كل جملة نزدد خيراً إن شاء الله في ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، خبر أكده جلّ شأنه بالقسم وبنون التأكيد أن يهدي المجاهدين فيه. وختم جلّ شأنه هذه الآية بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فمن كان الله معه فهو محفوظ وموفق ومؤيد ومنصور.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٧].

وقال ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»**.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

كلمة سماحة رئيس المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الإسلامي
في حفل التعارف المقام لوفود حجّاج
بيت الله الحرام بمقر رابطة العالم الإسلامي في حج عام (١٣٨٥هـ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وبعد: فإنني أصالة عن نفسي ونيابة عن إخواني أمين وأعضاء رابطة العالم الإسلامي أرحب بكم أجمل ترحيب، وأحييكم أحسن تحية.

إخواني، تعلمون حقّاً أن العالم بأسره علويه وسفليه، وجماده وغير جماده، ناطقه وغير ناطقه، في غاية جداً من الفقر إلى الله ﷻ من حيث الخلق والإيجاد، ومن حيث الكلاءة والحفظ، ومن حيث العلم والمعرفة، قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الأنبياء: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣]. فمن أهم الضروريات للعباد معرفتهم ربهم تبارك وتعالى بما تعرف به في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ من وحدانيته جلّ شأنه في ذاته وأسمائه وصفاته وألوهيته، ومعاملتهم ربهم بمقتضى هذه الوحدانية بأن يثبتوا له ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ من صفات الكمال، إثباتاً بريئاً من تمثيل الممثلين ومن تعطيل المعطلين، وأن يفردوه ﷻ بالألوهية كما هو مدلول أساس الملة كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) مطابقة، فلا يدعون إلا الله وحده، ولا يلجؤون إلى سواه في حال من

الأحوال، وأن يقوموا بفرائض ذلك وحقوقه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من شعائر الدِّين.

ومن الضروري لحصول ذلك على الكمال تكاتف المسلمين وأخذ بعضهم بأيدي البعض في القيام بذلك علماً وعملاً واعتقاداً، والحفاظ عليه كل الحفاظ، والتآلف والتواد فيما بينهم، وصدق الإخاء الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣].

وقال تعالى ممتناً على نبيِّه محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

إخواني لا يمكن الحصول على إعلاء كلمة الله ونصر دينه بدون صفاء الضمائر، وتصادق الظواهر والسرائر، على أن نقف صفّاً واحداً دون من يكيد لهذا الدِّين كائناً من كان، وأن نقف مع أنفسنا موقف المحاسبين الصادقين والناصحين الحقيقيين لإصلاح أنفسنا، وتربية نشئنا التربية الإسلامية المحمدية المحضة، وأن نبعد كلّ البعد عن الأسباب التي صار من أجلها ما صار إليه مما هو من أبين شيء مخالفة ومصادمة لما جاء به النبيّ ﷺ.

هذا وأسأل الله لنا جميعاً التوفيق والثبات على الحق، إنه على كل شيء قدير. وصلّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● ● ●

الخاتمة

لا أحد من أبناء المملكة العربية السعودية إلا ويجد في نفسه ووجدانه حبّاً كبيراً لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية رَحِمَهُ اللَّهُ.. فلقد نهض في حياته بتأسيس الإدارات المعنية بقضايا المسلمين بتكليف من مؤسس هذه البلاد وموحدها الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمٰن ـ طيّب الله ثراه ـ.

لقد عني سماحته ابتداء بتأسيس المعاهد العلمية وأشرف عليها بنفسه وخصص لها وقتاً.. ثم نهضت همته في تنظيم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم عكف رَحِمَهُ اللَّهُ على إنشاء المحاكم الشرعية واختيار القضاة.. وبعث الدعاة إلى المدن والقرى والهجر يعلمون الناس الخير، ويرشدونهم إلى الحق.. هذا فضلاً عما كلفه به من تنظيم أمور الفتيا وألزم به نفسه من التدريس والتعليم في جامعة الرياض الكبرى أقصد (مسجده) رَحِمَهُ اللَّهُ، عدا رسائله ودعوته وخطاباته لكلِّ مسؤول ناصحاً ومرشداً وداعياً وواعظاً..

وليس هناك مجلس من مجالس المملكة إلا ويذكره بالخير، ويثني عليه.. ويحب فيه تقواه وبُعد نظره.. وشدته ولينه في آن.. ويكبر فيه عمله وفتواه حتى كثر تلاميذه، وأصبحوا يملؤون كلّ مؤسسة ودائرة شرعية وعامة في المملكة العربية السعودية..

ومع شديد الأسف فإن سيرة الشيخ ومنهجه الدعوي والفقهي.. لم يتيسر من يعتني بهما.. أو ينشرهما بين الناس ومحبي الشيخ والثقافة والفكر الإسلامي.. ولا أعلم لذلك سبباً.. فكاتب هذه السطور وجيل بأكمله لا يعرفون عن الشيخ إلا النزر اليسير..

وقد بحثت فلم أجد رسالة مطبوعة من رسائله سوى **تحكيم القوانين.. ومجموع الفتاوى** التي يبدو أن انتشارها وتوزيعها محدود أو هو متوقف.. ولم أعثر على كتيب يوضح سيرة الشيخ.. رغم أن المكتبات ودور النشر مليئة بمعلومات عن حياة أبنائه وتلامذته، وليتني أعرف سبباً واحداً فأذكره لكم.. والسؤال المطروح: لماذا الحديث عن الشيخ الآن؟.

إنه التلازم التام والتكامل الرائع بين قيادتنا وعلمائنا وهو الذي يمثله الشيخ بسيرته العطرة.. ومواقفه الرائدة التي فيها الحب واللطف والتعاضد والتعاون بين القيادتين.. ولعلّ من دلائل هذا التلازم في حياتنا ما نشاهده ونسمعه من تقدير جم متبادل في كل مناسبة من مناسبات الخير في بلادنا..

إن في ذلك كما أسلفنا دلالات:

١ ـ دلالة اعتزاز المملكة قيادة ودولة ومواطنين بالعلماء وإجلالهم وتقديرهم.

٢ ـ دلالة أهمية العلم الشرعي في مسيرتنا الحضارية السعودية.

٣ ـ إبراز أن نهضتنا وتطورنا مرتبطان بمثلنا وقيمنا الراسخة من احترام العلماء وتوقير طلبة العلم.

٤ ـ الحرص الكامل على ما يصلح المسلمين وإعطاء القدوة في أن اهتمامنا بذلك إنما هو ملازم للقيادة السياسية ولعلماء الشريعة في مملكتنا الطاهرة.

وأعيد السؤال بصيغة أخرى: ما أثر الكتابة عن علم من أعلام التأسيس والبناء لهذه المملكة في هذا الوقت خاصة؟ وليس في ذلك من مبالغة.. فإن رجلاً انبرى لتكوين المؤسسات الشرعية (الدينية) وتكييفها على الواقع لهو شخصية فذة بكل المقاييس.

ثم إن الناس بعامة محتاجون إلى القدوة المتميز في كلِّ شيء.. القدوة في قول الحق.. القدوة في التمسك به.. القدوة في النهوض

بالمؤسسات.. والقدوة في تأييدها ودعمها، والقدوة في استشراف المستقبل والعمل من أجل إعلاءٍ للدين.. وحباً في صلاح المسلمين ورغبة في بناء الأمة وإعدادها فكرياً وحضارياً، ليس الشيخ مجرد فقيه وعالم وداعية إلا أنه رجل بناء.. رجل مواقف.. رجل مسيرة كاملة..

من هنا فإن واجبنا أن نقرب سيرة الشيخ في أذهان الناس.. والناشئة منهم خاصة.. أن نبرز بعض المواقف الصادقة والصلبة.. ليقرأها هذا الجيل ليعرف المواقف.. ليدرك أبعاد كل ذلك، ليعلم الحقيقة.. ليس علماؤنا علماء سلطان.. إنهم علماء شريعة خالدة.. مواقفهم يثنى عليها؛ سماحتهم تقتبس من نهجها الطاهر، وسجاياهم تستمد من ذلك المورد العذب.

وإن من سلبياتنا الحضارية والفكرية أننا نعرف عن غيرنا أكثر مما نعرف عن أشياخنا وعلمائنا، ومواقفهم.. تارة بدعوى أنهم لا يحبذون الحديث عن أنفسهم.. وتارة لأن علماءنا الأطهار نعلم موقفهم من الثناء المبالغ فيه.. ولكننا أمام أجيال تنتظر من يقدم لها القدوات في أسلوب يستحثهم على الإفادة من أفكارهم وسلوكهم، وتصطبغ بها مواقفهم.. هذا الجيل من حقه أن يعرف عن علمائه.. وأن يعلم جهدهم وأن يقف عند أبرز المحطات في حياتهم.. إن جازت التسمية.

هذه مسيرة عالم لم ألتقه.. ولكنني قرأت فتاواه.. وأعجبت بسيرته ومسيرته.. أحببت أن أقدمها لجيلي.. مخلصاً في حبه وحبهم.. متمنياً أن لا ينقطع جيل القدوات في حياتنا..

هؤلاء هم علماؤنا.. نهر من الخير ونبع من الصلاح.. فغفر الله لعلمائنا الأموات، وأبقى لنا الأحياء ذخراً يوجهوننا وينصحون لنا، ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

غفر الله للشيخ محمد بن إبراهيم ورحمه جزاء ما قدّم لدينه وأمته ووطنه.. آمين.

٢٤٨ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم

مفتي المملكة العربية السعودية

(١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ)[١]

بقلم الشيخ العلّامة:

زكريا بن عبد الله بن بيلا ـ رحمه الله ـ

العلّامة الكبير، الفهامة النحرير، المحدِّث، المفسر، الفقيه، الحنبلي الشهير، فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية.

ولد في سنة (١٣١١هـ)، وحفته العناية الإلٰهية، فكان أحد حفظة القرآن المجيد، وتلقى مبادئ العلوم على يد والده العلامة الشيخ إبراهيم قاضي الرياض في زمانه، ولما كف بصره، وهو في السابعة عشرة من عمره، لم يخر عزمه في طلب العلوم، بل لا زال يواصل جهوده بغية أن ينال الشرف التالد، والعزة التي لا نظير لها، وهي عزة العلم، وسؤدده، واتصل بجملة من أعيان العلماء، وأفاضل المدرسين، كالعلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والعلامة الشيخ سعد بن عتيق، والعلامة الشيخ حمد بن فارس، والعلامة الشيخ عبد الله بن راشد، هكذا ذكره الأخ الأستاذ عمر عبد الجبار في ترجمته لفضيلته.

---

(١) الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان، الجزء الثاني، ص(٦٠١ ـ ٦٠٢).

وفضيلة العلامة المفتي محبوب من الكبير، والصغير، والغني، والفقير، وله منزلة خاصة لدى صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لما عرف فيه من إخلاص، وحذاقة، وحسن تدبير، مع ما له من قوة علمية جعلته مرجع رجال الدين، والقضاء. وفقه الله تعالى لمرضاته.

وتخرج على يديه جملة من طلابه الذين هم اليوم من كبار العلماء، والمدرسين، ومنهم:

أخوه فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، مدير المعاهد العلمية، والشيخ عبد الله بن دهيش، رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة، والشيخ عبد العزيز بن باز المدرس بكلية الشريعة بالرياض، وإمام مسجد الرياض، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، نائب رئاسة القضاة بنجد، والمنطقة الشرقية، والشمالية، والشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، نائبه في الإفتاء، والشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم مدير مكتبة جلالة الملك بالرياض.

وفي عام (١٣٨١هـ) تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتولى رئاسة رابطة العالم الإسلامي بمكة.

وفي يوم الأربعاء العشر الأواخر من رمضان سنة (١٣٨٩هـ) والموافق (٢٤) منه أذاعت إذاعة المملكة نبأ وفاته بالرياض، وحملته الجرائد على صفحاتها، وأنه قد خلّف ثروة هائلة من طلابه العلماء الذين تسنموا مراكز القضاء، والتدريس، ومن طلبة العلم بالمعاهد العلمية، والكلية. وصلّى عليه الملك فيصل، وولي عهده خالد بن عبد العزيز، والأمراء، والعلماء، وجمعٌ من أهل الخير.

وصُلّي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة الجمعة الموافق (٢٦/ ٩/ ٨٩هـ) صلاة الغائب، وبإمامة فضيلة خطيب الجمعة الشيخ عبد العزيز بن

عبد الله بن حسن آل الشيخ، رحمه الله تعالى[1].

---

(١) ترجمه: البسّام، علماء نجد خلال ستة قرون، (١/ ٨٨ ـ ٩٧)، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٨)، الأعلام (٥/ ٣٠٦، ٣٠٧)؛ البغدادي، عبد الله، الانطلاقه التعليمية في المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، ص٢٦٣ ـ ٢٦٧.
الرشيد، محمد عبد الله، العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى الديار السعودية. رسالة خاصة في ترجمة سماحته؛ آل إسماعيل، محمد بن عبد الرحمٰن، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست.

القسم الثاني

المقالات النثرية في رثاء

الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم

رحمه الله

عالم فقدناه[1]

بقلم معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ
رحمه الله تعالى

صنفان من الناس يترك فقدهما فراغاً كبيراً. وهزة بعيدة المدى بل ربما يؤدي ذهابهما إلى الاضطراب والحيرة وهما العلماء المحققون والزعماء المخلصون. والأمم في كل مراحل حياتها لا تستغني عن أولئك ولا هؤلاء لأنها بالعلماء تعرف واجباتها نحو ربها ودينها وتمضي في حياتها على بصيرة. وبالزعماء تنتظم معيشتها وتأمن على المستقبل.

ولا يمكن لإنسان أن يقف صامتاً عندما يشهد انحدار أو تهاوي إحدى الدعامات التي يقوم عليها مجتمعه.. ونحن بما فقدنا قبل أيام بوفاة صاحب السماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم. نجد أنفسنا فيما يشبه الدوامة الحائرة من الأسف والأسى فالفقيد شخصية علمية لامعة، وحياته كانت جهاداً متلاحقاً في سبيل العلم والتعليم، وكانت أبرز صفاته بعد علمه الواسع ـ عقله الكبير ـ فلقد كان يتحلى بعقل راجح يحجزه عن الاندفاع والتسرع بل لقد كان عند النوائب صامداً كالطود لا يتزعزع وتلك ميزة ينفرد بها القلائل من الرجال.. ثم لقد كان ـ يرحمه الله ـ صبوراً على التزاماته الكثيرة وجلداً على آدائها وحتى الأيام الأخيرة من حياته الحافلة يمارس كل واجباته والتزاماته بعزيمة صلبة لا تعرف الملل وميزة الصبر غالية يحتاج إليها الرجال العاملون.. وكلمتي

(١) جريدة الدعوة، عدد ٢٣١.

هذه ليست تعداداً لفضائله ومناقبه فهي كثيرة لا تقع تحت حصر لكنها تعبير رمزي لمشاعري بفقده، وأسفي لوفاته، تغمده الله بواسع رحمته، وألهمنا جميعاً فيه العزاء والصبر، وأصلح في عقبه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حادث جلل[1]

بقلم معالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين ـ حفظه الله ـ
المستشار بالديوان الملكي وأحد طلاب سماحته

نعم إنه والله لحادث جلل وخطب عظيم، أصيبت به الأمة الإسلامية في عالمها الفذّ وشيخها الوقور علامة الجزيرة العربية ومفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها، المعظّم لشعائر الله، والذابّ عن شريعته، شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، وكل نفس ذائقة الموت، وسبحان من تفرد بالبقاء والدوام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإني إذ أكتب هذه الكلمة لا أقصد بها المدح والثناء، ففقيدنا في غنى عن مثل هذا، ولن أقدر على إيفائه حقه في مثل هذه العجالة، ولكن أريد ذكر بعض خصاله وشمائله الحميدة من أجل القدوة والأسوة، لأنه أحد أولئك الرجال الأفذاذ، والعباقرة الموهوبين، والعلماء العاملين، والدعاة المصلحين، وقد عرفته منذ نحو ثلاثين سنة أستاذاً مربياً، ثم رئيساً موجهاً من الرعيل الأول. لطيف في مواضع اللطف، قوي في مواضع القوة، يضع الأمور في مواضعها ببصيرة وأناة.

ومن الصفات البارزة فيه قوة الصبر، ومزيد التحمل، والثبات في الأمر، والصراحة بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم. تشع من أقواله

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٣١.

الحكمة وفصل الخطاب، قضى عمره في تعلّم العلم النافع ثم تعليمه والدعوة إليه والحكم به.

وقد تخرج من حلقات دروسه قضاة أفاضل وعلماء مصلحون، ومنهم شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد، . . . وعندما انصرف الناس عن التعلم في المساجد سعى في فتح المعاهد والكليات التي جَنَت البلاد من ثمراتها الخير الكثير.

ولقد ذكّرني ذلك الحشد الكبير الذي غصت به الأسواق حول جنازته بقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وبفقدنا لهذا الشيخ حصل فراغ لن يملأ بمثله إلا أن يشاء الله، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يرحم تلك الروح الطيّبة، ويجبر مصيبة المسلمين، وأن يصلح عقب الفقيد، ويجعل فيهم الخلف الصالح، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولقد ذهلت لهول المصيبة، واضطرب مني الفكر فلم أقل إلا هذه الأبيات[1] التي لا تفي بالغرض المقصود في رثاء فقيد الأمة والإسلام، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

(١) هذه هي الكلمة النثرية الرائعة، والأبيات وضعتها في قسم القصائد الشعرية.

الكليات والمعاهد ثمرة من جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

بقلم معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ حفظه الله ـ
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

يفتقد الرجال ويتألم الناس لفقدهم بقدر ما قدّموه من خدمات وأعمال لأمتهم ومجتمعهم، وتخلد أسماؤهم في التاريخ وإن ماتوا بقدر تضحياتهم في سبيل مبادئهم ومثلهم في الحياة ـ إذا كانت عالية ـ ويقوِّم التاريخ الرجل ويحكم له أو عليه بقدر ما يؤثر في بيئته وينتج في بني قومه.

ولم يعهد أن الناس تألموا لفقد إنسان جهد في حياته لنفع نفسه فقط ـ ماديّاً أو معنويّاً ـ، ولم يكونوا طوال الأزمان يعيشون مع أناس كانت أعمالهم لأنفسهم فقط، بل كانوا يعيشون مع أناس ماتوا منذ قرون طويلة ـ ولا يزالون يعيشون معهم في أفكارهم، وفي تراثهم، وفي جهادهم ودعواتهم، ذلك أنهم أنتجوا للأمة وللمجتمع، وهدفوا للنفع العام، فاستفاد منهم اللاحقُ كما حيا بسببهم السابقُ ـ لذلك لم يختفِ لهم اسم وخلدوا عبر القرون.

الناس صفنان: موتى في حياتهم وآخرون ببطن الأرض أحياء

إنهم أصحاب الدعوات الإصلاحية، وورثة الأنبياء، والمجاهدون في سبيل الله، الحريصون على نفع مجتمعهم ـ والإنسانية أجمع ـ.

وهذا هو مدلول إسلامنا ونظرته للحياة، وإنها لفترة انتقال لحياة

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٣١.

ثابتة مستقرة، يعامل المرء فيها حسب اتجاهه في الحياة الأولى، وإن المسلم فيها مسؤول عن مجتمعه ومن يحيط به، وإنه لبنة مترابطة مع لبنات المجتمع، لا يجوز أن ينفرد عنه لمصلحة خاصة أو هدف مادي قريب: **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»**.

ونحن حينما نتحدث بمناسبة فقد ركن من أركان مجتمعنا ـ عليه رحمة الله ـ، ذلكم هو الشيخ محمد بن إبراهيم الذي قضى حياته مجاهداً لخدمة أمته. نحن حينما نتحدث بهذه المناسبة فلا نعني أن موته حدث غريب ـ فالموت نهاية كلّ حي، ولقد ذهب بأجله، والآجال بيد الله إذا جاءت لا تتقدم ولا تتأخر ـ وواجبنا الدعاء له والترحم عليه.

وإنما المهم أن تكون المناسبة مذكرة للنفوس، وموقظة للغافلين، ومجالاً للحديث عن دور العلماء والصالحين في مجتمعاتهم، وعظم فقدهم عند شغور أماكنهم، واضطرار الناس لهم كاضطرارهم للأكل والشرب، ولقد عنيت حكومتنا ـ والحمد لله ـ بهذا الجانب واهتمت به، فشجعت العلم والعلماء، وتعاون معها علماؤها للصالح العام، وقامت في مختلف أدوارها تحمل العلم والإصلاح امتداداً للدعوة الأولى التي نادى بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأيدتها أسرة آل سعود وحملتها للناس بالدعوة ثم بالجهاد، حتى اجتمع الناس على الحق، نسأل الله للدعوة ورجالها التقدم والإنتاج في وقت أصبح المسلمون في مختلف أقطارهم يتلفتون لمن يجمعهم على الهدى.

نعود للكلام عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ودوره في هذه البلاد، لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ قلعة يهابها كلّ مبطل، ولقد أخذت بيده هذه الحكومة وفقها الله، وأعطته ما يريد لينهض بهذه البلاد ويهتم بأمورها الدينية والإصلاحية، وما أكثر المجالات التي أشرف عليها ووجهها وقامت في عهده في القضاء، والإفتاء، ورابطة العالم الإسلامي، والجامعة الإسلامية، والمؤتمرات التي لا تحصى انعقدت برئاسته وإشرافه.

وسأتحدّث بإيجاز عن مؤسسة كبرى ومرفق عام أشرف عليها ورأسها منذ أن كانت وليدة، ورعاها حتى قامت على قدميها وبرهنت للجميع جدارتها وجدواها، تلكم هي مؤسسة الكليات والمعاهد، والحديث عن هذه المؤسسة ليس غريباً على الكثير بما قامت به من أعمال وما أنتجته من رجال ساهموا في بناء هذا المجتمع في مختلف المجالات، وثبتت بدون شك جدارتهم وإخلاصهم فيما يقومون به من أعمال.

ولقد كانت البذرة الأولى في هذه المؤسسة في سنة (١٣٧٠هـ) حينما أمر جلالة الملك الأول عبد العزيز غفر الله له بفتح معهد الرياض العلمي تحت رئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، ثم في عام (١٣٧٣هـ) معهد عنيزة وبريدة، وفي عام (١٣٧٤هـ) فتحت معاهد كل من شقراء، والمجمعة، والأحساء، وسامطة، وإمام الدعوة، وفي عام (١٣٨١هـ) تمَّ فتح معاهد في كل من المدينة، وحائل، وأبها. وفي عام (١٣٨٣هـ) افتتح معهد الزلفي، ومكة، والحوطة، وبالجرشى. وفي عام (١٣٨٤هـ) تم فتح معاهد في كل من جدة، والدمام، وتبوك، والدلم، والأفلاج. وفي عام (١٣٨٥هـ) افتتح معهد الطائف، والرس، وجيزان، وعرعر، والحفر، ووادي الدواسر، ونجران. وفي عام (١٣٨٦هـ) افتتح معهد بيشه، والبكيرية، والجوف، والباحة. وفي عام (١٣٨٧هـ) فتح معهد حوطة سدير، والقويعية، والبدائع وحريملاء، ومعهد رأس الخيمة في الخليج العربي.

وحينما بدأت المعاهد تؤتي ثمارها أدرك المسؤولون ضرورة تأسيس أقسام عالية لتفتح أبوابها لخريجي المعاهد، فافتتحت كلية الشريعة عام (١٣٧٣هـ)، وكلية اللغة العربية عام (١٣٧٤هـ)، واشتدت الحاجة لفتح قسم للتخصص في القضاء، فتمَّ فتح المعهد العالي للقضاء عام (١٣٨٥هـ)، وخرّج أول دفعة منه في العام الماضي ـ ممن تحصل على درجة الماجستير ـ ومنذ عام (١٣٧٦هـ) والكليات تخرج أفواجاً كبيرة

من الشباب السعودي الواعي لدينه ولغته وتراث أمته الذي لن تقوم للأمة في هذا الوقت وفي أي وقت قائمة إلا بإحيائه والسير على نهجه، والتميز الفكري عن سائر الأمم بفكر الإسلام المتميز وشخصيته المستقلة.

وبلادنا كانت أحوج ما تكون إلى الشاب الجامعي الواعي ليسد النقص، وتعتمد على أبنائها، فتلقفت جميع الوزارات والمصالح الحكومية وبالذات المجالات التعليمية والتوجيهية أبناء هذه المؤسسة، واستفادت من طاقتهم وأعادوا للجميع ثقتهم بأبناء بلادهم، وكان هذا من الأسباب الدافعة للحكومة ـ وفقها الله ـ في زيادة المعاهد وتوسيع جهاز هذه المؤسسة وإمدادها بمتطلباتها وتأييدها التام في كل ما تريد.

وإذا كانت الدول الاشتراكية والمسيحية في مختلف العالم تحرص على طبع شبابها ومؤسساتها التعليمية بالذات بطابعها الفكري والديني، فليس غريباً أن تحتضن الحكومة هذه الرئاسة وتكل رئاستها وإشرافها لأكبر منصب ديني في الدولة. فطابعها وأساسها الإسلام عقيدة وشريعة وما يخدمه من لغات وآداب وفروع مختلفة.

ولقد كانت هذه المؤسسة بفروعها تنال الرعاية التامة والشاملة من قبل سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله، ولم يغفل عنها قط في يوم من الأيام، فطلابها ومدرسوها والمسؤولون فيها على صلة دائمة به للاطمئنان والتوجيه والإعانة، فكان أباً للجميع، وكان حريصاً على انتقاء الأشخاص الغيورين ليعملوا فيها.

ولقد ناب عنه في رئاستها بعد أن توسع جهازها فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله الذي هو الآخر قضى فترة وجوده عاملاً مخلصاً مهتماً بكلِّ ما يجري فيها من أمور، وبعد وفاته أسندت رئاستها إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم، وقفزت في عهده قفزات مباركة، ولا يزال المخلصون لها ينتظرون منه مزيداً من

الإصلاح والتقدم، وهو المعروف بغيرته وحرصه على أن تتجه هذه المؤسسة الوجهة السليمة التي من أجلها أسست لكي تتابع خدماتها وإنتاجاتها للمجتمع العام، نسأل الله أن يتم على يديه كل خير، وأن يعينه في مهماته.

ولم أرد في حديثي الاستعداد والتكلم عن هذه المؤسسة ومجالاتها المختلفة، ولكن أردت الإشارة فقط إلى أثر من آثار سماحة المفتي يرحمه الله ـ وجانب من جوانب أعماله الجليلة ـ غفر الله له ورحمه وبارك في خلفه، ووفق الله المسلمين وعلماءهم إلى الاهتداء بهدي الإسلام واتباع رسوله ﷺ، إنه على ذلك قدير، والحمد لله رب العالمين.

مصيبة كبرى[1]

بقلم: فضيلة الشيخ العلّامة المحدّث
إسماعيل الأنصاري ـ رحمه الله ـ

أصيب الإسلام بوفاة فريد هذا العصر ووحيده، مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فعظم الأسف لذلك وحزنت القلوب وبكت العيون.

وإنني في هذه الكلمة لا ألتزم إيفاء تاريخ حياته حقه، لأن سيرته وفضائله أعظم من أن يبينها قلمي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى في شهرة الشيخ ما يغنيني عن الإسهاب والإطناب في ترجمته، إنما أقتطف من ذلك ما يأتي:

١ ـ نشأ الشيخ محمد بن إبراهيم في بيت أصيل عريق في الشرف والعلم والتقوى والصلاح، وبذل النفس والنفيس في إعلاء كلمة الله ﷻ ورفع شأنها وإدحاض كلّ ما يثار حولها من شكوك وشبهات.

نشأ في هذا البيت المبارك فلم يرضَ لنفسه سوى الإقتداء بآثار أولئك السلف الكرام، فاجتهد في العلم وواظب على تلقيه عن أهل ذلك البيت وغيرهم من أئمة العلم إلى أن نبغ وبرع ونال المنى.

٢ ـ كان الشيخ شريف النفس، سليم النيّة، طاهر الضمير، واسع الصدر، نقي القلب، نظيف اللسان، لا ينطق إلا بما تدعو إليه الضرورة، صادق اللهجة، وقوراً متواضعاً، عديم التكلف والتصنّع، محافظاً على

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٣١.

وقته لا ينفقه إلا في العمل الصالح، كثير الاحتمال صبوراً على الأذى، رقيق القلب، شديد التحري لا يقبل الشيء ولا يرفضه إلا بعد عرضه على الميزان الصحيح للقبول والرفض، نزيه المجلس، غزير العلم، آية في الذكاء والفهم، قوي الحجة، دقيق البحث، عارفاً بفنون العلم؛ أصولها وفروعها، دقيقها وجليلها، ذا قوة في استحضار النصوص وقت الاستدلال، عارفاً باختلاف العلماء، غواصاً على المعاني الدقيقة، منزلاً للحوادث على القواعد والنواظر تنزيلاً عجيباً مترفعاً عن مستوى التقليد المطلق، يستخرج الأحكام من الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح، صادعاً بالحق، ذا مراقبة لربه ﷻ وخوف منه، مجتهداً في سبيل الخير إلى أن لقي ربه ﷻ.

٣ ـ تولى الشيخ محمد التدريس، والإفتاء، والقضاء، والدعوة إلى الله ﷻ، وغير ذلك من المناصب الرفيعة، فباشرها مباشرة حسنة، وكان فيها كلها مثالاً للعلم الصحيح، والهمة السامية، والجدّ الفائق، والحزم الصادق، والإخلاص الكامل.

وكانت آثاره حميدة، فقد تخرج من مدرسته ونبغ منها أفاضل العلماء، وكان مرجعاً لحلِّ معضل القضايا، موفقاً في ذلك معتمداً عليه في جميع الأقطار، ترد إليه الاستفتاءات من مختلف الجهات فيجيب عنها بأجوبة رائعة نافعة مقرونة بأدلتها من نصوص الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح، فيها معالجة أكثر المشاكل العصرية بطرق مقنعة، لو جمعت تلك الفتاوى لصارت مجلدات. وطبعت له رسائل في مختلف المناسبات ذات أهمية تدل على سعة العلم وعمق النظر.

٤ ـ توفي الشيخ في اليوم الرابع والعشرين من رمضان عام (١٣٨٩هـ)، فكان لوفاته وقع مؤلم وكانت جنازته حافلة شهدتها الخاصة والعامة، وأتبعوها الثناء الحسن، واعتبروا المصاب مصاب الإسلام وجميع المسلمين.

نسأل الله أن يرفع درجته في عليين، وأن ينزله منازل الأبرار المتقين، وأن لا يزال ذكر الشيخ وسيرته أسوة حسنة إلى يوم الدِّين، وأن يجعل الشيخين: عبد العزيز وإبراهيم وإخوانهما خير خلف لخير سلف، وما ذلك على الله بعزيز.

رجل فقدناه[1]
رجُل عِلمٍ وعمَل

للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ

إن مصاب الأمة بفقد العالم من علمائها مصاب جلل، وذلك لما يحدث من تلك الثلمة المخيفة في طريق المسلمين. ولقد هزتنا وفاة العالم العامل الشيخ محمد بن إبراهيم هزة زاد من ألمها تأخر وصول النبأ، مما جعلنا نقصّر في أداء شيء من حق الرجل، وإن كنا قد لا نبلغ بعض ما له من حق.

ولقد كان حسناً ما قام به لفيف من العلماء والكتّاب ـ شكر الله لهم وأجزل مثوبتهم ـ فيما نشروا من مقالات وكلمات في العدد الخاص من جريدة «الدعوة» تناولت الكثير مما يجب تناوله من حياة الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ، ونحن إذ نقدم لقرائنا مقالاً منها للأخ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رمز وفاء للعلم وأهله، نسأل المولى عَزَّ وَجَلَّ أن يعوض المسلمين بالشيخ الأجل خير العوض، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة أسرة التحرير بمجلة حضارة الإسلام

رحم الله فقيد الإسلام والمسلمين ـ محمد بن إبراهيم ـ فقد كان رجل علم وعمل.

لقد اجتمع له ما تفرق في كثير من الناس، والتقى في شخصه ما لو وزع على قبيل من الرجال لجعل كلّاً منهم رجلاً.

أُلقيت على كاهله أعباء جسام تنوء بها العصبة من أولي القوة، فنهض بها بحزم المؤمن، وصبر المجاهد، وروية الحكيم.

---

(١) مجلة حضارة الإسلام (٨ ص٦٨).

بذل للمهام التي أنيطت به نفسه، فدانت له، ومنحها وعيه، فجرت على عينه، وأولاها نصحه، فسارت رشيدة سديدة لا تنحرف ولا تنجرف ولا تنحاز.

حكّم في أعماله شرع الله، فكان له في ذلك عاصم من الخطأ، واسترشد في سيرته بنهج الصدر الأول فاستقامت له وبه الأمور، واستشعر مسؤوليته أمام الله فذاد عن شرعه أكرم الذود، ونافح عن دينه أصدق المنافحة. أيقن أن العلم هو الوسيلة القويمة لتربية الأجيال، وإعداد الرجال، فعلم بنفسه من صدر شبابه إلى حين وفاته، وعلم بغيره، فعمل على افتتاح المعاهد والكليات ورعى شؤون تعليم البنات، واستقدم لذلك الأكفاء الثقات، فأفاض على أبناء أمته الخير والبر والنور، فما من امرئ ذي ثقافة في هذا البلد إلا وهو شيخه، أو شيخ شيخه، أو حسنة من حسناته، أو وصل إليه أثر من آثاره بطريق أو بآخر. أدرك بفطنته أن العدل روح المجتمعات وأساس الملك فأولى شؤون القضاء عيناً ساهرة لا تغفل، وقلباً يقظاً لا يهمل، وعقلاً نيّراً لا يخدع حتى اطمأن الناس إلى حقوقهم واستراحوا إلى عدل قضائهم، لقد استطاع الفقيد العظيم أن يكون رجل علم وعمل لما كان يتمتع به من جليل الصفات وما يتحلى به من كريم الشمائل، ولعلّ من أعظم مزاياه أنه لم يكن ـ أذناً ـ فقد كانت تلتقي عنده الشكايات وتكثر في ساحته السعايات، فكان يتبين ويتثبت، ويتحرى، ويتريث حتى لا يصيب أحداً بجهالة، وهذه فريدة من فرائد الرجال. وكان لا ينتقم لنفسه، ورموه بما ليس فيه فربما غضب، وربما تأثر، ولكنه ما خطر له مرة أن يثأر لذاته أو ينتقم لنفسه، وإنما كان يدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينه وبينه عداوة كأنه ولي حميم.

وكان يعرف للناس أقدارهم وينزلهم في منازلهم، فلا يرفع من لا يستأهل أن يرفع مهما كانت الملابسات، ولا يضع من لا يستحق أن يوضع مهما كانت المؤثرات، فأدرك بذلك كلّ الحكمة، ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وقد كان متواضعاً جمّ التواضع، لم يزهه منصب، ولم تفتنه دنيا، ولم يغيره سلطان، وتلك أكبر مزايا الرجال.

هذه بعض الشمائل التي جعلت من الفقيد العظيم ـ محمد بن إبراهيم ـ رجل علم وعمل، ويسرت له أن ينهض بما نهض به من جليل الأعباء.

أجزل الله مثوبة الفقيد العظيم وأكرم مثواه كفاء ما قدم بين يدي ربه وأمته وألهم أسرته الكريمة الصبر وعوضها الأجر.

القسم الثالث

القصائد الشعرية في رثاء الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم رحمه الله

مصاب أليم

شعر ابنه معالي الشيخ:
إبراهيم بن محمد آل الشيخ ـ رحمه الله ـ

الشعر فيض الشعور، والتعبير الصادق عما يختلج في النفس من مشاعر، ولقد كان لوفاة فقيد الإسلام كبير الأثر في نفس فضيلة الشيخ إبراهيم نجل المرحوم، فجادت قريحته بهذه الأبيات التي يُعبِّر بها عن المصاب الأليم الذي حلّ بالمسلمين..

مصاب كبير وجرح أليم ... ورزء عظيم وخطب جسيم
يموت الحبيب ويبقى الأسى ... ويودي العزيز وتندى الكلوم
بموتك ـ يا أبتي ـ أقفرت ... ربوع المعالي ودور العلوم
بكتك الديار وسكانها ... بكاء المحب ونوح الحميم
بكتك المعاهد أَوْلَيتَهَا ... عظيم الرعاية كي تستقيم
فأضحت مناراً ينير الطريق ... ويمحو الظلام ويجلو الغيوم
بكتك المحافل تَوَّجتها ... بشرح الحديث وآي الحكيم
بكاك القضاء وأربابه ... حماة الشريعة أهل الفهوم
بكتك الحنيفة حرزاً لها ... تصون حماها وتنفي السموم
لقد عرفوك بما قدّمت ... يداك من حنان كريم
لقد عرفوك تقيّاً نقيّاً ... تحل العويص وتمحو الغموم
لقد عرفوك شجاعاً صبوراً ... سلاحك تقوى الإله العليم
عفيفاً وقوراً ذكياً كريماً ... تحب الفقير وتؤوي اليتيم
بلغت من الفضل أوج العلا ... علوتَ السِّماك وجُزتَ النجوم

تعالج بالعلم أدواءهم ... وترشدهم للطريق السليم
عليك من الله رحماته ... وأسكنك الخلد دار النعيم
ألا أيها القلب صبراً على ... عظيم المصيبة فهو أليم
ويا أيها النفس إن المصاب ... بأمر الإلٰه فماذا الوجوم
فما عند مولاي أبقى له ... وخيرٌ، وربي غفور رحيم
وموت الرسول به سلوة ... وفيه عزا للمصاب عظيم
وهذا قضاء رضينا به ... من الله وهو العزيز الحكيم
وليس بباق سوى ربنا ... ولا أحدٌ غير ربي يدوم
ألا إن تقوى الإلٰه العزيز ... نجاة وأمن وفوز كريم
ومن يتق الله يجعل له ... فكاكاً ويرزقه وهو الكريم
ففكر لنفسك واعمل لها ... صلاحاً لتنجو يوم القدوم
وذكر الإلٰه ربيع القلوب ... يزيل الغموم ويجلو الهموم
وذكر الإلٰه حياة النفوس ... وخير أنيس وخير نديم
فداوم عليه ولا تنسه ... فخير لنفسك ذكر يدوم
صلاة الإلٰه وتسليمه ... على المصطفى من كريم الأروم
وآل وصحب وأتباعه ... على الدِّين والخلق المستقيم

الدعوة ١٣/١٠/١٣٨٩هـ

العدد ١٣١، ص٦

ما ماتت النفس النفيسة وحدها

شعر صاحب الفضيلة الشيخ العلّامة:
إسماعيل بن سعد بن عتيق

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وبعد:

ففي ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان في سنة تسع وثمانين وثلاثمئة وألف حشرجت الصدور، وأسبلت المحاجر دمعها المحجور، بنعي مفتي البلاد ورئيس علمائها العلّامة الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فأثار هذا الحادث الجلل مرارة الحزن وعظيم الأسى، فقلت هذه الأبيات رثاءً لفقيدنا المرحوم، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، وأنا الفقير إلى الله الراجي عفوه وثوابه إسماعيل بن سعد بن عتيق:

الصبر أجمل والرضا لك أفضل ... فالكلّ يفنى عاجل ومؤجّل
ما لابن آدم غير ما كتبت له ... أيدي القضاء حقيقة لا تجهل
العين تبكي والفؤاد هوى به ... نحو الكآبة رزء دهر أخطل
موت الإمام سليل مجد شامخ ... صرح المكارم حبر جيل أول
حمدت مساعي جهده وجهاده ... علم يلوذ به الكئيب الأعزل
ما ماتت النفس النفيسة وحدها ... في جثة المفقود حين تسربل
بل قد تعدد خطبها وكأنها ... روح الملا متسربل ومجندل
طابت نفوس أحبتي وأخلّتي ... أن يجعلوه بشق أرض ينزل
لكنه في روضة ورياضها ... فوق التصور لا يرى المتأمّل
أرجو له لا بالتقوّل خائضاً ... في عالم الغيب الرهيب مُحمِّلُ
لكن عنوان السعادة لائح ... فوق الجبين يجيب لما يسأل

خمسون عاماً قد تحمّل عبئها ... بعد المجاهد عمه لا يغفل
طَوراً يدرّس في الحديث وفقهه ... وعلى العقيدة حادب مستبسل
بحر تلاطم موجه وتدفقت ... خلجانه عبر الجزيرة تعمل
ومن العجائب أن ترى سنن القضا ... موت الأئمة في عقود تكمل
في تسع عشرة عمّ والد شيخنا ... إسحاق[1] ذاك العالم المتكامل
من بعده عشر السنين لوالد[2] الـ ... ـمرحوم إبراهيم حقاً يحصل
ثم المبجّل شيخ نجد عمّه ... عبد الإلٰه[3] عظيم بيت ينسل
من بعدهم شيخ السعود وسعده[4] ... ابنا عتيق[5] محدّث ومؤول
ثم انتهت خمسون عاماً جملة ... عبد العزيز ختامها والمجمل
وسلونا في عقدين لم يظفر بنا ... ملك المنون وجاءنا يتجوّل
يبغي حصيلة عصرنا صدر العلا ... مفتي الديار هو الوحيد الأمثل
لسنا من القوم الغواية دأبهم ... شق الجيوب ولطم خدٍّ يسبل
لكننا نرضى ونُسْلِمُ أمرنا ... لله ربي ما يشاء سيفعل
ثم الترحم للفقيد مع الدعا ... سنن عليها حافيٌ ومُنعّلُ
ولنا العزاء بنائب هو نجله ... في مجلس الإفتاء لا يتعجّل
وكذا الشقيق كبيره صلب القوى ... ماضي العزيمة عامل متمثل
صلّى الإلٰه على النبيِّ محمد ... ما لاح برق أو توارى هيكل

الدعوة في ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٦

(١) مات عمّه الشيخ إسحاق عام (١٣١٩هـ).
(٢) توفي والده إبراهيم عام (١٣٢٩هـ).
(٣) توفي عمّه الشيخ عبد الله عام (١٣٣٩هـ).
(٤) توفي الشيخ سعد بن عتيق عام (١٣٤٩هـ).
(٥) توفي الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق عام (١٣٥٩هـ).

عَـــزَاء

رثاء الأستاذ/ابو سامي

مرّ بي يعصر جفنيه الأسى ... لاهث الأنفاس من لوعته
قلت: ماذا جدّ؟ هل أمر أسا ... والى الطاوي على علّته؟
قال: مات الشيخ وار بدا لما ... .
..... [1] ... في عيوني من صدى قولته
رحم الله رحيماً ما قسا ... منذ أن كان على أمته

* * *

وتَلفَّتُ أرى ماذا جرى؟ ... فإذا الدنيا جموع تهرع
نال منهم عاصف دكّ الذرى ... فغدا الناس عيوناً تدمع
أسلموه بعد حين للثرى ... حكمة الله التي لا تدفع

* * *

مات، لكن بعد عمر مخصب ... ذاد فيه عن حمى الشرع وذب
عاش للعلم أباً أي أب ... كم على طلابه يوماً حدب
كم سقاهم من لذيذ المشرب ... ولكم بوأهم أعلى الرتب
حقبة مرّت كأزهى الحقب ... أينع العرفان فيها واستتب

* * *

جفّ نبع العلم والخلق الكريم ... وانطوى من ساحة الحكم علم
قبس إن ما دجا الليل البهيم ... وإذا ما اختصم القوم حكم

---

(١) كذا في الأصل.

هو من دنيا المعالي في الصميم فعزاء للمعالي والشمم
ولدنيا العلم في البر الرحيم فلقد كان لها الحصن الأشم

الدعوة في ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٧

حادثٌ جلَل

شعر معالي الشيخ:
راشد بن صالح بن خنين ـ حفظه الله ورعاه ـ

أشمس الكون قد منيت بخسف ... أم البدر المنير علاه غيم
أم الشيخ الجليل قضى لنحب ... فغُيِّبَ في الثرى علم وحلم
وليس فراقنا للشيخ سهلاً ... ولكنَّ الفنا للخلق حتم
فموت الشيخ نقصان ورزء ... يحلُّ بنا وللإسلام ثلم
هو السدّ المنيع بلا مراء ... شديد الحزم دون الشر ردم
سديد الرأي مقدام رزين ... عميد الدِّين والطود الأشم
يناضل في سبيل الله دوماً ... وليس يصدّه عن ذاك لوم
قضى العمر المبارك في دروس ... وحل للمشاكل إذ تهم
هو الشيخ المعلم والمربي ... عزيز النفس صمصام وشهم
يناقش للمسائل في هدوء ... ويحلم إذ يُسيء القولَ خصم
هو المفتي الموفق لا يجارى ... يصير بأنه بحر خِضَمُّ
تلقاك الرحيم بفيض عفو ... وجنّات بها النعمى تتم

الدعوة في ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٤

فقيد الإسلام

شعر صاحب الفضيلة الشيخ العلّامة:
صالح بن عبد الرحمن الأطرم ـ شفاه الله وعافاه ـ

لقد كانت وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ مأساة على العالم الإسلامي لا على الجزيرة فحسب، فتحركت نفسي لهذه المأساة، فحاولت شيئاً من النظم في رثائه، وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ فوق رثاء الجميع نظماً كان أو نثراً، فخاطبت عيني بهذه الأبيات:

أعينيَّ جُودا بالدموع السواكب ... على ما دهانا من عظيم المصائب
بآخر شهر الصوم قد حلّ بالورى ... رزية فقد الحَبر جم المناقب
أفيضي دماً قد أظلم الجو بعدما ... هوى لغيوبٍ بدرُه بالمحاجب
فنور سناه للمشارق بالغ ... وفي كل قطر مشرق والمغارب
فما مرّ يوم مثل يوم رحيله ... بعصر حياتي والزمان المقارب
فلا لك من عذر وغيرك ناحب ... على موت شيخ بالمحافل صائب
فيا ليته بالنفس يفدى وكلٌّ ما ... ملكناه من نقد وكلّ المكاسب
ليبقى أمام المشكلات يحلها ... ويبقى أمام الظلم من كلٍّ غاصب
وتبقى مناصاً للضعيف حياته ... فيسموا إلى أسمى العلا والمراتب
ويوضح نهجاً للشريعة والهدى ... ويحمي حمى الإسلام من كلّ جانب
فلا طمعاً للمغرضين لديننا ... وملتمس التشبيه قصد المثالب
فعاش شجا في حلق مبغض أحمد ... ورائم جور ذي ضلال مغالب
فقيد الورى قد كان وارث أحمد ... ألَمَّ بشرع المصطفى والمذاهب
فَسَلْ حلق التدريس في مسجد له ... وما شاده من معهد في السحائب

وما قد رعى من جامعات حوت بها ... صفي علومٍ ما بها من شوائب
فقرر كتباً في العقائد تدرس ... عقائد آل والصحاب الأطايب
وأخرى بفقه وأصول ومنطقٍ ... لسان قريش واجتماع مناسب
ودور الفتاوى والرئاسات للقضا ... إذا ما يلجُّ الخصم أيّ المشارب
يجد شربه عذباً فيروي غليله ... بدون لغوب أو محام مطالب
سوى جهبذ بالحلم والعلم يوصف ... وذي حكمة بالنازلات النوائب
لخمسين عاماً للمناصب شاغلاً ... شفيقاً على أهل له والأجانب
فهذي سجيات بمفتي الجزيرة ... أتته من المنّان رب المواهب
حفيد رجالٍ ناصرين لديننا ... ذوي سيرة محمودة في العواقب
سما لهم ذكر إلى أنجم السما ... ثريا ومريخ وفوق الكواكب
لنصرة أبناء السعود أولي النهى ... حماة دعاة الحقّ ناءٍ وقارب
ولا شك أن الموت حتم على الورى ... وكلّ امرئ لله آتٍ وآيب
ولكن خيار القوم من مات يذكر ... بأشرف ذكر ما له من محارب
على المصطفى صلّى الإلٰه وسلما ... وداعٍ إلى الله العزيز وتائب

طمى بالورى فدح

شعر الشيخ العلّامة الأديب:
صالح بن سليمان بن سحمان ـ حفظه الله ـ

طمى بالورى فدح ملا البر والبحرا ... بموت عظيم القدر من سكن القبرا
فقيد الورى بدر الدجى منبع الهدى ... كريم السجايا من سما وعلا البدرا
شقيق الندى عين الوجود جميعه ... عليم حليم ألمعِيٌّ سما فخرا
غدا قدوة للعالمين بعلمه ... ونال منالاً كاد ينتعل الشعرا
فلله من حَبْرٍ سما بفعاله ... ولله من حلم ثوى في الثرى مترا
برابع عشرينٍ توفَّاه ربُّه ... بشهر عظيم القدر أكرم به شهرا
فيا معشر الإخوان صبراً فإنما ... مصيبة خير العالمين هي الكبرى
وما هذه الدنيا بدار إقامة ... سنرحل عنها أجمعون إلى الأخرى
فنسأل مولانا الثبات على الهدى ... وأن يتوفانا على الملة الغَرّا
ويا علماء المسلمين فأخلصوا ... سريرتكم عند الذي يعلم السرّا
وكونوا جميعاً إخوة وتعاضدوا ... على الدِّين والتقوى ولا تؤثروا الضرّا
وهذا المليك الفيصل الشهم سيفكم ... وناصركم سراً وناصركم جهراً
فمدُّوا يداً من خالص القلب دعوة ... بأن يبقى للإسلام ينصره نصرا
ويكبت أعداء الشريعة والهدى ... ويحفظه من كيد من رامه شرّا
ويصلح إخواناً له وبطانة ... لديه وأنجالاً وعمَّاً بنا برّا
وأختم نظمي بالصلاة مسلِّماً ... على المصطفى الهادي النذير أبي الزهرا
وأصحابه والآل ما قال منشد ... طمى بالورى فدح ملا البر والبحرا

الدعوة في ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٦

رَجُلٌ فقدناه

شعر الأستاذ الأديب:
ضياء الدين الصابوني - حفظه الله - «شاعر طيبة»

خَطْبٌ ألمَّ بنا والهول محتدم ... لله كم هاج فينا خطبك العرم
هذي-الرياض-بكت فقدان عالمها ... مفتي الديار الجليل الطاهر العلم
بكت به عالماً فذّاً أخا ورعٍ ... يزينه اثنان: حسن الخلق والشيم
واحسرتاه هوى من أُفْقِهَا علم ... وقد تناثر عقد فيه منتظم
جزاك ربك فيما كنت تبذله ... في رفعة الدِّين فاهنأ أيها العلم
حققت للدِّين والإسلام عزته ... حتى زهت مكة بل هلّل الحرم
بكتك رابطة الإسلام من حرق ... وشاركتها جراح ليس تلتئم
لقد تركت فراغاً ليس يشغله ... سواك أو مخلص في الدِّين معتصم
سُدُّوا المكان الذي قد كان يملؤه ... أو فاتركوه، وإلا مثله عدم
وجهتها لطريق الخير فاتجهت ... لك القلوب وحامت حولك الأمم
بعثت منها قلوباً من مكامنها ... فدبّت الروح وانجابت بك الظلم
لما دعوت إلى الإسلام تدفعنا ... فما ونينا ولم تقعد بنا الهمم
أرى الحجاز قريح العين ذا ألم ... دامي الفؤاد ونجداً ضامها الألم
تُمسي على مضض والحزن يغلبها ... في كلِّ وجه عليه الحزن مرتسم
أن يجمع البأس والإيمان في رجل ... فلا يبالي بموج الهول يقتحم
في كلِّ قلب حب ثائر ينتحب ... وكل بيت رنين الحزن ينسجم
تركتها وهي حسرى النفس قائلة: ... أين المنابر والتشريع والقلم؟
ها نحن نبكيك من نفس ملذعة ... يبكي العفاف ويبكي العلم والكرم

إذا دعوت إلى الإسلام في بلد ... وجدت حرباً وثارت حولك التُّهَم
أمسى غريباً فيا طوبى لمغترب ... لم يثنه في سبيل الله منتقم
إن غبت عنا فذكراكم تخاطرنا ... فلا تفارقنا الذكرى ولا الحِكَم
ومن يكن عاملاً للدِّين، منهجه ... هدي الرسول، فلا هَمٌّ ولا سقم
نَمْ هانئَ البال مرتاح الضمير فقد ... حظيت بالخلد والغفران لا جرم
الشِّعْرُ عاطفة تنساب دافقة ... يزيدها الوجد إلهاباً فتضطرم

الدعوة في ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٦

بكته عيون العلم بالشفع والوتر

شعر العالم الفاضل المسند الرحالة الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الملّا الحنفي الأحسائي[1] ـ رحمه الله ـ

إلَى الله مَا نَشكُوهُ من نَكبَةِ الدَّهْرِ ... ومِنْ فَجْعَةٍ هَزَّتْ قُلوبَ ذَويْ الْقَدرِ

وَهـٰذيْ صُرُوف الدهرِ فينا قديمةٌ ... كفانا الذي كنَّا نلاقي من الدَّهْرِ

رُزئنا بِفَقْدِ الشيخ أعني مُحَمداً ... وَذَا نجل إبراهيم ذُو الْمَجْدِ وَالفخْرِ

رُزئنا بِفَقْدِ العالم العامل الذيْ ... بِهِ يَقتدي من وَفَّقَ الله للخيرِ

رُزئنا بِفَقْدِ الحَبْرِ ذي الحلم والتقى ... وَبَحر علوم الدِّين حَدث عَن البَحْرِ

نَعم إِنَّه بَحْرٌ من العلم زاخِرٌ ... وَما كانَ يُملِيْهِ من اللفظ كالدُّرِّ

إمام هُمامٌ قدوَة لمن اهْتدى ... حَلِيْفٌ لتقوى الله في السر وَالجهرِ

فَضَائِلهُ يَروي لها كلُّ صادرٍ ... وَمَجلِسُهُ في كل حفلٍ مِن الصَّدرِ

---

(١) قال عنه أخونا المفضال الفقيه الجليل الشيخ محمد بن إسماعيل ـ حفظه الله ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملّا: هو العلّامة المحقق، وجده صاحب المؤلفات المتوفى بمكّة ـ شرَّفها الله ـ عام (١٢٧٠هـ)، درس الشيخ على أسرته وفي مكة المكرمة وحصل وتمكن في الحديث وعلومه، وهو صديق حميم لفضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش فهما شقيقان لم تنجبهما أم واحدة، مع زهد وورع في الرجل، وقد وصل منزلة الاجتهاد ـ رحمه الله ـ. هذا وقد وصلتني هذه القصيدة العصماء عن طريق الأستاذ الفاضل عبد العزيز بن أحمد آل عصفور العُقيلي ممن لهم عناية فائقة في جمع الكتب وحفظها خاصة المخطوط، وحرصه على دعم الباحثين والمؤلفين بتزويدهم بصور ممّا عنده. جزاه الله خيراً ووفقه لكلّ ما يصبو إليه.

انظر كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، لابن إسماعيل، ص٥١ ـ ٥٣.

وَفَتْوَاهُ فَصْلُ القَولِ من غير مِرْيَةٍ ... وَمَا قالَهُ فَصْلُ الخِطابِ بلا نُكرِ
وَمَا عِلْمُهُ من كتبِهِ يَسْتَمدهُ ... وَلكنَّه حاويه في الصَّدر والفِكرِ
إذَا ما تَصَدَّى لِلعُلومِ مُدَرِّساً ... رَوى عَنْهُ أشياخ تناءوا عن الكبرِ
لـه فِكـرَةٌ وَقَّـادَةٌ وقـريـحَـةٌ ... يَـدِيْـن لـهـا أنْـدادهُ وذوو الأمـرِ
حَسِيْبٌ نَسِيْبٌ عالي الأصْلِ وَالذرى ... وَمَن جَدُّهُ ذَاكَ المجدد والمقرِي
إذَا قالَ قَوْلاً أَحْجَمَ القَوْمُ دُوْنَهُ ... وَناهِيْكَ من قَولٍ يُقَدَّمُ في الذكرِ
سَمى فَضْلُهُ فوقَ السماكينِ واعْتلَا ... وأوصافه في الفضل عاطِرة النشر
رَوى عَنه أهلُ العلم والفضل والحجى ... مُسَلسَلةَ الأخبارِ جَلَّت عَنِ الحَصْر
كما كان يُرْوى عَنْهُ كل فضيلةٍ ... معنعنة تعلو بإسنادِها الحَبري
لَهُ هِمَّةٌ قعساء مقعَدُها السُّهى ... وَمَا كان يُرْضِيها سِوى الأنجم الزهر
حَلِيمٌ تَقِيٌّ ذو وقارٍ وَهَيْبَةٍ ... خَلِيقٌ جَليلُ الْقَدرِ ذو خُلُقٍ فِطري
أيا عالماً فينا فَقَدْناهُ بغتة ... بما ليسَ في الحُسبان من حادِثٍ يجري
أبى الله إلَّا أن يُتِمَّكَ نُورَهُ ... وَعِشْت برغم الحاسِدِيْن على النَّسْرِ
نعزي رِجالَ الْعلم والفضل والتّقى ... وَأبناءَهُ في قصدِهِ وَذوي الأمْرِ
كما أن نعزِي فِيهِ أسْرَتَهُ التيْ ... بها نُورُهُ قد شَعَّ يُشْرق بالبَدرِ
يَعُزُّ عَلينا أن نُعَزي برزئه ... وَلكنَّها الأقْدارُ تجتازُ بالقَسْرِ
وَما قاله يعقوب حَقاً نقوله ... أيا أسفي نَعياً على عالم القطْرِ
فَقدُنَا لِكنز العلم ذي الْحلْم وَالنهى ... وَحَلَّلِ تِلك المشكلاتِ التي تَجري
فَقدْناك يا من عِلمهُ كانَ ذخرنا ... وَيا نجم سارٍ في الدَّياجي إلى الفَجْرِ
فَقَدْناكَ والنَّاعُون جَبر قلوبهم ... عَلى الله مأمول الرَّجَا جابر الْكَسْرِ
وَأيُّ امْرئٍ يُرْجَى لِحَلِّ مَشاكل ... مُحَيَّرةٍ صَمَّاء مشغلة الفِكرِ
حَتى غِبْتَ عنها يا مُذَلِّلَ صَعْبها ... وَحاسِمَها من قبل تَنْمُو وتشتري
جَزَاك إلَهُ العرشِ خَيْر جَزَائِهِ ... إذا فرِحَ الناجُون بالبَعثِ والحشرِ
حَياتُكَ للدِّين الحنيف حِمايَة ... وموتك في الإِسْلام ثُلمة من يدري
حَياتُكَ فينا نِعمَة وَسَعادة ... وَفَقْدُكَ منّا كان محل بني العَصْرِ

إذَا قَحِطَتْ منَّا القلُوبُ ربيعها ... سَحابَةُ وَعظٍ مِنكَ تَنهلُّ كالقَطرِ
فتحيا بها مِنا قلُوبٌ تعطَّشَتْ ... وَتَنتَعشُ الأرواحُ مِنْ وَبلك العطري
نعتك اللَّيالي حَيْثُ أحييتها كما ... نعتك من الأيَّام ما مَرَّ بِالعُمْرِ
عَلَيْكَ دُمُوعُ الثَّاكِلينَ تَسَلْسَلَتْ ... تخط عَلى الخَدين بالدَّمعِ كالسّطرِ
صَبَرْنَا لأمر الله عِنْد قَضَائِهِ ... وَمَا صَبْرُنا إلَّا أمرٌ من الصَّبْرِ
فَلَا تحسبوه أيُّها القوم قد قَضى ... وأنجاله في المكرُماتِ على الإثرِ
فهم كنجوم اللَّيل في أفقها سَرَتْ ... وَفي سِرّهم أسرار أسلَافهم تَسْري
وَللحادث الخطب الملِم تدرعوا ... بحمدٍ وبالصَّبر الجَميل وَبالشكرِ
وَهٰذِي فنُونُ العلم من غرسه نَمَتْ ... وَبَاقاتها كالْجُلَّنارِ من الزَّهْرِ
وَلَمَّا دعا الله لَبَّى نِدَاءَهُ ... وَهذا ندا مُولى النَّدى عالم السِّرِ
فَإن تبكهِ عَيْنُ القَرِيض فقبلها ... بَكته عُيُون العلم بالشفعِ وَالوترِ
عَزاء عَزَاءً آل بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... فموتُ رسُولِ الله يُعلنُ بالأمْرِ
لَنَا في رَسُول الله يَا قومِ أسْوَةٌ ... لمن كان يَرجو الله في العُسْرِ وَاليُسْرِ
وَهذا قريضي حِيرة نعي مشعِرٌ ... بتقصِيرِهِ فيما يُحَبَّرُ من شعر
فَما قَبرُهُ إلّا من الخلد رَوْضَةٌ ... بِه شرفت إذ حلَّها كوكب دُرِّي
أتْعلمُ من آويتَ يا قبرُ إنما ... نَزِيلك حَبْرُ العلم فالْتَهْنَ بالحَبرِ
عَلَيه مِن الله المهيمن رحمةٌ ... وَمغفرةٌ تهمي على ذٰلِكَ القَبْرِ
وَألهمنا من بَعْدِهِ الصَّبْرَ والعزا ... وَأَسْكنهُ الفردَوسَ مَعَ أهلِهِ الغُرِّ
وَتمت لِمَا أمْليهِ مَرثيَّةُ العزاء ... كساها الأسى ثوبَ الحدادِ مع الصَّبر
وَأبياتها خمسٌ وخمسون رُقِّمَتْ ... بِمُنهَلِّ دَمعِ العَين يُمْزجُ بالحِبْرِ
ومن عَابد الرَّحمن مصدرُ سبكها ... مُحَبَّرَةً من بيتِ آل أبي بَكر

جفا جفني المنام

شعر صاحب الفضيلة الشيخ:
عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان بن سحمان ـ حفظه الله ـ

جفا جفني المنام لما دهاه ... من الخطب العظيم وسال ماه
مصيبتنا جميعاً في حجاز ... ونجد والحسا وقرىً سواه
ترَجَّل عالم بحر خضمّ ... عن الدنيا وخلفها وراه
إمام فاضل ما من شبيه ... له في عصرنا أبداً تراه
محمد نجل إبراهيم أعني ... سليل الشيخ محموداً سراه
له في العلم باع في حديث ... وفي التوحيد ثابتة خطاه
وفي فقه وتفسير ونحوٍ ... وفي علم الأصول علت سماه
رئيس معاهد وقضا وإفتا ... يحل المشكلات لمن أتاه
لقد غرقت عيون من دموع ... على فقدان من ألفت لقاه
عزاء في مصيبتنا وصبر ... لما ربّ البرية قد قضاه
ففي موت الرسول لنا عزاء ... وفي الخلفا ومن تبعوا هداه
ولن ننساك ـ والدنا ـ دواماً ... فذكرك في القلوب بها نراه
سقى جَدَثاً يضُمُّك وَبْلُ غيث ... من الغفران مخصبة رباه
فكم أسقيتنا عذباً زلالاً ... من العلم المضيء لنا سناه
جزاك الله بالفردوس عنا ... وأعطاك المثوبة مع رضاه
وصلّى الله ربي كلّ آن ... على خير البرية مصطفاه
وآل والصحاب وتابعيهم ... ومَنْ نَهْجُ الشريعة مقتفاه

الدعوة ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١

الحمد لله على كلِّ حال

شعر صاحب الفضيلة الشيخ:
عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان ـ حفظه الله ـ

فهذه أبيات قليلة أنشأتها قريحتي المزجاة الكليلة، معبرة عما أصابني من الكآبة والحزن العظيم بمصاب فقيد المسلمين شيخنا: محمد بن إبراهيم، أسكنه الله جنات النعيم، وأنا الفقير إلى الله عبد الرحمٰن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان:

لأبناء شيخي والملوك جميعهم ... وأعلام نجد من شيوخٍ أفاضل
بعثت نظامي والتعازي بعبرة ... تفيض دموع العين سحّا كوابل
لفقد إمام حاز في العلم رتبة ... يُقَصِّر عنها كل حاف وناعل
وأعني به شيخ المشايخ كلهم ... رئيس القضاء والفتاوى لسائل
إمام حوى علماً وبثّ علومه ... لطلاب علم في الضحى والأصائل
فللّه كم من مستفيد أفاده ... علوماً جليلات وأبهى مسائل
ولله كم من عَبرة إثر عَبرة ... تعبر عن قلب كثير البلابل
لفقدان حبر عالم ومعلم ... وداعٍ لأهدى منهج للأوائل
لقد صابنا حزن مرير ولوعة ... لفقد إمام العلم بدر المحافل
فيا شيخنا نِلْتَ المزيد ورفعة ... لدى الله في أعلى الجنان الكوامل
ويا إخوتا صبراً جميلاً لفقده ... لتحظوا بأجر من منيل الفواضل
ففي موت خير الرسْل أعني محمداً ... عزاء لنا في فقد جم الفضائل
ولو كان لي في الشعر باع طويلة ... لحبرت أبياتاً لزين الشمائل
تُعبِّر عما في الضمير من الأسى ... وأحزان قلب من فقيد الأماثل

وأختم نظمي بالصلاة على الذي بذكراه تنزاح الهموم القواتل
محمد الهادي لخير شريعة وآل وأصحاب بِعَدِّ الهواطل

نقلت من خط الناظم بتاريخ ١٣٨٩/١٠/٨هـ

ولئن تفطّرت القلوب

شعر ابنه معالي الشيخ الجليل:
عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ـ رحمه الله ـ

في غمرة من الأسى والألم نظمت هذه القصيدة رثاءً في والدي فقيد العلم والوطن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية، أسكنه الله فسيح جناته، وألهمنا بعده الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خطب دهى فبكى له العلماء ... وبكت لهول مصابه العقلاء
مات الإمام بعلمه فديارُه ... قَفْر إذا عُدّ الرجال خلاء
قد عاش فينا مصلحاً ومجاهداً ... يرعى الشريعة، للذمام وفاء
واستقبلته يد السماء بفرحة ... والناس في الدنيا له شهداء

* * *

إيهٍ فقيد العلم كم لك من يدٍ ... مشكورة، فأَكُفّك البيضاء
كم كنت في الإسلام طوداً شامخاً ... تدعو وقولك حجة وضياء
كم كنت في ليلِ الدجنة مِشْعَلاً ... قد أشرقت بضيائه الأرجاء
في الله في الإسلام كنت مناضلاً ... تنفي الردى وتسوءُك الفحشاء

* * *

قد كنت للعلماء شيخاً رائداً ... ترعاهمُ بالبر وهو حباء
بالعقل بالرأي الحكيم بمسحة ... من علمك النبوي وهو شفاء
قد كنت حجة عصرنا والقول منـ ... ـك الفصل إن أعيا القُضَاةَ قضاء
عدل رضا في الناس حكمك عادل ... وبه القناعة ما عليه غشاء

* * *

قد كنت للمحروم تبذل في الخفا ... لا منّة ممنونة ورياء
وزكاة جاهك ما بخلت ببذلها ... سمحاً كريماً هكذا العظماء
وإذا لئيم جاء نحوك بالأذى ... فالصفح منك خلائقٌ شماء
وإذا الذي بالجهل ظل مكابراً ... مثل الولي صنائع سمحاء
لا تسمع الواشي ولا تصغي له ... خلق زكي هكذا العلماء
لم يفتقدك بَنوك حسبُ وإنما ... بكت الديارُ رجالُها ونساء
ولئن تفطرت القلوب أسى على ... فَقْدِ الحبيب فإنها بَلْواء
بقضاء ربي حكمه ومراده ... رضوان لا ما يفعل الجهلاء
مات النبيُّ وموته فيك العزا ... وقضاء ربي رحمة وعزاء
يا رب أمطره بوابل رحمة ... من فيض جودك وهو جد سخاء
ثم الصلاة على الحبيب شفيعنا ... في الحشر تلك شفاعة حسناء

الدعوة ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٧

من ذا يقيس الدُّرَّ بالأصداف؟

شعر الشيخ الأديب: عبد الله بن إدريس ـ حفظه الله ـ

هي محاولة من التعبير الشعوري لفقدان شيخنا العلّامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ على بعدٍ بيني وبين الشعر منذ انشغلت بالعمل الصحفي في هذه الصحيفة التي أخذت مني وقتي وتفكيري معاً.

ما عاش إلا للعلوم وشرعة الإنصاف ... وقضى الحياة مكرم الأوصاف
ناداه من نبع المكارم محتد ... فغدا يعيد مآثر الأسلاف
خمسون عاماً للشريعة خادم ... نعم الكفاح موسع الأكناف
لله للإسلام، أكرم ما بنى ... وأجل ما أوحى من الأهداف
قد كان سدّاً دون كلّ مبادئ ... خطاءة طافت بكلّ مطاف
وحمى العقيدة أن يشوب صفاءها ... كدر يميل بها إلى الإتلاف
قد كان طوداً شامخاً متألقاً ... في العلم والعقل الرجيح الصافي
هو نادر في عصرنا.. هو درة ... من ذا يقيس الدُّرَّ بالأصداف؟

* * *

أملى على التاريخ سِفراً خالداً ... بالصدق لا بالمين والإرجاف
فأقام للعلم الرفيع معاهداً ... تسمو على هام الزمان فيافي
أضحت لأبناء الجزيرة مورداً ... ثَرّاً.. كشلال الضيا الشفاف
كانت دعامة نهضة جبارة ... نعمت بها في سائر الأطراف

* * *

ورعى القضاء بهمة وروية ... ما رام غير العدل والإنصاف
وأضاء بالإفتاء ليل مشاكل ... بالعلم والرأي السديد الوافي

وإذا ادلهمت مشكلاتُ عويصة فلها - ابن إبراهيم - كالإسعاف
يا من تجسد في القلوب محبة في الله تبدو دون أي سجاف

* * *

ما مرّ يوم مثل يومك فاجعاً أحزانه فاقت رؤى الوصّاف
ولشد ما كان التأثر والأسى يفري العيون مُهَطَّلٌ وَكَّافي
حملوك أعناقاً لأنك منهمُ كالرأس من جسد ولات خلاف
وعلى شفير القبر فضلك ودعوا لجوار ربك في النعيم الضافي
يا رحمة الله الكريم تغمدي روح الفقيد بسابغ الألطاف

رحيل ابن إبراهيم

شعر صاحب الفضيلة الشيخ:
محمد بن عبد العزيز بن هليل ـ رحمه الله ـ

على شيخنا الحبر الجليل محمد ... حفيد إمام المسلمين محمد
محقق توحيد الإلٰه بدعوة ... تجلّت بنهج مستنير محمدي
على شيخنا الشهم الأديب أخي الوفا ... حميد السجايا ذي التقى والتعبد
هو العالم النحرير نبراس عصره ... وصرح العلى والدِّين فخر الموحد
فتى الشيخ إبراهيم من ذاع صيته ... بعلم وأخلاق ومجد وسؤدد
تحدّر فيض الدمع ينهلُّ ساكباً ... على كلِّ خد بالدموع مخدد
وأجَّجَ للأشجان والحزن والأسى ... لَهيبَ الْتِيَاعٍ في الحشا متوقّد
مصاب عظيم في المصائب فادح ... على عالم الإسلام أدنى وأبعد
وخطب به أضحى الجميع مفجعاً ... بحال كئيب في الدياجي مسهد
رحيل إمام ألمعي مهذب ... أخي ثقة صافي العقيدة مقتد
وبحر خضم في العلوم محقق ... بأصل وفرع بالدليل المؤيّد
تلقى فنون العلم عن كل جهبذ ... ثقاة دعاة الخير من كل مهتد
هو العالم الربَّانِ ربى بعلمه ... لأفواج طلاب كثيري التعدّد
فمن وارد البحر الفرات وصادر ... تَرَوَّى فأروى في الورى الظامئ الصدِي
هو الشامخ الطود الأشم فلم تكن ... عواصف قد هزّت لِطَوْدٍ موطّد
ثبات وصبر واستقامة موقف ... بغير تخل واتجاه مفنّد
وفصل وعدل في القضاء وفطنة ... وصائب حكم دون أي تردد
عفاف وإنصاف وحزم وهيبة ... وحكمة رأي في الأمور مسدّد

بكلٍّ اتزان لائق وسماحة ... لصالح حق مستبين مؤكد
وعطف وجود في المكارم والعلا ... ولطف بلا ضعف مخل بمقصد
مع الأدب الراقي بخير فنونه ... بنثر وشعر رائع النظم جيد
وإن ائتمار الآمر الأمر أولاً ... لأرْجَا قبولاً في المقام لِمُرشد
قضى شيخنا عمراً مديداً ممتعاً ... سعيداً عزيز القدر غير منكد
قضى ومضى والكلّ لله راجع ... وما للقضا غير الرضا والتحمد
فمن لعويص المشكلات وحلها ... إذا حارت الأفهام عند التردد
ومن للمهمات الثقال وحملها ... بهمة شهم صادق العزم منجد
رحيل (ابن إبراهيم) رزء وإنه ... تقوّض صرح في الرشاد مشيد
سقى وابل الغفران والعفو والرضا ... من الله رمساً حلّ فيه بملحد
وفاة نبي الله أعظم في العزا ... وما بشر إلا وغير مخلّد
بدار الفنا فالموت فيها محتم ... وما من مفر؛ فالمنايا بمرصد
وإن طالت الآمال سهواً وغفلة ... فقد خطّت الآجال أصدق موعد
فطوبى لمن يخشى الإله حقيقةً ... يراقبه صدقاً بغيب ومشهد

الدعوة ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٧

دمعة على الإمام الراحل

شعر الدكتور: محمد كامل الفقي

دهى الجزيرةَ خطبٌ ليس يحتمل ... فلتنفطر مُهَج ولتنهمر مقل
الراحلون قرون، والردى شعب ... وأَفْجَعُ الموت ما ماتت به المثل
والناس إن فقدوا بالموت رائدهم ... سَارُوا على حلك ضلت به السبل
من للشريعة والأخلاق يحرسها ... أو يستطب لها إن لجت العلل
وا لهفتاه على الدنيا وبهجتها ... رهن براع لها من فقده أجل
لا تحسبوا الناس أحياء إذا يتموا ... سيان إن غيبوا أو غيب الرجل
في كلِّ بيت نحيب من فجيعته ... وبالمنابر من ترحاله شُغل
والناس لو أنصفوا ما انفضَّ مأتمهم ... بكاؤهم لمعين الرشد لو فعلوا
بكاؤهم للذي يحمي شبابهمُ ... من الضلالات لا تيه ولا دخل
من كان ردءاً لدين الله يحفظه ... وعاش نضواً لما جاءت به الرسل
من ردّ كيداً عن البيضاء واعتصمت ... به فمنه لها ردء ومتكل
من ناصر السنّة الغراء محتفلاً ... فلم يحدْ عن سناها القول والعمل
أكبرت يومك والدنيا مشيعة ... بك الضياء وقد غاصت بك الأصل
في موكب تزحم الأملاك ساحته ... للناس دمع وللأملاك محتفل
يا صاحب العزم لم يعرض له وهن ... وثاقب الرأي يخزى دونه الجدل
ورائد الفقه ما رانت به شبه ... وزاخر العلم منه العل والنهل
كنتَ الشجاع الذي في الله غضبته ... وكلّ جرح بما داويت يندمل
قهرت أعداء دين الله فانخذلوا ... لهفي عليك، فهل يصحو لهم أمل؟
أنشأت للعلم دوراً في محافلها ... ترى الجحافل لا هانوا ولا خذلوا

أقر عَينِيَ أني في دروعهمُ ... وشدَّ عزمي أَنَّ لي فيهمُ نزل
إن غابت الأُسْد في آجامها أُسُد ... والبدر يبدو هلالاً ثم يكتمل
وبالجزيرة سيف في يدي عمر ... يحمي الهداة ويصحى من بهم خلل
أقمتَ للعلم دوراً في رعايتها ... زكت مبادئ بالقرآن تتصل
من كلِّ ماضٍ لنشر الحق ومضته ... وكل قاض بثوب الطهر يشتمل
كواكبٌ تفضح الأهواءَ طلعتُها ... لله ما قطعوا لله ما وصلوا
صانوا عهود نبي الله وامتشقوا ... عزائماً لم ينل من حدها وجل
إن الرفاق أجدُّوا البين وارتحلوا ... يا ليتنا إثرهم نمضي ونرتحل
ماذا بدنياك إلا أنها خدع ... وفي حياتك إلا أنها علل
أَعْظَمْتُ مَنْ دخل الدنيا وغادرها ... لا ناقةٌ عندهم فيها ولا جمل
والجاهلون يَغِذُّونَ المسير إلى ... سنا سراب فلا تروى به غلل
ما دام يومك بعضاً منك فاسمُ به ... وهبه للخلد، فالرضوان متصل
والذكر عمر مديد والعظائم لا ... تفنى، وفاز بدار الخلد من عمل

الدعوة ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٧

يا للجراح نجيعها قمم النهى

شعر الأستاذ الدكتور:
محمد بن سعد بن حسين ـ حفظه الله ـ

اليوم فلتبك الجزيرة أنها ... بمصابها مهزوزة الأركان
اليوم فلتبك الجزيرة جهبذاً ... لا كالجهابذ حكمة ببيان
يا للشريعة بعد فقد محمد ... من بعد ما فُقد الحكيم الثاني
بدران في دنيا الشريعة لم تزل ... بضياء رأي منهما بأمان
ركنان في دنيا العلوم تهدما ... لكن بذاك تعانق الشيخان
من بعد ما طال الحنين طواهما ... بالعود روض مشرق الأركان
أمحمد والقوم بعدك يُتَّم ... من ذا يجود بحكمة وحنان؟
من ذا يسوس الأمر بعدك بالحجا؟ ... بالرأي كنت شجاعة الشجعان
أمحمد ما أنت شخص محمد ... بل أمة باتت بغير جنان
الله أكبر كنت نور مجالس ... يهدي العقول بعيدها والداني
كنت الإمام لكلِّ طالب سنّة ... أو مستزيد من هُدَى الفرقان
أو باحث ما قال أرباب النهى ... في الفقه والتوحيد بالتبيان
حتى لسان العُرْب كنت مجلياً ... في علمه من قبل كلّ لسان
ماذا يعزي أمة مكلومة ... قذفت بها الويلات كلّ سنان؟
يا للجراح نجيعها قمم النهى ... وذرا البيان وأثبت الأركان
ماذا أقول وكل نفس حرقة ... أعيا من الخطب العضال بياني
أشكو إلى الله القدير مصابنا ... أشكو إليه كآبتي وهواني
يا رُبَّ يوم كنت فيه منعَّماً ... أصغي لصوتك مرهف الآذان

واليوم قد عز اللقا حدث جلل ... بين المبين مطيها الحدثان
فتمزق الشمل الجميع وأترعت ... كأس الردى حثيثة الدوران
ربَّاه إنك عالم بمصابنا ... هل من طريقٍ ـ رَبِّ ـ للسلوان
إنا إليك لراجعون وحسبنا ... بالصبر لا السلوان والنسيان

الدعوة، تاريخ ١٣/١٠/١٣٨٩هـ
العدد ١٣١، ص٦

وداعاً أيها العَلَم

شعر الأستاذ الدكتور:
محمد عبد المنعم خفاجي ـ رحمه الله ـ

أمات الشيخ؟ هل ذهب الإمام؟ وطار به إلى الخلد الغمام
أمات؟ وكيف للشيخ المرجَّى وفي الظلمات يلقاه الحِمام
أمات؟ بلى، فإن الشيخ حي تحف به المحبة والسلام
فبدل جيرة الدنيا، وفي جيـ ـرة الله العلي له مرام
وعمّ المسلمين عليه حزن وعمهمُ التفجُّع والظلام
بكاه، بكى الإمامَ الفردَ شرقٌ وغربٌ، والممالك والأنام
ويبكيه الهدى والعلم والديـ ـن والإسلام والبيت الحرام

* * *

أمات الشيخ؟ هل ذهب العميد؟ فآفاق الحمى كالليل سود
نعم، مات الإمام ابن الإمام الـ ـجليل، وسار تبكيه النجود
ففي نجد، وفي ربوات نجد أسى ودموع حزن لا تبيد
وفي أرض الحجاز أنين شعب قد اهتزت به حضر وبيد
وداعاً أيها العَلَم المفدَّى سلاماً أيها الداعي الحميد
فليس لما بنيت اليوم مثل وما لك في الورى أبداً نديد
وفي البيداء ترقد في جلال ويخشع حول مرقدك الوجود
كسا الرحمن تلك البيد مجداً وأنت بجوفها الداني البعيد

* * *

أمات الشيخ والرجل النبيل؟ نعم، مات الهدى النور الجليل
بنى لله، للإسلام دوراً معاهد ما لها فينا مثيل

تقرُّ بها الملائكة العلى واصـ ... ـطفاها الله دوراً والرسول
كواكب في المهامه والفيافي ... وليس لنورها الزاهي أفول
بها الطلاب والعلماء كثر ... وحشد الدارسين بها مثول
بها الصحراء قد عزت وسادت ... وتشرق في جوانبها العقول
يحج لها الشباب، وعز جيل ... تخرج من مدارسها وجيل
وكان محمد أبداً حفياً ... بها، وفعاله أبداً نبيل

* * *

أمات الشيخ؟ هل ذهب الحفيد؟ ... ومن طابت بمنته الجدود
أبيٌّ، والأبيُّ يعيش حرّاً ... كأن مضاءه القدر العتيد
فما يلهيه في الإغراء وعد ... ولا يثنني عزيمته وعيد
صحائفه لكل فتى نشيد ... وذكر بلائه أبداً جديد
صحائف أمسه مُلئت فخاراً ... وفي العلياء ماضيه فريد
ومجد جهاده في الدهر باقٍ ... يضن به على الدهر الخلود
ومرمسه يفوح شذىً وعطراً ... وتجفوه الأزاهر والورود
ومنه غدا تراب الرمس تبراً ... ومن سكن التراب هو السعيد

* * *

إمام المسلمين لقيت خيراً ... وكافأك الإله العدل برّا
أقمت لدين أحمد ألف دار ... تباهي النجم مكرمة وفخرا
وساعدت الأرامل واليتامى ... بمالك لا تريد بذاك فخرا
وعشت وأنت أكرم من كريم ... ومت وأنت أعلى الناس ذكرا
دفعت عن العقيدة كلَّ شر ... وذدت عن الهدى، ووقفت حرّا
وقلت الحق لا تخشى ملاماً ... ولا تحني لغير الله صدرا
ولست تخاف من أحد، ولا من ... زمان السوء في الأيام جورا
بزغت على الحياة هدى ونوراً ... وقلباً صادقاً وسطعت فجرا

* * *

فـنَـمْ يـا بـن الأئـمـة والـدعـاة ... سعيداً في الحياة وفي الممات
قـريـر الـعـيـن مـن عـمـل وأجـر ... ولُـقِّـيـتَ الـمـنـى والـمـكـرمـات
وشدت وكنت في الظلمات نوراً ... وكنت على الهدى خير البناة
وكم لك في المفاخر من صنيع ... ومن حسنى، وكم من ذكريات
فـنَـمْ ـ يـا بـن الأئـمـة والـهـداة ـ ... قـريـراً فـي جـوار الـصـالـحـات
نـضـالـك يـا بـن إبـراهـيـم بـاق ... وذكـرك خـالـد فـي الـخـالـدات
سندعو الله بالرحمات في الفجـ ... ـر، في السحر المُنَوَّر في الصلاةَ
له، لمحمد، للشيخ، وابن الْ ... أئـمـة والـهـداة، ابـن الـدعـاة

انطباعات وذكريات

عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ

للعالم الهندي الرحّالة البحّاثة الشهير
مسعود عالم الندوي ـ رحمه الله ـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الممتع «شهور في ديار العرب» ص٣٥٠:

«تقرر أن نلتقي بالشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ عند المغرب، والشيخ محمد بن إبراهيم يعد من أكبر وأجود العلماء، من بين أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن ناحية العمر، فأخوه الشيخ عبد الله بن إبراهيم أكبر منه، ومن ناحية المنصب يعد الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ قاضي القضاة بمكة أعظم الشخصيات البارزة[1]، وقد ولد مكفوف البصر، وكلامه موزون مركز ومطابق للحال، يتكلم بصوت عال وخشن، ومن الملاحظ أن في لهجة أهل نجد عامة خشونة.

حضرت إليه في معية حسن الشنقيطي، وكان الشيخ قد بنى منذ فترة بسيطة بيتاً جديداً، وهو بيت رائع وفخم، إذا ما قورن ببقية بيوت الرياض، وهو على مستوى بيوت الأسرة المالكة، وكان البيت قد اكتمل حالاً، وحضر الملك مع ولي العهد بهذه المناسبة، وتناولا الطعام في بيت الشيخ، وأهدى الملك للشيخ سيارة صغيرة.

جلسنا على سطح البيت، كان الجلسة على الطريقة العربية، فرشت

---

(١) قلت: كلاهما عينان في رأس واحدة ومناصبهما متقاربة ولا داعي لمثل هذا التفضيل، وهما إماما علم وعمل ودعوة وجهاد ومن أسرة واحدة خدمت الدين والعلم فعليهما ـ رحمة الله ورضوانه ـ.

السجاجيد، ووضعت الوسائد والحشايا، واستمر توافد الضيوف واحداً تلو الآخر، وكان من بين الحضور الأخ الثاني للشيخ وهو عبد الله بن إبراهيم (وهو أكبر منه في العمر) وعبد اللطيف بن إبراهيم (وهو أصغر منه في العمر ويليه في العلم أيضاً) وعبد الملك بن إبراهيم (إمام مسجد القصر الملكي)، كما قدّم أيضاً أحد تلاميذ الشيخ، وهو عالم ممتاز يدعى الشيخ عبد العزيز بن باز (قاضي الخرج) وحضر الجلسة أيضاً عالم الزبير المطلع الذواقة «مشعان» بالإضافة إلى أبناء الشيخ، وكاتبه وبقية الضيوف.

دار الحديث بطريقة علمية مهذبة، رحب بنا الشيخ كثيراً واحتواني بكرمه الشديد، قال: بالأمس أخبرني ولي العهد عن قدومكم، وكنت أشتاق إلى لقياكم، ثم بدأ يوجه لي العديد من الأسئلة:

ـ كيف حال عبد الحميد الخطيب؟.

ـ كيف حال جماعة أهل الحديث؟.

ـ كيف حال الدعوة هناك؟.

وظل العبد الفقير يجيب على الأسئلة المتتالية في أدب، وحين امتدحت عبد الحميد الخطيب وأثنيت عليه، قال عبد العزيز بن باز:

ـ إنه يسرنا سماع نشاط وجهود عبد الحميد الخطيب، لكنه طبع على إمساكية رمضان صورة للسلطان وولي العهد، وهذا غير طيب لأنه يعني تقديس الصور في المستقبل.

كنت قد اطلعت على مقال للشيخ عبد العزيز بن باز عن حرمة التصوير في مجلة «الهدي النبوي» القاهرية فأثنيت على المقال، فلفت نظره إلى هذا الشيخ محمد بن إبراهيم قائلاً:

ـ عبد العزيز! مسعود يثني على مقالك.

فسُرَّ الشيخ عبد العزيز ودعا لي.. والشيخ عبد العزيز مثل أستاذه

مكفوف البصر، ثم أثنى الشيخ عبد العزيز بعد ذلك على كتاب «النظرية السياسية»، وسأل عن أحوال الشيخ المودودي، واعترض على قول المودودي في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] بأن معنى الحديد هنا: القوة السياسية (بالأردية سياسي قوت) ثم قال: يمكن أن يكون الأصل قوة أساسية (بالأردية أساسي قوت) ثم جاءت في الترجمة «قوة سياسية».

فقلت:

ـ لا.. في الأصل أيضاً قوة سياسية، والمترجم التزم بالأصل.

فقال:

ـ حسناً هذا أمر بسيط، ولا أثر له على الكتاب الأصلي.

وتحيرت، كيف وصله كتابنا هذا؟ فقد أعطينا مجموعة واحدة لولي العهد، وأخرى للشيخ حسن الشنقيطي، وهنا في هذا المجلس قدمنا مجموعة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم، وعرفنا فيما بعد أن ولي العهد أعطى المطبوعات للشيخ عمر بن حسن، وأن الشيخ عبد العزيز أخذها من الشيخ عمر.

في هذا المجلس ورد ذكر مولانا شبير أحمد عثماني فذكرت علمه وفضله وخدماته الدينية، عندئذٍ قال الشيخ: لقد رأيت كتابه شرح مسلم، كان قد أرسله للسلطان ابن سعود، ويفهم منه أنه حنفي قح (أي خالص أو متشدد) وأشعري، لقد أول الأحاديث بطريقة عجيبة وغريبة، ولكن يفهم من أسلوب بيانه أنه على علم جيد، فقلت:

ـ نعم هو أشعري قح وحنفي أيضاً، أنا لست حنفياً ولست أشعرياً، ولكني أعترف بخدماته الدينية، وأقر بفضله وعلو كعبه في العلم.

وحين تحدثت مع العالم الزبيري «مشعان» وجدته يعرفني من خلال مقالاتي بمجلة الفتح، فأخذ يقدمني للشيخ لفترة طويلة، وظل يسأل عن

كتابي «حاضر مسلمي الهند وغابرهم» وكان أيضاً يقرأ ما كتبته في «السجل»، فأخذ يسألني عن أحوال كشمير وحيدر آباد... وخلاصة القول: إن الحديث استمر طوال هذه المجلس الذي طال لساعتين تقريباً، وكان حديثاً مفيداً للغاية، وفي النهاية طلبت من الشيخ أن يحدد لي وقتاً للتحدث معه في بعض النقاط التي أريد أن أستفسر عنها فيما يتعلق بكتابي «الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، وتقرر أن نحضر عنده في الساعة الثالثة (طبقاً للتوقيت العربي الساعة التاسعة والنصف) ثم رافقنا حسن الشنقيطي إلى «دار الضيافة» وجلس معنا لفترة، ودار الحديث عن موضوعات مختلفة.

الأحد (١١) ذي القعدة (١٣٦٨) هجرية، (٤) سبتمبر (١٩٤٩م).

وصلنا في الصباح إلى بيت الشيخ محمد بن إبراهيم في سيارة «دار الضيافة» وكان قد سبقنا إلى هناك بعض التلاميذ، ومشعان الزبيري، فأخرجت نسخة من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وبدأت الحديث عن الأماكن المطلوب الاستفسار عنها، فأخذ الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم يردان بطريقة مهذبة، وكأنهما تلميذان، لم يكن فيهما صفات التكبر الموجودة لدى علماء الهند، ولا صفات الغطرسة، وفي بعض المواضع، أصر كاتب السطور على ما ورد في البحث، فلم يصرا على رأيهما، وقالا:

ـ والله أعلم بالصواب.

كان لدى كاتب الشيخ محمد بن إبراهيم مذكرات فاشترك معنا أيضاً في الحديث، وقدم لنا معلومات مفيدة، كما وعد بأن يجمع لي كل مؤلفات علماء آل الشيخ أيضاً». اهـ. المراد والمقصود منه[1].

(١) شهور في ديار العرب، لمسعود عالم الندوي، ص(٣٥٠ ـ ٣٥٤).

أرجوزة الإمام محمد البشير الإبراهيمي[1] الجزائري ـ رحمه الله ـ

في مدح علماء نجد والدعوة السلفية الاصطلاحية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مخاطباً بعض علماء نجد وعلى رأسهم صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنَّا إذا مَا لَيْلُ نَجْدٍ عَسْعَسَا ... وَغَرَبَتْ هَذِي الْجَوارِي خُنَّسَا[2]

وَالصُّبْحُ عَنْ ضِيائِهِ تَنفَّسَا ... قُمْنَا نُؤَدِّي الْواجِبَ الْمُقَدَّسَا

وَنَقْطَعُ الْيَوْمَ نُناجِي الطُّرُسَا ... وَنَنْتَحِي بَعْدَ الْعِشاءِ مَجْلِسَا[3]

مُوَطَّداً عَلَى التُّقَى مُؤَسَّسَا ... فِي شِيخَةٍ حَدِيثُهُمْ يَجْلُو الْأَسَى[4]

وَعِلْمُهُمْ غَيْثٌ يُغَادِي الْجُلَسَا ... كَأَنَّنَا شَرْبٌ يَحُثُّ الْأَكْؤُسَا[5]

مِنْ خَمْرَةِ الْآدَابِ عَبّاً وَاحْتِسَا ... خَلَائِقُ زُهْرٌ تُنِيرُ الْغَلَسَا[6]

وَهِمَمٌ غُرٌّ تَعَافُ الدَّنَسَا ... وَذِمَمٌ طُهْرٌ تُجَافِي النَّجَسَا

يُحْيُونَ فِينا مَالِكاً وَأَنَسَا ... والْأَحْمَدَيْنِ وَالإِمَامَ الْمُؤْتَسَا[7]

---

(١) وضع هوامش هذه الأرجوزة الأستاذ الشيخ الجيلالي الفارسي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين.

(٢) عسعس الليل: مضى؛ وأظلم. الجواري: الكواكب السيّارة. الخنّس: الرواجع، ج خانس أي راجع.

(٣) الطروس، ج طِرس: الصحيفة، والمُراد بها الكتب، وحذف الواو للضرورة.

(٤) الشِّيخة، ج شيخ. الأسى: الحزن.

(٥) الشَّرْبُ، ج شارب: كصحب وصاحب.

(٦) العَبُّ: الشرب بلا تنفس. الاحتساء: الشرب شيئاً بعد شيء. الغَلَسُ: ظُلْمَةُ آخر الليل.

(٧) يريد بالأحمدين: الإمام أحمد بن حنبل (٧٨٠ ـ ٨٥٥م). والإمام تقي الدين =

قَدْ لَبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَهَ مَلْبَسَا ... ضَافٍ عَلَى الْعَقْلِ يَفُوقُ السُّنْدُسَا[1]

فَسَمْتُهُمْ مِنْ سَمْتِهِ قَدْ قُبِسَا ... وَعِلْمُهُمْ مِنْ وَحْيِهِ تَبَجَّسَا[2]

بُورِكْتِ يَا أَرْضاً بِهَا الدِّينُ رَسَا ... وَأَمِنَتْ آثَارُهُ أَنْ تَدْرُسَا

وَالشِّرْكُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ عَرَّسَا ... جَذْلَانَ يَتْلُو كُتْبَهُ مُدَرِّسَا[3]

مُصَاوِلاً مُوَاثِباً مُفْتَرِسَا ... حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ جَلْساً جَلَسَا[4]

مُنْكَمِشاً مُنْخَذِلاً مُقْعَنْسِسَا ... مُبَصْبِصاً قِيلَ لَهُ: اخْسَأْ فَخَسَا[5]

شَيْطَانُهُ بَعْدَ الْعُرَام خَنَسَا ... لَمَّا رَأَى إِبْلِيسَهُ قَدْ أَبْلَسَا[6]

وَنُكِّسَتْ رَايَاتُهُ فَانْتَكَسَا ... وَقَامَ فِي أَتْبَاعِهِ مُبْتَئِسَا

مُخَافِتاً مِنْ صَوْتِهِ مُحْتَرِسَا ... وَقَالَ إِنَّ شَيْخَكُمْ قَدْ يَئِسَا

مِنْ بَلَدٍ فِيهَا الْهُدَى قَدْ رَأَسَا ... وَمَعْلَمُ الشِّرْكِ بِهَا قَدْ طُمِسَا

وَمَعْهَدُ الْعِلْمِ بِهَا قَدْ أُسِّسَا ... وَمَنْهَلُ التَّوْحِيدِ فِيهَا انْبَجَسَا[7]

إِنِّي رَأَيْتُ «وَالْحِجَى لَنْ يُبْخَسَا» ... شُهْباً عَلَى آفَاقِهِ وَحَرَسَا

فَطَاوِلُوا الْخَلْفَ وَمُدُّوا الْمَرَسَا ... وَجَاذِبُوهُمْ إِنْ أَلَانُوا الْمَلْمَسَا[8]

لَا تَيْأَسُوا: وَإِنْ يَئِسْتُ: فَعَسَى ... أَنْ تَبْلُغُوا بِالْحِيلَةِ الْمُلْتَمَسَا

= أحمد بن تيمية (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م). والإمام المؤتسى هو الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٨٧م). وهو مؤسس الحركة السلفية الوهابية. المؤتَسى: المقتدى به.

(١) السندس: نوع من الحرير.

(٢) السمت: هيئة أهل الخير. تبجَّس: تفجَّر.

(٣) عرّس بالمكان: نزل به لاستراحة من السفر، والمراد هنا: أقام.

(٤) جَلْسٌ: بلاد نجد (قاله في القاموس).

(٥) المقعنسس: من خرج صدره ودخل ظهره. بصبص الكلب: حرّك ذنبه. اخْسَأْ: اذْهَبْ؛ أُبْعُدْ.

(٦) العُرام: الشراسة والأذى. أَبْلَسَ: يئس.

(٧) انجبس: انفجر.

(٨) المَرَسُ، ج مَرَسَةٍ: الحبل ـ فالمرس: الحبال.

وَلَـبِّـسُـوا إنَّ أَبَـاكُـمْ لَـبَّـسَـا حَتَّى يَرَوْا ضَوْءَ النَّهَارِ حِنْدِسَا[1]

وَالـطَّـامِـيَـاتِ الـزَّاخِـراتِ يَـبَـسَـا وَحَنِّدُوا جُنْداً يَحُوطُ الْمَحْرَسَا[2]

مَنْ هَـمُّـهُ فِي الْيَوْمِ أَكْلٌ وَكِسَا وَهَـمُّـهُ بِـالـلَّـيْـلِ خَـمْـرٌ وَنِـسَـا

وَفِـيـهِـمُ حَـظٌّ لَـكُـمْ مَـا وُكِـسَـا وَمَـنْ يَـجِـدْ تُـرْبـاً وَمَـاءً غَـرَسَـا[3]

تَـجَـسَّـسُـوا عَـنْـهُـمْ فَـمَـنْ تَـجَـسَّـسَـا تَـتَـبَّـعَ الْـخَـطْـوَ وَأَحْـصَـى الـنَّـفَـسَـا

تَـدَسَّـسُـوا فِـيـهِـمْ فَـمَـنْ تَـدَسَّـسَـا دَانَ لَهُ الْحَظُّ الْقَصِيُّ مُسْلِسَا[4]

وَأَوْضِـعُـوا خِـلَالَـهُـمْ زَكًى خَـسَـا وَاخْـتَـلِـسُـوا فَـمَـنْ أَضَـاعَ الْـخُـلَـسَـا[5]

تَـلْـقَـوْنَـهُ فِـي الْأُخْـرَيَـاتِ مُـفْـلِـسَـا أَفْـدِي بِـرُوحِـي الـتِّـيِّـهَـانَ الـشَّـكِـسَـا[6]

يَـغْـدُو بِـكُـلِّ حَـمْـأَةٍ مُـرْتَـكِـسَـا وَمَـنْ يَـرَى الْـمَـسْـجِـدَ فِـيـهِـمْ مَـحْـبِـسَـا[7]

وَمَـنْ يُـدِيـلُ بِـالْأَذَانِ الْـجَـرَسَـا وَمَـنْ يَـعُـبُّ الْـخَـمْـرَ حَـتَّـى يَـخْـرَسَـا[8]

وَمَـنْ يُـحِـبُّ الـزَّمْـرَ صُـبْـحـاً وَمَـسَـا وَمَـنْ يَـخُـبُّ فِـي الْـمَـعَـاصِـي مُـوعِـسَـا[9]

وَمَـنْ يَـشِـبُّ طِـرْمِـذَانـاً شَـرِسَـا وَمَـنْ يُـقِـيـمُ لِـلْـمَـخَـازِي عُـرُسَـا[10]

---

(١) الحِنْدِسُ: الظلمة، ج حنادس.

(٢) الطاميات: الممتلئات. الزاخرات: المرتفعات، وهما وصفان لموصوف محذوف تقديره: والبحار الطاميات... إلخ. المحرس: مكان الحراسة، وأراد به الشخص المحروس مجازاً من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه، وقد أبدل منه قول: مَنْ همه... إلخ.

(٣) الوكْس: النقص، ما وكس: ما نقص.

(٤) دسّ عليه وتَدَسَّسَ: أعمل المكر فيه.

(٥) أوْضَعَ: أسرع. الزَّكَا: العَدَدُ الزوجُ. الخَسَا: العَدَدُ الفردُ.

(٦) التيهان: المتكبر. الشكس: الصعب الخلق.

(٧) الحَمْأة: الطين الأسود، والمراد بها: الرذائل والأوساخ. المرتكس: المنتكس المنغمس.

(٨) يَعُبُّ: يشرب بلا تنفس.

(٩) يخُب: يهرول. مُوعِس: سارَ في الرمل.

(١٠) الطِّرْمِذَانُ: المباهي؛ المفاخر.

يَا عُمَرَ[1] الْحَقِّ وُقِيتَ الْأَبْؤُسَا ... وَلَا لَقِيتَ «مَا بَقِيتَ» الْأَنْحُسَا[2]

لَكَ الرِّضَا إِنَّ الشَّبَابَ انْتَكَسَا ... وَانْتَابَهُ دَاءٌ يُحَاكِي الْهَوَسَا[3]

وَانْعَكَسَتْ أَفْكَارُهُ فَانْعَكَسَا ... وَفُتِحَتْ لَهُ الْكُوَى فَأَسْلَسَا[4]

فَإِنْ أَبَتْ نَجْدٌ فَلَا تَأْبَى الْحَسَا ... فَاقْسُ عَلَى أَشْرَارِهِمْ كَمَا قَسَا[5]

سَمِيُّكَ الْفَارُوقُ (فَالدِّينُ أُسَى) ... نَصْرُ بْنُ حَجَّاج الْفَتَى وَمَا أَسَا[6]

غَرَّبَهُ إِذْ هَتَفَتْ بِهِ النِّسَا ... وَلَا تُبَالِ عَاتِباً تَغَطْرَسَا

أَوْ ذَا خَبَالٍ لِلْخَنَا تَحَمَّسَا ... أَوْ ذَا سُعَارٍ بِالزِّنَى تَمَرَّسَا[7]

شَيْطَانُهُ بِالْمُنْدِيَاتِ وَسْوَسَا ... وَلَا تُشَمِّتْ مِنْهُمُ مَنْ عَطَسَا[8]

وَلَا تَقِفْ بِقَبْرِهِ إِنْ رُمِسَا ... وَلَا تَثِقْ بِفَاسِقٍ تَطَيْلَسَا

فَإِنَّ فِي بُرْدَيْهِ ذِئْباً أَطْلَسَا ... وَإِنْ تَرَاءَ مُحْفِياً مُقَلْنِسَا

فَسَلْ بِهِ ذَا الطُّفْيَتَيْنِ الْأَمْلَسَا ... تَأْمَرَكَ الْمَلْعُونُ أَوْ تَفَرْنَسَا[9]

---

(١) المقصود به صاحب السماحة الشيخ: عمر بن حسن آل الشيخ رحمه الله رئيس الهيئات في زمانه الملقّب بالفاروق.

(٢) الأبؤس، ج بؤس: الشدة والفقر. الأنحُس، ج نحس: ضد السعد.

(٣) الهَوَسُ: ضرب من الجنون.

(٤) أسْلس: انقاد.

(٥) الحسا: بَلَدٌ بنجد.

(٦) الْأُسَى، ج أسوة: وهي القدوة. نصر بن حجاج... إلخ: يشير إلى قصة عُمر رضي الله عنه مع هذا الشاب الجميل الذي فتن الحسناوات بجماله، فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ذات ليلة يعُسُّ بالمدينة المنوّرة فسمع امرأة تقول:

أَلَا سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا ... أَمْ لَا سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاج

فلمَّا أصبح استدعاه، فإذا هو أصبحُ الناس وجهاً وأحسنُهم شَعَراً. فأمر بقصّ شعره. فبدا حسنه. فأمر أن يُعْتَمَّ فازداد حسناً. فقال عمر: والله لا يقيم بأرض أنا فيها. وأمر له بما يُصلحه وسيَّره إلى البصرة.

(٧) الخبال: الفساد. الخَنَا: الفُحْشُ. السُّعار: الحرُّ؛ شدة الجوع والعطش.

(٨) المُنْدِيات، ج مُنْدِيَة: الكلمة القبيحة يندى لها الجبين حياءً.

(٩) ذو الطفيتين: نوع من الحيات الخبيثة. تأمرك: صار أمريكياً. تفرنس: صار فرنسياً.

يَا شَيْبَةَ[1] الْحَمْدِ رَئِيسَ الرُّؤَسَا ... وَوَاحِدَ الْعَصْرِ الْهُمَامَ الْكَيِّسَا

وَمُفْتِيَ الدِّينِ الَّذِي إِنْ نَبَسَا ... حَسِبْتَ فِي بُرْدَتِهِ شَيْخَ نَسَا[2]

رَاوِي الْأَحَادِيثِ مُتُوناً سُلَّسَا ... غُرّاً إِذَا الرَّاوِي افْتَرَى أَوْ دَلَّسَا

وَصَادِقَ الْحَدْسِ إِذَا مَا حَدَسَا ... وَمُوقِنَ الظَّنِّ إِذَا تَفَرَّسَا

وَصَادِعاً بِالْحَقِّ حِينَ هَمَسَا ... بِهِ الْمُرِيبُ خَائِفاً مُخْتَلِسَا

وَفَارِساً بِالْمَعْنَيَيْنِ اقْتَبَسَا ... غَرَائِباً مِنْهَا إِيَاسُ أَيِسَا

بِكَ اغْتَدَى رَبْعُ الْعُلُومِ مُونِسَا ... وَكَانَ قَبْلُ مُوحِشاً مُعَبِّسَا

ذَلَّلْتَهَا قَسْراً وَكَانَتْ شُمُسَا ... فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الزُّلَالِ الْمُحْتَسَا[3]

فَتَحْتَ بِالْعِلْمِ عُيُوناً نُعَّسَا ... وَكَانَ جَدُّ الْعِلْمِ جَدّاً تَعِسَا[4]

وَسُقْتَ لِلْجَهْلِ الْأُسَاةَ النُّطُسَا ... وَكَانَ دَاءُ الْجَهْلِ دَاءً نَجِسَا[5]

رَمَى بِكَ الْإِلْحَادَ رَامٍ قَرْطَسَا ... وَوَتَرَتْ يَدُ الْإِلٰهِ الْأَقْوُسَا[6]

وَجَدُّكَ الْأَعْلَى اقْتَرَى وَأَسَّسَا ... وَتَرَكَ التَّوْحِيدَ مَرْعِيَّ الْوَسَا[7]

حَتَّى إِذَا الشِّرْكُ دَجَا وَاسْتَحْلَسَا ... لُحْتَ فَكُنْتَ فِي الدَّيَاجِي الْقَبَسَا[8]

وَلَمْ تَزَلْ تَفْرِي الْفَرِيَّ (سَائِسَا) ... حَتَّى غَدَا اللَّيْلُ نَهَاراً مُشْمِسَا[9]

---

(١) يعني به صاحب السماحة الشيخ المفتي الإمام: محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) شيخ نسا: يريد الإمام النسائي صاحب السنن (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ).

(٣) قسراً: قهراً. الشُّمُس، بضم الشين والميم، ج شموس، بفتح الشين: وهو الفرس الصعب الذي لا يُمكّن من الركوب.

(٤) الجَدّ، بالفتح: الحظ.

(٥) الأساة، ج آس: الطبيب. النطس: الحذاق الماهرون.

(٦) قرطس: أصاب المرمى. وتر القوس: جعل لها وتراً؛ شَدَّ وترها، الأقوس: ج قوس.

(٧) جدك الأعلى: لعلّه يريد به محمد بن عبد الوهاب؛ اقترى البلادَ: تتبّعها وطاف فيها؛ الوَسا: أراد الوسائل فحذف للضرورة.

(٨) دجا الليل: أظلم؛ استحلس: اشتدّ ظلامه.

(٩) يقال: فلان يفري الفرى: أي يأتي بالعجب في عمله؛ ومنه قوله تعالى: =

يَـا دَاعِـيـاً مُـنَـاجِـيـاً مُـغَـلِّـسَـا لَـمْ تَعْدُ نَهْجَ الْقَوْمِ بِرّاً وَائْتِسَا[1]
إِذْ يُصْبِحُ الشَّهْمُ نَشِيطاً مُسْلِسَا وَيُصْبِحُ الْفَدْمُ كَسُولاً لَقِسَا[2]
كَانَ الثَّرى بَيْنَ الْجُمُوعِ مُوبِسَا فجئْتَهُ بِالغَيْثِ حَتَّى أَوْعَسَا[3]
قُلْ لِلْأُلَى قَادُوا الصُّفُوفَ سُوَّسَا خَلُّوا الطَّرِيقَ لِفَتًى مَا سَوَّسَا[4]
وَطَأْطِئُوا الْهَامَ لَهُ وَالْأَرْؤُسَا إِنَّ النَّفِيسَ لَا يُجارِي الْأَنْفَسَا

* * *

وَيَـا رَعَـى اللهُ سُـعُـوداً وَكَـسَـا دَوْلَتَهُ الْعِزَّ الْمَكِينَ الْأَقْعَسَا[5]
أَحْيَى الْمُهَيْمِنُ بِهِ مَا انْدَرَسَا مِنَ الْحُدُودِ أَوْ وَهَى وَانْطَمَسَا
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الْمَدَى تَنَفَّسَا حَتَّى أَرَاهُ بَالِغاً أَنْدَلُسَا[6]
أَعْطَاهُ مُلكاً مِثْلُهُ لَمْ يُؤْنَسَا لَمْ يُعْطِهِ كِسْرَى وَلَا الْمُقَوْقِسَا
مِنْ دَوْحَةٍ غَرَسَهَا مَنْ غَرَسَا فَبَسَقَتْ فَرْعاً وَطَابَتْ مَغْرِسَا

= ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي شيئاً يُتَحَيَّرُ فيه ويُتَعَجَّبُ منه؛ وسائساً؛ كلمة تممنا بها الشطرَ وليست من كلام الشيخ وهي مناسبة.

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل؛ أي داعياً مناجياً بالأسحار؛ البر: الخير والصلاح؛ الائتساء: الاقتداء.

(٢) الشهم: السيد الذكي الفؤاد؛ المسلس: اللين السهل؛ الفدم: البليد العَيِيُّ؛ اللَّقِس: الغث النفس خبيثها.

(٣) أوعس: صار سهلاً ليّناً، والوعس: الرمل اللين الذي تسوخ فيه الأقدام.

(٤) الألى: الذين؛ سُوَّسَا، ج سائس، وسوَّس الأخير: فعل ماض، يقال: سوّس الطعام: وقع فيه السوس، وتسويس الشخص: كِنايَة عن كبره وهرمه، يقول: خلوا الطريق لفتى لا يزال جلداً قوياً لم يبلغ من الكبر عتياً ولم ينخر السوس عظمه من الهرم.

(٥) الأقعس: الثابت المنيع.

(٦) المدى: الغاية والمنتهى؛ تنفس الصبح: أشرق وأضاء؛ وتنفس العمر: طال. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: أتمنى لو أن حياتي تطول حتى أرى ملكه قد بلغ الأندلس.

لَاذَ بِهِ الْعُرْبُ فَوَاسَى وَأَسَا وَبَذَلَ الْمَالَ وَحَاطَ الْأَنْفُسَا
غَيْثٌ إِذا قَطْرُ السَّمَاءِ انْحَبَسَا لَيْثٌ إِذَا اللَّيْثُ انْثَنَى وَانْخَنَسَا[1]
وَأَيْنَ لَيْثٌ لِلْوُحُوشِ انْتَهَسَا مِمَّنْ حَبَا الْآلَافَ مَالاً وَكَسَا[2]
وَقَاهُ رَبِّي كُلَّ مَا ضَرَّ وَسَا وَدَامَ مَا قَرَّ ثَبِيرٌ وَرَسَا[3]

(١) انخنس: رجع.
(٢) انتهس الليثُ: أخذ اللحم بمقدّم أسنانه؛ حباً: أعطى.
(٣) وسا: أصله وساء فقصره ضرورة؛ ثبير: اسم جبل.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٧
الشيخ محمد بن إبراهيم بقلم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ	١٥
ملحق في ملخص أعمال سماحته	٢٥
ترجمة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز	٢٧
محمد بن إبراهيم آل الشيخ لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ	٣٤
الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (١٣١١ ـ ١٣٨٦هـ) للشيخ عبد الله البسام	٦٠
من أفذاذنا العلماء: الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ عبد الله بن سليمان المنيع	٧٧
حياة الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم	١٠٣
تاريخ من لا ينساه التاريخ، سيرة الشيخ العلّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للشيخ إسماعيل بن عتيق	١١٧
رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ للشيخ عبد المحسن العباد	١٧٤
سيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ حمد بن حمين	١٧٩
ترجمة الراوي الشيخ حمد بن حمين	١٨١
الشيخ محمد بن إبراهيم، عالم الديار السعودية وفقيهها (١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ) للشيخ الدكتور محمد الشويمر	٢٠٣
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للشيخ محمد بن عثمان القاضي	٢٦٥
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للأستاذ والأديب محمد المجذوب	٢٧١
فقهاء معاصرون، الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ عبد الفتاح أبو غدّة	٢٧٩
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخ (١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ) للشيخ إبراهيم بن سيف	٣٠٧
مدرسة الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للأستاذ الأديب عبد الله الرويشد	٣٣١

الموضوع	الصفحة

كتاب «الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية» للشيخ محمد بن إسماعيل ٣٣٩
مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِية ٣٣٩
تَقدِيم بقلم سَمَاحَة الشَّيْخ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ مُحَمَّدِ بن إبرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ ٣٤٠
مُقَدِّمَةُ المؤلف ٣٤٢
ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٣٤٥
نماذج من شعره، رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٥٦
فكر الشيخ ومنهجه الفقهي نظرته للمذاهب الأربعة والتقليد ٣٥٩
موقفه من الذين يتهجمون على المذاهب الأربعة ٣٦١
الدعوة إلى الله في نظر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٦٦
أثر مدرسة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في النهضة العلمية والأدبية ٣٧٠
خرِّيجو مدرسته وأثرهم في النهضة الحديثة ٣٧٢
بعض تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، الأحياء (في كل فن) ٣٩٠
قائمة ببعض من تتلمذ عليه وأخذ عنه ٣٩٢
مصادر البحث ٣٩٧
كتاب «عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه اللّه سيرة عالم ومسيرة إمام» للأستاذ عبد العزيز بن زيد آل داود ٣٩٩
تقديم ٣٩٩
لماذا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؟ ٤٠٣
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، السيرة والمنهج ٤٠٥
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في مسجده جامع العلم ودار العلماء ٤١٠
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المنهج في العلم والإفتاء ٤١٤
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الدعوة والدعاة في حياته ٤٢٣
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والعناية بالشأن الإسلامي ٤٣٢
التلازم بين العلماء والحكام، رسالة من الملك وجواب من الشيخ ٤٣٨
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الإعلام في حياة الشيخ ٤٤٢

خطب الشيخ ومقالاته

نماذج من خطب الشيخ في شأن تكوين رابطة العالم الإسلامي

(الهدف من إنشاء الرابطة) (كلمة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في ١٥/ ١٢/ ١٣٨٢هـ) ٤٥١

(فضل الدعوة إلى الله) كلمة سماحة الشيخ بمناسبة إصدار العدد الأول لمجلة رابطة العالم الإسلامي بمكة في تاريخ (٢٨/ ١٢/ ١٣٨٢هـ) ٤٥٤
(هدف الرابطة) القيت في الاجتماع الرابع للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي عام (١٣٨٤هـ) ٤٥٧
كلمة سماحة الشيخ في حفل التعارف الذي أقيم بمكة مساء يوم الأحد (١٤/ ٢/ ١٣٨٣هـ) ٤٦٠
كلمة سماحة رئيس المجلس التأسيسي في حفل افتتاح المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة عام (١٣٨٤هـ) ٤٦٤
الكلمة التي ارتجلها حضرة صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في افتتاح الدورة الرابعة لاجتماعات رابطة العالم الإسلامي في (١٥/ ٧/ ١٣٨٣هـ) ٤٦٦
كلمة سماحة رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في حفل التعارف المقام لوفود حجّاج بيت الله الحرام بمقر رابطة العالم الإسلامي في حج عام (١٣٨٥هـ) ٤٧٠
الخاتمة ٤٧٢
٢٤٨ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم، مفتي المملكة العربية السعودية (١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ) ٤٧٥

القسم الثاني

المقالات النثرية في رثاء الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم

عالم فقدناه لمعالي الشيخ حسن آل الشيخ ٤٨١
حادث جلل لمعالي الشيخ راشد بن حنين ٤٨٣
الكليات والمعاهد ثمرة من جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم لمعالي الشيخ عبد الله التركي ٤٨٥
مصيبة كبرى للعلّامة المحدّث الشيخ إسماعيل الأنصاري ٤٩٠
رجل فقدناه رجُل عِلمٍ وعمَل للأديب الكبير د. عبد الرحمن الباشا ٤٩٣

القسم الثالث

القصائد الشعرية في رثاء الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم رحمه الله

مصاب أليم شعر معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٤٩٩
ما ماتت النفس النفيسة وحدها شعر الشيخ إسماعيل بن عتيق ٥٠١

الموضوع	الصفحة

عَـزَاء شعر الأستاذ أبو سامي ٥٠٣
حادثٌ جلَل شعر معالي الشيخ راشد بن حنين ٥٠٥
فقيد الإسلام شعر معالي الشيخ صالح الأطرم ٥٠٦
طمى بالورى فدح شعر الشيخ الأديب صالح بن سحمان ٥٠٨
رَجُلٌ فقدناه شعر الشيخ الأديب ضياء الصابوني ٥٠٩
بكته عيون العلم بالشفع والوتر شعر العلّامة المسند عبد الرحمن الملا ٥١١
جفا جفني المنام شعر العلّامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرزاق سحمان ... ٥١٤
الحمد لله على كلِّ حال شعر العلّامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرزاق سحمان ٥١٥
ولئن تفطّرت القلوب شعر معالي الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٥١٧
من ذا يقيس الدُّرَّ بالأصداف؟ شعر الشيخ الأديب عبد الله بن إدريس ٥١٩
رحيل ابن إبراهيم شعر صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن هليل ٥٢١
دمعة على الإمام الراحل شعر الدكتور محمد كامل الفقي ٥٢٣
يا للجراح نجيعها قمم النهى شعر الأستاذ الدكتور محمد بن سعيد بن حسين . ٥٢٥
وداعاً أيها العَلَم شعر الأستاذ الدكتور محمد بن عبد المنعم الخفاجي ٥٢٧
انطباعات العالم الهندي الشهير مسعود عالم الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ ٥٣٠
أرجوزة الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٥٣٤
* **فهرس الموضوعات** ٥٤١